UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 14 15 20 08 016 6

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

DS
97
W36
1903
v.1

al-Waqidi, Muhammad ibn 'Umar
Futuh al-Sham

Digitized by the Internet Archive
in 2010 with funding from
University of Toronto

http://www.archive.org/details/futalshm01wqid

الجزء الاول

من فتوح الشام للامام العلامه

الحبر البحر الفهامه سيدى

محمد الواقدى نفع الله

به المسلمين

آمين

﴿ وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولي مصر ﴾

﴿ من الولاة والسلاطين تأليف الامام الشيخ ﴾

﴿ عبد الله الشرقاوي رحمه الله تعالى ﴾

﴿ محل مبيعه بالمكتبة المليجيه ادارة ﴾

﴿ ملتزمه حضرة الشيخ محمد على المليجى ﴾

﴿ الكتبي الشهير بمصر قريبا من الجامع ﴾

﴿ الازهر المنير ﴾

طبع بالمطبعة الشرفيه

سنة ١٣٢١ هجريه

DS
97
W36
1903
v.1

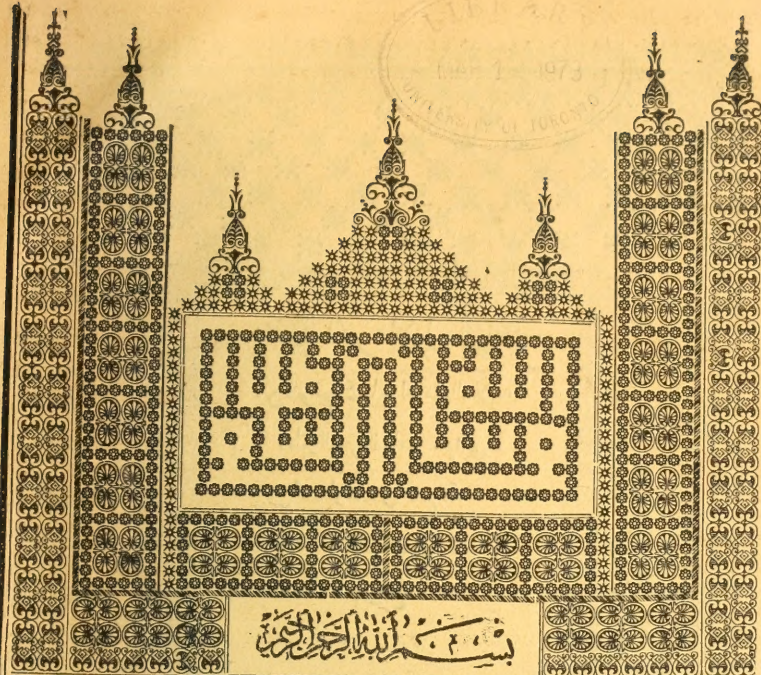

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله المبدئ المعيد
القديم الباقي المجيد
الذي أتقن العالم
بحكمته وأبرزه بقدرته
فوجد على أحسن مثال
وأتم منوال وظهر
في كل نوع منه على
حسب ما اقتضيه
طبيعته وأفاض عليه
ما سبق في علمه وتعلقت
به ارادته وأيد من شاء
من عباده بتنفيذ
الاحكام وأودع فيه
خصوصية لا توجد في
غيره من بقية الانام
والصلاة والسلام على
أول مظاهر الذات
العلية وأفضل من
أفيضت عليه الاسرار
الالهية وجمع فيه
ما تفرق من الكمالات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * (قال الامام الواقدي) رحمه الله تعالى (حدثني) أبو بكر محمد بن الحسن بن سفيان بن نوفل بن محمد بن ابراهيم التيمي ومحمد بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد مولى هشام ومالك بن أبي الحسن واسمعيل مولى الزبير ومازن بن عوف من بني النجار كل حدث عن فتوح الشام بما كان (قالوا) جميعا انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خليفة بعده أبو بكر رضي الله عنه قتل في خلافته مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وقاتل بني حنيفة وأهل الردة * وأطاعته العرب فعزم أن يبعث جيشه الى الشام وصرف وجهه لقتال الروم فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقام فيهم خطيبا فحمد الله عز وجل وقال يا أيها الناس رحمكم الله تعالى اعلموا ان الله فضلكم بالاسلام وجعلكم من أمة محمد عليه السلام وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا وقال فيكم اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عوّل أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه واختار له ما لديه ألا وانى عازم أن أوجه أبطال المسلمين الى الشام باهليهم ومالهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني بذلك قبل موته وقال زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فما قولكم في ذلك فقالوا يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ففرح أبو بكر رضي الله عنه ونزل عن المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة وهي بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم (أما بعد) فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت أن أوجهكم الى بلاد الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة فمن عوّل منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله الآية ثم بعث الكتب اليهم

وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما مرت الا أيام حتى قدم أنس رضى الله عنه ببشره بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد الا وبادر الى طاعة الله ورسوله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد النضيد وقد أقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال وأى رجال وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وشجعانها وقد ساروا اليك بالذرارى والاموال والنساء والاطفال وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم قال فسر أبو بكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما وأقام يومه ذلك حتى اذا كان من الغد أقبلوا الى الصديق رضى الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة قال فأخبروه فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم وأظهر وا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الالوية المحمدية فما كان الا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا فاقوم فى اثر قوم وقبيلة فى اثر قبيلة فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وأمامهم ذو الكلاع الحميرى رضى الله عنه فلما قرب من الصديق رضى الله عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام وجعل ينشد ويقول

أتتك حمير بالاهلين والولد * أهل السوابق والعالون بالرتب * أسد غطارفة شوس عمالقة
يردوا الكماة غداة الحرب بالغضب * الحرب عادتنا والضرب همتنا * وذو الكلاع دعانى الاهل والنسب
دمشق لى دون كل الناس أجمعهم * وسا كنيها سأهويهم الى العطب

قال فتبسم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ممن قوله ثم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين فقال الامام على صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس رضى الله عنه وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادى رضى الله عنه فلما وصل الى الصديق رضى الله عنه جعل يقول صلوا على طه الرسول
أتتك كتائب مناسراعا * ذو والتيجان أعنى من مراد فقدمنا أمامك كى نرانا * نبيد القوم بالسيف النجادى

قال فجزاه أبو بكر رضى الله عنه خيرا وتقدم بكتائبه ومواليه وتقدمت من بعده قبائل طيئ يقدمها حارث بن سعد الطائى رضى الله عنه فلما وصل هم أن يترجل فاقسم عليه أبو بكر رضى الله عنه بالله تعالى أن لا تفعل فدنا منه فصافحه وسلم عليه وأقبلت الازد فى جموع كثيرة يقدمها جندب بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ثم جاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه وأقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم عبشم بن أسلم الكنانى وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فلما نظر أبو بكر رضى الله عنه الى نصرتهم سر بذلك وشكر الله تعالى وأنزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبتها واستمر وا فاضربهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل وجدوبة الارض فاجتمع أكابرهم عند الصديق رضى الله عنه وقالوا يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بامر فأسرعنا فيه ولك رغبة فى الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من أهبتنا والمقام قد أضر بنا لان بلدك ليست بلد جيش ولا حافر ولا عيش والعسكر نازل فان كنت قد بدا لك فيما عزمت عليه فأمرنا بالرجوع الى بلدنا وأقبل الجميع وخاطبوه بذلك فلما فرغوا من كلامهم قال أبو بكر رضى الله عنه يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم أما والله ما أريد لكم الا ضرار وانما أردنا تكاملكم قالوا انه لم يبق من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى ﴿ قال المؤلف رحمه الله تعالى ﴾ لقد بلغنى أن أبا بكر رضى الله عنه قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء فى الناس وكبروا بأجمعهم فرحا لحر وجوههم وأجابتهم الجبال لدوى أصواتهم وعلا أبو بكر على دابته حتى أشرف على الجيش فنظر اليهم واذا هم قد ملؤا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم أنزل عليهم الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوهم انك على كل شئ قدير وكان أول من دعاه أبو بكر يزيد بن أبى سفيان وعقد له راية وأمره على ألف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بنى عامر بن لؤى يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا فى الجاهلية فعقد له راية وأمره على ألف فارس ثم أقبل أبو بكر على يزيد بن أبى سفيان وقال له هذا

الانسانية ودعا الناس الى التوحيد وترك العناد وجاهد فى الله حق جهاده وبلغت دعوته سائر البلاد وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين

﴿ أما بعد ﴾ فيقول كثير المساوى عبد الله ابن حجازى الشهير بالشرقاوى انه لما حل ركاب الصدر الاعظم والوزير الافخم والدستور الاكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المرادات ماشاء بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع عشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع

ربيعة بن عامر من ذوى العلا والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وأمرتك عليه فاجعله فى مقدمتك وشاوره فى أمرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن أبى سفيان و ربيعة بن عامر وأقبلا بقومهما الى أبى بكر رضى الله عنه فاقبل يمشى مع القوم فقال يزيد ياخليفة رسول الله الفاجى من غضب الله من رضيت عنه لا نكون على ظهور خيولنا وأنت تمشى فاما أن تركب واما أن ننزل فقال ما أنا براكب وما أنتم بنازلين وسار الى أن وصل الى ثنية الوداع فوقف هناك فتقدم اليه يزيد فقال ياخليفة رسول الله أوصنا فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك فى مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم فى الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا يفلح قوم ظلموا ولا انصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا للقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واذا انصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تفسدوا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم فى الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا فى الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا أوساط رؤسهم حتى كأنها منا حيض العظام فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله ثم عانقه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال ياعامر أظهر شجاعتك على بنى الاصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم ورجع أبو بكر رضى الله عنه بمن معه الى المدينة قال فجد القوم فى السير فقال ربيعة بن عامر ماهذا السير يايزيد وقد أمرك أبو بكر أن ترفق بالناس فى سيرك فقال يزيد ياعامر ان أبا بكر رضى الله عنه سيعقد العقود ويرسل الجيوش فأردت أن أسبق الناس الى الشام فلعلنا أن نفتتح تحاف قبل تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك ثلاث خصال رضا الله عز وجل و رضا خليفتنا وغنيمة نأخذها فقال ربيعة فسر الآن ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فأخذ القوم فى السير على وادى القرى ليخبروا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق قال واتصل الخبر للملك هرقل من قوم من عرب اليمن المتنصرة كانوا فى المدينة فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته فى عسكره وقال لهم يابنى الاصفران دولتكم قد عزمت على الانهزام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة التى أمركم بها الآباء والاجداد والقسس والرهبان وتقيمون حدود الله التى أمركم بها فى الانجيل لاجرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الوشاة ونازعكم على الشام الا رقهر غره ولقصد قصدكم كسرى بجنود فارس فانكسر واعلى أعقابهم والآن قد بدلتم وغيرتم فظلمتم وجرتم وقد بعث اليكم قوما لم يكن فى الأمم أضعف منهم عندنا وقد رأيتم شدة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذ واملكنا من أيدينا ويخربوا من بلادنا ثم انه حدثهم بالذى سمعه من طريسه فقالوا أيها الملك نردهم عن مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كنيستهم قال فلما سمع مقالتهم وتبين اغتباطهم جرد فيهم ثمانية آلاف من أشجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم وهم البطليق وأخوه جرجيس وصاحب شرطته ولوقا بن سمعان وصليب بن حنا صاحب غزة وكانت هذه الخمسة البطارقة يضرب بهم المثل فى الشجاعة والبراعة ثم تدرعوا وأظهروا زينتهم وصلت عليهم الامة صلاة النصر فقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق ويخورهم بخور الكنائس ثم رشوا عليهم من ماء المعمودية ورددوا الملك وسار واوأمامهم العرب المتنصرة يدلونهم على الطريق (قال) حدثنى رفاعة عن ياسر بن الحصين قال بلغنى ان أول من وصل الى تبوك كان يزيد بن أبى سفيان و ربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع والمسلمون قد هموا بالرحيل الى الشام اذا قبل جيش الروم فلما رآه المسلمون أخذوا على أنفسهم وكمن ربيعة باصحابه الالاف وأقبل يزيد بأصحابه الالاف وعظمهم وذكر الله تعالى وقال لهم اعلموا ان الله وعدكم بالنصر وايدكم بالملائكة وقال الله تعالى فى كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بنى الاصفر فيكونكم بجنود الشام واياكم أن تطمعوا العدو فيكم وانصروا الله ينصركم فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائع الروم قد أقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأى قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا أنه ليس

بعض علماء مصر لما كاتبه طلب منى بعض الاخوان من أتباع ذلك الصدر الأعظم أن أجمع كتابا متضمنا لواقعة الحال المذكورة فأجبته الى ذلك مستعينا بعون القادر المالك وذكرت فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان الى وقتنا هذا وسميته تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب

قوله بطارقة جمع بطريق ككبريت وهو كما فى القاموس القائد من قوّاد الروم نحت بده عشرة آلاف رجل اه

وراءهم أحد فمر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن يريد اخذ بلادكم واستنصروا بالصليب فانه ينصركم ثم حملوا وتلقاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير دانية وقد ارا القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا أنهم في قبضتهم اذ خرج عليهم ربيعة بن عامر رضي الله عنه بالكمين وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحملوا على الروم حملة صادقة فلما عاينت الروم من خرج عليهم انكسروا وألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا الى ورائهم ونظر ربيعة بن عامر الى البطليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم أنه طاغية الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت في حاصرته وخرجت من الناحية الاخرى فلما نظر الروم الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار

﴿حدثنا﴾ سعد بن أوس عن السرية التي أنفذها أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر قال قد اجتمعنا بعساكر الروم في أرض تبوك مع البطليق وهزمهم الله تعالى على أيدينا وكان جملة من قتل منهم ألف ومائتان ومن قتل من المسلمين مائة وعشرون رجلا قال وان القوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو المقتول يا ويلكم بأي وجه ترجعون الى الملك وقد علموا فينا عملا ذريعا وملؤا الارض من قتلانا ولا أرجع حتى آخذ بثأر أخي أو ألحق به قال واجتمع القوم وسمعوا منه ذلك ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى القتال فلما استقر وافي خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح وقالوا له امض الى بني عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما يريدون منا قال فركب القداح جواده وأقبل نحو جيش المسلمين فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد قال لهم ان البطارقة يريدون رجلا من عقلائكم ليخاطبوهم فيما يريد الله به صلاح شأن الجمعين قال فأخبروا يزيد وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم فقال يزيد بارك الله فيك ربيعة أنا أخاف عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وانى أوصيك والمسلمين أن تكونوا همتكم عندي فاذا رأيتم القوم غدروا بي فاحملوا عليهم ثم ركب جواده وسار حتى أتى جيش الروم وقرب من سرادق أميرهم فقال القداح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك فقال ربيعة رضي الله عنه ما كنت بالذي أنتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادي لغيري وما أنا بنازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لاننا ما بعثنا اليكم بل أنتم بعثتم الينا قال فأعلم القداح الروم بما تكلم به ربيعة ابن عامر فقال بعضهم لبعض صدق العربي في قوله دعوه ينزل حيث أراد قال فنزل ربيعة على باب السرادق وجثا على ركبتيه وأمسك عنان جواده بيده وسلاحه معه فقال له جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كنا نحدث أنفسنا انكم تغزونا وما الذي تريدون منا فقال ربيعة نريد منكم أن تدخلوا في ديننا وأن تقولوا بقولنا وان أبيتم تعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فالسيف بيننا وبينكم فقال جرجيس فما منعكم أن تقصدوا الفرس وتدعون الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعة بذا أمرنا ربنا لانكم أقرب الينا من الفرس وان الله تعالى أمرني كتابه بذلك قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال جرجيس فهل لك أن تعقدا الصلح بيننا وبينكم وأن نعطي كل رجل منكم دينارا من ذهب وعشرة أوسق من الطعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزون الينا ولا نغزوا اليكم قال ربيعة لا سبيل الى ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف أو اداء الجزية أو الاسلام قال جرجيس أما ما ذكرت من دخولنا في دينكم فلا سبيل الى ذلك ولو نملك عن آخرنا لانا لا نرى لدينا بدلا وأما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك وما أنتم بأشهى منا الى القتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب قال جرجيس لاصحابه علي بأنفس صقالبة حتى يناظروا هذا البدوي في كلامه قال وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسيسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فأتى الحاجب به فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن شريعتهم وعن دينهم فقال القسيس يا أخا العرب انا نجد في علمنا أن الله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا قرشيا علامته ان الله تعالى يسري به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم أسرى به وقد ذكره ربنا في كتابه العزيز بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القسيس انا نجد في كتابنا أن ربنا يفرض على هذا النبي وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان قال

﴿المقدمة﴾ في فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والاخبار ومن كان فيها من الانبياء والصديقين وغير ذلك

﴿الباب الاول﴾ في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم وهم الحسن بن علي وفي دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من نواب الخلفاء والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغالب من ابن طولون والاخشيدية

﴿الباب الثاني﴾ في دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية

ربيعة نعم وقد قرأنا في القرآن العظيم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فقال القسيس انا وجدنا في كتابنا أن من أحسن حسنة تكتب بعشرة قال ربيعة نعم قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قال القسيس انا نجد في كتابنا أن الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة نعم وقد قال الله في كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فعجب القسيس من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القوم فقال بعض الحجاب ان هذا هو الذي قتل أخاك فلما سمع ذلك ازورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم أن يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه أسرع من البرق وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجندله صريعا تحت ملا ووثب على فرسه فركبها فأسرعت البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر زيد بن أبي سفيان الى ذلك فقال للمسلمين ان أعداء الله قد غدروا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم لقتال العرب فبينما هم في القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال حملوا على القوم حملة صادقة وحكمت سيوفهم في قمم الروم (قال الواقدي) لقد بلغني ان الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان العرب التقطوهم بسيف الخيل وبعد الشام من تبوك ثم ان المسلمين أخذوا أموالهم وخيامهم ثم سلموا على شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم فقالوا نبعث الجميع الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فرضوا بذلك وبعثوا الجميع الا العدة والسلاح وبعثوا مع الغنائم والاموال شداد بن أوس رضي الله عنه في خمسمائة فارس ولما وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون أموال المشركين رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وسمع الصديق بقدوم شداد بن أوس رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أقبلوا الى الصديق وأعلموه بالفتح بعد أن سلموا عليه فسجد لله عز وجل ثم كتب كتابا الى أهل مكة يستدعيهم فيه بالجهاد مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الى أهل مكة وسائر المؤمنين فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فاني قد استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين أن تسرعوا الى ما أمركم به ربكم تبارك وتعالى اذ يقول الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية فيكم وأنتم أحق بها وأهلها وأول من صدق وقام بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن يخذل استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للهاجرين والانصار فمن اتبع سبيلهم كتب من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل قال وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله بن حذافة فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه قام سهل بن عمرو والحرث بن هشام وعكرمة ابن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأما عكرمة فانه قال الى متى نبسط لانفسنا وقد سبقنا القوم الى الموطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فاللحاق السباق فلعلنا نكتب في الحال ثم خرج عكرمة بن أبي جهل في بني مخزوم وخرج الحرث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة خمسمائة رجل وكتب أبو بكر للطائف فخرجوا في أربعمائة رجل (قال الواقدي) خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا وذلك أن سعيد بن خالد أتى الى الصديق رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أردت أن تعقد لابي خالد راية ويكون قائدا من قواد جيشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين رجع من بعثتك وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ولم أزل نجيبا داعوتك في بعثك فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانيا أبدا ولا عاجزا عن الحرب قال وكان سعيد ابن خالد غلاما نجيبا أنجب من أبيه وأفرس فعقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على الفين من العرب قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وأنه خير من أن يكون أمير اكره له ذلك وأقبل على الصديق رضي الله عنه وقال يا خليفة رسول الله عقدت الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عند ما عقدتها على رغم الاعادي والله لتعلم أنه ما يريد بالقول غيري والله ما تكلمت في أبيه قال الواقدي فثقل ذلك

ودولة الجركسية

﴿الباب الثالث﴾

في دولة آل عثمان المؤيدة بالنصر في كل وقت وأوان أدام الله بقاءها مادام الفرقدان بجاه سيد ولد عدنان وفيمن تصرف في مصر من نوابهم وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم

﴿المقدمة في فضائل مصر وما ورد فيها الى آخر ما سيق﴾ اعلم أن مصر قد ذكرت في القرآن العزيز في أكثر من ثلاثين موضعا كما قاله السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق

على أبي بكر وكره أن يعقد له وكره أيضا أن يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم فوثب قائما ودخل على عائشة رضي الله عنها وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما كان من كلامه فقالت عائشة قد علمت ان عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين ومافي قلب عمر بغض للمسلمين قال فقبل قول عائشة رضي الله عنها ثم دعا بازاد الدوسي وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك قال فردها وقال والله لاقتلن تحت راية أبي بكر حيث كان فاني قد حبست نفسي في سبيل الله (قال الواقدي) واقد بلغني أن الصديق حال تفكره فيمن يقدم طليعة الجيش قال فتقدم اليه سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وهشام بن الحرث وقالوا اشهدوا انا قد حبسنا أنفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال أبدا فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون ثم ان أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال قد وليتك على هذا الجيش ومن أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب فانصرف الى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وأمره اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا عشورته امض بارك الله فيك وفيهم قال فأقبل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على العدو وصبري على الحرب فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميرا على أبي عبيدة وقد رأيت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واني أرجو الله أن يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الأعداء قال عمر رضي الله عنه ما كنت بالذي كذبك وما كنت بالذي أكلمه في ذلك فانه ليس على أبي عبيدة أمير ولا بو عبيدة عندنا أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه أبو عبيدة أمين الأمة قال عمر وما نقص من منزلته اذا كنت واليا عليه قال عمر بن الخطاب ويلك يا عمر وانك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو ابن العاص ان الامر كما ذكرت ثم أمر الناس بالمسير تحت رايته فسار واوتقدم أهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسير وا مع أبي عبيدة بن الجراح وتقدم عمرو بن العاص وسار قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد به ملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في السير فان فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد رويدا بعد وشر حبيل بل اسلك طريق البلياء حتى تنتهي الى أرض فلسطين وابعث عيونك يأتوك باخبار أبي عبيدة فان كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في أثر جيش وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسعيد بن خالد واياك أن تكون وانيا عما نديتك اليه واياك والوهن ان تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عددنا ثم رأيت يوم حنين من نصرنا الله عليهم واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والانصار من أهل بدر فاكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم ببطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول انما ولاني أبو بكر لاني خيرهم واياك وخدائع النفس وكن كاحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة اذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه أهل العسكر ثم ابرز وصل بمن رغب في الصلاة معك فذلك أفضل له ومن صلاها وحده اجزأته صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس واتق الله اذا لاقيت العدو واذا وعظت أصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام ينفرد الى الله تعالى فيما يعلمه ويما يفعله في رعيته واني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حيالها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك وخلف على الناس من ترضاه واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك خطرا والزم أصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الائمة المهتدين في القرآن اذ يقول الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين قال فكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وأبو

الصراحة و بعضها بطريق الكناية * قال تعالى اهبطوا مصرا * أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال الذي اشتراه من مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين * قال اجعلني على خزائن الارض وكذلك مكنا ليوسف في الارض فلن أبرح

عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقاتلوا أعداء الله وأعدائكم بقوة الله فان الله ناصر من ينصره قال فسلم المسلمون عليه وودعوا وساروا وفى تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون أخذ فلسطين فلما كان بعدهم بيوم واحد عقد العقود والرايات الى أبى عبيدة بن الجراح وأمره بأن يقصد بمن معه أرض الجابية وقال يا أمين الامة قد سمعت ما أوصيت به عمرو بن العاص وودعه المسلمون فلما عاد أبو بكر والمسلمون دعا بخالد بن الوليد وعقد له راية وكانت له راية النبى صلى الله عليه وسلم وأمره على لخم وجذام وضم له جيش الزحف وكانوا شجعانا مامنهم الا من شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا أبا سليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به أرض العراق وفارس وأرجو والله أن ينصركم ثم انه ودعه وسار خالد بن معه يطلب العراق (قال) حدثنى ربيعة بن قيس قال كنت فى الجيش الذى وجهه أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين والبلقاء وكان صاحب رايته سعد بن خالد قال وبعث أبو بكر مع كل جيش أميرا وهو يدعوهم بالنصر ويأخذه الفاق على المسلمين حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه ما هذا الغم الذى نزل بك فقال اغتممت على جيوش المسلمين وأرجو والله أن ينصرهم على عدوهم فقال عثمان والله ما خرج جيش سيرت به الا هذا الجيش الذى سار الى الشام وهذا الذى أرجى الله نبيه به وليس فى قوله خلف وأنا منتظر على الروم وفارس ولكن ما ندرى متى يكون أفى هذا البعث أو غيره ولكن أحسن الظن بالله قال وبات الصديق فرأى فى منامه كأن عمرو بن العاص فى وجهه طرمة هو وأصحابه ثم قصد عمرو أرضا خضرة سهلة وفرجة فحمل على فرسه ثم اتبعه أصحابه فاذا هم فى أرض واسعة فنزلوا واستراحوا قال وانتبه أبو بكر من منامه فرحا بما رأى فقال عثمان يدل على فتح الأنه يوشك أن ابقى عمر وفى قتال المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها (قال الواقدى) كانت الساقطة تنزل المدينة فى الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش وما يكون فى الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وأبو بكر ينفذ الجيوش وسمعوا كلام أبى بكر لعمرو بن العاص وهو يقول عليك بفلسطين والبلقاء قال فسار وا بالخبر الى الملك هرقل فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته وبطارقته وأعلمهم بالحديث الذى جرى وقال يا بنى الاصفر هذا الذى كنت حذرتكم منه قديما وان أصحاب هذا النبى لابد أن تملك ما تحت سريرى هذا وقد قرب الوعد وان خليفة محمد قد أنفذ اكم الجيوش وكانكم بهم وقد أتوكم وقصدوا نحوكم فحذروا أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب بلادكم وأموالكم قال فبكى القوم فقال لهم دعوا عنكم البكاء ثم قال وزيره أيها الملك قد اشتهينا أن تدعو ببعض من قدم بهذا الخبر عليك فأمر هرقل بعض حجابه أن يأتى برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار فأتى برجل منهم فقال له الملك كم عهدك قال منذ خمسة وعشرين يوما قال فمن المتولى عليهم قال رجل يقال له أبو بكر الصديق وجه جيوشه الى بلدك قال هل رأيت أبا بكر قال نعم رأته أخذنى ثملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه وهو كواحد منهم وهو يمشى فى ثوبين ويطوف بالاسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوى للضعيف قال هرقل صفه لى قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق دينى هو صاحب أحمد الذى كنا نجده فى كتبنا أنه يقوم بالامر بعده ونجده فى كتبنا أيضا أن بعد هذا الرجل رجلا آخر طويلا كالاسد لو ثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال أن هذا الذى وصفته لى رأيته معه لا يفارقه قال هرقل هذا الامر والله قد صح وقد دعوت الروم الى الرشد والصلاح فأبوا أن يطيعونى وأن ملكى سوف ينهدم ثم عقد صليبا من الجوهر وأعطاه قائد جيوشه روبيس وقال له قد وليتك على الجيوش فسر والمنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كثيرة الخير وهى عزنا وجاهنا وتاجنا فسلم روبيس الصليب وسار من يومه الى أجنادين واتبعه جيش الروم (قال الواقدى) لقد بلغنى أن عمرو بن العاص توجه الى البلقاء حتى وصل الى أرض فلسطين هو ومن معه قال فلما نزل المسلمون فلسطين جمع عمرو المسلمين من المهاجرين والانصار وشاورهم فى أمرهم فبينما هم فى المشورة اذ أقبل عليهم عدى بن عامر وكان من خيار المسلمين وكان كثير ما يتوجه الى بلاد الشام رداس أرضهم وعرف مساكنها ومسالكها فلما أشرف على المؤمنين داروابه وأوقفوه بين يدى عمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص ما الذى وراءك يا ابن عامر قال ورائى المتنصرة وجنودهم مثل النمل فقال له عمرو يا هذا قد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا مستعينون بالله عليهم فقال له

الارض حتى يأذن لى أبى ان فرعون علا فى الأرض ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونمكن لهم فى الارض الا أن تكون جبارا فى الارض ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض أو أن يظهر فى الارض الفساد أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها يريد أن يخرجكم من أرضكم

فكم خرجت القوم فقال أيها الامير انى قد علوت على شرف من الجبال عال فرأيت من الصلبان والرماح والاعلام ما قد ملأ الاجم وهو أعظم جبل بارض فلسطين وهم زيادة عن مائة ألف فارس وهذا ما عندى من الخبر قال فلما سمع عمر ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أقبل على من حضر من كبار المسلمين وقال أيها الناس انا وايا كم فى هذا الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش كان سعيدا فماذا أنتم قائلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرأى فقالت طائفة منهم أيها الامير ارجع بنا الى البرية حتى نكون فى بطن البيداء فانهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون فاذا جاءهم الخبر أننا توسطنا البرية يتفرق جمعهم وبعد ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى فقال سهل بن عمرو ان هذه مشورة رجل عاجز فقال رجل من المهاجرين لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الا خيرا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال سهل بن عمرو أما أنا فلا رجعت عن قتال الكفرة ولا رددت سيفى عنهم فمن شاء فليمض ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبيه فانا وراءه بالمرصاد قال فلما سمع المسلمون أنه وافقه على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالوا أحسنت يا أبا الفاروق قال ثم ان عمرو بن العاص عقد راية وأعطاها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضم اليه ألف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف وأمرهم بالمسير فسار عبد الله وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة القوم قد لاحت فقال عبد الله بن عمر وهذه غبرة عسكر واظنها طليعة القوم ثم وقف ووقف أمامه أصحابه فقال قوم من المادية اتركنا نرى ما هذه الغبرة فقال لا تتفرقوا عن بعضكم حتى نرى ما هى فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم رويس بطريقا من أصحابه وكانوا قد سارو ا يكشفون خبر المسلمين فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تعجلوهم لانهم لابد لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف قال فأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما جهروا بها أجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر وكان أول من حمل عكرمة بن أبى جهل وتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالحملة وصاح فى رجاله وحمل المهاجرون والانصار معهم والتقى الجمعان وعمل السيف فى الفريقين قال عبد الله بن عمر وبينما أنا فى الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالجمل البليد وهو يركض عيانا وشمالا فقلت ان يكن لهذا الجيش عين فهذا الجيش وصاحب الطلائع وهو مرعوب من الحرب فلما حملت عليه ومددت قناتى اليه نفر فرسه من الرمح فقربت منه وأومأت انى أريد الانهزام ثم عطفت عليه وطعنته فوالله لقد خيل لى أنى ضربت بسيفى حجرا وسمعت طنين السيف حتى حسبت ان سيفى انفصل واذا هو صريع ثم عطفت عليه وأخذت لامته فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلا دخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون فى الضرب والقتال فلله در الضحاك والحرث بن هشام لقد قاتلا قتالا شديدا ما عليه من مزيد فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين قال فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعبد الله بن عمر قال قائل منهم الله خير بحسن زهده وعبادته وقال آخرون قد أصبنا يا بن عمر فما كان يساوى هذا الفتح شعرة من رأسه قال عبد الله بن عمر وأنا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية فاعلمت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الى وقالوا ان كنت فقلت اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا أفلح والله وجهك فهذا والله فتح قدر زقنا الله اياه ببركتك قال عبد الله وبوجوهكم ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وستمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فوارو هم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ثم دعا بالاسرى واستنطق منهم بالعربية فكان فيهم غير ثلاثة نفر من أنباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر أصحابهم فقالوا يا معشر العرب ان هذا رويس قد أقبل فى مائة ألف فارس وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل الى بلياء وانه بعث بهذا البطريق طليعة وقد قتل وكأنكم به فقال عمرو ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم عرض عليهم الاسلام فما أحد منهم أسلم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى يأخذ ثارهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا فانى أظن ان القوم سائرون

فى الموضعين ان هذا لمكر مكروه فى المدينة فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قيل المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى يجلس فيها الملوك كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم وقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق كمثل جنة بربوة ادخلوا الارض المقدسة قيل هى مصر أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو فجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر

فان أتوا الينا فهم فى شدة وقوة وسنلقى منهم تعبا فى القتال وان سرنا اليهم نرجو ان الله النصر والظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله الا خيرا قال أبو الدرداء و بتنا مكاننا فلما جاء الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى أشرفت علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فلما أشرف الجيش على الجيش أقبل عمرو ورتب أصحابه و جعل فى الميمنة الضحاك وفى الميسرة سعيدا وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمرو فى القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرؤن القرآن وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا فى ثواب الله وجنته ثم انه جعل يصفهم و يعبيهم تعبية الحرب ونظر رو يبس بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو بن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤن القرآن والنور يلمع من نواصى خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع وعلم أن كل من معه كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين وانكسرت حيته قال وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن خالد رضى الله عنه وهو أخو عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرز وا يا أهل الشرك ثم حمل على الميمنة فلجأها الى الميسرة وحمل على الميسرة فلجأها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل أبطالا ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم قال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه قال فحزن المسلمون على قتله حزنا عظيما وأكثرهم عمرو ابن العاص وقال واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله عز وجل ثم قال يا فتيان من يحمل منى هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرها وأنظر رجال سعيد قال فاسرع يا لجابة ذو الكلاع الحميرى وعكرمة بن أبى جهل والضحاك والحرث بن هشام ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين قال عبد الله وكنا سبعين رجلا وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا لانهم جبال من حديد (قال الواقدى) رحمة الله عليه فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعضنا ببعض ابعجوا دوابهم فاهلاكهم غير ذلك قال فبعجنا دوابهم بالاسنة فتنكسوا فبعدنا تكاسهم تفرق بعضهم عن بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب انصر أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الدرداء فلقد شغلنى الحرب عن مناشدة الاشعار ولقد كان أحدنا لا يدرى أهو يضرب أخاه أو عدوه من كثرة القتام قال فثبت المسلمون مع قلتهم وفوضوا أمرهم الى الله عز وجل وما كان أحد من المسلمين يضرب الا ظهره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس فى القتام اذ نظرت الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضرا أسنتها تلمع ومنادٍ ينادى بالنصر يا رايا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتاكم الله بالنصر قال فما كان غير قليل اذ نظرت الى الروم منهزمين والمسلمون فى أعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم قال ابن عمر فقتلنا فى هذه الوقعة قريبا من خمسة عشر ألف فارس وأكثر ولم نزل فى آثارهم الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين لاسراعهم وراء العدو وقال عمرو بن غياث فنظرت الى عمرو بن العاص والراية فى يده وقد أوفى القناة على عاتقه وهو يعرك بيده ويقول من يرد الناس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت العرب قد عطفت راجعة كعطفة الام على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول هنيا لهذه الوجوه التى تعبت فى رضا الله تعالى أما كان لكم كفاية فى أن خوّلكم الله حتى أتيتم العدو ففالوا اما أردنا الغنيمة بل القتال والجهاد قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا فقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عبادة ونوفل ابن دارم والاهب بن شداد وأما فى من اليمن ووادى المدينة قال فاغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير وأنت يا عمرو تأبى ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما أمره أبو بكر الصديق رضى الله عنه فصلى ما فاته كل صلاة بأذان واقامة قال ابن عمر ما صلى خلفه الا قليل بل صلى الناس فى رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم الا القليل وبات الناس فلما أصبح عمرو أذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع الغنائم وأن يخرجوا اخوانهم المؤمنين من الروم فجعلوا يلتقطون منهم قال فاخرجوا مائة وثلاثين رجلا ووجدوا سعيد بن خالد فلما نظر عمرو الى ما نزل به بكى وقال رحمك الله فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم جعله فى جملة المسلمين وصلى عليهم وأمر بدفنهم وذلك قبل أن يخمس شيأ من الغنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم فصحفت بمصرهم (وقد ورد) فى مصر عدة أخبار منها ما روى عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصرا فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (وفى صحيح مسلم) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح

من عمرو بن العاص الى أمين الأمة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وصلت الى أرض فاسطين ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس فى مائة ألف فارس فمن الله بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر ألف فارس وفتح الله على يدى فاسطين بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا فان احتجت الى سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى أبى عامر الدوسى وأمره أن يسير الى أبى عبيدة قال فاسرع أبو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وهو نازل بأرض الشام وجاهر بالدخول اليها غير أنه أمره كما أمره أبو بكر قال فلما وصل أبو عامر قال له أبو عبيدة ما وراءك قال خير هذا كتاب من عمرو بن العاص يخبرك بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه خر ساجدا فرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين رجال أخيار منهم سعيد بن خالد قال أبو عامر فكان خالد والده جالسا فلما سمع بأن ولده قد قتل قال وابناه وجعل يبكيه حتى بكى المسلمون لبكائه ثم ان خالدا أسرع الى فرسه فركبها وعزم الى أرض فاسطين لينظر الى قبر ولده فقال أبو عبيدة كيف تسير وتدعنا فقال انما أنظر قبر ولدى وأرجو الله أن ألحقنى به قال وكتب أبو عبيدة كتابا الى عمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر الينا والا فان كان أمرك بالثبات فى موضعك فانت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع أبى عامر الى أن أتيا الى جيش عمرو بن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكى فوثب عمرو وصافح خالدا ورفع منزلته وعزاه فى ولده سعيد وعزاه المسلمون فقال خالد يا أيها الناس هل أرى سعيد رمحه وسيفه فى الكفار فقالوا نعم فلقد قاتل وما قصر ولقد جاهد فى الدين ونصر فقال أرونى قبره قال فأروه اياه فأقام على القبر وقال يا ولدى رزقنى الله الصبر عليك وألحقنى بك وانا لله وانا اليه راجعون والله ان مكننى الله لآخذن بثارك يا ولدى وعند الله احتسبتك ثم قال لعمرو بن العاص انى أريد أن أسرى بسرية فى طلب القوم فلعل أن أجد فيهم فرصة أغنيمة واكون قد أخذت بثار ولدى فقال عمرو ان الحرب أمامك يا ابن الام فاذا رأيت الروم فلا تبق عليهم فقال خالد والله لأسيرن اليهم ثم أخذ خالد أهبته للسير وعزم أن يسير وحده فركب معه ثلثمائة فارس من فتيان حمير فسار وايوهم ذلك أجمع وأرادوا النزول فى الاودية ليعلفوا دوابهم ويسيروا فى ليلتهم اذ نظر خالد بن سعيد الى أشباح على ذروة جبل فقال خالد هناك عال منيع فقال لأصحابه انى أرى أشباحا على ذروة هذا الجبل ونحن فى هذا الوادى ثم قال كونوا فى أماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد سيفه والتحف بازاره وقال اعلموا أن القوم ما علموا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا فى أماكنهم فمن هنا بد نفسه ويصنع كما أصنع قالوا كذلك قال فطافوا فى الجبل حتى أشرفوا على القوم وهم فى أماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم فأسرع اليهم المسلمون فقتلوا منهم ثلاثين وأسروا أربعة فسألهم خالد بن سعيد عن حالهم واذا هم من أنباط الشام فقالوا نحن من أهل هذا المقيع والجامعة وكفار القرية وقد عظم علينا دخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا عظيما وقد هربت أكثرنا الى الحصون والقلاع وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل لانه ليس فى الرستاق أحصن منه فعلونا عليه وأنتم كسبتمونا قال خالد فما بالكم عن جيش الروم قالوا يا جناد بن وهذا البطريق أقبل الينا بالأخذ الميرة والعلوفة وقد حملوا له الدواب والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون أن تلحقهم خيل العرب وهذا خبر قومنا ولا شك أنهم رحلوا من يومهم قال فلما سمع خالد بن سعيد مقالتهم قال غنيمة للمسلمين ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أى طريق سار القوم قالوا على هذه الطريق التى أنتم عليها لانها أوسع الطرق كلها وأما الميرة فانها مجموعة من حول البلاد فلما سمع خالد كلامهم قال لهم أسلموا فقالوا له ما نعرف الا دين الصليب ونحن فلاحون قال فهم خالد بقتلهم فقال رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى ميرة القوم فأجابوهم الى ذلك وسار واوهم يدلونهم الى تل عظيم قال فتوافق القوم وهم يحملون دوابهم حول التل ومعهم ستمائة لابس من القوم فلما نظر خالد الى ذلك قال لأصحابه اعلموا ان الله تعالى قد وعدكم بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو أمامكم فارغبوا فى ثواب الله تعالى واسمعوا ما قال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وها أنا أحمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبه ثم ان خالدا حمل وحمل أصحابه قال فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين وصبرت الخيل لقتالنا ساعة من النهار وقل فيمن اذ ذاك الكلاع

الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فان ذلك الجند خير أجناد الارض فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة (وأما حديث) ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها أقل الناس أعمارا فهو حديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ❁ ومن الآثار الموثوقة فى فضل مصر ❁ ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو قال قبط مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمحهم يدا وأنضلهم

الحميرى يشجع أصحابه ويقول يا أهل حمير أبواب الجنة قد فتحت والحور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم قد لقيه خالد فعرقبه بلامته وحسن زيه قال فاستقبله وصرخ فيه فارعبه ثم قال يا ثار ولدى سعيد وطعنه طعنة صادقة فخر له صريعا كانه برج من حديد وما بقى أحد الا قتل من الروم قال فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل منهم ثلثمائة وعشرون فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا الاثقال والبغال والميرة وأخذ المسلمون الجميع بعون الله تعالى قال وأطلق سبيل الفلاحين وعاد خالد ومن معه بالغنائم والميرة الى عمرو بن العاص ففرح بسلامتهم وشكر فعلهم وكتب كتابا الى أبى بكر الصديق وذكر له ما جرى مع الروم وبعث الكتاب مع أبى عامر الدوسى رضى الله عنه وأخذه وقدم به المدينة وأعطاه أبا بكر الصديق رضى الله عنه فلما قرأه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم ان أبا بكر استخبر عن أبى عبيدة فقال له عامر انه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول اليها وانه سمع أن جيوش الملك قد اجتمعت من حول أجنادين وهم أمم لا تحصى وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم فلما سمع أبو بكر ذلك علم أن أبا عبيدة ابن العم بكه وغيره لا يصلح لقتال الروم وعزل أن يكتب الى خالد بن الوليد ليوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم قال واستشار المسلمين فى ذلك فقالوا الرأى ما تراه وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن أبى قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع الى مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله حق جهاده ثم كتب يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الآية وقد جعلتك الامير على ابى عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكنانى فركب على مطيته وتوجه الى العراق فرأى خالدا رضى الله عنه قد أشرف على فتح القادسية فدفع اليه الكتاب فلما قرأه قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل ليلا وأخذ طريقه عن اليمين وكتب كتابا الى أبى عبيدة يخبره بعزله وبسيره الى الشام وقد ولانى أبو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى أقدم عليك والسلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكان أحد أبطال المسلمين فأخذه وتوجه بطلب الشام وأما خالد فلما وصل الى أرض السماوة قال أيها الناس ان هذه الارض لا تدخلونها الا بالماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الامر فقال له رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه أيها الامير انى أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما تصنع ووفقك الله مولا تاجل وعلا للخير قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء ولما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول وسار وا فكانوا كلما نزلوا منزلا أخذوا عشرة من الابل يشقون بطونها ويأخذون ما يجدون من الماء فى بطونها فيجعلونه فى حياض الادم فاذا برد سقوه للخيل وأكلوا اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلا ماء وأشرف خالد ومن معه على الهلاك فقال خالد لرافع بن عميرة يا رافع قد أشرفنا على الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء ننزل عليه (قال الواقدى) وكان رافع رمدت عيناه فقال أيها الامير انى رمد كما ترى ولكن اذا أشرفتم على أرض سهلة فاعلمونى قال فلما أشرفوا عليها أعلموا رافعا بذلك قال فرفع طرف عمامته عن عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس من ورائه الى أن أقبل على شجرة من الاراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا هنا قال فحفرت العرب واذا الماء قد طلع كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه وعلى رافع خيرا ثم وردوا الماء وسقوا خيلهم وابلهم ثم جدوا فى طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب بالماء قال فسقوهم فارتجعت قوتهم ثم لحقوا بالجيش وأراحوا أنفسهم ثم فى ثانى يوم جدوا فى المسير الى أن بقى بينهم وبين أركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك اذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وابل قد سدت الفضاء والمستوى فأسرع المسلمون الى الحلة واذا براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود قال فتبينه المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل الذى أرسله خالد قال فأقبل خالد بن الوليد مسرعا حتى وقف عليه فلما رآه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب أسرك قال عامر أيها الامير انى أشرفت على هؤلاء القوم فى هذه الحلة وقد أصابنى الحر والعطش فقلت الى هذا الراعى اسقينى من اللبن فوجدته يشرب خمرا فقلت له يا عدو الله أتشرب الخمر وهى محرمة فقال لى

غنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد ان ينظر الفردوس أو ينظر الى مثلها فى الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين تخضر زروعها أو تنمو أثمارها (وأخرج ابن عبد الحكم) عن أبى رهم السماعى الصحابى رضى الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الماء يجرى تحت منازلها وأفنيتها فيمسكونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى

يامولاى انها لنست بخمر وانما هى ماء زلال فانزل كى تراه واستنشق مافى الجفنة فان كان خمرا فافعل مابدا لك فلما سمعت كلامه أنخت المطية ونزلت عن كورها وجلست على ركبتى فى الجفنة واذا أنا بالعبد قد طلمنى بعصا كانت الى جانبه وضربنى على رأسى فشجنى شجة موضحة فانقلبت على جانبى فامر ع العبد الى وشدنى كتافا وأوثقنى رباطا وقال لى أظنك من أصحاب محمد بن عبد الله واست أدعك من بين يدى أو يقدم سيدى من عند الملك فقلت له ومن سيدك من العرب فقال القداح بن وائلة وانى عنده هذا العبد كلما اشرب الخمر أحضرنى كما ترى وألقى على فضلة من كأسه قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب ومال على العبد وضربه بضربة هائلة فجندل صريعا وانهب المسلمون المال والاغنام والابل وقلعوا الحلة بما فيها وأطلق عامرا وقال له أين رسالتى ياعامر فقال يامولاى هى فى طرف عمامتى لم يعلم بها العبد فقال خالد انطلق بها يا عامر على بركة الله تعالى قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل بأركة وهى رأس الامانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تسلك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فاغار خالد عليها وأخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب القديمة والملاحم فلما رأى المسلمين وجيشهم انتقع لونه وقال اقترب الوقت وحق دينى فقال أهل أركة وكيف ذلك قال ان عندى ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تشرف من خيلهم هى الراية المنصورة وقد دنا هلاك الروم فانظروا ان كانت رايتهم سوداء وأميرهم عريض اللحية طويلا أصهب بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل فى وجهه أثر جدرى فهو صاحب جيشهم فى الشام وعلى يديه يكون الفتح قال فنظر القوم واذا الراية على رأس خالد وهى كما قال حكيمهم قال واجتمعوا على بطريقهم وقالوا له أنت تعلم ان الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد قال كذا وكذا والذى وصفه لنا رأيناه عيانا ونرى من الرأى أن نعقد بيننا وبين العرب صلحا ونأمن على حريمنا وأنفسنا فلما سمع ذلك بطريقهم قال أخروني الى غد لأرى من الرأى قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر أمره وكان عارفا عاقلا خبيرا بالامور وقال ان أنا خالفتهم خفت أن يسلمونى للعرب وقد تحقق أن روبيس سار بجيش عظيم فهزمهم العرب ولم يزل يراود نفسه الى أن أصبح الصباح فدعا قومه وقال على ماذا عولتم قالوا عولنا على أننا نقيم الصلح بيننا وبين العرب فقال البطريق أنا واحد منكم مهما فعلتم لا أخالفكم قال فخرج مشايخ أركة الى خالد وكلموه فى الصلح فاجابهم الى الصلح وألان الكلام لهم وتلقاهم بالرحب والسعة ليسمع بذلك أهل السخنة ويبلغ الخبر لاهل قدامة وكان الوالى عليهم بطريق اسمه كوكب فجمع رعيته وقال لهم بلغنى عن هؤلاء العرب انهم قصدوا أركة والسخنة وان قومنا يحدثون عنهم وحسن سيرتهم وانهم لا يظلمون الفساد وهذا حصن مانع لا سبيل لاحد علينا والكن نخاف على نخيلنا وزرعنا وما يضرنا أن نصالح العرب فان كان قومنا هم الغالبين فسخنا صلحهم وان كان العرب ظافرين كنا آمنين قال ففرح قومه بذلك وهيؤا الملوفة والضيافة حتى خرج خالد رضى الله عنه من أركة ونزل عليهم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من الذهب وكتب لهم كتابا بالصلح ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الى أبى عبيدة فلما قرأه تبسم وقال السمع والطاعة لله تعالى ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد وكان أبو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى فى أربعة آلاف فارس قال فسار على فتحها وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند الملك وعند الروم اسمه وماس وكان قد قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان يجتمع اليه الروم من أقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون ألفاظ حكمته وكانت آهلة بالخلق عامرة بالناس وكان فيها ألف فارس وكان العرب يقصدونهم ببضائعهم وتجارتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان فى أيام الموسم ينصب لبطريقهم كرسى ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ويستفيدون من علمه وحكمته فبينما هم قد اجتمعوا اليه اذ وقعت الصيحة بقدوم شرحبيل بن حسنة وعسكره فسار الى جواده فركبه وصاح فى قومه فأجابوه وقال لا تحدثوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ثم سار حتى قرب من شرحبيل بن حسنة وجيشه ونادى يامعشر المسلمين انا رماس وانى أريد صاحبكم قال فخرج اليه شرحبيل فلما قرب منه قال البطريق من أنتم قال شرحبيل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى القرشى الهاشمى المنعوت

من تحتى أفلا تبصرون ولم يكن فى الارض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره من الجانبين جميعا ما بين أسوان الى رشيد سبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شئ والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى اسوان بلا زاد فى ظل وأشجار وفواكه الى أن يصل الى مدينة أسوان ﴿ وعن عبد

في التوراة والانجيل فقال ر وماس ما فعل الله به فقال شرحبيل قبضه الله اليه فقال المطريق فمن ولي الامر بعده قال عتيق بن أبي قحافة بن بكر بن تيم بن مرة فقال ر وماس وحق ديني لقد أعلم بانكم على الحق ولابد لكم أن تملكوا الشام والعراق وأنا أشفق عليكم اذا بتم في جمع يسير ونحن في جمع كثير ولكن ارجعوا الى بلادكم فانا لا نتعرض لكم واعلم يا أخا العرب ان أبا بكر هو صاحبي و رفيقي ولو كان حاضرا ما قاتلني فقال شرحبيل لو كان ولده أو ابن عمه لما عفا عنه الا أن يكون من أهل ملته وليس له من الامر شئ لانه مكلف وقد أمره الله ان يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو السيف فقال ر وماس وحق ما أعتقده من ديني لو كان الامر الي ما أقاتلكم لاني أعلم أنكم على الحق وهؤلاء طواغية الروم وقوم مجتمعون وانى أريد أن أرجع اليهم وأنظر ما عندهم فقال شرحبيل ارجع اليهم فلابد لكم مما ذكرت قال فعاد ر وماس الى قومه وجمعهم وقال يا أهل دين النصرانية و بني ماء المعمودية ان الذي كنتم تعتقدونه في كنيسكم من الخروج من بلادكم وديارهم ونهب أموالكم قد قرب وهذا وقته وزمانه ولستم باعظم جيشا من روبيس سار الى شرذمة من العرب بأرض فلسطين فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ولقد بلغني أن رجلا منهم خرج من أرض السماوة صوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد تبع أركه والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قريب يحضر اليكم والصواب أن تؤدوا الجزية عن يد الى هؤلاء العرب وينصرفون عنكم قال فلما سمع قومه ذلك غضبوا وشوشوا وهموا بقتله فقال ر وماس يا قوم انما أردت أن أختبركم وأرى حمية دينكم والآن دونكم والقوم وانا في أولكم قال فلما رجعت الروم الى عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا الجنائب وتهيؤ للحملة فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ أصحابه وقال اعلموا رحمكم الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وأحب ما قرب الى الله قطرة دم في سبيل الله أو دمعة جرت في جوف الليل من خشية الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال عبد الله بن عدي واجتمع علينا العدو وطمعوا فينا وحملوا علينا في اثني عشر ألف فارس من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى أن توسطت الشمس في قبة الفلك وقد طمع العدو فينا فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يديه الى السماء وهو يقول يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال فوالله ما استتم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم وذلك أن القوم دار وابنا فرأينا غرة قد أشرفت علينا من صوب حوران فلما قربت لنا رأينا تحتها سوابق الخيل فلاحت لنا الاعلام الاسلامية والرايات المحمدية وقد سبق الينا فارسان أحدهما ينادي ويصيح يا شرحبيل يا ابن حسنة أبشر بالنصر لدين الله أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد والآخر يصيح ويقول أنا عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وأشرفت العساكر من كل جانب قال وأشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائي (قال) حدثنا سالم بن عدي عن ورقاء بن حسان العامري عن ميسرة بن مسروق العبسي قال والله لقد خمدت أصوات الروم عند صيحة خالد رضي الله عنه وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل ابن حسنة الى خالد بن الوليد وسلم عليه فقال خالد يا شرحبيل أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين قال كله بامر أبي عبيدة فقال خالد أما أبو عبيدة فانه رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بواقعها ثم أمر الناس بالراحة فنزلوا واراحوا من أوزارهم فلما كان في اليوم الثاني زحفت جيوش بصرى على المسلمين فقال خالد ان الروم زحفوا لعلمهم بتعبنا وتعب خيولنا فاركبوا بارك الله فيكم واحملوا على بركة الله تعالى قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم للحرب فجعل في الميمنة رافع بن عمير الطائي وجعل في الميسرة ضرار بن الازور وكان غلاما فاتكا في الحرب وجعل على الدرك عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم قسم جيش الزحف فجعل على شطره المسيب بن نجبة الفزاري وعلى الشطر الآخر مذعور بن غانم الاشعري وأمرهم أن يزفوا الخيل اذا حملت قال وبقي خالد في الوسط وهو يعظ الناس ويوصيهم وقد عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من وسطها فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب الاحمر والياقوت فلما توسط الجمعين نادى بلسان عربي

الله بن عمر رضي الله عنهما) قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبلها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جارمادته من الجنة فخص فيه البركة وعزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا أنوار الايخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه أشجار مثمرة فروعها في الجنة تسقى بالرحمة فدعا آدم في النيل بالبركة ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر

كأنه بدوي يامعشر العرب لا يبرز لي الا أميركم فانا صاحب بصرى قال فخرج اليه خالد رضى الله عنه كالاسد الضرغام وقرب منه فقال له البطريق أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون أني أميرهم مادمت على طاعة الله ورسوله فان عصيته فلا امارة لي عليهم قال البطريق انى رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم وان الحق لايخفى على ذي بصيرة واعلم أني قرأت الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت أن الله تعالى يبعث نبيا قرشيا واسمه محمد بن عبد الله قال خالد والله نبينا قال أنزل عليه الكتاب قال نعم القرآن قال ر وماس البطريق أحرم عليكم فيه الخمر قال خالد نعم من شربها حددناه ومن زنى جلدناه وان كان محصنا رجمناه قال أفرض عليكم الصلوات قال نعم خمس صلوات في اليوم والليلة قال أفرض عليكم الجهاد قال خالد ولولا ذلك ماجئنا كم نبغي قتالكم قال روماس والله لاعلم أنكم على الحق وانى أحكم وقد حذرت قومي منكم وانى خائف منكم فأبوا فقال خالد فقل أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يكن لك مالنا وعليك ماعلينا فقال انى أسلمت وأخاف أن يحمل هؤلاء بقتلي وسبي حريمي ولكن أنا أسير الى قومي وأرغبهم فلعل الله أن يهديهم فقال خالد وان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بيني و بينك خفت عليك ولكن احمل على حتى لايتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فحمل بعضهم على بعض وأرى خالد الفريقين أبوابا من الحرب حتى أبهر روماس فقال لخالد شد شدة على الحملة حتى يرى الديرجان فانى خائف عليك من بطريق يعث به الملك يقال له الديرجان فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شد على روماس الحملة حتى انه انهزم من بين يديه الى قومه فلما وصل الى قومه قالوا لما الذي رأيت من العرب قال ان العرب أجلاد ما لكم بقتالهم طاقة ولابد لهم أن يملكوا الشام وماتحت سريري هذا فادخلوا تحت طاعتهم وكونوا مثلي أركة واسخنة قال فلما سمعوا كلامه زجروه وأرادوا قتله وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا نقتال العرب فانصرف روماس وقال لعل الله ينصر خالدا ثم ان أهل بصرى ولوا عليهم الديرجان وقالوا اذا فزعنا من المسلمين سرنا معك الى الملك ونسأله أن ينتزع روماس ويوليك علينا قال الديرجان وما الذي تريدون قالوا نحمل ونطلب قتال العرب قال نخرج الديرجان وطلب خالدا فقال عبد الرحمن لخالد يا أمير أنا أخرج اليه فقال دونك يا ابن الصديق فخرج عبد الرحمن وحمل على الديرجان فالتقيا غير ساعة وقد أحس الديرجان من نفسه بالتقصير فولى منهزما وراح الى قومه فلما رأوا ذلك منه نزل الرعب في قلوبهم وعلم خالد ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وحمل المسلمون فلما نظر أهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقى الفريقان وضجت الرهبان بكلمة كفرهم فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء الانجاس يتهللون بكلمة كفرهم ويدعون معك الها آخر لا اله الا أنت ونحن نبتهل اليك بلا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك الا ما نصرت هذا الدين على أعدائك المشركين ثم حملوا حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون الادبار وركبوا الى الفرار فلما حطوا داخل المدينة أغلقوا الابواب وتحصنوا بالاسوار ورفعوا الصلبان وعزلوا أن يكتبوا الا لملك لبعدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا رجعنا عنهم وافتقدنا أصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا وقتل من الاعيان بدريان قال وغنم المسلمون الاموال وصلى خالد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما كان الليل ولى الحرس عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ومعه من راشد ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول العسكر واذا بروماس صاحب بصرى قد أقبل عليهم وقال لهم أين خالد بن الوليد فأخذوه وأتوا به الى خالد فلما رآه رحب به فقال أيها الامير بعدان فارقتك طردني قومي وقالوا لزم قصرك والا قتلناك فالتزمت قصري وهو ملاصق للسور ولما وقع لهم ماوقع وانهزموا تحصنوا فلما جن الليل أمرت غلماني بحفر السور وقصوا فيه بابا فأتيتك فارسل معي من تعتمد عليه من أصحابك تستلمون المدينة فلما سمع خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يأخذ مائة من المسلمين و يسير امع روماس قال ضرار ابن الازور وكنت ممن دخل المدينة فلما صرنا في قصر روماس فتح لنا خزانة السلاح فلبسنا من سلاحهم وقسمنا أربعة أقسام كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا فلما سرنا حيث أمرنا أخذنا أنفسنا بالحملة على القوم • قال الواقدي بلغني ممن أثق به من الرواة أن عبد الرحمن لما فارق أصحابه لبس سلاحه وسار هو وروماس يطلبون الدرج الذي عليه الديرجان وسار معهم ضرار ورافع وشرحبيل ابن حسنة فلما قرب عبد الرحمن من الدرج الذي فيه الديرجان قال الديرجان من أنتم فقال أنا روماس فقال

والتقوى و بارك في سهلها وجبلها سبع مرات (عن عبد الله بن سلام) قال مصر أم البركات نعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحي الى نيلها في كل عام مرتين عند جريانه يوحي اليه ان الله يأمرك أن تجري فيجري كما يؤمر ثم يوحي اليه ثانيا ان الله يأمرك أن تغيض حميدا فيغيض وان بلد مصر بلد معافاة وأهلها أهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء ممن أرادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر السلسل ومادته من الجنة

لا أهلا ولا مرحبا بك ومن الذى مملك قال هى صديق لك وشتاق الى رؤياك قال ومحلك ومن هو يا رماس قال هذا ابن أبى بكر الصديق فلما سمع الديرجان ذلك هم أن يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن وهز سيفه فى وجهه وضربه على عاتقه فتحندل صريعا يخور فى دمه ويعجل الله بروحه الى النار قال وكبر عبد الرحمن فاجابه رماس وسمع أصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى قال وأجابتهم الاحجار والانجار قال وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف فى الروم وسمع خالد التكبير فصرخوا واذا بغلمان رماس وأولاده وخواصهم الابواب فعبر خالد ومن معه من المسلمين فلما نظر أهل بصرى الى الابواب وقد فتحت بالسيف قهرا ضجوا بأجمعهم يقولون الامان الامان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ارفعوا السيف عنهم وأقام خالد الى الصباح واجتمع اليه أهلها وقالوا يا أيها الامير لو صالحناك ما جرى شئ من ذلك ولكن نسألك بالذى أيدك ونصرك ما الذى فتح لك أبواب مدينتنا فاستحى خالد رضى الله عنه أن يقول فوثب رماس وقال أنا فعلت ذلك يا أعداء الله وأعداء رسوله وما فعلته الا ابتغاء مرضاة الله وجهادا فيكم فقالوا أوأنت منا فقال اللهم لا تجعلنى منهم رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة قبلة وبالقرآن اماما وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ففرح خالد بذلك وأما أهل بصرى فغضبوا من كلامه وأضمروا له شرا وعلم بذلك رماس فقال لخالد أنا لا أريد المقام عندهم وانى أسير معك حيث سرت فاذا فتح الله على يديك الشام وصار لكم الامر ردونى اليها الان الوطن عزيز (قال الواقدى) حدثنى معمر بن سالم عن جده قال كان رماس مجاهدا معنا جهادا حسنا حتى فتح الله على أيدينا الشام فكان أبو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أيامه فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيرا حتى توفى رحمه الله وخلف عقبا يذكر به قال وأمر خالد رجالا يعينونه على اخراج رحله وماله من المدينة فحملوا ذلك واذا زوجته تخاصمه وتطالب فراقه فقال لها المسلمون ما الذى تريدين قالت أريد أمير جيشكم يحكم بيننا فخاؤا بها الى خالد فقالت له أنا أستغيث بك من رماس فقال لها خالد وكيف ذلك فقالت انى كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصا ما رأيت أحسن منه وجها كأن البدر يطلع من بين عينيه وكأنه يقول ان المدينة فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له ومن أنت يا سيدى قال محمد رسول الله ثم دعانى الى الاسلام فأسلمت ثم علمنى سورتين من القرآن قال فحدث الترجمان خالدا بما كان منها فقال ان هذا لعجيب ثم قال خالد للترجمان قل لها تقرأ السورتين فقرأت الفاتحة وقل هو الله أحد ثم حدثت اسلامها على يد خالد بن الوليد وقالت يا أيها الامير اما أن يسار رماس والا يتركنى أعيش بين المسلمين قال فضحك خالد من قولها وقال سبحان الله الذى وفقهما جميعا ثم قال للترجمان قل لها ان رماس أسلم قبلها ففرحت بذلك ثم ان خالدا أحضر أهل بصرى وقررهم على أداء الجزية وولى عليهم من اتفق رأيه عليه ثم كتب الى أبى عبيدة كتابا يبشره بالفتح ويقول له يا صاحب رسول الله قد ارتحلنا الى دمشق فالحقنا اليها ثم كتب كتابا آخر الى أبى بكر الصديق يخبره برحيله ويقول له يوم كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته ثم بعث الكتابين كلاهما ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى أشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك وركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الآن بدير خالد وكان أهل السواد قد التجؤا الى دمشق وقد اجتمعت خلائق وأمم لا تحصى من الرجال وأما صاحب الخيل فكانوا اثنى عشر الفا وقد زينوا أسوارهم بالطوارق والبيازق والصلبان وأقام خالد على الدير ينتظر قدوم المسلمين (قال الواقدى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام فكيف قدم على دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال يا بنى الاصفر قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد قصدوا أركة وتدمر والسخنة وبصرى وقد توجهوا الى الربوة ففتحوها فوا كرباه لان دمشق جنة الشام وقد سارت اليها الجيوش وهم أضعاف العرب ثم قال أيكم يتوجه الى قتال العرب ويكفينى أمرهم فان هزمهم أعطيته ما فتحوه وملكا يقال بطريق من البطارقة اسمه كلوس بن حنا وكان من فرسانهم وقد عرفت شجاعته فى عساكر الروم والفرس أيها الملك أنا أكفيك وأردهم على أعقابهم منهزمين قال فلما سمع الملك قوله سلم اليه صليبا من الذهب وقدمه على خمسة آلاف فارس وقال له قدم صليبك أمامك فانه ينصرك قال فأخذه كلوس وسار من يومه من انطاكية الى أن وصل حمص فوجدها منيعة بالسلاح

وكفى بالعسل طعاما وشرابا * وعن كعب قال فى التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من أرادها بسوء قصمه الله وعن عقبة ابن مسلم رفعه ان الله يقول يوم القيامة اسا كنى مصر بعدد عليهم النعم أما أسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها وقال أبو الربيع السائح نعم البلد مصر يحج منها بدينار بن و يغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وساثر سواحل مصر وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر وأقام

فلما بلغ أهلها قدومه خرجوا الى لقائه وقد خرجت القسس والرهبان واستقبلوه ودعوا له بالنصر واقام بحمص يوما وليلة ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه النساء بالطامات الخدود وقلن أيها السيد ان العرب قصدوا اركة وحوران وبصرى فقال لمن كيف قدرت العرب على حوران وبصرى فقلن أيها السيد ان الذين ذكرتهم لم يبرحوا من أماكنهم وان هذا الرجل قد أقبل من العراق وهو الذى فتح اركة فقال وما اسمه قلن خالد بن الوليد قال فى كم يكون من العساكر قلن فى ألف وخمسمائة فارس فقال وحق المسيح لاجعلن رأسه على رأس سنانى ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق وكان اليها بطريق من قبل الملك هرقل اسمه عزاز بر فلما قدم كلوس اجتمع عليه عزاز بر وأصحابه وقرؤا عليه منشور الملك ثم قال لهم أتريدون انى أقاتل عدوكم وأصده عن بلادكم قالوا نعم فقال أخرجوا عزاز بر عنكم حتى أكون وحدى فى هذا الامر فقالوا أيها السيد وكيف يتهيأ أن نخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو قاصدنا فقال فغضب عزاز بر فى وجه كلوس من كلامه وقد اتفق رأيهم على أن كل واحد يقاتل العرب يوما فثبتت عداوة عزاز بر فى قلب كلوس (قال الواقدى) والذى بلغنى انهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسخ ينظرون قدوم أبى عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية ﴿ قال حدثنا ﴾ يسار بن محمد قال أخبرنا رفاعة بن مسلم قال كنت فى جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعروف به واذا بجيش الروم قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر فلما نظر خالد ذلك تدرع بدرع مسلمة ثم صرخ فى وجه المسلمين وقال هذا يوم ما بعده يوم وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا والله ينصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكانكم باخوانكم المسلمين قد وقوا عليكم مع أبى عبيدة بن الجراح ثم بعد ذلك استقبل الجيش وصرخ بهل رأسه فارعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن أبى بكر وضرار بن الازور ومذحمل ضرار لم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة فرسان ومن الميسرة كذلك ثم حمل ثانى مرة فقتل منهم ستة فرسان ولولا سهام القوم لما رد عن قتالهم فشكر خالد بن الوليد وقال لعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه احمل بارك الله فيك قال فحمل عبد الرحمن وفعل كما فعل ضرار بن الازور وقاتل قتالا شديدا ثم حمل من بعده خالد بن الوليد ورفع رمحه وأرى العسكر من أمور الحرب حتى جزع الروم من شجاعته فلما نظر اليه البطريق كلوس علم أنه أمير الجيش وعلم أنه يقصده فتأخر كلوس الى ورائه من مخافته فلما نظر خالد الى قهقرة كلوس الى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة وردوه بالسهام فلم يلتفت اليهم خالد ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قتل عشرين ثم انثنى بجواده بين الصفين وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه أحد وقالوا أخرجوا غيره منكم فقال ويلكم هاأنا رجل واحد من العرب وكلنا فى الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه فاقبل عزاز بر على كلوس وقال أليس الملك قد قدمك على جيشه وبعثك الى قتال العرب فدونك حام عن بلدك ورعيتك فقال كلوس أنت أحق منى بذلك لانك أقدم منى وقد عزمت أنك لا تخرج الا باذن الملك هرقل فما الملك لا تخرج الى قتال أمير العرب فقال لهما العساكر تقارعا فمن وقعت عليه القرعة فليتزل الى قتال أمير العرب فقال كلوس لابل نحمل جميعا فهو أهيب لنا قال وخاف كلوس أن يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو يقتله قال فتقارعا فوقعت القرعة على كلوس فقال عزاز بر اخرج وبين شجاعتك فقال كلوس لاصحابه أريد أن تكون همتكم عندى فان رأيتم منى تقصيرا فاعملوا وخلصونى فقال أصحابه هذا كلام عاجز لا يفلح أبدا فقال ياقوم ان الرجل بدوى واغته غير لقتى فخرج معه رجل اسمه جرجيس وقال له أنا أترجمك فسار معه فقال كلوس اعلم ياجرجيس ان هذا رجل ذو شجاعة فان رأيته غلبنى فاحمل أنت عليه حتى نقضى يومنا معه ونخرج له غدا عزاز بر فيقتله ونستريح منه ونتخذك أنا صديقا فقال له ما انا أهل حرب وانما أخوفه بالكلام قال فسكت وسار حتى قربا من خالد فنظر اليهما قال فهم أن يخرج اليهما رافع بن عميرة فصاح فيه خالد وقال له مكانك لا تبرح فانى كفء لهما فما دنوا من خالد قال كلوس لصاحبه قل له من أنت وما تريد وخوفه من سطوانتنا فقرب جرجيس من خالد وقال له ياأخا العرب أنا أضرب لك مثلا ان مثلكم ومثلنا كمثل رجل له غنم فسلمها الى راع وكان الراعى قليل الجراءة على الوحوش فاقبل عليه سبع عظيم فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى ان انقصت الاغنام والسبع ضار عليها ولم يجد له مانعا عنها فاما نظر صاحب الغنم ما حل بغنمه علم أنه لم يؤت الا من الراعى فانتدب لغنمه غلاما نجيبا

بها قال اللهم انى غريب فيها الى كل غريب فضمت دعوته فليس يدخلها غريب الا أحب المقام بها وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة منهم أفلاطون وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول يذهب الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة من الانبياء وهم موسى وأخوه هرون ويوشع بن نون ودخل اليها عيسى وتوجه الى

فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم فبينما الغلام كذلك اذ أقبل عليه السبع على عادته الاصلية واخترق الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده مخجل فضربه فقتله ولم يقرب الغنم وحش بعدها وكذلك أنتم تهانون بأمركم لانه ما كان أضعف منكم لانكم جياع مساكين ضعفاء وتعودتم أكل الذرة والشعير ومص النوى فلما خرجتم الى بلادنا وأكلتم طعامنا وفلمتم ما فيها تم وقد بعث اليكم الملك رجالا لا تقاس برجال ولا تكثرت بالابطال ولا سيما هذا الرجل الذي بجانبي فاحذر منه أن ينزل بك ما أنزل الغلام بالاسد وقد سألني ان أخرج اليك وأتلطف بك في الكلام فاخبرني ما الذي تريد قبل أن يهجم عليك هذا الفارس فلما سمع خالد منه ذلك قال يا عدو الله والله لا تحسبكم عندنا في الحرب الا كقابض الطير بشبكة وقد قبضنا عينا وشمالا فلم يخرج الا ما انفلت منها وأما ما ذكرت من بلادنا وأنها بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا ان الله تعالى أبدلنا ما هو خير منه فأبدلنا بدل الذرة الحنطة والفواكه والسمن والعسل وهذا كله قد رضيه لنا ربنا ووعدنا به على لسان نبيه وأما قولك ما الذي تريدونه منا فنريد منكم احدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما قولك ان هذا الرجل الذليل الذي هو عندكم مسكين فهو عندنا أقل القليل وان يكن هو ركن الملك فانا ركن الاسلام أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال الواقدي رحمه الله تعالى فلما سمع جرجيس كلام خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه فقال له كلوس يا ويلك رأيتك في بدايتك تهيم كالسبع فما لك قد تأخرت فقال وحق المسيح ما أعلم انه الفارس الحجاج وبطاهم الصفاح هذا صاحب القوم الذي ملأ الشام شرا فقال كلوس يا جرجيس اسأله ان يؤخر الحرب بيننا الى غد فالتفت الى خالد وقال له يا سيد قومك هذا صاحبي يريد أن يرجع الى قومه ليشاورهم فقال خالد ويحك أتريد أن تخدعني بالكلام وأقبل برمحه في وجه جرجيس فلما نظر جرجيس ذلك انعقد لسانه وولى هاربا فلما رأى خالد ذلك طلب كلوس وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد فلما نظر خالد احترازه البطريق حط يده في أطواقه وجذبه فقلعه من سرجه فلما نظر المسلمون فعل خالد كبروا بأجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد فلما قربوا منه رمى لهم البطريق وقال أوثقوه كتافا فصار يدير برأسه فاتى له المسلمون برماس صاحب بصرى وقالوا له اسمع ماذا يقول فقال لهم يقول لكم لا تقتلوني فاني أحببت صاحبكم في المال والجزية فقال خالد استوثقوا منه ثم نزل عن جواده وركب جوادا أهداه له صاحب تدمر وعزم أن يهجم على الروم فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعني أنا أحمل على القوم حتى تستريح أنت فقال يا ضرار الراحة في الجنة غدا ثم عوّل خالد على الحملة فصاح به البطريق كلوس وقال وحق ديننا ونبيك الا مارجعت الي حتى أخاطبك فرجع خالد اليه وقال لرماس اسأله ما يريد فقال أعلمه أني صاحب الملك وقد بعثني اليكم في خمسة آلاف فارس لاردكم عن بلاده وأهله ورعيته وقد تحاججت أنا وعزاز برمة ولي دمشق وقدم الى معه كذا وكذا وأنا أسألك بحق دينك اذا خرج اليك فاقتله وان لم يخرج اليك فاستدعه واقتله فانه رأس القوم فان قتلته فقد ملكت دمشق فقال خالد لرماس قل له انا لا نبقي عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى ثم انه بعد ذلك الكلام حمل وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة * وشكرا لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة * وانقذتنا من حندس الظلم والظلم
وأكرمتنا بالهاشمي محمد * وكشفت عنا ما لاقى من الغمم
فتم له العرش ما فد نروم * وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
وألقهم ربي سريعا بيثهم * بحق نبي سيد العرب والعجم

* قال الواقدي * لقد بلغني ممن أثق به أنه لما ولى جرجيس هاربا من بين يدي خالد الى أصحابه رأوه برتعد من الفزع فقالوا له ما وراءك فقال يا قوم ورائي الموت الذي لا يقاتل والليث الذي لا ينازل وهو أمير القوم وقد آلى على نفسه أن يطلبنا أينما كنا وما خلصت روحي الا بالجهد فصاحوا الرجل قبل أن يحمل عليكم يا صحابه فلا يبقى منكم أحدا فقالوا له ما يكفينا انك انهزمت وقد هموا بقتله فبينما هم كذلك اذ أقبل أصحاب كلوس على عزاز يرهم خمسة آلاف وصاحوا به وقالوا له ما أنت عند الملك أعز من صاحبنا وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج أنت الى خالد واقتله أو ائسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح شننا عليك

الصعيد ثم أقام بقرية هناك تسمى اهناس ودخلها أيضا ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وأرميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي أثنى عليه الله في كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا في ساعة واحدة مع كثرتهم وقال المسعودي ان كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها وقال القضاعي لم يكن في الارض أعظم من

الحرب فقال عزاز بروقد رجع به مكره ودهاؤه ويلكم أتظنون أني جزعت من الخروج الى هذا البدوى من أول مرة ولكني ما تاخرت عن الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يتبين عجز صاحبكم وسوف ينظر الفريقان أينا أفرس وأشجع وأثبت فى مقام القتال اذا نحن تشابكنا بالنصال ثم انه فى الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جوادا يصلح للجولان وخرج الى قتال سيدنا خالد بن الوليد الفارس الصنديد رضى الله عنه فلما قرب منه قال يا أخا العرب ادن منى حتى أسألك وكان الملعون يعرف العربية فلما سمع خالد ذلك قال ياعدو الله ادن أنت على أم رأسك ثم هم أن يحمل عليه فقال على رسلك يا أخا العرب أنا أدنو منك فعلم خالد أن الخوف داخله فامسك عنه حتى قرب منه فقال يا أخا العرب ما حملك أن تحمل أنت بنفسك أما تخشى الهلاك فلو قتلت بقيت أصحابك بلا مقدم فقال خالد ياعدو الله قد رأيت ما فعل الرجلان من أصحابى لو تركتهم لهزموا أصحابك بعون الله تعالى واغاثه بى رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما ثم قال له خالد من أنت فقال أو ما سمعت باسمى أنا فارس الشام أنا قاتل الروم والفرس أنا كاسر عساكر الترك فقال خالد ما اسمك فقال أنا الذى تسميت باسم ملك الموت اسمى عزرائيل ﴿ قال الواقدى ﴾ فضحك خالد من كلامه وقال ياعدو الله تخوفنى ان الذى تسميت باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ابرديك الى الهاوية فقال له البطريق ما فعلت باسيرك كلوس فقال هو موثق بالقيود والاغلال فقال له عزاز يرو ما منعك من قتله وهو داهية من دواهى الروم فقال خالد منعنى من ذلك أنى أريد قتلكما جميعا فقال عزاز يره ل لك أن تأخذ ألف مثقال من الذهب وعشرة أثواب من الديباج وخمسة رؤس من الخيل وتقتله وتأتينى برأسه فقال له خالد هذه دية فى الذى تعطينى أنت عن نفسك قال فغضب عدو الله من ذلك وقال ما الذى تأخذ منى قال الجزية وأنت صاغر ذليل فقال عزاز يركلما زدنا فى كراهتكم زدتم فى اهانتنا فخذ الآن لنفسك الحذر فانى قاتلك ولا أبالى فلما سمع خالد كلام عزاز يرحمل عليه حملة عظيمة كانه شعلة نار فاستقبله البطريق وقد أخذ حذره وكان عزاز يرممن يعرف بالشجاعة فى بلاد الشام فلما نظر خالد الى عدو الله أظهر شجاعته وبراعته وتبسم فقال عزاز يروحق المسيح لو أردت الوصول اليك لقدرت على ذلك ولكننى أبقيت عليك لانى أريد أن أستأسرك ليعلم الناس انك أسيرى وبعد ذلك أطلق سبيلك على شرط أنك ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما أخذت من بلاد الشام فلما سمع خالد كلام عزاز ير قال له ياعدو الله قد داخلك الطمع فينا وهذه العصابة قد ملكوا تدمر وحوران وبصرى وهم ممن باعوا أنفسهم بالجنة واختاروا دارا البقاء على دار الفناء وستعلم اينا من يملك صاحبه ويذل جانبه ثم ان خالدا أرى البطريق أبواب الحرب قال فقدم عزاز ير على ما كان منه من الكلام وقال يا أخا العرب أما تعرف الملاعبة فقال خالد ملاعبتى الضرب فى طاعة الرب ثم ان الملعون هاجم خالدا ولوح اليه بسيفه وضربه به فلم يقطع شيأ فذهل عدو الله من جولان خالد وثباته وعلم أنه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى هاربا وكان جواده أسبق من جواد خالد قال عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكنت يوم حرب دمشق فى القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزاز يرلما ولى هاربا وقصر جواد خالد عن طلبه فوقع فى قلبه الطمع وقال كان البدوى خاف منى ومالى الا أن أقف حتى يلحقنى وآخذه أسيرا ولعل المسيح ينصرنى عليه فلما وقع ذلك فى نفسه وقف حتى لحق به خالد وقد جال فرسه العرق فلما قرب منه صاح عزاز ير وقال ياعربى لا تظن انى هارب خوفا منك وانما أبقيت عليك خوفا على شبابك فارحم نفسك وان أردت الموت أسوقه اليك أنا قابض الارواح أنا ملك الموت فعند ذلك ترجل عن جواده وسحب السيف وسار اليه كانه الاسد الضارى فلما نظر عزاز ير الى ذلك والى ترجل خالد زاد طمعه فيه وحام حوله وهم اليه يريد أن يعلو رأسه بالسيف فزاغ خالد عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة عظيمة فقطعها فسقط عدو الله على الارض ثم ولى هاربا يريد أصحابه فسبقه خالد وقال ياعدو الله ان الذى تسميت باسمه قد غضب عليك واشتاق اليك وهاهو قد أقبل عليك يقبض روحك ليؤديك الى جهنم ثم هجم عليه وهم أن يجدله الارض ونظرت الروم الى صاحبها وهو فى يد خالد فهموا أن يحملوا على خالد ويخلصوه من يده اذ قد أقبلت جيوش المسلمين وأبطال الموحدين مع الامير أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وكان قد سار من بصرى فوجده وقد أخذ عزاز ير فى تلك الساعة فلما نظرت عساكر دمشق الى جيوش المسلمين قد أقبلت داخلهم الجزع والفزع فوقفوا عن الحملة * قال حدثنى عمرو بن قيس عن شعيب عن عبد الله عن هلال القشمى قال لما قدم الامير أبو عبيدة سأل عن خالد

ملك مصر فانها لو زرعت جميع الوقت بخراج الدنيا باسرها او يوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه ومشمش هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورمبس اى خروف أمشير وابن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى والسبع زهرات التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى غير هامن البلاد وهى النرجس والبنفسج والورد النسرينى والمجانى و زهر النارنج والياسمين والنسرين

فقالوا الله فى ميدان الحرب وقد أسر بطريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه وهم أن يترجل فانسم عليه خالد أن لا يفعل وأقبل عليه وصافحه وكان أبو عبيدة يحب خالدا لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان لقد فرحت بكتاب أبى بكر الصديق حين قدمك علىّ وأمرك على وما حقدت فى قلبى عليك لانى أعلم مواقفك فى الحرب فقال خالد والله لا فعلت أمرا الا بمشورتك والله لولا أمر الامام طاعة لما فعلت ذلك أبدا لانك أقدم منى فى دين الاسلام وأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت قال فيك أبو عبيدة أمين هذه الامة فشكره أبو عبيدة وقدم خالدا لجواده فركبه وقال خالد لابى عبيدة اعلم أيها الامير ان القوم قد خذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم وأهينوا وأخذ كاوس وعزاز يرقال وسار مع أبى عبيدة يحدثه بما صار من البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى أن أتيا الدير فنزلا هنالك وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان الغد ركب الناس وتزينت المواكب وزحف أهل دمشق للقتال وقد أمروا عليهم قوما ظهر الملك هرقل ولما أقبلوا قال خالد لابى عبيدة ان القوم قد اخذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم فاحمل بنا على القوم قال أبو عبيدة أفعل فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا بأجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتل فى الروم وجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا عظيما ونذلت منهم الكفار قال عامر بن الطفيل لقد كان الواحد منا يهزم من الروم العشرة والمائة قال فما لبثوا معنا ساعة واحدة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأقبلنا نقتل فيهم من الدير الى الباب الشرقى فلما نظر أهل دمشق الى انهزام جيشهم أغلقوا الابواب فى وجه من بقى منهم قال قيس بن هبيرة رضى الله عنه فنهم من قتلناه ومنهم من أسرناه فلما رجع خالد عنهم قال لابى عبيدة ان من الرأى ان أنزل أنا على الباب الشرقى وتنزل أنت على باب الجابية فقال أبو عبيدة هذا هو الرأى السديد ﴿قال حدثنا﴾ سهل بن عبد الله عن أويس بن الخطاب أن الذى قدم مع الامير أبى عبيدة من المسلمين من أهل الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس والذى قدم بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق ألف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة وأربعين ألفا وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب فى خلافته وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى هذا وان خالدا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقى ونزل أبو عبيدة بالنصف الثانى على باب الجابية فلما نظر أهل دمشق الى ذلك نزل الرعب فى قلوبهم ثم ان خالدا أحضر البطريقين بين يديه وهما كاوس وعزاز يرفعرض عليهما الاسلام فأبيا فأمر ضرار بن الازور ان يضرب عنقيهما ففعل قال فلما نظر أهل دمشق ما فعلوا بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبرونه بما جرى على كاوس وعزاز يروقد نزلت العرب على الباب الشرقى وباب الجابية وقد نزلوا بشبانهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقاء وأرض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فأدركنا والاسلمة اليهم البلد ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم وأعطوه أوفى أجرة وأدلوه بالحبل من أعلى الاسوار فى ظامة الاعتكار (قال الواقدى) وان الرجل وصل الى الملك هرقل وهو بأرض انطاكية فاستأذن اليه فأمره بالدخول فلما دخل سلم الكتاب اليه فلما قرأه الملك رماه من يده وبكى ثم انه جمع البطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب وأخبرتكم انهم سوف يملكون ما تحت سريرى هذا فاتخذتم كلامى هزؤا وأردتم قتلى وهؤلاء العرب خرجوا من بلاد الجدب والقحط وأكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبنا وليس يزجرهم شئ لما هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب ولولا انه عار على لتركت الشام ورحلت الى القسطنطينية العظمى ولكن ها أنا أخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلى ودينى فقالوا أيها الملك ما بلغ من شأن العرب أن تخرج اليهم بنفسك وقومك أهيب قال الملك هرقل نعم أهيب لهم قالوا عليك أيها الملك بوردان صاحب حمص لانه ليس فينا مثله فى القوة وملاقاة الرجال ولقد بين لنا شجاعته فى عساكر الفرس لما قصدونا قال فأمر الملك باحضاره فلما حضر وردان قال له الملك انما قد منتك لانك سيفى القاطع وسندى المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر فقد قدمتك على اثنى عشر الفا فاذا وصلت الى بعلبك فانفذ الى من يأتينا دين بان يتفرقوا فى أرض البلقاء وجبال السواد فيكونوا هنالك ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق

وان أهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك فى اللذات وتصديق المحالات وفى اخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ومكر وخداع ولا ينظرون فى عواقب الامور وعندهم قلة الصبر على الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قيل ان تقع وبقال مصر بأنواعها ذكر ذلك فى جواهر البحور ﴿وأول من سكن مصر﴾ شيث بن آدم عليهما السلام وذلك ان أباه آدم أوصى له فكان فيه وفى بنيه النبوة

وأصحابه يعني عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال وردان السمع والطاعة لك أيها الملك وسوف يبلغك الخبر أني لا أعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه أهزمهم جميعا وبعد ذلك أدخل الحجاز ولا أخرج حتى أهدم الكعبة ومكة والمدينة قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال وحق الانجيل لئن أنت فعلت ذلك ووفيت بقولك لأعطينك ما فتحوه حرثا وخراجا وكتبت كتاب العهد أنك الملك من بعدي ثم سوره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفي جوانبه أربع ياقيت لا يعادلها شيء وقال اذا لاقيت العرب فقدمه أمامك فهو ينصرك قال فلما تسلم وردان الصليب من وقته دخل الكنيسة وانغمر في ماء المعمودية وبخره وبخروه بالكنائس وصلى عليه الرهبان وخرج من وقته فضرب خيامه خارج المدينة قال وأخذت الروم على أنفسهم بالرحيل فلما تكاملوا ركب الملك هرقل وسار لوداعهم وصحبته أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماة فنزل بها وأنفذ من وقته كتابا الى من بأجنادين من جيوش الروم يأمرهم ليتفرقوا في سائر الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص ومن معه أن يصلوا الى خالد فلما سار الرسول بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة وقال لهم اني أريد أن أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم لكيلا ينجو منهم أحد فلما كان الليل رحل على طريق وادي الحياة (قال حدثني شداد بن أوس) قال لما دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد قتل البطريق أمر المسلمين أن يزحفوا الى دمشق قال فزحف منا الرجال من العرب وبأيديهم الحجف يتلقون بها الحجارة والسهام فلما نظر أهل دمشق الينا ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالسهام والحجارة من أعلى الاسوار وضيقنا عليهم في الحصار وأيقن القوم بالدمار قال شداد بن أوس فأقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد ذلك جاءنا ثاري بن مرة وأخبرنا عن جموع الروم بأجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحو باب الجابية الى أبي عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال يا أمين الامة اني رأيت أن نرحل من دمشق الى أجنادين ونلقى من هناك من الروم فاذا نصرنا الله عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم قال أبو عبيدة ليس هذا برأي قال خالد ولم ذلك قال أبو عبيدة اذا رحلنا يخرج أهل المدينة فيملكون مواضعنا فلما سمع خالد ذلك من أبي عبيدة قال يا أمين الامة اني أعرف رجلا لا يخاف الموت خبيرا بلقاء الرجال قد مات أبوه وجده في القتال قال ومن هذا الرجل يا ابا سليمان قال هو ضرار بن الازور بن طارق قال أبو عبيدة والله لقد صدقت ووصفت رجلا باذلا لمعروفا فافعل قال فرجع خالد الى بابه واستدعى بضرار بن الازور فجاء اليه وسلم عليه فقال يا ابن الازور اني أريد أن أقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل واختار وادار البقاء والآخرة على الاولى وتسيروا الى لقاء العدو هؤلاء القوم الذين وردوا علينا فان رأيت لك فيهم مطمعا فقاتلهم وان رأيت أنك لا تقدر عليهم فابعث الينا رسولك فقال ضرار بن الازور وافرحتاه والله يا ابن الوليد ما دخل قلبي مسرة أعظم من هذه فاختر كفي أسير وحدي قال خالد لعمري انك لضرار ولكن لا تلق نفسك الى الهلاك وسرعان ندب معك من المسلمين قال فقام ضرار رضي الله عنه مسرعا فقال خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش فقال والله لا وقفت ومن علم الله فيه خيرا أدركني ثم ركب ضرار وأسرع الى أن وصل الى بيت لهيا وهو الموضع الذي كان يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه فلما تكاملوا نظر ضرار واذا بجيش الروم يهدر كانه الجراد المنتشر وهم غائصون في الدروع وقد أشرقت الشمس على لاماتهم وطوارقهم فلما نظروا اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لضرار أما والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب اننا نرجع فقال ضرار والله لا زلت أضرب بسيفي في سبيل الله واتبع سبيل من أناب الى الله ولا يراني الله مهزوما ولا أولي الدبر لان الله تعالى يقول فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وتكلم رافع بن عميرة الطائي وقال يا قوم وما الخليفة من هؤلاء العلوج أما تصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفة قليلة تغلب الجموع الكثيرة والجموع الكثيرة فانبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قال قوم طالوت عند لقائهم جالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فلما سمع ضرار كلامهم وأنهم اشتروا الآخرة بالاولى كمن بهم عند بيت لهيا وأخفى أمره وجلس عارى الجسد بسراويله على فرس له عربي بغير سلاح وبيده قناة كاملة الطول وهو يوصي القوم (قال الواقدي) هكذا حدثني تميم بن أوس عن جده عمرو بن دارم قال كنت يوم بيت لهيا مع صحب ضرار بن الازور رضي الله عنه

والدين وأنزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفة وجاء الى أرض مصر وكانت تدعى بابلون فنزلها هو وأولاد أخيه قابيل فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولاد أخيه قابيل أسفل الوادي (واستخلف شيث) ولده أنوش (واستخلف أنوش) ابنه قينان (واستخلف قينان) ابنه مهلاييل (واستخلف مهلاييل) ابنه يزدو دفع الوصية اليه وعلمه جميع العلوم وأخبره بما يحدث في العالم ونظر في النجوم وفي الكتاب الذي نزل على آدم (وولد يزد أخنوخ) وهو ادريس أي

وهو بهذه الصفة رغبة منه فى الشهادة فلما قارب العدو كان أول من برز وكبر ضرار بن الازور فاجابه المسلمون بتكبيرة واحدة رعبت منها قلوب المشركين وفاجؤهم بالحملة ونظروا الى ضرار بن الازور وهو فى أول القوم وهو فى حالته التى وصفناها فهالهم أمره وكان وردان فى المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكة على رأسه قال فطالب ضرار غيره لانه علم أنه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن فارسا كان فى يده العلم فتجندل من على فرسه قتيلا ثم أنه طعن آخر فى الميمنة فاراده وحمل يريد القلب وكان قد عاين وردان والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم والجواهر تلمع من أربع جوانبه فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان يلمع من خاصرته قال فسقط الصليب منكسا الى الارض فلما نظر وردان الى الصليب أيقن بالهلاك وهم أن يترجل لاخذه أو يميل فى ركابه ليأخذه فلما وجد ذلك سبيلا لما قد أحدق به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر ضرار الى من ترجل لاخذ الصليب فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم وأنا صاحبه فلا تطمعوا فانى اليه راجع اذا فرغت من كلب الروم قال فسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من القلب يريد الحرب فقالت البطارقة الى أين أيها السيد أتفر من الشيطان فما أينا أدنى من منظره ولا أهول من مخبره ونظر اليه ضرار وقد عطف راجعا فعلم أنه قد عزم على الحرب فصاح بقومه ثم اقتحم فى أثره ومد رمحه وهمز جواده فتصارخت به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فأنشد يقول

الموت حتى أين لى منه المفر * وجنة الفردوس خير المستقر

هذا قتالى فاشهدوا يا من حضر * وكل هذا فى رضاء البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون فى أثره فاحدقوا بهم من كل مكان ونظروا الى ضرار وقد قصده وردان صاحب حمص عندما علم أنه اخترق القوم فداليه برمحه وقد أحدقت به بطارقته وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا فما طمع أحدا الا أباده الى أن قتل من القوم خلقا كثيرا وهو يصرخ بقومه ويقول ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وأكبت عليه جيوش الروم من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فأصاب عضده الايمن فوصل السهم اليه فأوهنه وأحس ضرار بالالم فحمل على همدان وصمم عليه برمحه وطعنه فأصاب بالطعنة فؤاده فوصل السنان الى ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج واذا به قد اشتبك فى عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطعنه وافيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا فنظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار وهو أسير فعظم الامر عليهم وكانوا قبل ذلك قد اشتد بهم الحصر وجدوا الى ذلك سبيلا وأرادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائى يا أهل القرآن الى أين تريدون أما علمتم أن من لوى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله وان الجنة لها أبواب لا تفتح الا للجاهدين الصبر الصبر الجنة الجنة يا أهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان وها أنا معكم فى أوائلكم فان كان صاحبكم أسر أو قتل فان الله حى لا يموت وهو راكم بعينه التى لا تنام فرجعوا وحملوا معه قال ووصل الخبر الى خالد أن ضرارا قد أسر بيد الروم وانه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال فى كم العدو قالوا فى اثنى عشر ألف فارس فقال والله ما ظننت الا أنهم فى عدد يسير ولقد غررت بقومى ثم سأل عن مقدمهم من يكون قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده همدان فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أرسل الى أبى عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له اترك على الباب الشرقى من تثق به وسر اليهم فانك تطحنهم باذن الله تعالى فلما وصل الجواب الى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه فى سبيل الله ثم أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه ومعه ألف فارس وقال له احذر أن تنفد من مكانك فقال ميسرة حبا وكرامة وعطف خالد بالناس وقال لهم أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار ان شاء الله تعالى ان كانوا أبقوا عليه والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثاره ان شاء الله تعالى وأرجو الله أن لا يفجعنا به ثم تقدم أمام القوم وجعل يقول

اليوم يوم فازفيه من صدق * لا أرهب الموت اذا الموت طرق

لا أرو بين الرمح من ذوى الحدق * لا هيكل البيض هنيكا والدرق

عسى أرى غدا مقام من صدق * فى جنة الخلد والقى من سبق

فبينما خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه الا الحدق

ادريس عليه السلام (وكان) الملك فى ذلك الوقت بلبيل ونبى ادريس عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسوء فقصمه الله وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جده والعلوم التى عنده وولد عصر وخرج منها وطاف الارض كلها ورجع ودعا الخلق الى الله تعالى فاجابوه وأطاعه ملك مصر وآمن به فنظر فى تدبير أمرها وكان النيل يأتيهم سيحا فنازون عن مسيله الى أعالى الجبال والاراضى العالية حتى ينقص فيه نزلون ويزرعون

والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق أمام الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت شعري من هذا الفارس وايم الله انه لفارس شجاع ثم أتبعه خالد والناس وكان هذا الفارس أسبق الناس الى المشركين قال وكان رافع ابن عميرة الطائي رضي الله عنه في قتال المشركين وقد صبرهم هو ومن معه اذ نظر خالد وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ونظر الى الفارس الذي وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كانه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ثم غاب في وسطهم فما كانت الا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم في الناس وكثر قلقهم عليه فأما رافع بن عميرة ومن معه فأظنوا الا انه خالد وكانوا اما هذه الحملات الا لخالد فهم على ذلك اذ أشرف عليهم رضي الله عنه وهو في كيكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انني أشد انكارا منكم له ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله فقال رافع أيها الأمير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد اماهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كانه شعلة نار والخيل في أثره وكالحقت به الروم لوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين كان فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن اسمك قال فما لي عنهم ولم يخاطبهم وانغمس في الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أمهرك يخاطبك وأنت تعرض عنا اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعالك من أنت قال فلما لحق عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال انني يا أمير لم أعرض عنك الاحياء مني لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملني على ذلك أني محرقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور ابن الماسور بيد المشركين أخي وهو ضرار واني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن ضرارا أسير فركبت وفعلت ما فعلت قال خالد نحمل بأجمعنا ونرحوا من الله أن نصل الى أخيك فنفكه قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم مانزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا لفارس فما لنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه اذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظروا ردان اليهم فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونكم على قتالهم قال فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم وردان عند اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله أصحاب الحديد والزرد النضيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها وأما خولة بنت الازور فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهي لا تطلب الا أخاها وهي لا ترى له أثرا ولا وقفت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم بعضهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قال وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد كمدت أفئدة الروم مما ظهر لهم من المسلمين وقد هموا بالهزيمة وما يمسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنت الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم ترمن المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمي ليت شعري في أي البيداء طرحوك أم بأي سنان طعنوك أم بالحسام قتلوك يا أخي أختك لك الفداء لو أني أراك أنقذتك من أيدي الاعداء ليت شعري أترى اني أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمدها طيبها ولا بطفأ ليت شعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فعليك مني السلام الى يوم اللقاء قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم أن يعاود بالحملة اذ نظر الى كردوس من الروم قد خرج من ميمنة العقبان فتأهب الناس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال المسلمين فلما قربوا من القوم

حيثما وجد وفي الارض تربة وكان يأتي في وقت الزراعة وفي غير وقتها فلما جاء ادريس جمع أهل مصر وصعد بهم الى أول مسيل الماء ودبر وزن الارض ووزن الماء على الارض وأمرهم باصلاح ما أراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض وغير ذلك مما رأى في علم النجوم والهندسة والهيئة وكان أول من تكلم في هذه العلوم وأخرجها من القوة الى الفعل ووضع فيها الكتب ورسم فيها التعليم ثم سار الى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها وجمع أهلها وزاد

رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان فقال خالد اقبلوا أمانهم وائتوني بهم فأتوا اليه فقال خالد من أنتم فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحققنا عندنا انه ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم فاعطونا الامان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدي اليكم المال الذي أردتم في كل سنة فنكل من في حمص برضى بقولنا فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم يكون الصلح ان شاء الله تعالى ان كان اليكم فيه أرب ولكن نحن ههنا لانصالحكم ولكن كونوا معنا الى أن يقضي الله ما هو قاض ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم علم من صاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم قالوا له عاري الجسد الذي قتل منا مقتلة عظيمة وبقي صاحبنا في بلده قال خالد عندما سألتكم قالوا بعثه وردان عندنا أسيرا على بغل وو كل به مائة فارس وانفذه الى حمص ليرسله الى الملك ويخبره بما فعل قال ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائي وقال يا رافع ما أعلم أحدا أخبر منك بالمسالك وأنت الذي قطعت بنا المفازة من أرض السماوة وأعطشت الابل وأوردتها الماء وأوردتنا أركة وماوطئها جيش قبلنا لمفازتها وأنت أوحد أهل الارض في الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك أن تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى فقال رافع ابن عميرة حباوكرامة ثم انه في الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فاتت البشارة الى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه في طلب أخيها ضرار فتحمل وجهها فرحا وأسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى خالد بن الوليد ثم قالت له أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتني مع من سرحت فلعلي أن أكون مشاهدة لهم فقال خالد لرافع أنت تعلم شجاعتها وخبرتها بالحرب فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع ومن معه وسارت خولة في أثر القوم ولم تختلط بهم وسار الى أن قرب من سليمة قال فنظر رافع فلم يجد للقوم أثرا فقال لاصحابه ابشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ثم انه كمن بهم في وادي الحياة فبينما هم كامنون اذا بغبرة قد لاحت فقال رافع لاصحابه أيقظوا خواطركم وانتبهوا فأيقظ القوم همهم وبقوا انتظار العدو واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خاص الله ضرارا وقتلهم جميعا وأخذوا سلبهم قال واذا بعساكر الروم قد أقبلت منهزمة وأولهم لا يلتفت الى آخرهم فعلم رافع ان القوم انهزموا فأقبل يلتقطهم بمن معه قتلا وكان خالد لما أرسل رافع ابن عميرة في طلب ضرار ليخلصه ومعه المائة فارس صدم وردان صدمة من يحب الشهادة ويبتغي دار السعادة وصدم المسلمون الروم فما لبثوا أن ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان أولهم وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا أسلابهم وأموالهم وليزالوا في طلبهم الى وادي الحياة فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائي وضرار بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار رضي الله عنه وهنوه بالسلامة قال وأثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده هدان قال فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه أما بعد فاني قد بلغني ان جياع الاكباد عراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ورحمك ولولا اني اعلم انك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليث النصر آتيك لحمل عليك بخطي والآن مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين تسعين ألفا وقد أمرتك عليهم فسر نحوهم وأنجد أهل دمشق وانفذ بعضهم ليمنعوا من في فلسطين من العرب وحل بينهم وبين أصحابهم وانصرد بذلك رصاحبك قال وأنفذ اليه الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقرأه سرى عنه بعض ما كان يجده وأخذ الاهبة الى أجنادين فسار فوجد الروم قد تجمعوا واظهروا العدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه في ولده فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملك فاجابوه بالسمع والطاعة وأخذوا على أنفسهم (قال حدثني) روح بن طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقي حين رجعنا من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب رحى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من أجنادين في تسعين الف فارس فخذ أهبتك للقائهم قال فلما سمع خالد ذلك ركب الى أبي عبيدة وقال له يا أمين الامة هذا عباد بن سعد الحضرمي قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبران طاغية الروم هرقل قد ولى وردان على من تجمع بأجنادين من الروم وهم تسعون ألفا فما ترى من الرأي يا صاحب رسول الله فقال أبو عبيدة اعلم يا أبا سليمان أن أصحاب رسول الله

في مسافة جرى النيل ومات ادريس بمصر ذكر ذلك في حسن المحاضرة وقيل رفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة وعشرين وقيل وستين سنة وقد ملك مصر بعده أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى وقال وهب بن منبه كان فرعون موسى تصيرا قيل كان طوله ستة أشبار وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع وقال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان ابن الاشل صاحب سارة كان في زمن

صلى الله عليه وسلم متفرقون مثل شرحبيل بن حسنة بارض بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن أبى سفيان بالبلقاء والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر وأركبه وعمرو بن العاص بأرض فلسطين والصواب ان تكتب اليهم ليقصدونا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب المعونة والنصر قال فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان اخوانكم المسلمين قد عولوا لى المسير الى اجنادين فان هناك تسعين الفا من الروم يريدون المسير الينا يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقدم علينا بمن معك الى اجنادين تجدنا هناك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذين ذكرناهم ثم أمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال رساقا والغنائم والاموال فقال خالد لابى عبيدة قد رأيت رأيا ان أكون على الساقة مع الغنائم والاموال والبنين والولدان وكن أنت على المقدمة مع خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة بل أكون أنا على الساقة وأنت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم ومعه وردان يجدولك على أهبة فتقدمهم من الوصول الى الحريم والاولاد فلا يصلون الينا الا وأنت قتلت فيهم والا كنت أنا ومن معى غنيمة لهم اذا أتانى المقدمة فقال خالد است أخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قام أيها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فاربطوا هممكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا أخذ الجيش وسار فى المقدمة وبقى أبو عبيدة فى ألف من المسلمين ونظر الى ذلك أهل دمشق فعطفوا عليهم وأقبلوا سيوفهم ودم يظنون أنهم منهزمون لاجل ما بانفهم من الجيش العظيم الذى هو باجنادين فقال لهم عقلاؤهم ان كانوا سائرين على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان كانوا على طريق مرج راهط فانقوم لاشك هاربون الى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال وكان بدمشق بطريق يقال له بواص وكان عظيما عند النصرانية وكان اذا قدم على الملك يعظمه وكان الملعون فارسا وذلك أنهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم فى الشجرة من قوة ساعده ثم ان من يجيء كتب عليها ان كل من يدعى الشجاعة فليرم بسهمه الى جانب سهمى وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يحضر قتال المسلمين منذ خلوده بدمشق فلما اجتمعوا عليه قال لهم بواص ما الذى حل بكم فاعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وقالوا له ان كنت تريد حياة الابد عند الملك وعند المسيح وعند أهل دين النصرانية فدونك والمسلمين فاخرج اليهم واخطف كل من تخاف منهم وان رأيت لنا فيهم مطمعا فاقتلناهم فقال بواص انما كان سبب تخلفى عن نصرتكم لانكم قليل همة لقتال عدوكم وتخلفت عنكم والآن لا حاجة لى فى قتال العرب فقالوا وحق المسيح والانجيل الصحيح ان سرت فى مقدمتنا الشتمن معلن وما منا من يولى عنك وقد حكمنا لك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه ولا يعارضك فى ذلك أحد قال فلما استوثق منهم دخل الى منزله ولبس لامته فقالت له زوجته الى أين عزمت قال أخرج فى أثر العرب فقد ولانى أهل دمشق عليهم فقالت لا تفعل والزم بيتك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فانى رأيت لك فى المنام رؤيا فقال لها وما الذى رأيت قالت رأيتك كأنك قابض قوسك وأنت ترمى طيورا وقد سقط بعضها على بعض ثم عادت صاعدة فبينما أنا متعجبة اذ أقبلت نحوك سحابة من الجو فانقضت عليك من الهواء وعلى من معك فجعلت تضرب هاماتهم ثم وليتم هاربين ورأيتها لا تضرب أحدا الا صرعته ثم انى انتبهت وأنا مذعورة باكية العين عليك فقال لها ومع ذلك رأيتينى فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم قال فلطم وجهها وقال لا يشرك المسيح بخير لقد دخل رعب العرب فى قلبك حتى صرت تحلمين بهم فى النوم ولابد ان أجعل لك أميرهم حادما وأجعل أصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت له زوجته افعل ما تريد فقد نصحتك قال فلم يلتفت الى كلامها وخرج من عندها وركب وسار معه من كان فى دمشق من الروم فعدهم فاذا هم ستة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل من أهل النجدة والحمية وسار يطلب القوم وكان خالد فى المقدمة وأبو عبيدة يمشى مع الاموال والغنائم والجمال اذ نظر رجل من أصحابه وهو يتأمل الغبرة من ورائهم فسأله أبو عبيدة عن ذلك فقال لا نظن الا غبرة القوم فقال أبو عبيدة ان أهل الشام قد طمعوا فينا وهذا العدو قاصد الينا فى الستم كلامه حتى بدت الخيل كأنها السيل وبواص فى أوائلهم فلما نظر الى أبى عبيدة قصده ومعه الفرسان وأحاطوا به يطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة فلما احتوى عليها رجع بها

الخليل بمصر الثانى الريان ابن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة اه وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسمه صيلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان

بطرس نحو دمشق فلما بعد بها جلس هناك لينظر ما يكون من أمر أخيه وأما أبو عبيدة فانه لما نظر الى ما فاجأه من الروم قال والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعني في الساقة فلم أدعه وانه قد وصل اليه بواص وقصده والاعلام والصلبان على رأسه مشتبكة والنساء يولولن والصبيان يصيحون والالف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال وقد قصدهم بواص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من اصحابه ومن الروم وارتفعت الغبرة عليهم وهم في كر وفر على أرض سحورا قال وقد بلى أبو عبيدة بالقتال وصبر صبر الكرام قال سهل بن صباح وكان تحتي جواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة فقومت السنان وأطلقت العنان فخرج كأنه الريح العاصف فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد والمسلمين فانفذت اليهم عمار خوقلت أيها الامير أدرك الاموال والحريم فقال خالد ما وراءك يا ابن الصباح فقلت أيها الامير الحق أبا عبيدة والحريم فان نفيره دمشق قد لحق بهم وقد قطعوا طائفة من النسوان والولدان وقد بلى أبو عبيدة بما لا طاقة لنا به قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهيل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون قد قلت لابي عبيدة دعني أكون على الساقة فأطاعني ليقضي الله أمرا كان مفعولا ثم أمر رافع بن عميرة على ألف من الخيل وقال له كن في المقدمة وأمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على ألفين وقال له أدلك لعدو وسار خالد في أثره ببقية الجيش قال فبينما أبو عبيدة في القتال مع بواص امنه الله اذ تلاحقت به جيوش المسلمين وحملوا على أعداء الله وأرادوا بهم من كل مكان فعند ذلك تنكست الصلبان وأيقن الروم بالهوان وتقدم الامير ضرار بن الازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بواص فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة في فرائصه وقال لابي عبيدة يا عربي وحق دينك الامر قلت لهذا الشيطان يبعد عني ركان بواص قد سمع به ورآه من سور دمشق وما صنع بعسكر كاوس وعزاز بروسمع بفعاله في بيت لهم افلما رآه مقبلا اليه عرفه فقال لابي عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربني فسمعه ضرار رضي الله عنه فقال له أنا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم انه فاجأه بطعنة فلما رأى بواص ان الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وطلب الهرب نحو أصحابه فسار ضرار في طلبه وقال له أين تروح من الشيطان وهو في طلبك ولحقه رهم أن يعلوه بسيفه فقال بواص يا بدوي ابق علي ففي بقائي بقاء أولادكم وأموالكم قال فلما سمع ضرار قوله أمسك عن قتله وأخذه أسيرا هذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة

(قال حدثني) أسلم بن مالك البربوعي عن أبي رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحور امع المسلمين وكنت في خيل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال فدرنا بالروم من كل جانب وبددنا أسيافنا في القوم وكانوا ستة كتائب في كل كتيبة ألف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد حملنا يوم فتح دمشق وانه ما رجع منهم فوق المائة ووجه خبر ضرار أن خرلة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه وأقبل على خالد وأعلمه بذلك فقال له خالد لا تجزع فقد أسرنا منهم خلقا كثيرا وقد أمرت أنت بواص صاحبهم وسوف نخلص من أسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق في طلبهم ثم أمر خالد أن يسيروا بالناس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا ثم انه سار في ألف فارس جريدة وبعث العسكر كله الى أبي عبيدة مخافة أن يلحقهم ورد ان بجيوشه فسار القوم توجه خالد بمن معه في طلب المأسورات وقد قدم أمامه رافع بن عميرة الطائي ومسيرة بن مسروق العبسي وضرار بن الازور (قال حدثني) سعيد بن عمر عن سفان بن عامر البربوعي قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما اقتطعوا من ذكرناه من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بواص الى أن نزل بهم الى النهر الذي ذكرناه ثم قال بطرس أنا لا أبرح من هنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخي ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم يحبه منهن الا خولة بنت الازور وأخت ضرار قال بطرس هذه لي وانا لها لا يعارضني فيها أحد فقال له أصحابه هي لك وأنت لها قال وكل من سبق الى واحدة يقول هي لي حتى قسموا الغنيمة على ذلك ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بواص وأصحابه وكان في النساء بحجائز من خيار وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضات الليل والهجوم على القبائل فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير بقية تبع أترضين لانفسكن عبودية الروم ويكون أولادكن عبيد الاهل الشرك فاين شجاعتكن وبراعتكن التي تحدث بها عنكن في أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك واني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب ومانزل

كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثاني) اسمه عشامش من أعماله العجيبة أنه عمل ميزانا في هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتهما فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما في كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم (الكاهن الثالث) عمل مرآة من المعادن ينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما أجدب وما حدث من الحوادث

بكن من خدمة الروم الكلاب فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الأزور نحن في الشجاعة كما ذكرت وفي البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وانما عدونا هذا العدو على حين غفلة ونحن الا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام ونحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمودا لخيمة وسمت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتيبة وسلمة بنت زارع وابنتي بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ومثل هؤلاء رضي الله عنهن فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فما كن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن قال فهجمت خولة أمامهن فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعمود فتجندل صريعا والتفت الروم ينظرون ما الخبر فإذا هم بالنسوة وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا فقالت عفرة هذه فعالنا فاضرب بن القوم بهذه لأعمدة ولا بد من قطع أعمارهم وانصرام آجالهم يا أهل الكفر قال فجاء بطرس وقال تفرقوا عن النسوة ولا تنالوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم صاحبتي فلا يناله بمكروه فتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن أحد من الروم الا ضربن قوائم فرسه فاذا تنكس عن جواده بادرت النساء بالعمد فيقتلنه ويأخذن سلاحه (قال الواقدي) ولقد بلغني أن النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجلت نحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن موتن كراما ولا تقتن لئاما وأظهر بطرس بأسه وتلهف عند ما نظر الى فعلهن ونظر الى خولة بنت الأزور وهي تجول كالأسد وتقول شعرا

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تسعر * اليوم تسقون الذئاب الأكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ورأى حسنها وجمالها قال لها عاربية أقصري عن فعالك فاني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا ولاك وأنا الذي تهابني أهل النصرانية ولي ضياع ورساتيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل وجميع ما أنا فيه مردود اليك أما ترضين أن تكوني سيدة أهل دمشق فلا تقتلي نفسك فقالت له يا ملعون يا ابن ألف ملعون والله لئن ظفرت بك لأقطعن رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لي الابل فكيف أرضاك أن تكون لي كفؤا قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال وقال اتروني عارا أكبر من هذا في بلاد الشام ان النسوة غلبنكم فانقوا غضب الملك وغضب المسيح بن مريم قال فاقترق القوم وحملوا حملة عظيمة رصبرا النساء لهم صبر الكرام فبينما هم على ذلك اذ أقبل عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ونظروا الى الغبار وبريق السيوف فقال لأصحابه من يأتيني بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائي أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى فقال خالد لا عجب من ذلك انهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة وما بينهن وبين تبيع الأقرن واحد وتبع بن بكر بن حسان الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث وقال

شهدت لأحمد أنه رسول * من الله باريء كل النسم
بأمنه أحمد خير الأنام * فلو مد عمري الى عصره
لكنت وزيراله وابن عم

(قال الواقدي) قال خالد لا تعجب يا رافع واعلم ان هؤلاء النسوة لهن الحروب المذكورات والمواقف المشهورات وان يكن فعلهن ما ذكرت فلقد سدن على نساء العرب الى آخر الابد وأزلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا وثبت ضرار بن الأزور وعند ما سمع كلام رافع فقال خالد هيهات لا يا ضرار لا تجعل فانه من تأنى نال ما تمنى فقال ضرار أيها الأمير لا صبر لي عن نصرة بنت أبي وأمي فقال خالد قد قرب الفرج ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا وثب

وعمل في وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كانها ترضعه فان امرأة أصابها وجع في جسمها ومسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة تبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة أغصانها من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلامه وعمل صنما من كذان اسود وسماه عبد زحل بقاء كون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سنين (الكاهن الخامس) عمل شجرة من

ووثبت أصحابه وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القوم فتفرقوا عليهم وأحدقوا بهم فعسى ان نخلص حرمنا فقالوا حبا وكرامة ثم تقدم خالد فبينما القوم فى قتال شديد مع القوم واذا أشرفت عليهم الالوية والكتائب والاعلام والرايات فصاحت خولة يا بنات النبابة قد جاءكم الفرج ورب الكعبة ونظر بطرس الى الكتائب المحمدية وقد أشرفت فخفق فؤادى وارتعدت فرائصى وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضا قال فصاح بطرس يا معاشر النسوان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى لان لنا اخوات وبنات وأمهات وقد وهبتكن للصليب فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك ثم عطف برأسه العرب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب العسكر أحدهما قد تكمى فى سلاحه والآخر عارى الجسد وقد أطلقا عنانهما كأنهما أسدان وكانا خالدا وضرارا فلما رأت خولة أخاها قالت له الى أين يا ابن أمى أقبل فصاح بها بطرس انطاقى الى أختك لقد رهبتك ثم ولى يطلب الحرب فقالت له خولة وهى تهزأ به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب ثم تظهر الساعة الجفاء والتباعد وخطت نحوه فقال قد زال عنى ما كنت أجد من محبتك فقالت له خولة لا بد لى منك على كل حال ثم أسرعت اليه وقد قصده ضرار فقال له بطرس خذ أختك عنى فهى مباركة عليك وهى هدية منى اليك فقال له لا حبيب ضرار قد قبلت هديتك وشكرتك وانى لا أجد مكافأة لك على ذلك الا سنان رمحى فخذ هذه منى اليك ثم حمل عليه ضرار وهو يقول واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ثم هجم اليه بالطعنة ووصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه فكبا به الجواد ووقع عبد الله الى الارض فادركه ضرار قبل سقوطه وطعنه فى خاصرته فاطاع السنان من الجانب الآخر فخر مندملا صريعا الى الارض فصاح به خالد لله درك يا ضرار هذه طاعنة لا يخيب طاعنها ثم حملوا فى أعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جولة جائل حتى قتل من الروم ثلاثة آلاف رجل قال حامد بن عامر البروجى لقد عدت اضرار بن الازور فى ذلك اليوم ثلاثين قتيلا وقتلت خولة خمسة وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة قال وانهزم بقية القوم ولم يزالوا فى أدبارهم والمسلمون على أثرهم الى أن وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم أحد بل زاد فزعهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا لغنائمهم وتحميل والسلاح والاموال ثم قال خالد الحقوا يا بنى عبيدة ثلاثين فارسا وردان وجيوشه قد لحقوا بهم فسار ضرار والقوم وقد جعل ضرار رأس البطريق على سنان رمحه ولم يزل القوم سائرين الى أن لحقوا بأبى عبيدة فى مرج القصر وقد تخلف أبو عبيدة حتى أشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ومعه المسلمون فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض ورأوا المأسورات وقد خلصن وأخبر خالدا بأبى عبيدة بما فعلت خولة وعفرة وغيرهن من الصحابة فاستبشر بنصر الله وعلموا أن الشام لهم ثم دعا خالد ببواص فقال له أسلم والا فعلت بك كما فعلت بأخيك فقال له وما الذى صنعت بأخى قال قتلته وهذا رأسه ورماه ضرارا قدامه فلما رأى رأس أخيه بكى وقال له لا بقاء لى بعده حيا فالحقونى به قال فقام اليه المسيب بن يحيى الفزارى رضى الله عنه فضرب عنقه بأمر خالد ثم رحل القوم (قال الواقدى) حدثنا سعيد بن مالك قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يزيد بن أبى سفيان والى عمرو بن العاص قرأ كل واحد من الامراء كتابه قال فسار وا بأجمعهم الى أجنادين لعون اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى خيل معاذ بن جبل فلما أشرفنا بأجمعنا على أجنادين وكنا كلنا على سيارة واحدة فى يوم واحد وذلك فى شهر صفر سنة ٢٠ من الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم على بعض قال ورأينا جيوش الروم فى عدد لا يحصى فلما أشرفنا عليهم أظهر والتأزينهم وعددهم واصطفوا مواكب وكتائب ومدوا صفوفهم فكانوا ستين صفا فى كل صف ألف فارس قال الضحاك بن مروة والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى فما رأينا أكثر من جنود الروم ولا أكثر من عددهم وسلاحهم قال فنزلنا بازائهم قال فلما كان من الغد بادرت الروم نحونا قال الضحاك فلما رأيناهم وقد ركبوا أخذنا على أنفسنا وتأهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول اعلموا انكم لستم ترون جيشا مثل هذا اليوم فان هزمهم الله على أيديكم فما يقوم لهم بعده قائمة أبدا فاصدقوا فى الجهاد وعليكم بنصر دينكم وايا كم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واقربوا المواكب ومكنوا المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وأيقظوا همكم (قال الواقدى) ولقد بلغنى ممن أثق به ان وردان لما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس لحما فى أيامه وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن يساره فاذا دخل أحد فان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب (الكاهن السادس) عمل درهما اذا ابتاع صاحبه شيأ اشترط على البائع أن يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد

اجتمعوا وعولوا على حربهم جميع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر اعلموا ان الملك يعول عليكم واذا انكسرتم لا تقوم لكم بعدها قائمة أبدا وتملك العرب بلادكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا أن كل ثلاثة منهم بواحد منهم واستعينوا بالصليب ينصركم فهذا ما كان من هؤلاء وأما خالد رضى الله عنه فانه مشى على أصحابه وقال معاشر المسلمين من فيكم يحذر لنا القوم ويندرهم فقال ضرار بن الازور أنا أيها الامير فقال خالد أنت لها والله ولكن يا ضرار اذا أشرفت على القوم فاياك أن تحمل نفسك مالا تطيق وأن تغرر بنفسك وتحمل على القوم فما أمرك الله بذلك فقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال فاطلق ضرار عنان جواده حتى أشرف على جيش الروم فرأى اثانهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات كاجنحة الطير وقال وردان ينظر الى نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار وهو مشرف على القوم فقال للبطارقة انى أرى فارسا قد أقبل ولست أشك انه طليعة للقوم فابكم يأتينى به فانتدب من القوم ثلاثين فارسا وطلبوا ضرارا فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين أيديهم فتبعوه وظنوا أنه قد انهزم منهم وانما أراد بذلك ان يبعدهم عن أصحابهم فلما بعدوا علم أنه تمكن منهم فلوى رأس جواده اليهم وصوب السنان عليهم فاول ما طعن فارسا من القوم أرداه وثنى على الآخر فاعدمه الحياة وصال فيهم صولة الاسد على الغنم ودخل رعبه فى قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس الى أن صرع منهم تسعة عشر فارسا فلما أراوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم لوى راجعا الى خالد ومعه أسلابهم وخيولهم وأعلامهم فلما كان فقال له خالد لم أقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل عليهم فقال ان القوم طالبونى فخفت أن يرانى الله منهزما فجاهدت بالحلاص ولاجرم ان الله نصرنا عليهم والله لولا خوفى من ملامتك لاحملن على الجميع واعلم ان القوم غنيمة لنا فقال فرتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل فى القلب معاذ بن جبل وفى الميمنة عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وفى الميسرة سعيد بن عامر وفى الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة وفى الساقة يزيد بن أبى سفيان فى اربعة آلاف فارس حول الحريم والبنات والاولاد ثم التفت الى النسوة وهن عفراء بنت غفار الحميرية وأم أبان ابنة عتبة وكانت عروسا قد تزوج بها فى هذا اليوم أبان بن سعيد بن العاص والخضاب فى يده والعطر فى رأسها وخولة بنت الازور ومزروعة بنت مملوق وسلامة بنت زارع وغيرهن من النسوة ممن عرفن بالشجاعة والبراعة فقال لهن خالد يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتن فعلا أرضيتن به الله تعالى والمسلمين وقد بقى لكن الذكر الجميل وهذه أبواب الجنة قد فتحت لكن وأبواب النار قد اغلقت عنكن وفتحت لاعدائكن واعلمن انى واثق بكن فان حملت طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن أنفسكن وان رأيتن احدا من المسلمين قد ولى هاربا فدونكن واياه بالاعمدة وارمين بوله وقلن له الى أين تولى عن أهلك ومالك وولدك وحريمك فانكن ترضين بذلك الله تعالى فقالت عفراء بنت غفار أيها الامير والله لا يفرحنا الا أن نموت أمامك فلنضربن وجوه الروم ولنقاتلن الى أن لا نبقى لنا عين تطرف والله ما نبالى اذا رمينا الروم كله قال فجزاهن خيرا ثم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو ينادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين انصروا الله ينصركم وقاتلوا فى سبيل الله واحتسبوا انفسكم فى سبيل الله ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن السهام اذا خرجت من أكباد القسى كانها من قوس واحدة فاذا تلاصقت السهام رشقا كالجراد لم يخل أن يكون منها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا انكم لم تلقوا بعد هذا عدوا مثله وان هذه فئة جلبتهم وأبطالهم وملوكهم فجردوا السيوف وأوتروا القسى وفوقوا السهام ثم ان خالدا أقبل ووقف فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وذى الكلاع الحميرى وربيعة بن عامر ونظائرهم قال فلما نظر وردان الى جيش المسلمين قد زحف زحفوا وكانوا ملء تلك الارض فى الطول والعرض من كثرتهم فترامى الجمعان وتلاقى الفريقان وقد أظهر أعداء الله الصلبان والاعلام ورفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلما اقترب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شيخ كبير وعليه قلنسوة سوداء فلما اقرب من المسلمين نادى بلسان عربى أيكم المقدم فليخاطبنى وليخرج الى وعليه أمان فان فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له القس أنت أمير القوم فقال خالد كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله وسنة رسوله وان أنا غيرت أو بدلت فلا امارة لى عليهم

شراءه لا يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى الصحاب فى صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاعلمهم انه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده * وسبب تولية الوليد بن مصعب الذى هو فرعون موسى على مصر كما أخرجه ابن عبد الحكم ان ملك مصر لما توفى تنازع الملك جماعة من أبناء الملك ولم يكن للملك عهد لاحد ولما اشتد الامر بينهم تداعوا الى الصلح

ولا طاعة قال الفرس بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك توسطت بلادا ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها ارادان الفرس دخلوها وروجعوا خائبين وان التبابعة أتوها راقنوا أنفسهم عليها وما بلغوا ما أرادوا ولكنكم أنتم نصرتم علينا وان النصر لا يدوم لكم وصاحبي وردان قد أشفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال انه يعطي كل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك أنت مائة دينار ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن ان هؤلاء مثل من لقيت من جموعنا فان الملك ما أنفذ في هذا الجيش الا عظماء البطارقة والاساقفة قال خالد والله ما نرجع الا باحدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ما ذكرت من أن عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك في كتابه العزيز وأما ما ذكرت من أن صاحبكم يعطي كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فهو قريب ان شاء الله نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك في ما مكانا وبأيدينا فقال الراهب انى راجع الى صاحبي أخبره بجوابك ثم لوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان أيظن انه ما مثل من لقيه من قبل وانما هؤلاء لحقهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك قد أرسل اليهم أكابر البطارقة وما بيننا وبينهم الا جولة الجائل ثم نترككم صريعي ثم ترتب أصحابه وزحف وقدم أمامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة وبايديهم المزاريق والقسي قال فصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد أقبلت والحور العين قد تزينت للقائم فابشروا بالجنة السرمدية ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بارك الله فيكم الحملة فقال خالد مهلا يا معاذ حتى أوصي الناس ومشى في الصفوف ورتبها وقال اعلموا أن هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة تنزل فيها النصر وايا كم أن تولوا الادبار فيرا كم الله منهزمين ازحفوا على بركة الله تعالى فلما تقارب الجمعان رمت الارواع سهامها رميه واحدة قال فقتلوا حالا وجرحوا أناسا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال ضرار ابن الازور ما لنا والوقوف والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا والله ما نظن أعداء الله الا أنا قد نشلنا عنهم وجزعنا فأمرنا بالحملة حتى نحمل معك قال فأنت لها يا ضرار فخرج ضرار بن الازور وقال والله ما من شئ أشهى الى قلبي من ذلك ثم حمل ضرار وقد تدرع بدرع كان لعبد رس أخي بوانس وألقى الزرد على وجهه وركب جواده وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة كان قد أخذهما أيضا من بطارس وقد أخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك وقد أطلق عنانه رقوم سنانه وحمل في صفوف الروم فرشتوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى وهو يخترق صفوفهم فما كان قد ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومثلها رجالة قال عثمان بن عوف النجيبي كنت ممن بعد قتلى ضرار بن الازور وكنت كلما قتل فارسا من الروم أعده فكان جملة من قتل ضرارا في جملته هذه فرسانا ورجالا ثلاثين فارسا (قال عمر بن سالم) هكذا حدثني نوفل بن زياد انه رمى البيضة من رأسه والزرد عن وجهه ونادى بأعلى صوته أنا ابن الموت الاصفر أنا ضرار بن الازور أنا صاحبكم أنا قاتل همدان بن وردان أنا البلاء المسلط عليكم وعلى من أشرك بالرحمن قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل على أثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الروم فقال وردان من هذا البدوي فقالوا أيها الملك هذا الذي بقي طول عمره عاريا لجسد ومرة يرمح ومرة ينبل فلما سمع ذلك وبذكر ضرار بن الازور تنفس الصعداء وقال هذا قاتل ولدي ولقد اشتهيت من يأخذه منه بثاري وله مني ما يريد قال فبرز اليه بطريق وكان صاحب طبرية وقال لوردان أنا آخذك بالثار ثم لوى عنانه وحمل على ضرار فخالا كثر من ساعة ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها كبد عدو لله فتجندل صريعا فقال وردان لهم ما أتى به ولو أتى به عيانا ما صدقته فان هذا لا تطيق الانس أن تقاتله وأنا ما أرى هذا غير ي ثم ترجل وغير لامته وألقى عليه درعا وجعل على رأسه التاج وركب جوادا من الخيول العربية وهم أن يخرج الى ضرار بن الازور فتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان وهو صاحب عمان قال و باس ركاب وردان وقال أيها السيد ان أخذت بثارك من هذا اللئيم أو أسرته لك أترو جني ابنتك فقال له وردان هي لك واشهد عليه من حضر من ملوك الشام فلما سمع اصطفان بذلك خرج كأنه شعلة نار وحمل على ضرار وقال له و يلك قد نزل بك ما لا قدرة لك به قال فلم يدر ضرار ما يقول غير انه أخذ حذره منه وقد أخرج اصطفان صليبا من الذهب وجعله في عنقه في

فاصطلحوا على ان يحكم بينهم أول من يطلع من سفح الجبل فطلع فرعون بين عديلي نظارون على حمار أقبل بهما اليهما فاستوقفوه وقالوا انا جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك وآتوه مواثيقهم على الرضا فلما استوثق منهم قال انى رأيت ان أملك نفسي عليكم فهو أذهب لضغائنكم وأجمع لامركم والامر من بعدي اليكم فأمروه عليهم واقعدوه في دار الملك عنف فارسل الى صاحب أمر كل رجل منهم فوعده ومناه أن يملكه على ملك صاحبه ليلة يقتل فيها

سلسلة من الفضة وجعل يقبله ويرفعه على رأسه فعلم ضرار انه يستنصر به عليه فقال ضرار رضى الله عنه ان
كنت تستنصر على به فانا أستنصر عليك بالقريب المجيب الذى هو من دعاه قريب ثم حمل عليه وأرى الناس
أبوابا من الحرب حتى ضج الناس من قتالهم فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتخاذل والجنة قد
فتحت لك والنار قد فتحت لأعدائك واياك والكسل فان الله عز وجل يعينك قال فأيقظ ضرار نفسه وانقض
من مرجه وحمل على خصمه وتصايحت الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما فى ضرب عظيم وقد حميت الشمس
وتعب الجوادان فأشار البطريق الى ضرار أن ترجل حتى نتقاتل فهم ضرار أن يترجل شفقة على الجواد واذا
بصفوف الروم قد خرجت ورجل يقود جنيبا أمامهم وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح فى
جواده وقال له تجلد معى ساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فهجم الجواد وشمر أجنحته
جريا واستقبل ضرار غلام البطريق بطعنة فقتله وأخذ الجنيب فركبه وأطلق جواده نحو عساكر المسلمين
فتناولوه وعاد ضرار نحو البطريق فلما رآه أقبل اليه بعد ما قتل غلامه وركب جواده فأيقن عدو الله بالهلاك
وعلم أنه ان ولى قتله بلا محالة وان وقف أهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله علم ما عنده فهجم عليه اذ نظر الى
الروم وقد خرج منهم كردوس وذلك أن وردان لما نظر الى صاحبه وقد أشرف على الموت علم أنه ان لم يدركه
هلك فقال لقومه يا قوم ان هذا الشيطان قد أكل من كبدى قطعة واذا لم أقتله قتلت نفسى ولا بد لى من الخروج
اليه قال فخرج فى عشرة من البطارقة وهم مدرعون وفى أرجلهم أخفاف من الحديد وسواعدهم من الحديد
وبايديهم أعمدة من الحديد ووردان قد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجوا ووردان أمامهم كأنه شعلة
نار ونظر اصطفان الى من خرج فصاح بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه الا أنه أهب فيما هم كذلك اذ
نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج وهو يلمع على رأس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على رأس
الملك ولا شك انه صاحب القوم وقد خرج الى صاحبنا فلعله الذى يقعد نا عن نصرته ثم قال لاصحابه لا يخرج الا
عشرة حتى نساوى القوم فخرج خالد فى عشرة من أصحابه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة قال ووصل الروم
الى ضرار فاستقبلهم بقلب أقوى من الحجر الجلمود وقال فنادا ه خالد أبشر يا ضرار فقد أسعدك الجبار ولا تجزع
من الكفار فقال ضرار رضى الله عنه ما أقرب النصر من الله وجاء خالد ومن معه والتقت الرجال بالرجال
وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان وقد كل ساعده وارتعدت
فرائصه عند ما نظر الى خالد ومن معه فنظر يمينا وشمالا يطلب الهرب فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه
فلما أيقن بالموت ألقى نفسه الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار وألقى نفسه عن جواده وطلب عدو الله
حتى لحقه وتقابضا على وجه الارض وكان عدو الله كالصخر الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير أن
الله تعالى أعطاه قوة الايمان فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض بحمله
وجلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية أيها السيد أنجدنى مما أنا فيه فقد
هلكت فصاح وردان يا ويلك ومن يتقدنى أنا من هؤلاء السباع الكاسرة فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل
على وردان وهم ضرار بخصمه ونظر اليهما كالفريقان وأقبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار فلم يعمل على
خصمه دون أن برك على صدره وذبحه مثل البعير وكل مشتغل عن نصرة صاحبه قال فأخذ ضرار رأس عدو
الله وهو ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد يا معشر الناس اذكروا
الوقوف بين يدى الله الملك الجبار فايا كم ان تولوا الادبار فتمتوجب وا دخول النار يا أهل الايمان يا حملة القرآن
اصبروا قال فزاد الناس بقوله نشاطا وتزاحم الفريقان قال وجاء وقت العصر فافترقوا وقد قتل
من الروم ثلاثة آلاف وعشرة من ملوكهم ومنهم رومان صاحب الامبرة ودمر صاحب نوى وكوكب صاحب
عرض البلقاء ولاوى بن حنا صاحب غزة قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ قلبه رعبا
لما نظر له من المسلمين من شدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة وقال يا أهل دين النصرانية ما تقولون
فى هؤلاء العرب فانى أراهم غالبين علينا وقد رأيت أسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم بليدة وأن القوم
لا طوع منكم لربهم وما خذلتم الا بالظلم والجور والغدر وما مرادى منكم الا ان تتوبوا الى ربكم فان فعلتم
ذلك رجوت لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فانذوا بحرب من المسيح وبهلاك أنفسكم فان الله عاقبكم

كل رجل منهم صاحبه
ففعلوا وردان له أوائل
بالروبية فاكهم نحو امن
خمسمائة سنة وقيل
أربعمائة لم يصدع له رأس
وكان ملكه ما بين مصر
الى افريقية من بلاد
المغرب وقيل كان عطارا
باصبهان فافلس وركبته
الديون فخرج هاربا الى
الشام فلم يستقم حاله فجاء
الى مصر فرأى ملكها
مشتغلا بلاهوره فتوصل اليه
بحيلة وخرج الى المقابر
وسمى نفسه عامل الاموات
وصار يأخذ من كل ميت
جعلا حتى بلغ الملك خبره
فاحضره وكلمه فاعجبه عقله
ومعرفته فاستوزره وعم

أشد عقوبة اذ سلط عليكم اقواما لا نقدر بهم ولا نعدهم لان أكثرهم جياع وعبيد وعراة ومساكين أخرجهم الينا قحط الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء والآن قد أكلوا من خبز بلادنا وفواكه أرضنا واكلوا العسل والتين والعنب وأعظم ذلك سبي نسائكم وأموالكم (قال الواقدي) فلما سمع القوم ذلك بكوا وقالوا لنقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى أن نقاتلهم بالرماح قال فلما سمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ما عندكم من الرأي فقال رجل منهم يا وردان اعلم انك قد بليت بقوم لا تقوم لقتالهم وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالي من أحد ولا يرجع حتى يقتل منهم وقد قال لهم بهم ان من قتل منكم صار الى الجنة ومن قتل من الروم صار الى النار والموت والحياة عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمعا الا الآن تحيل على صاحبهم فنقتله فان قتلتموه تنهزم القوم وانك لا تصل اليه الا بحيلة توقعه فيها فقال وردان وأي حيلة تدخل بها على القوم والحيل والخداع والمكر منهم فقال له البطريق أنا أقول لك شيأ ان صنعته وصلت به الى أمير العرب من حيث لا يصل اليك شيء ولا أذى وذلك أنك تنتخب عشرة من الفرسان من ذوي الشدة والبأس ويكمنون في مكمن من جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليه وأخرج قومك يبادروا اليك من المكمن ويقطعونه ارباراً بارا تستريح منه وبعد ذلك تتفرق أصحابه ولا يجتمع منهم أحد قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فرح فرحا عظيما وقال ما هذا الا رأي سديد فهم ما أشرت به وقد أصبت فيما ذكرت غير أن هذا الامر يعمل في جنح الليل ولا يأتي الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من العرب المتنصرة اسمه داود وكان في سكنه وقال له يا داود أنا أعلم أنك فصيح اللسان وانى أريد أن تخرج الى هؤلاء العرب وتسألهم أن يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم لا يخرجون لنا بكرة النهار حتى أخرج بنفسي اليهم منفردا عن قومي لعلنا نصطلح مع العرب فقال داود ويحك وتخالف أمر الملك هرقل فيما أمرك به من الحرب وتصطلح انت والعرب فان الملك ينسبك الى الجزع والفزع وما كنت بالذي أخاطب العرب في ذلك أبدا فيبلغ الملك اني كنت السبب في ذلك فيقتلني فقال له وردان يا ويلك انما دبرت حيلة على أمير العرب حتى أصل اليه بها فاقتله وتنفرق هؤلاء العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر بخالد بن الوليد فقال لوردان ان الباغي مخذول في كل فعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فقال وردان وقد غضب ويلك أنت تعاندني فيما أمرتك به دع عنك اللجاجة فقال حبا وكرامة ثم انه مضى وقال في نفسه ان وردان قد عزم أن يلحق بولده ثم أقبل حتى انه وقف قريبا من المسلمين ونادى برفيع صوته وقال يا معاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم عن سفكها وأريد أن يخرج الى أمير العرب حتى أخاطبه بما أرسلت به قال فلما استتم كلامه حتى خرج اليه خالد رضي الله عنه وهو كانه شعلة نار فلما نظر اليه داود النصراني قال له يا عربي على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما أنا الا رسول فلما سمع خالد مقالته قرب منه وقال اذكر مسألتك واستعجل الصدق تنج فمن صدق نجا ومن كذب هلك فقال صدقت يا عربي ان أمير نار وردان كاره سفك الدماء وقد رأى شدتكم ولا يريد حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره أن يحاربكم وقد رأى أن يدفع اليكم مالا ويحقن به دماء الناس لكن بشرط أن يكون بينك وبينه كتاب وتشهد عليك كبراء قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من أصحابه ولا لحصن من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك وهو يسألك أن تقطع الحرب بقية يومك فاذا أصبحت فاخرج بنفسك وبينكم كان ذا ما سمع خالد ما نطق به داود قال له ان كان ما أخبرت به صاحبك يريد به حيلة أو مكيدة نحن والله جرثومة الخداع وما مثلنا يأتي بحيلة ولا بخديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الا قرب أجله وانقطاع عمره وهلاك جموعكم والانفصال بيننا وبينكم وان كان ذلك حقا من قوله فاست أصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته وأما المال فلست براغب فيه الا على ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ أموالكم وبلادكم فقال داود وقد عظم عليه كلام خالد ما يكون الامر الا كما ذكرت فاذا توافقتم ان الانفصال بيننا هو ما أشرت اليه فاذكر له ما ذكرت ثم لوى راجعا وقد امتلأ قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا ثم قال في نفسه صدق والله أمير العرب وأنا أعلم والله ان وردان أول مقتول ونحن من بعده وما لي الا أن أصدق

قتل الوزير فصار له في الناس سيرة حسنة وكان عدلا شجاعا يقضي بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فيطر ويجبر ويغني فقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فاطاعوه وقال موسى يا رب ان فرعون يجحدك مائتي سنة فكيف أمهلته فاوحى الله تعالى اليه انه عبر بلادي وأحسن الى عبادي ومن جملة احسانه ان هامان وزيره لما ابتدأ بحفر خليج سردوس أتاه

أمير العرب وآخذ لي ولاهلي منه أمانا ثم رجع الى خالد وقال له يا أمير اني قد أضمرت على سر وأريد أن أبديه لك لاني أعلم أن البلاد لكم وان وردان قد نوى على شيء فقال خالد وما هو فقال خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا فانه قد أضمر لك كيدا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها ثم قال خذ الدار يد منك الامان لي ولاهلي فقال خالد الامان لك ولأهلك ولاولادك ان أنت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود لو أردت أن أغدر لما حدثتك فقال خالد وأين كمين القوم قال عند كثيب عن يمين عسكرهم ثم انه خلاه ورجع وأعلم وردان ففرح وقال الآن أرجو أن نظفر في الصليب بهم ثم انه دعا بعشرة من الابطال وقال لهم امضوا رحالة واكمنوا وأمرهم أن يفعلوا ما مر به وأما خالد فانه رجع فلقيه أمين الامة أبو عبيدة فرآه ضاحكا فقال يا أبا سليمان أضحك الله سنك ما الخبر فحدثه بما جرى فقال أبو عبيدة على ماذا عزمت قال عزمت أن أخرج الى القوم وحدي فقال يا أبا سليمان لعمرك انك الكفء ولكن ما أمرك الله أن تلقي بنفسك الى التهلكة والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد أعدلك عشرة وهو حادي عشر وما آمن عليك من اللعين ولكن اندب له رجالة كما ندب لك رجالة ويكمنون قريبا من القوم فاذا صرخ اللعين بقومه فاصرخ أنت بقومك ونكون نحن متأهبين على خيولنا فاذا فرغت من عدو الله حملنا جميعا ونرجو من الله النصر ثم قال والمسلمون هم رافع بن عميرة الطائي ومعاذ بن جبل وضرار بن الازور وسعيد بن زيد وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق العبسي وعدي بن حاتم حتى استتم العشرة وأخبرهم خالد بما قد عزم عليه الروم من الحيلة والمكيدة الى قد برهما وردان وقال اخرجوا رجالة بحيث لا يدري بكم أحد حتى انكم تأتون الكثيب الذي عن يمين العسكر فاكمنوا هناك فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا واللقوم كل واحد لواحد واتركوني لعدو الله فاني ان شاء الله تعالى كفيته فقال ضرار أيها الامير أخاف ان يكثر عليك الجمع الكثير فلانا من أن يصلوا بشرهم اليك وقد كنت أدبر لك حيلة انا نسير من وقتنا هذا الى مكمن القوم فاذا وجدناهم رقودا قتلناهم وفرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن في مواضعهم فاذا خلوت أنت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مقالة فقال خالد افعل يا أبا الازور وما ذكرت ان وجدت الى ذلك سبيلا وخذ معك هؤلاء الذين ندبتهم وأنت الامير عليهم وأرجو ان الله يبلغك ما تطلبه فان فعلت ذلك فهي الفرحة الكاملة فقال ضرار أرجو من الله الوصول اليهم وخرج هو وأصحابه في جنح الليل رجالة وفي أيديهم أسلحتهم وودعوا الناس وكان وقت خروجهم قد مضى ثلث الليل ثم سار ضرار حتى وصل الكثيب فأوقف أصحابه وقال على رسلكم حتى أستخبركم خبر القوم فلما أشرف عليهم من بعيد سمع غطيطهم وهم نيام سكرى وقد غرقوا في النوم لما لهم من التعب والنصب وأمنوا من أحد ينظرهم فقال ضرار في نفسه ان أنا فزت من القوم لا قتلهم خشية أن يوقظ بعضهم بعضا قال فرجع الى أصحابه وقال لهم أبشروا فقد أتاكم الله بما تريدون وأذهب عنكم ما تحذرون فخذوا سيوفكم وسيروا الى القوم فاقتلوهم كيف شئتم ثم تقدم ضرار أمامهم وهم في أثره الى أن وصل بهم اليهم فوجدوهم نياما كل واحد منهم سلاحه عند رأسه فانفرد كل واحد منهم بواحد فلم يلبثوا الا وقد فرغوا منهم عن آخرهم وأخذ كل واحد سلاح غريمه وأخذوا كل ما معهم من الزاد وغيره فقال لهم ضرار أبشروا فان هذا أول النصر ان شاء الله تعالى وأقاموا بقية ليلتهم يصلون ويدعون الله أن ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم في مصلاه الى ان أضاء الفجر فصلوا صلاة الفجر فلما فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غريمه ولباسه وتعمموا القلنسوة مخافة أن يرسل اليهم وردان (قال الواقدي) فلما أصبح الصباح صلى خالد بالناس ورتب أصحابه لأهبة الحرب فبينما هم كذلك اذ خرج من القلب فارس وقال يا معاشر العرب أريد أميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لننظر ما يتفقان عليه من أمر الجيشين وحقن الدماء بينهما فقال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له الفارس ان وردان يريد أن تنتظره حتى تتكلم معه فقال خالد السمع والطاعة ارجع وأخبره فعند ذلك خرج وردان وقد تزين بقلادة جوهر وعلى رأسه تاج فقال خالد عند ما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء الله تعالى قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل عن جواده وكذلك خالد وجلس كل واحد منهما وقد جعل عدو الله سيفه على فخذه فقال له خالد قل ما تشاء واستعمل الصدق والزم طريق الحق واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل فقال ما تريد فقال وردان يا خالد اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بيني وبينكم فان كنت تطلب مني شيأ فلا تبخل به عليك صدقة مني

أهل قرية يسألونه أن يخرج الخليج الذي تحت قريتهم ويعطونه مالا فاجتمع له من ذلك مائة ألف دينار ولا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان بحفره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له ويحك ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فرده كله على أهله وكان خراج مصر في زمنه في كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار يأخذ فرعون من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع فيه

عليكم لاننا ليس عندنا أمة أضعف منكم وقد علمنا انكم كنتم فى بلاد قحط و جوع تموتون جوعا فانفع منا بالقليل وارحل عنا فلما سمع منه خالد هذا الكلام قال له يا كلب النصرانية ان الله عز وجل أغنانا عن صدقاتكم وأموالكم و جعل أموالكم نتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم وأولادكم الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وان أبيتم فالحرب بيننا و بينكم أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون والله ينصر من يشاء منا ومنكم ومالكم عندنا الا السيف ان أبيتم الاسلام و بالله أقسم ان الحرب أشهى لنا من الصلح وأما قولك يا عدو الله لم تكن أمة أضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا يلقى ألفا منكم بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كنت ترجو ان تصل الى بانفرادى عن قومى وقومك فدونك وما تريد قال فلما سمع وردان مقالات خالد وثب من مكانه من غير ان يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا وتعانقا قال فصاح عدو الله عند ماوثق من خالد وقال لأصحابه بادروا الان الصليب قد مكننى من أمير العرب قال فما استتم كلامه حتى بادر اليه الصحابة كانهم عقبان ومقدمهم ضرار بن الازور وقد رموا الثياب عنهم و جردوا سيوفهم وضرار عارى الجسد بسراويله قابض على سيفه وهو يزأر كالاسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر الى القوم وهم يتسابقون اليه وهو يظن أنهم قومه حتى انهم وصلوا اليه ونظر فى أواخرهم ضرار بن الازور فقال خالد سبحانك اللهم بحق معبودك أن تقتلنى أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلنى فقال خالد هو قاتلك لا محالة فهز ضرار سيفه وقال يا عدو الله أين خديعتك من خديعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد صبرا يا ضرار حتى آمرك بقتله ثم وصل اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزوا سيوفهم فى وجهه ومرادهم أن يقتلوه ونظر عدو الله الى ما دهمه فوقع على الارض وهو يشير باصبعه الامان الامان فقال خالد يا عدو الله لا نعطى الأمان الا لأهل الامان وأنت أظهرت لنا المكر والخديعة والله خير الماكرين فلما سمع ضرار كلام خالد لم يمهله دون أن ضربه على عاتقه فخرج السيف بلمع من علائقه ثم أخذ التاج من على رأسه وقال من سبق الى شئ كان أولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه ارباربا وتبادروا الى سيفه فأخذوه ثم ان خالدا قال لاصحابه انى أريد أن تحملوا على الروم لانهم مشتاقون الى أصحابهم قال فأخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم فلما وصل خالد الصفوف نادى يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان أنا خالد ابن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه رمى الرأس وحمل عليهم وحمل المسلمون وحمل أبو عبيدة وقال احملوا يا أهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين فلما رأى الروم رأس وردان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت الصباح الى الغروب قال عامر بن الطفيل الدوسى كنت مع أبى عبيدة ونحن نتبع المنهزمين الى طريق غزة اذ أشرف علينا خيل فظننا انها نجدة من عند الملك هرقل فأخذنا على أنفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا فاذا هى عسكر قد أرسلها أبو بكر الصديق وما رأوا أحدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا جميع ما معه (قال الواقدى) وكان الروم باجنادين تسعين ألفا فقتل منهم فى ذلك اليوم خمسون ألفا وتفرق من بقى منهم فمنهم من انهزم الى دمشق ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون منهم غنيمة لم يغنم مثلها وأخذوا منهم صلبانا الذهب والفضة فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى وقت القسمة وقال خالد است أقسم عليكم شيأ الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى وكانت الوقعة باجنادين ليلة ست خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة أبى بكر بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالدا رضى الله عنه كتب كتابا الى أبى بكر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومى الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأزيد حمدا وشكرا على المسلمين ودمارا على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم وانا اقتفينا جموعهم باجنادين وقد رفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهم أن لا يفروا ولا ينهزموا وافخرجنا اليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا ورزقنا الله الصبر والنصر وكتب الله على أعدائنا القهر فقاتلناهم فى كل واد وسبسب وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفا وقتل من المسلمين فى اليوم الاول والثانى أربعمائة وخمسون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من الانصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلا ومن حمير عشرون والباقى من اخلاط الناس و يوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة

ما يريد والربع الثانى لجنده وما يقوى به على محاربه و جباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث فى مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسور وخلج وقناطر ولقوة المزارعين على زروعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يدفن فى الارض فيؤخذ ربع ما يصيب كل قرية من خراجها اليدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو حائجة تطرأ لاهل القرية وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية هو كنوز فرعون التى يحدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان

ونحن راجعون الى دمشق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وأمره بالمسير الى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وسار خالد بالمسلمين طالب دمشق (قال الواقدى) رحمة الله عليه واقد بلغنى ان أبا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذا أقبل عبد الرحمن بن حميد فلما رآه تسابقت اليه أصحابه وقالوا له من أين أقبلت قال من الشام وان الله قد نصر المسلمين فسجد أبو بكر الصديق لله شكرا وأقبل عبد الرحمن بن حميد الى أبى بكر وقال يا خليفة رسول الله ارفع رأسك فقد أقر الله عينك بالمسلمين فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرا فلما افهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا فابتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب فشاع الخبر فى المدينة فهرعت الناس من كل مكان فقرأه أبو بكر ثانى مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على أيدى المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا فى الثواب والاجر وأقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفى أوائلهم أبو سفيان والغيداق بن وائل وأقبلوا يستأذنون أبا بكر فى الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال لابى بكر لا تأذن للقوم فان فى قلوبهم حقائد وضغائن والحمد لله الذى كانت كلمته هى العليا وكلمتهم هى السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ونحن مع ذلك نقول ليس مع الله غالب فلما أن أعز الله دينا ونصر شريعتنا أسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا أن جند الله قد نصروا على الروم أتونا للنعيش بهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب أن لا نقربهم فقال أبو بكر لا أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرا قال وبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب فأقبلوا يجمعهم الى أبى بكر الصديق فى المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين وعمر بن الخطاب عن يساره وعلى بن أبى طالب عن يمينه والناس حوله فأقبلت قريش الى أبى بكر فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتشاوروا فيمن يكون أولهم كلاما فكان أول من تكلم أبو سفيان بن حرب فاقبل على عمر بن الخطاب وقال يا عمر كنت لنا مبغضا فى الجاهلية فما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك فى قلوبنا لان الايمان يهدم الشرك وأنت بعد اليوم تبغضنا فما هذه المداراة يا ابن الخطاب قد عاد حديثا أما آن لك أن تغسل ما بقلبك من الحقد والتفاخر وانا نعلم انك أفضل منا وأسبق فى الايمان والجهاد ونحن عارفون بمرتبتكم غير منكرين قال فسكت عمر رضى الله عنه واستحى من هذا الكلام فقال أبو سفيان انى أشهدكم انى قد حبست نفسى فى سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن عدوهم منهم انك على كل شئ قدير (قال الواقدى) فاقمت أياما قلائل حتى جاء جيش من اليمن وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدى رضى الله عنه يريد الشام فما زال يتوانى حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعى رضى الله عنه فنزل عند الامام على رضى الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا عليا وقد شهد معه الوقائع وخاض المعامع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم على الخروج مع الناس الى الشام (قال الواقدى) واجتمع بالمدينة نحو من تسعة آلاف فاما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيكم وآمركم بتقوى الله فى السر والعلانية وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشق الى أن يأذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك ابن معد يكرب الزبيدى ومالك بن الاشتر وانزل على المدينة العظمى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب وأقول قولى هذا وان الاجل قد قرب ثم كتب كلمة نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه الى عبد الرحمن وقال له أنت كنت الرسول من الشام وأنت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن وسار على مطيته يطوى المنازل والمناهل الى أن وصل الى دمشق (قال حدثنى) نافع بن عميرة قال لما بعث خالد بن الوليد الكتاب الى أبى بكر الصديق ارتحل يريد دمشق وكان أهلها قد سمعوا بقتل بطريقهم وأبطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك باجنادين فخافوا وتحصنوا بدمشق

فرعون اذا أكمل الزرع فى كل سنة يرسل مع قائدين من قواده أردب قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائدان فى كل قرية فان وجدا أحد القائدين موضعا بائرا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فربما رجع القائدان ولم يجدا موضعا لمذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع ولما أراد الله هلاك فرعون خرج فى طلب

وأعدوا آلة الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام والصلبان فلما أخذوا على أنفسهم أشرف عليهم الامير خالد بن الوليد والجيش قد زاد عمرو بن العاص في تسعة آلاف ويزيد بن أبي سفيان في ألفين وشرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة في ألفين وأقبل السواد من ورائهم معاذ بن جبل في ألفين فلما رأى أهل دمشق عسكر المسلمين مثل البحر الزاخر أيقنوا بالهلاك وأقبل خالد في جيش الزحف فنزل على الدير المعروف به وبينه وبين المدينة أقل من ميل فلما نزل هناك دعا بالامراء فأحضرهم فقال لابي عبيدة أنت تعلم ما ظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم في أثرنا فامض بمن معك من أصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فيأخذوك بمكرهم ولتكن متباعدا عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج واجعل فقال الناس دولا ولا يضق صدرك من كثرة المقام ولا تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين فقال أبو عبيدة حبا وكرامة ثم انه خرج حتى انه نزل بباب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب (قال الواقدي حدثني مسلمة بن عوف عن سالم بن عبد الله عن حجاج الانصاري قال قلت لجدي رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان في خيل أبي عبيدة فقلت يا جداه ما منع أبا عبيدة أن ينصب له قبة من بعض قبب الروم مما أخذه من أجنادين ومن بصرى ممن كان عندهم ألوف من ذلك فقال يا بني منعهم من ذلك التواضع ولم يقنا فسوا في زينة الدنيا وملكها حتى ينظر الروم أنهم لا يقاتلون طلبا للملك وانما يقاتلون رجاء ثواب الله تعالى وطلب الآخرة ونصرة للدين ولقد كنا ننزل فننصب خيامنا وخيام الروم بالبعد قال فلما نزل أبو عبيدة على باب الجابية أمر أصحابه بالقتال ثم ان خالدا استدعى يزيد بن أبي سفيان وقال له يا يزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك وان خرج اليك أحد لا يكون لك به طاقة فابعث الي حتى أنجدك ان شاء الله تعالى ثم استدعى بشرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انزل على باب توما ثم وجه بقومه واستدعى بعمرو بن العاص وأمره أن يسير الى باب القواديس ثم استدعى بعده بقيس بن هبيرة وقال له اذهب بقومك الى باب الفرج ثم نزل خالد على الباب الشرقي ودعا بضرار بن الازور رضي الله عنه وضم اليه ألفي فارس وقال له تطوف حول المدينة بعسكرك وأن دهمك أمر أو لاحت لك عيون القوم فارسل الينا قال ثم سار ضرار واتبعه قومه وبقي خالد على الباب الشرقي ثم قدم عبد الرحمن بن حميد من المدينة بكتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعدل الى ناحية خالد بن الوليد على الباب الشرقي وقد تقدم للقتال طائفة من أصحابه مع رافع بن عميرة فلما رفع اليه الكتاب فرح بعد ان قرأه على المسلمين واستبشر بقدوم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وأبي سفيان بن حرب قال وشاع الخبر عند جميع الناس وبعث خالد كتاب أبي بكر الى كل باب فقرئ على الناس وبات الناس متأهبين للحرب يتحارسون الى الصباح وضرار يطوف حولهم ولا يقف في مكان واحد مخافة أن يكبس بهم العدو (قال الواقدي) وقد بلغني ان أهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم ما لنا الا الصلح ونعطي العرب جميع ما طلبوه منا وقال آخرون ما نحن بأكثر من جوع أجنادين فقال لهم رجل من الروم اطلبوا الناصح للملك توما نتشاور في هذا الامر لنسمع ما يقول ونطلب منه أن يكشف عنا ما نحن فيه فاما أن يصالحهم واما أن يحامي عنا فقال فمضى القوم الى توما وعليه رجال موكلون بالسلاح فقالوا لهم ما الذي تريدون فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره في هذا الامر قال فاذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ما الذي تريدون فقالوا أيها السيد انظر ما نزل بنا دنا وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به فاما أن نصالح العرب على ما طلبوا واما أن نرسل الى الملك فينجدنا أو يمانع عنا فقد أشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك منهم تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم أطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم أهلا للقتال ولا هم خاطرون لي على بال فلو فتح لهم الباب ما جسروا أن يدخلوا فقالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل العشرة والمائة وصاحبهم داهية لا تطاق فان كان ولا بد فاخرج بنا لقتالهم فقال لهم توما انكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح وأما القوم فهم حفاة عراة فقالوا له أيها السيد ان معهم من عددنا وأسلحتنا كثيرا مما أخذوه من واقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكلوس وعزازير ومما أخذوه من أجنادين وأيضا ان نبيهم قال لهم ان من قتل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك يبقون عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم قال فضحك من قولهم وقال لهم لأجل ذلك أطمعتم العرب فينا ولو صدقتم

موسى عليه السلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائة ألف حصان أدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال

في الحرب والصدام لقتلتموهم لانكم اضعافهم مرارا فقالوا أيها السيد اكفناهؤنتهم كيف شئت واعلم انك ان لم تمنعهم عنا قصدناهم الابواب وصالحناهم فلما سمع توما كلامهم فكر طويلا وخشي ان تفعل القوم ذلك فقال انا أصرف عنكم هؤلاء العرب وأقتل أميرهم وأريدمنكم ان تقاتلوا معي فقالوا نحن معك وبين يديك نقاتل حتى نهلك عن آخرنا فقال لهم باكروا القوم بالقتال فانصرفوا عنه وهم له شاكرون وبأمره منتظرون وباتوا بقية ليلتهم على الحصن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخالد بن الوليد عند الدير ومعه النساء والعيال والأموال والغنائم التي غنموها من أعدائهم ورافع بن عميرة على الباب الشرقي في عسكر الزحف وغيرهم ولم يزل الناس في الحرس الى أن برق الصباح وصلى كل أمير بمن معه من قومه وصلى أبو عبيدة بمن معه ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لهم لا تخلوا عن القتال واركبوا الخيل (حدثني) رفاعة بن قيس قال سألت والدي قيسا وكان ممن حضر فتوح دمشق الشام فقلت له أكنتم تقاتلون في دمشق خيالة أو رجالة يوم حصار المسلمين فقال ما كان أحد منا فارسا الا زهاء من ألفي فارس مع ضرار بن الازور وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب وقف عنده وحرض أهله على القتال وهو يقول صبرا صبر الأعداء الله قال وأقبل توما صهر الملك هرقل من بابه الذي يدعى باسمه وكان عندهم عابدا راهبا ولم يكن في بلاد الشرك أعبد منه ولا أزهد في دينهم وكان معظما عند الروم فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الاعظم على رأسه وعلابه فوق البرج وأوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله ذو والمعرفة قال ونصبوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدم توما ووضع يده على أسطر من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا لأعدائنا واخذل الظالم منا فانك به عليم اللهم انا ننتقرب اليك بالصليب ومن صلب على دينه وأظهر الآيات الربانية والافعال اللاهوتية انصرنا على هؤلاء الظالمين قال وأمن الناس على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حدثني شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي فسر لنا هذا الكلام وماس صاحب بصرى وكان في جيش شرحبيل بن حسنة يقاتل على باب توما وكلما قال الروم شيأ بلغتهم فسره لنا قال ونهض شرحبيل وقصد الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين وقال له يا لعين لقد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب أحياه متى شاء ورفعه متى شاء ثم ان روماس ناوشه بالقتال فقاتل الملعون توما قتالا شديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا وكان ممن جرح أبان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة وكانت مسمومة فاحس بلهيب السم في بدنه فنأخر وحمله اخوانه الى أن أتوا به الى العسكر فاراد واحل العمامة فقال لا تحلوها فان حللتم جرحي تبه تمار وحي أما والله لقد رزقني الله ما كنت أتمناه قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته فلما حلوها شخص الى السماء وصار يشير باصبعيه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فما استتمها حتى توفي الى رحمة الله تعالى وكانت زوجته بنت عمه وكان قد تزوجها بأجنادين وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب من يديها ولا العطر من رأسها وكانت من المتبرجلات البازلات من أهل بيت الشجاعة والبراعة فلما سمعت عوت بعلها أتته تتعثر في أذيالها الى أن وقعت عليه فلما نظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنيئا بما أعطيت ومضيت الى جوار ربك الذي جمع بيننا ثم فرق ولا جهدن حتى ألحق بك فاني لمشوقة اليك حرام علي أن يمسني بعدك أحد وانى قد حبست نفسي في سبيل الله عسى أن ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد فلما غيب في التراب لم تقف على قبره دون أن أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك وكالت على أي باب قتل بعلي فقيل لها على باب توما والذي قتله هو صهر الملك قال فسارت الى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم يرمثله وكانت أرمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة قال شرحبيل بن حسنة رأيت يوم حصار دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو أمام توما وهو يشير اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به اللهم اظهر له نصرته وأعل درجته قال شرحبيل بن حسنة وأنا أيما أنظر اليه اذ رمته زوجة أبان بنبلة فلم تخطئ رميتها واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكاني أنظر لمعان الجوهر من جوانبه فما فينا الا من بادر اليه ليأخذه وقد استتر بالدرق وتزاحم بعضنا على بعض كل منا يسبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس

يوشع بن نون يا كليم الله اين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه السلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال ههنا فكسع حزقيل فرسه أي نخسها بلجامها حتى طاز الزبد من شدقيها ثم أدخلها فارتسبت في الماء أي غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر

الصليب الاعظم واهوائه الى المسلمين فعند ذلك كفر وعظم عليه الامر وقال يبلغ الملك أن الصليب الاعظم أخذ مني وملكته العرب لا كان ذلك أبدا ثم انه حزم وسطه وأخذ سيفه وقال من شاء معكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بد لي من القوم عسى أن أشفي صدري ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب وكان هو أول مبادر فلما نظرت الروم الى ذلك لم يكن فيهم الا من انحدر في أثره لما يعلمون من شجاعته وخرجوا كالجراد المنتشر هذا والمسلمون محيطون بالصليب فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانقردوا الاعداثهم وحملوا في اعراضهم وأخذهم الشباب والحجارة من كل مكان من أعلى الباب فصاح شرحبيل بن حسنة معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لئلا منوا الشباب من أعداء الله العالين على الباب قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى أن أمنوا من ضرب الشباب فاتبعهم عدو الله توما وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله أبطال المشركين من قومه وهو يهدر كالجمل فلما نظر شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه وقال معاشر الناس كونوا آيسين من أحيائكم طالبين جنة ربكم وارضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم واقربوا اليهم بارك الله فيكم قال فحمل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم ببعض وعملت بينهم السيوف وتراموا بالنبل وتسامع أهل دمشق أن توما خرج الى العرب من بابه وان صليبه الاعظم سقط اليهم من كف حامله فجعلوا يهرعون الى أن تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا ولا ينظر الصليب خفانت منه التفاتة فنظر فرأى مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر اليه لم يكن له صبر دون أن حمل وصاح هات الصليب لا أم لك فقد لحقتك بوائقه قال ونظر شرحبيل بن حسنة الى عدو الله وهو مقبل فرمى الصليب من يده وصادمه فلما رأى عدو الله الصليب مرميا على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت زوجة أبان بن سعيد الى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت من هذا قبيل هو صهر الملك وهو قاتل بملك أبان بن سعيد فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى أن قاربته ورمته بنبلة وكان الروم أرهبوها فلم تلتفت اليهم دون أن حققت نبلتها على صاحبها وقالت بسم الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقتها وكان عدو الله واصلا الى شرحبيل اذ جاءته النبلة فأصابت عينه اليمنى فكنت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت أن ترميه بأخرى فتبادرت اليها الرجال واستروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين يحامون عنها فلما أمنت من شر الاعداء أخذت ترمي بالنبل ثم انها رمت عاجلا من الروم فأصابت صدره فسقط هو بالى الارض وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة عظيمة الى أن دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك فصرخ بأصحابه يا ويلكم دونكم وكلاب الروم احملوا على الكلاب عسى أن تدركوا عدو الله قال فحمل الناس على الروم الى أن أوصلوهم الى الباب فحماهم قومهم من أعلى الباب بالحجارة والنشاب قال فتراجع الناس الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصلبهم ودخل عدو الله توما الى المدينة وأغلقوا الابواب وجاءا لحكماء يعاجلون في قلع النبلة من عينه فلم تطاع فجذبوها فلم تنجذب وهو يضج بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا حيلة في اخراجها نشروها وبقي النصل في عينه ولم تزل في مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى وجلس داخل الباب الى أن سكن ما به وخف عنه الالم فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك فقد نكبنا في يومنا هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا مما وصل الينا من النبال وقد علمنا أن القوم لا يصطلي لهم بنار وقد سألناك أن تصالح القوم على ما طلبوه منا قال فغضب توما من قولهم وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعيني واغفل عن هذا ويبلغ الملك عني ذلك فينسبني للوهن والعجز ولا بد من طلبهم على كل حال وآخذ صليبي وآخذ في عيني ألف عين منهم وسأوقع حيلة أصل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه وبعد ذلك أسير الى صاحبهم الذي هو في الحجاز وأقطع آثاره وأخرب ديارهم وأهدم مساكنه وأجعل بلده مسكنا للوحوش ثم ان الملعون سار الى أعلى السور وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب وأقبل يقول لهم لا تفزعوا ولا تجزعوا مما ظهر لكم من العرب ولا بد للصليب أن يرميهم وأنا الضامن لكم قال فثبت القوم من قوله وحاربوا بأشد بأس وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم فقال الرسول ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه ما لم يكن في الحساب ونطلب منك رجالا لان الحرب عندنا اكثر من كل باب فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله وقال

فضربه فانفلق فاذا هو مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينها مسالك فدخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فاغرقوا جميعا ولما أراد موسى أن يسير بني اسرائيل ضل عنه الطريق فقال ما هذا فقال علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه

كيف أخذتم الصليب من الروم فقال الرسول كان يحمل صليب الروم رجل وهو امام توما صهر الملك فرمته زوجة أبان ببغلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان ببغلة فاشتبكت في عين توما اليمنى فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذي يمنعهم عن الصلح ونرجو امن الله أن يكفينا شره ثم قال للرسول عد الى شرحبيل وقل له كن حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بأبا القرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك قال فرجع الرسول فاخبره بذلك فصبروا قاتل بقية يومه ووصل الخبر الى أبي عبيدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك قال ولما أصبح الصباح بعث توما الى أكابر دمشق وأبطالهم فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف عليكم قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد أتوا يسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك الحريم وسبي الاولاد وتكون نساؤكم جواري لهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب الا عضبا عليكم مما أضمرتم لهذا الدين من مصالحة المسلمين واذلالكم للصليب وأنا قد خرجت ولولا أني أصبت بعيني لما عدت حتى أفرغ منهم ولا بد من أخذ ثاري وان أقلع ألف عين من العرب ثم لا بد ان أصل الى الصليب وأطأ الههم به عن قريب فلما سمعوا كلامه قالوا له ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك فان أمرتنا بالخروج خرجنا معك وان أمرتنا بالقتال قاتلنا فقال توما اعلموا أن من خاض الحروب لم يخف من شئ وانى قد عزمت على أن أهجم هذه الليلة وأكبسهم في أماكنهم فان الليل مهيب وانتم أخبر بالبلد من غيركم فلم يبق الليلة منكم أحد حتى يذهب للحرب ويخرج من الباب وارجوان لا أعود حتى تنقضي الاشغال فاذا فرغت من القوم أخذت أميرهم أسيرا وأحمله الى الملك يأمر فيه بأمره فقالوا احسنت وكرامة فعند ذلك فرق القوم على الباب الشرقي فرقة وعلى باب الحابية فرقة وعلى كل باب جماعة وقال لهم لا تخرجوا فان أمير القوم متباعد عنكم وليس هذا لك الا الاراذل والموالي فاطمأنوا وهم طمعان الحصيد قال ودعا بفرقة أخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج توما من بابه وأخذ معه أبطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا أخذه معه ورتب على الباب نافوسا وقال لهم اذا سمعتم الناقوس فهي العلامة التي بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى أعدائكم ولا تجدوا رجالا نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم في هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها أبدا قال ففرح القوم بذلك وخرجوا الى حيث أمرهم وقعدت كل فرقة على بابها وأقاموا ينتظرون صوت الناقوس ليبادروا الى المسلمين قال ودعا توما برجل من النصارى وقال له خذ هذا نافوسا واعل به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وقد سار توما بقطعة من جيشه على بهم الدروع وبايديهم السيوف ونوما في أوائلهم وبيده صفيحة هندية والقى على رأسه بيضة كسروية كان هرقل قد أهداها له وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل الى الباب ثم وقف حتى تكامل القوم فلما نظر اليهم قال يا قوم اذا فتحنا لكم الباب فاسرعوا الى عدوكم وجدوا في سعيكم الى أن تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا وامكنوا السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم الصليب فليأخذوه فقالوا احسنت وكرامة ثم أمر رجلا من أصحابه أن يسير الى الذي بيده الناقوس ويأمره أن يضربه ضربة خفيفة ثم فتح الباب وتبادر الرجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في غفلة عما دبر القوم لهم الا انهم في يقظة فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وثاروا بالرجال من أماكنهم كالاسد الضارية فلم يصل اليهم العدو الا وهم على حذر وحملوا عليهم وهم في غير ترتيب فتقاتل القوم في جنح الظلام وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل مما سمع من الزعقات فصاح واغوثاه واسلاماه كيد قوم بي رب الكعبة اللهم انظرهم بعينك التي لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين وسار خالد ومن معه وهم أربعمائة فارس من أصحابه وهو بغير درع قد لبس ثوب كان من عمل الشام مكشوف الرأس ثم جد في المسير والاربعمائة فارس معه كانهم الليوث العوابس الى أن وصلوا الى الباب الشرقي واذا بالفرقة التي هناك قد هاجمت أصحاب رافع بن عميرة الطائي قال وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد أشرفوا وصاحوا عند ما استيقظ لهم المسلمون فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته أبشروا يا معاشر المسلمين أنا كم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد وحمل في أوساط الناس عن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتغل القلب

منها فقال موسى أيكم يدري مكان قبره فلم يكن علم قبره الا عند عجوز عياء فدلتهم عليه بعد ان اشترطت على موسى رد بصرها وشبابها وكونها رفيقته في الجنة فأجابها الى ذلك فنقلوا تابوت يوسف بعد ان مات بنحو من ثلاثين سنة ودفن ببيت المقدس وغرق مع فرعون من أشراف أهل مصر وأكابرهم أكثر من ألفي ألف فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاجمع رأيهن على ان ولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ذات عقل

على أبي عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم قال وتصايح الروم والنصارى واليهود (قال سنان بن عوف) قلت لابن عمي قيس هل كانت اليهود تقاتلكم قال نعم تقاتلونا من أعلى الاسوار ويرموننا بالسهام وخشي خالد على شرحبيل بن حسنة مما وصل اليه من عدو الله ثم مالأنه ملازم الباب قال ولقي شرحبيل ابن حسنة من عدو الله ثم أمرا عظيما لم يلق أحد مثله وذلك أنه هجم عليه ثم ما في تلك الليلة وكان أول من وصل الى المسلمين عدو الله ثم ما قال فصبروا له صبرا الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وهو ينادي أين أميركم الذميم الذي أصابني أنا وكان الملك الرحيم أنا ناصرا الصليب قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته وقد جرح رجالا من المسلمين وقال له ها أنا صاحبك وغريمك أنا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه ثم ما عطفة الأسد ورأى من شرحبيل بن حسنة أمرا هائلا ولم يزالوا كذلك الى أن زال من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت زوجة أبان مع شرحبيل ركانت في تلك الليلة أحسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا في رجل من المشركين الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتعادون عنها الى أن لاح رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة في نحره قال فصرخ بالروم فهاجموها وأخذوها أسيرة ومات عدو الله الذي رمته قال ولقي شرحبيل من الروم مالا يلقاه أحد وانه ضرب ثمانية ضربة فقتلها قال المعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن انه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد أشرفا من ورائهما مع كتيبة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بزوجة أبان قد خلصت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها فارسان فبرز لهما عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فقتلا الرجلين ورجع عدو الله ثم ما هاربا الى المدينة ﴿ قال حدثني ﴾ تميم بن عدي وكان ممن شهد الفتوحات قال كنت في خيمة أبي عبيدة وذلك أن أبا عبيدة كان يصلي فيها اذا سمع الصياح فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ورتب قومه ودنا من القوم فنظر اليهم وهم في المجمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة الى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون فلما سمع المشركون تكبيرهم ظنوا أن المسلمين قد دهموهم من ورائهم في جمع كثير فولوا راجعين فتلقاهم أبو عبيدة وقومه وأخذوا عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم (قال الواقدي) ولقد بلغني انه ما سلم من الروم تلك الليلة أحد من الذين هم غرماء أبي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم فبينما هم في القتال اذ أشرف عليهم ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء فقال له خالد ما وراءك يا ضرار فقال أبشر أيها الملك الامير ما جئتك حتى قتلت في ليلتي هذه مائة وخمسين رجلا وقتل قومي ما لا يعد ولا يحصى وقد كفيتكم مؤنة من خرج من الباب الصغير الى يزيد بن أبي سفيان ثم عطفت الى سائر الابواب فقتلت خلقا كثيرا قال فسر بذلك خالد بن الوليد ثم سار واجتمعا حتى أتوا شرحبيل بن حسنة وشكر وافعله وكانت ليلة مقمرة لم يلق مثلها الناس فقتلوا في تلك الليلة ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار أهل دمشق الى توما وقالوا له أيها السيد انا قد نصحناك فلم تسمع لقولنا وقد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير لا يطاق يعني خالد بن الوليد فاصلح فهو أصلح لك ولنا وان لم تصالح صالحنا وأنت وشأنك فقال ياقوم امهلوني حتى أكتب الى الملك وأعلمه بما نزل بنا فكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من صهرك توما أما بعد فان العرب محدقون بنا كحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا أهل أجنادين ورجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتلة عظيمة وقد خرجت اليهم وأصيبت عيني وقد عزمت على الصلح ودفع الجزية للعرب فاما أن تسير بنفسك واما أن ترسل لنا عسكرا تجندنا بهم واما أن تأمرنا بالصلح مع القوم فقد تزايد الامر علينا ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به قبل الصباح فلما أصبح الصباح باكرهم المسلمون بالقتال وبعث خالد لكل أمير أن يزحف من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال واشتد الامر على أهل دمشق فبعثوا الى خالد أن أمهلنا فابى خالد الا القتال ولم يزل كذلك الى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك واجتمع أهل البلد وقالوا لبعضهم ما الناصر على ما نحن فيه من الأمر وان هؤلاء ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم أضرينا الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ما طلبوه منكم فقال لهم شيخ كبير من الروم وقد قرأ الكتب السالفة يا قوم والله اني أعلم أنه لو أتى الملك في جيشه جميعا لما منعوا عنكم هؤلاء لما قرأت في الكتاب أن صاحبهم محمدا خاتم المرسلين سيظهر دينه على كل دين فأطيعوا القوم وأعطوهم

ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك في البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أي وجه كان في ساعة واحدة فنفعت بذلك مصر ممن أرادها

ماطلبوا منكم فهو أوفق لكم فلما سمع القوم مقالات الشيخ ركنوا اليه لما يعلمون من علمه ومعرفته بالاخبار والملاحم فقالوا كيف الرأى عندك فنحن نعلم ان هذا الامير الذى على باب شرقى رجل سفاك للدماء فقال لهم ان أردتم تقارب الامر فامضوا الى الذى على باب الجابية وليتكلم رجل يعرف بالعربية ويقول بصوت رفيع يامعاشر العرب الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم مع صاحبكم قال أبو هريرة رضى الله عنه وكان أبو عبيدة قد انفذ رجالا من المسلمين مكشوا بالقرب من الباب مخافة الكبسة مثل الليلة التى خلت وكانت النوبة تلك الليلة لبنى دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسى قال فبينما نحن جلوس فى مواضعنا من الباب اذ سمعنا أصوات القوم وهم ينادون قال أبو هريرة فلما سمعت بادرت الى أبى عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر وقال امض وكلم القوم وقل لهم لكم الامان قال فأتيت القوم وبشرتهم بالامان فقالوا من أنت فقلت أنا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن عبيدة النا أعطوكم الامان والذمام ونحن فى الجاهلية لما غدرنا فكيف وقد هدانا الله الى دين الاسلام قال فنزل القوم وفتحوا الباب واذا هم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر أبى عبيدة تبادر اليهم المسلمون وأزالوا عنهم السلاح الى أن وصلوا خيمة أبى عبيدة فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم عزيز قوم فاكرموه وتكلموا فى أمر الصلح وقالوا انا نريد منكم أن تتركونا كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة وهى الجامع الآن بدمشق فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها قال وكان فى دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة أندار وهى عند دار عبد الرحمن ذرة فكتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه ولا أثبت شهودا وذلك لانه لم يكن أمير المؤمنين فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد قال فقام أبو عبيدة وركب معه أبو هريرة ومعاذ بن جبل ونعيم بن عمرو وعبد الله بن عمر والدوسى وذر الكلاع الحميرى وحسان بن النعمان وجرير ابن نوفل الحميرى وسيف بن سلمة ومعمر بن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو لبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة وعامر بن قيس وعبادة بن عتبة وبشر بن عامر وعبد الله بن قرط الاسدى وجملتهم خمسة وثلاثون صحابيا من أعيان الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وخمسة وستون من أخلاط الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم فأتوه برهائن وقيل ان أبا عبيدة رأى فى منامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تفتح المدينة ان شاء الله تعالى فى هذه الليلة فقلت يارسول الله أراك على عجل قال لا حضر جنازة أبى بكر الصديق قال فاستيقظت من المنام (قال الواقدى) وقد بلغنى أن أبا عبيدة لما دخل دمشق بأصحابه سارت القسوس والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر بالند والعود ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك لانه شد عليهم بالقتال قال وكان هناك قسيس من قسوس الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة للسور مما يلى باب شرقى الذى عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها ان الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة ويعلو دينهم على كل دين فلما كانت تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا وخرج على حين غفلة من أهله وأولاده وقصد خالدا وحده انه خرج من داره وحفر موضعا والآن أريد أمانا لى ولاهلى ولاولادى قال فأخذ خالد عهده على ذلك وأنفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حمير وقال لهم اذا وصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم بأجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وازيلوا السلاسل حتى تدخلوا ان شاء الله تعالى قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد رضى الله عنه وسار واومضى أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج فلما حط فى داره تدرعوا واختر سوا ثم خرجوا وقصدوا الباب وأعلنوا بالتكبير قال فلما سمع المشركون التكبير ذهلوا وعلموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حطوا معهم فى المدينة وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين ووضعوا السيف فى الروم وهم مختلفون بين يديه الى أن وصل الى كنيسة مريم وخالد بن الوليد يأسر ويقتل (قال الواقدى) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش أبى عبيدة وأصحابه سائرون والرهبان سائرون بين أيديهم وما أحد من أصحاب أبى عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد اليهم

وفرغت من بنائه فى ستة أشهر ويقال له جدار العجوز وقد ثبت بالصعيد منه بقايا ولكنهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ من أبنائه أكابرهم وأشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك للرجال ولم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة وجملة من ملك منهم من الرجال عشرة الى أن ظهر بختنصر على بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل ورجع بهم الى أرض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها وأخذ هامن أيدى القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها

ورأى أن لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا قال فنظر اليه أبو عبيدة وعرف فى وجهه الانكار فقال يا أبا سليمان قد فتح الله على يدى المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال (قال الواقدى) ما خاطب أبو عبيدة خالدا يوم الفتح بدمشق الا بالامارة فقال أيها الامير قد تم الصلح فقال خالد وما الصلح لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم وأخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال فقال أبو عبيدة أيها الأمير اعلم انى ما دخلتها الا بالصلح فقال له خالد بن الوليد ذاك لم تزل منعة فلا وأنا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقى لهم حماية فكيف صالحتهم قال أبو عبيدة اتق الله أيها الامير والله لقد صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتب لهم الكتاب وهو مع القوم فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمرى وأنا صاحب رايتك والأمير عليك ولا أرفع السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم فقال أبو عبيدة والله ما ظننت أن تخالفنى اذا عقدت عقدا ورأيت رأيا فالله الله فى أمرى فوالله لقد حقنت دماء القوم عن آخرهم وأعطيتهم الامان من الله جل جلاله وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضى منى من المسلمين والغدر ليس من شيمنا قال وارتفع الصياح بينهما وقد تشخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر أبو عبيدة الى ذلك فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد وهم جيش البوادى من العرب مشتبكون على قتال الروم ونهب أموالهم قال فنادى أبو عبيدة واشكلاه خفرت والله ونقضت عهدى وجعل يحرك جواده ويشير الى العرب مرة بيمينا ومرة شمالا ويقول يا معاشر المسلمين أقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعدوا أيديكم نحو الطريق الذى جئت منه حتى نرى ما نتفق أنا وخالد عليه فلما سمعوا دعاءهم بذلك سكتوا عن القتل وانتهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامراء وأصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل رضى الله عنه ويزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وعمرو بن العاص رضى الله عنه وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنه وربيعة ابن عامر رضى الله عنه وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ونظراؤهم والتقوا عند الكنائس واجتمع هناك فرسان للشورة والمناظرة فقالت طائفة من المسلمين منهم معاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان الرأى ان تمضى الى ما أمضاه أبو عبيدة بن الجراح وتكفوا عن القتال للقوم فان مدن الشام لم تفتح أبدا وهو قول فى انطاكية كما تعلمون وان علم أهل المدن أنكم صالحتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحا ولأن تجعلوا هؤلاء الروم فى صلحكم خير من قتلهم ثم قالوا لخالد الزم ما سلك عليك ما فتحت بالسيف ويعينك أبو عبيدة بجانبه واكتبا الى الخليفة وتحاكما اليه فكل ما أمر به فعلناه فقال لهم خالد بن الوليد قد أجبت الى ذلك وقبلت مشورتكم فأما أهل دمشق فقد أمنتهم الاهذين اللعينين توما وهربيس وكان هربيس المؤمر على نصف البلد ولاه توما حين رجع الامر اليه فقال أبو عبيدة ان هذين أول من دخل فى صلحى فلا تحفر ذمتى رحمك الله تعالى فقال خالد والله لو لا ذمامك لقتلتهم أجمعين ولكن يخرجان من المدينة فلعنهم الله حيث سارا قال أبو عبيدة وعلى هذا وصالحتهما قال ونظر توما وهربيس الى خالد وهو ينازع مع أبى عبيدة تخافا الهلاك فأقبلا على أبى عبيدة معهما من يترجم عنهما وقالا له ما يقول هذا يعنى خالدا قال الترجمان لأبى عبيدة ما تقول أنت وصاحبك فيه من المشاورة ان صاحبك هذا ينزع بدغدرنا فنحن وأهل المدينة دخلنا فى عهدكم ونقض العهد ماهو من شيمكم وانى أسألكم أن تدعونى أن أخرج أنا وأصحابى وأسلك أى طريق أردت فقال أنت فى ذمتنا فاسلك أى طريق شئت فاذا صرت فى أرض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا أنت ومن معك فقال توما وهربيس نحن فى ذمتكم وجواركم ثلاثة أيام أى طريق سلكنا فاذا كان بعد ثلاثة أيام فلا ذمة لنا عندكم فمن لقينا منكم بعد ثلاثة أيام وظفرنا فنحن لهم عبيد ان شاء أسرنا وان شاء قتلنا فقال خالد قد أجبناك الى ذلك لكن لا تحملوا معكم من هذه البلد الا الزاد الذى تتقوتون به قال أبو عبيدة لخالد هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وضع بيننا أنهم يخرجون برجالهم وأموالهم فقال خالد سمحت لهم بذلك الا الحلقة يعنى السلاح فانى لا أطلق لهم شيأ من ذلك فقال توما لابد لنا من السلاح نمنع به عن أنفسنا فى طريقنا ان طرقنا طارق حتى نصل الى بلدنا والا فنحن بين أيديكم فاحكموا فينا بما أردتم فقال أبو عبيدة اطلق لكل واحد قطعة من السلاح ان أخذ سيفا فلا يأخذ رمحا وان أخذ رمحا فلا يأخذ سيفا وان أخذ قوسا فلا يأخذ سكينا فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما يريد كل واحد منا الا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لابى عبيدة انى خائف من هذا الرجل

أحدا حتى بعثت مصر أربعين سنة خراجا ليس بها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ثم ردهم اليها من بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا فى مصر وطمعوا فيها فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقامت دونهم فلما أحت

أعنى خالد بن الوليد فليكتب لى بذلك قال أبو عبيدة ثكلتك أمك انا معاشر العرب لا نغدر ولا نكذب وان الامير أبا سليمان قوله قول وعهده عهد ولا يقول الا الصدق قال فانطلق توماوهربيس بجمعان قومهما ويأمرانهم بالخروج قال وكان الملك له خزانة ديباج فى دمشق فيها زهاء من ثلثمائة حمل ديباج وحمل مذهبة فعزم على اخراجها وأمر قوما فضربت له خيمة من القرظ ظاهر دمشق وأقبلت الروم تخرج الامتعة والاموال والاحمال حتى أخرجوا شيأ عظيما فنظر خالد بن الوليد الى كثرة أحمالهم فقال ما أعظم رحالهم ثم قرأ قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية ثم نظر خالد الى القوم كانهم حمر مستنفرة ولم يلتفت أحد الى أخيه من شدة عجلتهم فلما نظر خالد الى ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعله انما ولكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوة للمسلمين آمين انك سميع الدعاء ثم أقبل على أصحابه وقال لهم انى رأيت أنا رأيا فهل أنتم تتبعونى عليه فقالوا نتبعك ولا نخالف لك أمرا فقال خالد قوموا بخيولكم حتى القيام وأحسنوا اليها ما استطعتم وانجزوا سلاحكم فانى أسير بكم بعد ثلاثة أيام فى طلب هؤلاء القوم وأرجو من الله ان يغنمناها هذه الغنيمة والاموال التى رأيتموها وان نفسى تحدثنى ان القوم ماتركوا فى دمشق متاعا ولا ثوبا حسنا الا وقد أخذوه معهم فقالوا افعل ما تريد فما نخالف لك أمرا ثم أخذوا فى اصلاح شأنهم وتوماوهربيس قد جمعوا مال الرساتيق وجميع المال فلما جمعوه جاؤا به الى أبى عبيدة فقال لهم وفيتم بما عليكم فسيروا حيث شئتم فلكم الامان منا ثلاثة أيام قال يزيد بن طريف فلما سامعوا المال لابى عبيدة ارتحلوا سائرين كانهم سواد مظلم وكان قد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكونوا فى حوار المسلمين قال واشتغل خالد عن اتباعهم بخلاف ما وقع بينهم وبين أهل دمشق فى حنطة وشعير وجدوا فى المدينة منه شيأ كثيرا فقال أبو عبيدة هو للقوم دخل فى صلحهم فكادت الفتنة أن تثور بين أصحاب خالد وبين أصحاب أبى عبيدة واتفق رأيهم أن يكتبوا كتابا الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك وليس عندهم خبرانه مات يوم دخولهم دمشق (قال عطية بن عامر) كنت واقفا على باب دمشق فى اليوم الذى سارت فيه الروم مع توماوهربيس ومعهم استة الملك هرقل قال فنظرت الى ضرار بن الازور وهو ينظر الى القوم ثم زاو يحسر على ما فاته منهم فقلت له يا ابن الازور مالى أراك كالمتحسر أما عند الله أكثر من ذلك فقال والله ما أعنى مالا واغا أنا متأسف على بقائهم وانفلاتهم منا ولقد أساء أبو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور ما أراد أمين الامة الا خير المسلمين وان تحقن دماؤهم وأرواحهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد خير مما طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى أسكن الرحمة فى قلوب المؤمنين وان الرب يقول فى بعض الكتب المنزلة ان الرب لا يرحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال ضرار لعمرى انك لصادق ولكن اشهدوا على انى لا أرحم من يجعل له زوجة وولدا (قال حدثنى) عمرو بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصرى عن واثلة بن الاسقع قال كنت مع خالد بن الوليد فى جيش دمشق وكان قد جعلنى مع ضرار بن الازور فى الخيل التى تجول من باب شرقى الى باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب فيان اذ سمعنا صريرا لباب وذلك قبل فتوح الشام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فاخذناه قبضا بالكف وقلنا ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر فقام على الباب وجعل ينادى بالذى قد أخذناه فقلنا له كلمه حتى يأتى قال فرطن له بالرومية ان الطبر فى الشبكة فعلم انه قد أسر فرجع وأغلق الباب قال فأردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نعضى به الى خالد الامير قال فأتينا به خالد افلما نظر اليه قال له من أنت قال له أنا من الروم وانى تزوجت بحارية من قومى قبل نزولكم علينا وكنت أحبها فلما طال علينا حصاركم سألت أهلها أن يزفوها على فأبوا ذلك وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت أحب أن ألقاها ولنا فى المدينة ملاعب نلعب فيها فوعدتها أن تخرج الى الملاعب فخرجت وتحدثنا فسألتنى أن أخرجها الى خارج المدينة ففتحنا الباب وخرجت أنظر أخباركم فأخذنى أصحابك فنادتنى فقلت ان الطبر وقع فى الشبكة أحذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان على ذلك فقال خالد ما تقول فى الاسلام فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له انها لبست ثياب الرهبانية فأقبل اليها وهى لا تعرفه فقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملنى على ذلك الى

فارس على أهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس على أن يكون ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين الروم وفارس نصفين سبع سنين ثم استجاشت الروم أى ضعفت وظهرت فارس وأحبت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم وديارهم التى بالشام ومصر وكان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت ألم غلبت الروم الآية ثم غلبت الروم فارس فصار الشام كلها وصلح أهل

غررت بزوجي حتى أخذته العرب وترهبت حزنا عليه قال أنا زوجك وقد دخلت في دين العرب قال فلما سمعت ذلك قالت وما تريد قال أن تكوني في الذمة فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالي الى ذلك سبيل وخرجت مع البطريق توما فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكا له حاله فقال له خالد ان أبا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها واعلم ان خالدا يسير وراء القوم فقال أسير معه لعلي أقع بها واقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ثم أقبل اليه يونس الدمشقي زوج الجارية وقال أيها الامير قد عزمت على المسير في طلب هذين اللعينين توما وهربيس وآخذ ما معهما فقال بلى فقال له وما الذي أقعدك عن ذلك قال بعد القوم فبيننا وبينهم أربعة أيام يا ليتها وهم يسيرون سير الخوف وما يمكن اللحوق بهم فقال يونس ان كان تخلفك لبعد المسافة بيننا وبينهم فأنا أعرف الديار واسلك طريقا فنلحقهم ان شاء الله تعالى ولكن البسوازي لحم وجذام وهم العرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا فاقل فسار خالد وأخذ عساكر الزحف وهم أربعة آلاف فارس فأمرهم أن يسيروا بخفق واحمل الزاد ففعلوا ذلك وخالد ومن معه قد سار وا ويونس الدليل أمامهم وهو يتبع آثار القوم وقد أوصى خالد أبا عبيدة على المدينة والمسلمين فلما زيد بن طريف وكان يونس دليلنا قال فرأى آثار القوم وانهم اذا سقط منهم حمل جمل تركوه وسار خالد ومن معه كلما مادوا بلاد الامن بلاد الروم يظنون انهم من العرب المتنصرة من لخم وجذام حتى أشرف بهم الدليل على ساحل البحر ونوى أن يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدوا عن انطاكية ولم يدخلوها خيفة الملك قال فوقع الدليل عند ذلك حيرة في أمره فعدل الى قرية هناك وسأل بعض من الناس فاخبروه ان الخبر قد اتصل الى الملك بأن توما وهربيس قد سلما دمشق للعرب فقم عليهما ولم يدعهما يأتيان اليه وذلك أنه جمع الجيوش وأرسلها الى البرموك خوف أن يقصد توبة جماعة العرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف قلوبهم فبعث الى توما ومن معه ان يسير وا الى القسطنطينية فلما علم يونس ان القوم عدلوا وأخذوا في طلب القبر فكر في ذلك وغاب عن المسلمين فوقف خالد وصلى بالناس واذا بيونس قد أقبل وقال أيها الامير اني والله قد غررت بكم وبلغت الغاية في الطلب قال خالد وكيف الامر قال أيها الامير تمشي آثارهم في هذا المكان رجاء أن ألحقهم وان الملك منعهم من الدخول الى انطاكية لئلا يرعبوا عسكره وأمرهم أن يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وأنتم في جبل هرقل وهو يجمع عسكره ويسير الى حربكم واني خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا فالامر اليك وكل ما أمرتني به فعلت قال ضرار بن الازور فرأيت خالدا وقد انتفع لونه كالخضاب وكان ذلك منه جزعا وما عهدت به ذلك فقلت يا أمير على ماذا عولت فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا من القتل وانما خفت أن يؤتى المسلمون من قبلي واني رأيت قبل فتح دمشق منامات أفزعني وأنا منتظر تأويله وأرجو أن يجعله الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا فقال ضرار خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله تعالى فما الذي رأيت قال رأيت المسلمين في بريه قفرة ونحن سائرون فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحش كثيرة عظيمة أجسامها مهزولة أخفافها وهي لا تكدم برماحنا ونحن نضربها بالسيف فانا وهي لا تكترث فيما نزل بها من الاذى ولا تهلع مما ينزل فلم نزل مثل ذلك حتى اجتهدنا واجتهدت خيولنا وكانى أقبلت على أصحابي وفرقتهم عليها من أربعة جوانب البرية وحملت عليهم فجفلت من أيدينا الى مضايق وتلال وأوديه خصبة فلم نأخذ منها الا اليسير فبينما نحن نطبخ ونشوي من أطايب لحومها واذا هي قد رجعت تطلب الحرب منا فلما نظرت اليها وقد طرحت المضايق والآجام صحت بالمسلمين اركبوا فى طلبها بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها حتى وقعت بها وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون فما بقي منها الا اليسير فبينما أنا فرح وأنا أريد الرجوع بالمسلمين الى وطنهم اذ عثرت فرسي فطارت عمامتي من على رأسي فهويت لآخذها فانتبهت من منامي وأنا مزعوب فهل فيكم أحد يفسره فاني أقول الرؤيا ما نحن فيه قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد يراود نفسه على الرجوع فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أما تفسير الوحوش فهؤلاء الاعاجم الذين نحن في طلبهم وأما سقوط تلك عن فرسك فانه أمر تنحط عليه من رفعة الى خفضة وأما سقوط العمامة عن رأسك فانها عمائم تيجان العرب وهي معرة تلحقك فقال خالد أسأل الله العظيم ان كان تأويل ما رأيته أن يجعله من أمر الدنيا ولا يجعله من أمر الآخرة وبالله أستعين

مصر كله خالصا للروم وليس لفارس منه شئ وذلك في زمن الحديبية سنة ست من الهجرة وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وجعل اليه حرس وجباية خراجها فنزل الاسكندرية فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله على المسلمين وكان من دأب المقوقس أن يصيف بمصر ويشتي بالاسكندرية واستمر حاكما بمصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سنة حتى افتتح عمرو بن العاص رضي الله عنه الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة

وعليه أتوكل فى كل الامور قال ثم سار خالد والدليل أمامهم حتى قطعوا الجبل فلما كانت الليلة التى اردنا أن نصبح فيها القوم أتى مطركا فواه القرب وكان من توفيق الله عز وجل انه حبس القوم عن المسير قال روح بن طريف رضى الله عنه ولقد رأيتنا ونحن نسير والمطر ينزل علينا كافواه القرب طول ليلتنا فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس قال يونس أيها الامير قف حتى أنظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم فقال له خالد بن الوليد أحقا سمعت صياحهم يا يونس قال نعم أيها الامير وأريد منك ان تأذن لى بالمسير اليهم وآتيك بخبرهم قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط بن جعدة وقال له يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر أن يأخذ خبرك القوم فقال المفرط السمع والطاعة لله ولك أيها الامير ثم انطلقا الى أن صعدا على جبل يقال له الابرش والروم تسميه جبل باردة قال المفرط فلما علونا عليه وجدنا مرجا واسعا كثير الجنبات كثير النبات وفيه خضرة عظيمة وان القوم قد أصابهم المطر حتى بل رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اثلاهها فاخرجوها وأخرجوا الديباج ونشروها فى طول المرج وقد نام أكثرهم من شدة السير والتعب والمطر الذى أصابهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا وراجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبى يونس فلما رآنى خالد وحدى أسرع الى وظن أن صاحبى كيد فقال ما وراءك يا ابن جعدة أخبرنى وعجل بالخبر فقلت الخير والغنيمة يا أمير وان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس وقد نشروا أمتعتهم فقال بشرك الله بالخير ثم ظهر لى من وجهه الخير والفرح والسرور فبينما نحن كذلك واذا بيونس قد أقبل فقال له خالد خيرا فقال له أبشر أيها الامير فان القوم أمنوا على أنفسهم ولكن أوص أصحابك أن كل من وقع بزوجتى فلصحفظها فانى أريد من الغنيمة سواها فقال له خالد هى لك ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا قسم أصحابه أربع فرق فأمر ضرار بن الازور على ألف فارس وعلى الالف الثانى رافع بن عميرة الطائى وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وبقى هو فى الفرقة الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى وايا كم أن تخرجوا اليهم دفعة واحدة بل يخرج كل أمير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ثم افترق القوم وحمل ضرار بن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائى ثم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم خالد بن الوليد سار فى آخر القوم حتى وصلوا المرج قال عبيد بن سعيد والله لقد كدنا أن نفتتن من حسن منظره فزعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم باعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها لكم ان شاء الله تعالى ثم عطف خالد بن الوليد رضى الله عنه على الروم وقد نظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد أمامهم فعلموا أنها خيول المسلمين فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها فلما تباعد الروم وهم يظنون ان ليس وراء خالد أحد واذا بضرار بن الازور قد خرج عليهم فى ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطائى بعده وطلع عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما فى أيديهم وقد رفعوا أصواتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيل المسلمين على الروم كانها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس برجاله قاتلوا عن نعمكم فهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان أبدا فانقسمت الروم طائفة معه وطائفة مع اللعين توما فكان من طاب خالدا توما وقد أحدق به خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مقدما بالذهب الاحمر فعدل خالد وحمل عليه وقال يا عدو الله أظننت أنكم تفلتون منا والله تعالى يطوى لنا البلاد وكان توما أعور أعورته امرأة بان قال فحمل عليه وطعنه فى عينه الاخرى ففقأها وأرداه عن جواده وحمل أصحابه على رجال توما وقد وقع الصليب ولله در عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما نظر الى توما وقد سقط عن جواده نزل وجاس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادى قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس (قال الواقدى) ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطائى كنت فى الميمنة مع خالد بن الوليد اذ نظر الى فارس زبه زى الروم وقد نزل عن جواده وهو يقاتل عليجة من نساء الروم وهى تظهر عليه مرة قد فوت أنظرها فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصارعها صراع الاسد قال رافع فدفوت ان أتقدم اليهما فأعينه فقصد الى عشرة من النساء يرمين قوسى بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة حسناء عليها ثياب الديباج قال فوقع الحجر فى جبهة جوادى فانكب على رأسه وكان جوادا شهدت عليه

النبوية فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أتى مصر حاصرها ثلاثة أشهر وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل وكانت السفن تجرى تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلد نزل فى مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى نحو الاسكندرية وكان يعلم أن العرب لا بد لهم أن يملكوا مصر وذلك أنه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا عزم على فقه المقوقس فقهه القسس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك

اليمامة فسقط الجواد ميتا قال فأسرعت في طلبها فهربت من بين يدي كأنها ظبية القناص وهربت النساء من ورائها فلحقتهن وقصدت قتلهن وزعقت عليهن وكنت أريد قتلهن ومالي قصد الا الجارية التي قتلت حصاني فدفوت منها وعلوت بالسيف على رأسها لاقطعها تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها وأقبلت اليها واذا عليها ثياب الديباج وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأخذتها أسيرة من النساء وأوثقتها كافا ورجعت على أثري فركبت جوادا من خيل الروم ثم قلت والله لأمضين وأنظر ما كان من أمر يونس فوجدته وهو جالس وزوجته بجانبه وقد تلطخت بدمائها وهو يبكي عليها فلما رأيتها قلت لها اسلمي فقالت لا وحق المسيح لا اجتمعت أنا وأنتم أبدا ثم أخرجت سكينا كانت معها فقتلت بها نفسها فقلت ان الله عز وجل أبدلك ماهي أعظم منها وعليها ثياب الديباج وشبكة من اللؤلؤ وهي كانها القمر فخذها لك بدلا عن زوجتك فقال أين هي فقلت ها هي معي قال فلما نظرا اليها والى ما عليها من الحلي والزينة وتبين حسنها وجمالها طار طائرا بالرومية وسألهما عن أمرها فرطنت عليه وهي تبكي فالتفت الي وقال لي أتدري من هذه قلت لا فقال هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلي يصلح لها ولا يظهر قتل من طلبها ويفديها بالمال فقال وافتقد المسلمون خالدا فلم يجدوا له أثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد رضي الله عنه عائص في المعركة وقد اللعين هربيس بعد قتل توما فبينما هو يحمل يمينا وشمالا اذ نظر عالجا من علوج الروم عظيم الخلقة أحمر اللون فظن خالد أنه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا لقتله فلما نظر اليه العالج والى حملته فر هاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح واذا هو واقع على الارض على أم رأسه وانقض عليه خالد كالاسد وهو يقول ويلك يا هربيس أظننت انك تفوتني وذلك العالج يعرف بالعربية فقال يا عربي ما انا هربيس فابق علي ولا تقتلني فقال خالد مالك من يدي خلاص الا اذا كنت تدلني على هربيس فاذا دللتني عليه أطلقتك فقال له العالج أنا دلك لتلتك عليه تطلقني فقال خالد نعم لك ذلك فقال العالج يا أخا العرب قم من على صدري حتى أدلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العالج يمينا وشمالا ثم قال لخالد أترى هذا الجبل وهذه الخيل الصاعدة اقصدها فان هربيس فيها قال فوكل خالد بالعالج واحدا وهو وابن جابر ثم أطلق خالد عنانه حتى لحق بهم وصرخ عليهم وقال يا ويلكم أني لكم مني خلاص فلما سمع هربيس ذلك ظنه من بعض العرب فرعق فيه ورجع ورجعت البطارقة بالسلاح فقال لهم خالد يا ويلكم ظننتم ان الله لا يمكننا منكم أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد ثم طعن فارسا فرماه وآخر فأرداه فلما سمع هربيس كلام خالد قال لأصحابه يا ويلكم هذا الذي قلب الشام على أصحابه هذا صاحب بصرى وحوران ودمشق وأجنادين دونكم واياه قال فطمع القوم فيه لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون في قتال الروم ونهب الاموال وكل منهم مشتغل بنفسه قال فتراجلت البطارقة حول خالد لانهم في جبل كثير الوعر وأحاطوا بخالد بن الوليد فعند ها ترجل عن جواده وأخذ سيفه وجفنه وصبر لقتالهم قال حدثني شداد بن أوس وكان ممن حضر وقعة مرج الديباج وقال خالد قد صحت الرؤيا فلما ترجل أقبل يقاتل بنفسه وأقبل اليه هربيس وهو مشتغل بالقتال وأتاه من ورائه وضرب خالدا بالسيف فوقع السيف على البيضة فقدها وقد عممته وانقض السيف من يد هربيس وخاف خالد أن يلتفت الى ورائه فتهجم عليه الروم وخاف ان يفلت هربيس من بين يديه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير كانه مستبشر بشيء أغاثه أو أدركه وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها أن يتمكن من الاعلاج فبينما هو كذلك اذ سمع من المسلمين زعقات وقد أخذت الروم من ورائهم وهم يصيحون بالتهليل والتكبير وقائل يقول لا اله الا الله محمد رسول الله أتاك النصر من رب العالمين أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا الى من معه دون أن فرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال ولما أن سمع اللعين هربيس أصوات المسلمين أراد الهرب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار واستطال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب هربيس ونزلوا فيهم بالسيف حتى أبادوهم عن آخرهم وكان أكثرهم قتلا من يد ضرار بن الازور فلما انكشف الكرب عن خالد ونظر الى ما فعل ضرار قال أفلح والله وجهك يا ابن الازور فعازات مبارك في كل أفعالك أنجح الله أعمالك واصلح ربي حالك ثم سلم على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى المسلمين وقال من أين علمتم مكاني هذا فقال عبد الرحمن يا أمير بينما نحن في قتال الروم وقد نصرنا الله عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم

لم يفضه و يضع عليه قفلا وأنت الآخر اجعل عليه قفلا ونحن نعطيك ما حضر لك من المال الذي ظننت أنه فيه فامتنع وفضه ودخل فلم يجد فيه شيأ من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب راكبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف معلقين بها وكتابة في صدر المكان تملك العرب المدينة في هذه السنة (ولما فتح عمرو بن العاص مصر) واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل الى حاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه

اذ سمعناها تنفاس من الهواء يقول اشتغلتم بالغنائم وخالد قد أحاطت به الروم فلما سمعنا ذلك لم ندر أى مكان أنت فيه وفقدنا شخصك فدلنا عليك عليج كان بيد رجل من أصحابك وقال ان صاحبكم أنا الذى دللته على هربيس وانه معه فى هذا الجبل فسرنا اليك نقال خالد لقد دلنا على عدو نا ودل علينا المسلمين وقد وجب له الحق علينا ورجع خالد وأصحابه الى المسلمين فاما رأوه بادروا سلموا عليه فردعليهم السلام ثم ان خالدا رضى الله عنه دعا بذلك العلج الذى دله على هربيس وقال انك وفيت لنا ونريد أن نوفى لك بما وعدناك لانك نصحت لنا فهل لك أن تكون من أصحاب دين الصلاة والصيام وملة محمد عليه السلام فتكون من أهل الجنة فقال ما أريد بدينى بدلا فأطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى على ظهر جواده يطلب بلاد الروم وحده ثم ان خالدا رضى الله عنه أمر بجمع الغنائم والاسارى فجمع ذلك اليه فلما رأى كثرتها حمد الله تعالى وشكره وأثنى عليه ودعا بدليل يونس النجيب ثم قال له ما فعلت برجتك خذ ثلثه بحدثه معه وما كان من أمرها فعجب من ذلك فقال رافع بن عميرة أيها الامير انى أسرت ابنة الملك هرقل وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته فقال خالد وأين ابنة الملك هرقل فجئت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشاء وتختار ثم قرأ قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ليونس أتريد بها بدلا من زوجتك قال نعم ولكنى أعلم أن الملك هرقل لا يبذلها بالاموال أو يخلصها بالقتال فقال خالد خذها لك الآن فان لم يطلبها فانها فانه يعوضك خيرا منها فقال يونس أيها الامير انك فى مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على الخروج قبل أن يلحق نفير القوم فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد فى مسيره والغنائم امامه والمسلمون فى أثره فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر (قال روح بن عطية) فقطعنا الطريق كلها وما عرض لنا من الروم أحد ونحن نخوض فى وسط ديارا لقوم خوضا فلما وصلنا مرج الصفير عند قنطرة أم حكيم نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما عاينا ها أنكرنا ذلك فأسرع رجال من المسلمين الى خالد يخبرونه بالغبرة قال أيكم يا تينى بخبرها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له صمصعة بن يزيد الغفارى قال أنا أيها الامير ثم نزل عن جواده وكان بجريته يسبق الفرس الجواد لقوة عزمه فورد الغبرة وأختبرها ورجع على عقبه وهو ينادى أيها الامير أدركنا الصابان من ورائنا وهم مصفدون فى الحديد لم يبن منهم غير حمالين الحدق قد عا خالد يونس الدليل عند ما قارب تلك الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون فقال السمع والطاعة ثم دنا من الخيل وقارب هم ثم رجع الى خالد وقال له ألم أقل لك أيها الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد أنفذ هذه الخيل يريدون أن يأخذوا الغنيمة منا فمن أيدى المسلمين فلما سمع الحقوا لك ههنا قريبا من دمشق يعشرون سولا يسألك فى الجارية اما بيعها واما هدية فبينما خالد يتحدث اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس المسوح فأقبل حتى دنا من المسلمين فأوقفوه أمام خالد وقال له قل ما تشاء فقال الشيخ أنا رسول الملك هرقل وانه يقول لك بلغنى ما فعلت برجالى وقتلت توماز وج ابنتى وهتكت حرمتى وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط فيمن معك والآن اما أن تبيع ابنتى أو تهديها الى فالكرم شيمتكم وطبعكم ولا يرحم من لا يرحم والى أرجو أن يقع بيننا الصلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله لا رجعت عنه وعن أهل ملته حتى أملك سريره وما تحت قدميه كما فى علمك وأما ابنتك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل ما قصرت وأما ابنتك فهى لك هدية منا ثم ان خالدا أطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ فى فدائها شيأ فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء الروم هذا الذى أشرت عليكم فلم تقبلوه وأردتم قتلى وسيكون الامر أعظم ولكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء (قال الواقدى) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى أتى دمشق وكان المسلمون وأبو عبيدة قد أسوا من خالد ومن معه فهم فى أعظم القلق والاياس اذ قدم عليهم خالد رضى الله عنه والمسلمون فخرجوا الى لقائه وهنؤه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد فى دمشق عمرو بن معد يكرب الزبيدى ومالك بن الاشتر النخعى ومن كان معهما وأقبل خالد الى جانب أبى عبيدة وهو يحدثه بالاقى فى غزوته وأبو عبيدة يتعجب من شجاعته وجسارته فلما استقر بخالد مكانه أخرا لخمس من الغنائم وفرق الباقى على المسلمين ثم ان خالدا أعطى من ماله ليونس وقال خذ هذا المال فتزوج به أو اشتر به جارية لك من بنات الروم قال يونس والله لا أتزوج فى هذه الدار أى دار الدنيا زوجة أبدا وما أريد الا ان أتزوج فى الآخرة بعينا ء من الحور

المقوقس يسأل الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية فأتى الى عمرو بن العاص رجل بواب على الاسكندرية وقال له أتؤمننى على نفسى وعيالى وأنا أفتح لك الباب فأجابه عمرو لذلك ففتح له الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فملكوها وأسروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وعشرين ثم رجع عمرو الى مصر وأراد أن يبنى مدينة الفسطاط وسبب تسميتها بذلك أنه لما وصل الى مصر نصب له خيمة تسمى

العين قال رافع بن عميرة الطائي فشهدت معه القتال الى يوم اليرموك فما كنت أراه في حرب الا ويجاهد جهادا عظيما وقد أبلى في الروم بلاء حسنا وأتاه سهم في لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى قال رافع فحزنت عليه وأكثرت من الترحم عليه فرأيته في النوم وعليه حال تلمع وفي رجليه نعلان من الذهب وهو يجول في روضة خضراء فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي وأعطاني بدل امرأتي سبعين حوراء لو بدت واحدة منهن في الدنيا لكف ضوء وجهها نور الشمس والقمر لخفزاكم الله خيرا فقصصت الرؤيا على خالد فقال ايس والله سوى الشهادة طوبى لمن رزقها (قال الواقدي) ولقد بلغني ان خالدا رضي الله عنه لما رجع من غزوته ومسيره غائظن ان الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين لم يقبض فيهم ان يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما فتح من الروم وأبو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلم ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عاد خالد بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام خالد بن الوليد أما بعد سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انا لم نزل في مكابدة العدو على حرب دمشق حتى أنزل الله علينا نصره وقهر عدوه ونقبت دمشق عنوة ما السيف من باب شرقي وكان أبو عبيدة على باب الجابية فخدعته الروم وصالحوه على الباب الآخر ومنعني أن أسبي وأقتل ولفيناه على كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه القسوس والرهبان ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك توما وآخر يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم وأحمال جسيمة فسرت خلفهما في عساكر الزحف وانتزعت الغنيمة من أيديهما وقتلت الملعونين وأسرت ابنة الملك هرقل ثم أهديتها اليه ورجعت سالما وأنا منتظر أمرك والسلام عليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوردها والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قفرأ عنوان الكتاب واذا هو من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة أبي بكر رضي الله عنه فقال لا يا أمير المؤمنين فقال قد وجهت بذلك كتابا الى أبي عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن ان أبا عبيدة يرد الخلافة لنفسه فسكت وقرأ الكتاب فقال أصحاب السير في حديثهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم في أول الكتاب ممن روى فتوح الشام ونقلوها عن الثقات منهم محمد بن اسحق وسيف بن عمر وأبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي رضي الله عنهم كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة كالوا جميعا في أخبارهم انه لما قبض أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وولي الامر بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله من العمر اثنتان وخمسون سنة فبايعه الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته أحد لا صغير ولا كبير وانقطع في امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوي السلطان في امارته وضعف كيد الشيطان وظهر أمر الله وهم كارهون ومن أموره ان يجلس مع الفقير ويتلطف بالناس والمسلمين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى أهله ولا تأخذه في الله لومة لائم وكان في امارته يدور في أسواق المدينة وعليه مرقعة وبيده درته وكانت درته أهيب من سيف الملوك وسوطكم هذه وكان قوته في كل يوم خبز الشعير وادمه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح تزهدا واحتياطا وترفقا على المسلمين ورافة ورحمة لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله شاغل عن أداء الفريضة وما أوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها ولقد تولى والله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة فجد في التشمر وترك عن نفسه التكبر ولقد كان أحرقه خبز الشعير والملح واراد أكل الزيت واليابس من التمر وربما أخذ شيأ من السمن ويقول أكلت الزيت وخبز الشعير والملح والجوع أهون غدا من نار رحمهم من حل بها لم يجد فيها راحة أبدا فرارها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون جند الجنود في امارته وبعث العساكر وفتح الفتوحات ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار رضي الله تعالى عنه (قال الواقدي) رحمه الله تعالى ولقد بلغني أن هرقل لما بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد ولي الامر من بعد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جمع الملوك والبطارقة وأرباب دولته وقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له في كنيسة القسيسين وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت أحذركم منه فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم بولاية هذا الرجل الاسمر وقد

الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة وجد فيها عشا فيه عمامة قد فرخت فيه فتركه القمة لاجلها شفقة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له تنزل في أي مكان قال مكان الخيمة التي تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جيدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية خربت بسبب الافرنج ومجيئهم الى ديار مصر وبني عمرو بن

مابعد لولاية صاحب الفتوح المشئمة بنوح والله ثم والله لابد أن علك ماتحت سربرى هذا الحذر ثم الحذر وقبل وقوع الامر ونزول الضرر وهدم القصور وقتل الفسوس وتبطيل الناقوس هذا صاحب الحرب والجالب على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد فى دنياه وهذا الغليظ على من اتبع فى غير ملته هواه وانى أرجوا لكم النصران أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم المسيح فى أداء المفروضات ولزوم الطاعات وترك الزنا وأنواع الخطايا وان أبيتم الا الفساد والفسوق والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله عليكم عدوكم و يبلوكم بما لاطاقة لكم به واقد أعلم أن دين هؤلاء سيظهر على كل دين لايزال أهله بخير مالم يغيروا و يبدلوا فاما أن ترجعوا اليه واما أن تصالحوا القوم على أداء الجزية فلما سمع القوم ذلك نفروا و بادروا اليه وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه ولاطفهم وقال لهم انما أردت أن أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف العرب من قلوبكم أم لا ثم استدعى برجل من المتنصرة يقال له طليعة بن ماران وضمن له مالا وقال له انطلق من من وقتك هذا الى يثرب وانظر كيف تقتل عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم أيها الملك ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حولها واذا بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج يشرف على أموال اليتامى و يفتقد حداثهم فصعد المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بأوراقها واذا بعمر رضى الله عنه قد أقبل الى أن قرب من الشجرة التى عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر فلما نام فهم المتنصر أن ينزل اليه ليقتله واذا بسبع قد أقبل من البرية فطاف حوله وأقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر عدلت فامنت فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ذهب السبع ونزل المتنصر وترامى على عمر رضى الله تعالى عنه فقبل يديه وقال بأبى أنت وأمى أفدى من الكائنات من السباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم أعلمه بما كان منه وأسلم على يديه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه كتب كتابا لابى عبيدة ابن الجراح يقول فيه قد وليتك على الشام و جعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد بن الوليد والسلام ثم سلم الكتاب الى عبد الله بن قرط وأقام قلقا على مايرد عليه من أمور المسلمين وصرف همته الى الشام (قال الواقدى) حدثنى رافع بن عميرة الطائى قال حدثنى يونس بن عبد الاعلى وقد قرأت عليه بجامع الكوفة قال حدثنى عبد الله بن سالم القرشى عن أشياخه الثقات قال لما كانت الليلة التى مات فيها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رأى عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله تعالى عنه رؤيا قصها على عمر رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكانى أسمع تكبيرهم فى أذنى وعند تكبيرهم و زحفهم رأيت حصنا قد سماخ فى الارض حتى لم أر منه شيأ و رأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكأن نارا أمامه وكأنه وقع على النار فانطفأت فقال الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنهم أجمعين أبشر فقد فتح الشام هذه الليلة أو قال يوملك هذا ان شاء الله تعالى فبعد أيام قدم عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما رآه قال يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة قال مامعك من الخبر فقلت فتح و بشارة وانى سأذكرها بين يدى الصديق رضى الله تعالى عنه فقال قبض والله جيد اوصارا لى رب كريم وقلدها عمر الضعيف فى جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أو خلط هلك قال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقى المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل والتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بتوليته وعزل خالد ثم سامنى الكتاب وأمرنى بالرجوع قال فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما وهو يبس فدفعت الكتاب الى أبى عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر أحدا بموت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم كتم أمره وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم و بما ملكوا من مرج الديباج واطلاق بنت الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط فلما ورد به على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنكر الامر ورجعت حمرته الى البياض وقال يا ابن قرط أما علم الناس بموت أبى بكر رضى الله عنه وتوليتى أبا عبيدة ابن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت لا فغضب وجمع الناس اليه وقام على المنبر ثم قال يامعاشر الناس انى

العاص بها جامعه الكبير ووقف على قبلته سبعون من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وهو أول جامع بنى فى الاسلام بعصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحررت مساحته بمصر بعد أن تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مسافتها مائة ألف ألف فدان تزرع غير البور وكان فيها فى الزمن الاول مائة وخمسون كورة مدينة وثلاثمائة وستون قرية فلما ملكها بختنصر وخربها أعيدت بعد ذلك وصار بها خمس وثمانون كورة مدينة ثم تناقصت حتى صارت فى

أمرت أباعبيدة الرجل الامين وقد رأيته لذلك أهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بني مخزوم أتعزل رجلا قد أشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصر به دينه وان الله لا يدرك في ذلك ولا المسلمين ان أنت أغمدت سيفا وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضي الله تعالى عنه الى الرجل المخزومي فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل عن المنبر وأخذ الكتاب وجعله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه في عزل خالد فلما كان من الغد صلى صلاة الفجر وقام فرقى المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى عليه وترحم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم قال أيها الناس اني حملت أمانة عظيمة اني راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد جئت لاصلاحكم والنظر في معايشكم ومايقربكم الى ربكم أنتم ومن حضر في هذا البلد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد لازرع فيها ولاضرع ولاماء وقربه الابل الامن مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة واني أريدها لخاصة والعامة لأؤدي الامانة والتوقير للمسلمين وليست أني كرهت ولاية خالد على المسلمين الا لان خالدا فيه تبذير المال يعطي الشاعر اذا مدحه ويعطي للجند والفارس بين يديه فوق مايستحقه من حقه ولا يبقي لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ واني أريد عزله وولاية أبي عبيدة مكانه والله يعلم أني ماوليته الا أميناً فلا يقول قائل كم عزل الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين فان الله معه يسدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ جلد أدم منشور وكتب الى أبي عبيدة كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحي فان الله لا يستحي من الحق واني أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفني ماسواه والذي استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد استعملتك على جند ماهالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل الى أرجوا كم النصر فان النصر انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك والتغرير بالقاء المسلمين الى الهلكة وغض عن الدنيا عينيك وألهه عنها قلبك واياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة سترالخمار وقد تقدم فيها سلفك وأنت كانك منتظر سفراو رحيلا من دارقد مضت نضرتها وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل منها الى غيرها ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت وأما الحنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكثرت في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام وأما اختصامك أنت وخالد في الصلح أو القتال فأنت الولي وصاحب الامر وان صلحك جرى على الحقيقة انها للروم فسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وأما هديته ابنة الملك هرقل فهديتها الى أبيها بعد أمرها تفريط وقد كان يأخذ في فديتها مالا كثيرا برجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ثم دعا بعامر بن أبي وقاص أخي سعد ودفع الكتاب اليه وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابي هذا الى أبي عبيدة وأمره أن يجمع الناس اليه واقرأه أنت على الناس ياعامر وأخبره بموت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم دعا عمر رضي الله تعالى عنه بشداد بن أوس فصالحه وقال له امض أنت وعامر الى الشام فاذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك بيعتي (قال الواقدي) فانطلقا يجدان في السير الى أن وصلا الى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وما يأمرهم به فاشرف صاحبا عمر رضي الله تعالى عنه على المسلمين وقد طالت أعناقهم اليهما وفرحوا بقدومهما فأقبلا حتى نزلا في خيمة خالد رضي الله عنه وقال له عامر بن أبي وقاص تركته يعني عمر بخير ومعي كتاب وانه أمرني أن أقرأه على الناس بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن أبي وقاص فقرأ الكتاب فلما انتهى الى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد رضي الله تعالى عنه وقال ان كان أبو بكر قد قبض وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لعمر ومابه أمر وقرأ عامر الكتاب الى آخره فلما سمع الناس بما فيه من أمر المبايعة لشداد بن أوس بايعوه وكانت المبايعة

دولة عمرو بن العاص أربعين كورة وعدة قراها ألفان وثلاثمائة وخمسة وسبعون قرية دون الكنوز وكان خراجها في زمن عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار ثم تغيرت أحوال مصر في دولة الاسلام الى الغاية وخرب غالب قراها وانحط خراجها ولم يزل عمرو بن العاص والياعلى مصر الى ان توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي عثمان ابن عفان فعزله وولى بدله عبد الله بن أبي سرح فلما أتى الى مصر ارتحل عمرو الى المدينة الشريفة فجبى عبد الله بن

بدمشق لثلاث خلت من شهر شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وقد بلغنى أنه كان على العدو بعد عزله أشد فظاعة وأصعب جهاد الا سيما فى حصن أبى القدس

﴿ذكر حديث وقعة أبى القدس﴾

(قال الواقدى) رحمه الله تعالى سألت من حدث بهذا الحديث عن حصن أبى القدس قال ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه دير فيه صوامع وفى صومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة وأخبار الامم الماضية المتقدمة وكانت تقصده الروم وتقتبس من علمه وله من العمر ما ينوف عن مائة سنة وكان فى كل سنة يقوم عند ديره عيد آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحى والسواحل ومن قسطنطين ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروة فيعلمهم ويوصيهم بوصايا الانجيل وكان يقوم فى ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة وكان يحمل له الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة أيام وما كان المسلمون يعلمون بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصرانى من المعاهدين وقد اصطفاه وأمنه وأهله فلما ولى أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد أن يتقرب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فاقبل اليه وأبو عبيدة قد أطال الفكر فيما يصنع وأى بلد من بلاد الروم يقصد فجرة يقول أسير الى بيت المقدس بالجيش فانها أشرف بلدهم وكرسى مملكة الروم بها قيام دينهم ووقتا يقول أسير الى انطاكية وأقصد هرقل وأفرغ منه وبينما هو يفكر فى أمره وقد جمع المسلمين اذ أقبل ذلك المعاهد وكان من نصارى الشام فقال أيها الامير انك قد أحسنت الى وأمنتنى وهبتنى أهلى ومالى وولدى وقد أتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم فان أظفرهم الله بها استغنوا وغنى لا فقر بعده فقال أبو عبيدة أخبرنا ما هذه الغنيمة وأين تكون فما علمتك الا ناصحا فقال أيها الامير انها بازائك على دير الساحل وهو حصن يعرف بأبى القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية ويتبركون بدعائه ويقتبسون من علمه وله فى كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحى والقرى والامصار والضياع والاديرة ويقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم من الديباج والذهب والفضة يقيمون عنده ثلاثة أيام أو سبعة وقد قرب وقت قيام السوق فتأخذون جميع ما فيه وتقتلون الرجال وتسبون النساء والذرارى وهذه غنيمة يفرح بها المسلمون ويوهن لها عدوكم (قال الواقدى) فلما سمع أبو عبيدة ما قاله المعاهد فرح رجاء أن يكون ما قاله المعاهد غنيمة للمسلمين فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير فقال عشرة فراسخ للجد السائر قال أبو عبيدة وكم بقى الى قيام السوق قال أيام قلائل قال أبو عبيدة فهل يكون لهم حامية يلى أمرهم ويصدعهم قال المعاهد لسنا نعرف ما ذكرت فى بلاد الملك لانه لا يصيب بعضنا بعض الهيبة هرقل فى قلوبهم فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال هل بالقرب منه شئ من مدائن الشام قال نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهى مينا الشام اليها تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر وقد أقطعه الملك اياها من تجبره وهو يحضر السوق وما كنت أعهد ان لهذا السوق حامية من الروم الا أن يكون الآن لخوفهم منكم ولو سار الى الدير والسوق أدنى المسلمين لرجوت لهم الفتح ان شاء الله تعالى فقال أبو عبيدة أيها الناس ايكم يهب نفسه لله تعالى وينطلق مع جيش أبعثه فتحا للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم أحد فنادى أبو عبيدة ثانية وانما يريد خالدا بقوله واستحى أن يواجهه فى ذلك لاجل عزله فقام من وسط الناس غلام شاب نبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه وكانت أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وكان أبو جعفر رضى الله تعالى عنه قد مات فى غزوة تبوك وخلف ولده عبد الله صغيرا فتزوجها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما كبر وترعرع كان يقول لامه يا أماه ما فعل بابى فتقول يا ولدى قتله الروم وكان يقول لئن عشت لآخذن بثاره فلما مات أبو بكر وتولى عمر رضى الله تعالى عنهما جاء عبد الله الى الشام فى بعث بعثه عمر مع عبد الله بن أنيس الجهنى وكان فيه مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه وهو أحد أصحاب الاستحياء فلما قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أيها الناس من ينطلق الى هذا الدير وثب عبد الله بن جعفر الطيار رضى الله تعالى عنهما فقال أنا أول من يسير مع هذا البعث يا أمين الامة ففرح أبو عبيدة وجعل يندب له رجالا من المسلمين وفرسان الموحدين وقال له أنت الامير عليهم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له راية سوداء وسلمها اليه وكان على الخيل

أبى سرح خراج مصرفى تلك السنة اربعة عشر ألف الف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو بن العاص وقال له قد درت اللقحة يا عمرو فقال له نعم ولكن جاءت أولادها فان هذه الزيادة التى أخذها عبد الله بن أبى سرح انما هى كلى الجماجم فانه أخذ من كل رأس دينارا خارجا عن الخراج وحصل لاهل مصر بسبب ذلك ضرر شديد وهى أول ثلمة حلت بهم ثم أعيد عمرو بن العاص الى ولاية مصر فى زمن معاوية وأقام أمير ابها الى أن مات

خمسمائة فارس منهم رجال من أهل بدر وكان من جملة من سيره مع عبد الله أبو ذر الغفاري وعبد الله بن أبي أوفى وعامر بن ربيعة وعبد الله بن أنيس وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله السلمي وواثلة بن الاسقع وسهل بن سعد وعبد الله بن بشر وابن السائب بن يزيد ومثل هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم أجمعين (قال الواقدي) ولما أن اجتمعت الخمسمائة فارس تحت راية عبد الله بن جعفر وكانوا منهم الامن شهد الوقائع وخاض المعامع لا يولون الادبار ولا يركنون الى الفرار عوّلوا على المسير وقال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدم على القوم الا في أول قيام السوق ثم انه ودعهم وساروا (قال الواقدي) وكان في هذه السرية مع عبد الله ابن جعفر واثلة بن الاسقع وكان خروجهم من أرض الشام وهي دمشق الى دير أبي القدس في ليلة النصف من شعبان وكان القمر زائد النور قال وأنا الى جانب عبد الله بن جعفر فقال لي يا ابن الاسقع ما أحسن قمر هذه الليلة وأنوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان وهي ليلة مباركة عظيمة وفي هذه تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أردت أن أقومها فقلت ان سيرنا في سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء فقال صدقت ثم اننا سرنا ليلتنا فبينما نحن سائرون اذ أشرفنا على صومعة راهب وعليه برنس اسود فجعل يتأملنا وينظر في وجوهنا فتفقدنا واحدا بعد واحد ثم جعل يطيل النظر في وجه عبد الله ثم قال أهذا الفتى ابن نبيكم فقلنا الا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل بلحق به فقلنا هو ابن عمه فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة فقال عبد الله أيها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته في التوراة والانجيل والزبور وانه صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهر فقال عبد الله فلم لم تؤمن به وتصدقه فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فأعجبنا كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا اذ أتى بنا الى وادٍ كثير الشجر والماء أمرنا أن نكمن فيه ثم قال لعبد الله بن جعفر اني ذاهب أجس لكم الخبر فقال له عبد الله أسرع في مسيرك وعدنا الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا وأقام عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح فلما أصبحنا صلينا صلاة الصبح وجلسنا ننظر رجوع الرسول فلم نأت وأبطأ خبره علينا فقال المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين الا من ظن بالمعاهد شرا الا أبا ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه فانه قال ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافوا من كيد ولا مكر ان له شأنا ستعلمونه قال فسكت الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم قد أقبل قال وائلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا انه يأمر بالنهوض الى العدو فاقبل حتى وقف وسط المسلمين وقال يا أصحاب محمد وحق المسيح بن مريم اني لأكذبكم فيما أحدثكم به واني رجوت لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء فقال له عبد الله رضي الله تعالى عنه وكيف حيل بيننا وبينها قال حال بينكم وبينها بحر عجاج وذلك اني أشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشراء فاجتمع فيه أهل دين النصرانية وقد دارا كثرهم بالدير دير أبي القدس واجتمع اليه القسس والرهبان والملوك والبطارقة فلما نظرت الى ذلك لم أرجع حتى اختبرت ما السبب الذي تجمعت له الخلق زيادة على كل سنة وذلك أني مضيت واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملك من ملوك الروم وقد أتوا بالجارية الى الدير ليأخذوا لها من راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المتنصرة في عددهم وعديدهم كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون أنكم بأرض الشام يا معاشر المسلمين وما أرى لكم صوابا أن تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير وجم غفير وجمع عزير فقال عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه في كم يكون القوم وكم حزرتهم فقال أما السوق نفسه أكثر من عشرين ألفا من عوام الروم والارمن والنصارى والقبط واليهود ومن مصر والشام وأهل السواد والبطارقة والمتنصرة وأما المستعدون للحرب فخمسة آلاف فارس فالكم بالقوم طاقة وان وقع صايح في بلادهم انضاف اليهم أمثالهم فان بلادهم متصلة بهم وأما أنتم فعددكم يسير والعرب منكم بعيد (قال الواقدي) فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر وعلى المسلمين وسقط في أيديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر يا معاشر المسلمين ما الذي تقولون في هذا الامر فقالوا نرى أن لا نلقي بأيدينا الى التهلكة كما أمرنا في كتابه العزيز ونرجع الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه والله لا يضيع أجرنا قال فلما سمع عبد الله قولهم قال أما أنا فاخاف ان فعلت ذلك أن يكتبني الله من الفارين وما أرجع أو أبدي عذرا عند

بهذه الليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ودفن بالمقطم وهو جبل الجيوشي من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فأحب أن يدعوله من مر به من الناس وهو أول أمير مات بمصر

الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم وهو الحسن بن علي وفي دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من النواب والخلفاء الراشدين والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية

الله تعالى فمن ساعدني فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمع ذلك من عبد الله بن جعفر أمير هم و بذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح بأجابتهم ثم عمد الى درعه فافرغه عليه و وضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده وأخذ الراية بيده وأمر الناس بأخذ الاهبة فلبسوا درو عهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا للدليل سر بنا نحو القوم فسته ابن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن الاسقع فرأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال سيروا أنتم برأيكم وما على من أمركم وخرج قال أبو ذر الغفاري فرأيت عبد الله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه يدله على القوم ساعة ثم وقف وقال امكثوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا في مواضعكم كامنين الى وقت السحر ثم أغيروا على القوم قال واثلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء فلما أصبح النهار صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال ما ترون في الغارة فقال عامر بن عميرة بن ربيعة أدلكم على أمر تصنعونه قالوا قل قال اتركوا القوم في بيعهم وشرائهم واظهار أمتعتهم ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من أمرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق ثم أظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسى وشرعوا الامائهم وعبد الله بن جعفر أمامهم والراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل مائة منكم قطر امن أقطار سوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غارة ولكن ضعوا السيوف في المفارق والعواتق وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم متفرقين في الارض كالنمل لكثرتهم وقد أحدق منهم بدير الراهب خلق كثير والراهب قد أخرج رأسه من الدير وهو يعظ الناس و يوصيهم و يعلمهم معالم ملتهم وهم اليه منحوص بابصارهم وابنته البطريق عنده في الدير والبطارقة وابناؤهم عليهم الديباج المثقل بالذهب ومن فوقهم دروع وجواشن تلمع وبيض وهم ينظرون صيحة بين أيديهم أو طارقا يطرقهم من خلفهم ونظر عبد الله الى الدير والى ما أحدق به والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من أمرهم وصاح فيهم قبل الحملة وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا باركا الله فيكم فان كان غنيمة وسرور فالفتح والسلامة و يكون الاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك فهو وعدنا الجنة ونلتقي عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة قال وطلب عبد الله الجم الغفير فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه و يطعن برمحه و يحمل المسلمون من ورائه وسمع الروم أصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا أن جيوش المسلمين قد أدركتهم وكانوا للذلك منتظرين وعلى يقظة من أمرهم فأما السوقة فانهم تبادروا الى أسلحتهم والمنع عن أنفسهم وأموالهم وأخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفة الاسد الضاري وطلبوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فاحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على ساق وثار الغبار وانقمد وأحدق الروم بالمسلمين فما كان المسلمون فيهم الا كشامة بيضاء في جلد بعير اسود وما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكل أحد مشتغل بنفسه عن غيره وقال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس وكان من السابقين المتقدمين بايمانهم في الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وشهدت المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وفي أحد وفي حنين وقال انى لا أشهد مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم أستطع أن أقيم بالمدينة بعده فقدمت مكة فأقمت بها فعوتبت في منامي على التخلف عن الجهاد فخرجت الى الشام وشهدت أجنادين والشام وسرية خالد خلف توما وهو بيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على دير أبي القدس فانتهى وقعتها ما شهدت قبلها من الوقائع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أني نظرت الى الروم حين حملنا عليهم في كثرتهم وعددهم وقلنا ما ثم غيرهم وليس لهم كمين فخرج لهم كمين عظيم قال فرأينا أجسادهم هائلة وعليهم الدروع وما يبين منهم الا حاليق الحدق لهم طقطقة وزمجرة عند ما يحملون حتى نظرت الى المسلمين قد غابوا في أوساطهم ولا أسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرون بها وتارة أقول هالكوا ثم أنظر الى الراية بيد عبد الله

ولنقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول هو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل ابن عبد مناف بفتح الميم ابن قصى بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤى بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة بن مدركة

ابن جعفر رضى الله تعالى عنه مرفوعة فأفرح بذلك وعبد الله يقاتل بالراية ويكر على المشركين ولا يثنى ويجاهد على صغر سنه ولم تزل الحرب بيننا كلما طال مكثها اشتد ضرامها وعلا قتامها واتهبت نارها وصار عبد الله فى وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقون به فجعل كلما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا حملت شمالا ولم نزل فى الحرب والقتال حتى كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب قال وعظم الامر علينا وهنا الصبر وتثلم سيف عبد الله فى يده وكادت تقع فرسه من تحته فالتجأ باصحابه فى موضع فاجتمع أصحابه اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها ومامنهم الا مكلوم من المشركين فضاق لذلك ذرعه وما نزل به فى نفسه مثل ما نزل بالمسلمين فالجأ الى الله تعالى أمره وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يده الى السماء وقال فى دعائه يا من خلق خلقه وأبلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه محمد النبى صلى الله عليه وسلم الا ما جعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا عاد الى القتال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه تحت رايته فلله در أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بين يديه قال عمرو بن سعادة فلقد رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضرب شاب شديد فى الروم وينتمى الى قومه ويذكر عند حملاته اسمه ويقول أنا أبو ذر والمسلمون يفعلون كفعله الى أن بلغت القلوب الحناجر وظنوا أن فى ذلك الموضع قبورهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الله بن أنيس الجهنى قال كنت أحب جعفرا وأحب من أولاده عبد الله فلما قص أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان قائما مقام أبيه نظرت الى أمه أسماء بنت عميس خزينة فكرهت أن أنظر اليها فى ذلك الحزن وأيضا ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يحب عبد الله حبا شديدا فاستأذن عبد الله بن جعفر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى المسير الى الشام وقال لى يا بن أنيس الجهنى أشتهى أن ألحق بالشام ومعنا عشرون فارسا أكون مجاهدا أفتصحبنى فقلت نعم فودع عمه عليا رضى الله تعالى عنهما وودع عمر رضى الله تعالى عنه وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارسا حتى أتينا تبوك فقال يا بن أنيس أتدرى موضع قبر أبى فقلت نعم فقال أشتهى أن أرى الموضع قال فازلنا حتى أتينا الموضع فأريته موضع مصرع أبيه وموضع الوقعة وقبر أبيه جعفر رحمه الله تعالى وعليه حجارة فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه وبكى وترحم فأقمنا عنده الى صبيحة اليوم الثانى فلما رأيت عبد الله يبكى ووجهه مثل الزعفران فسألته عن ذلك فقال رأيت أبى البارحة فى النوم وعليه حلتان خضراوتان وتاج وله جناحان وبيده سيف مسلول أخضر فسلمه الىّ وقال يا بنى قاتل به أعداءك فما وصلت الى ما ترى الا بالجهاد كأنى أقاتل بالسيف حتى تثلم قال عبد الله بن أنيس وسرنا حتى أتينا عسكر أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بدمشق فبعثه أميرا تلك السرية الى دير أبى القدس قال عبد الله بن أنيس فلما رأيت الوقعة بينه وبين الروم قلت يوشك أن يذهب عبد الله فسرت كالبرق ورجعت الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما رآنى قال أبشارة يا بن أنيس أم لا فقلت أنفذ المسلمين الى نصرة عبد الله بن جعفر ومن معه ثم حدثته بالقصة فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انا لله وانا اليه راجعون أصاب عبد الله بن جعفر ومن معه تحت رايتك يا أبا عبيدة وهى أول امارتك (قال الواقدى) ثم التفت الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقال له يا أبا سليمان سألتك بالله الحق عبد الله بن جعفر فانت المعدلها فقال خالد أنا لها ان شاء الله تعالى وما كنت أنتظر الا أن تأمرنى فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه استجبت منك يا أبا سليمان فقال والله لو أمرت على طفل صغير لا طيعن له فكيف أخالفك وأنت أقدم منى ايمانا وأسبق اسلاما سبقت بالاسلام مع السابقين وسارعت بايمانك مع المسارعين وسماك رسول الله بالامين فكيف الحقك أو أنال درجتك والآن أشهدك أنى قد جعلت نفسى حبيسا فى سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت امارة بعدها أبدا (قال الواقدى) فاستحسن المسلمون قوله فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يا أبا سليمان الحق اخوانك رحمك الله قال فوثب خالد رضى الله عنه كأنه الاسد وسار الى رحله فافرغ عليه درع مسيلمة الكذاب الذى سلبه منه يوم اليمامة وألقى بيضة على رأسه وأردف القلنسوة وتقلد بحسامه وانصب فى سرجه كأنه السيل وناديا يجيش الزحف هلموا الى حرب السيوف فأجابوه مسرعين كانهم العقبان وبادروا الى طاعة الرحمن وأخذ خالد الراية بيده وهزها على ركابه ودار به عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم بعضا وسار واوسار خالد وعبد الله بن أنيس يدلهم على الطريق قال رافع بن عميرة الطائى كنت يومئذ من

بضم أوله وما ابن الياس بكسر الهمزة وسكون اللام قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم أوله ابن نزار بكسر أوله وفتح الزاى قبل الالف ابن معد بفتح أوله وتشديد ثالثه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس وراءه طريق صحيح ولما نفخ الروح فى آدم كان نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يلمع فى جبهته كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حواء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام

أصحاب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولم يزل مجدا فى السير والله عز وجل يطوى لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس أشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر قد غرق المسلمون فى كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس فى أى جانب أطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه واعد أصحابه ان يلتقوا عند دير الراهب أو موعدهم الجنة (قال الواقدى) فنظر خالد نحو الدير الراية الاسلامية وهى بيد عبد الله بن جعفر ومامن المسلمين الا من أصيب بجرح وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا فى الحياة السرمدية والروم تناوشهم بالحرب وتكثر الطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم والمشركين واصبروا لقتال المارقين واعلموا أنه قد تجلى عليكم أرحم الراحمين ثم قرأ الآية قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد رضى الله تعالى عنه الى صبرهم وتجلدهم على قتال أعدائهم لم يطق الصبر دون أن حمل عليهم وهز رايته وقال لاصحابه دونكم القوم القباح فارو وامن دمائهم السلاح وابشروا بالنجاح يا أهل حى على الفلاح (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فبينما أصحاب عبد الله بن جعفر فى أشد ما يكونون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحدين كأنهم الطيور وعليها الرجال كأنهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهم غائصون فى الحديد وقد ارتفع لهم الضجيج وبخيلهم العجيج فلما نظر عبد الله وأصحابه الى ذلك ظنوا أنها نجدة الاعداء فأيقنوا بالهلاك والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التى رأوها واذا هى قاصدة اليهم ففزعوا وجزعوا وظنوا أن كمينا من الروم قد خرج لقتالهم فعظم عليهم الامر وقل منهم الصبر وأخذهم البهر وقد لحق بالمشركين الدمار وأثارهم حرب مثل النار والسيوف تلمع والرؤس من الرجال تقطع والارض قد امتلأت قتلى وهم فى أيدى المشركين كالاسرى والقوم فى أشد القتال والسيف يعمل فى الرجال اذ نادى فيهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الآمن ونصر الخائف يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصر تم على عبدة الصلبان وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت المرهفات البواتر واذا بفارس على المقدمة كأنه الاسد الزائر أو الليث الهادر وبيده تشرق بالانوار كاشراق القمر فنادى الفارس بأعلى صوته أبشروا يا معاشر حملة القرآن بالنصر المشيد أنا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الراية وسمعوا صوت خالد رضى الله تعالى عنه كانهم كانوا فى لجة وأخرجهم فأجابوه بالتهليل والتكبير وكانت أصواتهم كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم حمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بجيش الزحف الذى لا يفارقه ووضع السيف فى الروم قال عامر بن سراقة فما شبهت حملة الاحملة الاسد فى الغنم ففرقهم يمينا وشمالا قال فثبت المسلمون وكل علج من الروم شديد هو يمانع عن نفسه وخالد يطلب أن يصل الى عبد الله بن جعفر ولما نظر المسلمون الى الخيل المقبلة عليهم ولم يعلموا ما هى حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقال يا أيها الناس دونكم الاعداء فقد جاءكم النصر من رب السماء ثم حمل وحملت المسلمون معه قال واثلة بن الاسقع لقد كنا أيسنا من أنفسنا وأيقنا بالهلاك حتى أتتنا المعونة والنصر من الله عز وجل فملنا بحملة اخواننا قال فما اختلط الظلام حتى نظرت الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم الى الراعى والمسلمون يقتلون ويأسرون فلله در أبى ذر الغفارى وضرار بن الازور وابن المسيب بن نجية الفزارى لقد قرنوا الكواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما فنظر اليه والدم على أكمام درعه كأكباد الابل فقال شكر الله تعالى لك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انك لقد أخذت بثار أبيك وشفيت غليلك فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما من الرجل المخاطب لى وكان الظلام قد اعتكر وضرار ملثم لا يبين منه الا الحدق فلم يعرفه عبد الله فقال أنا ضرار بن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بطلعتك وبأخ مناعدل لنا وقام لنصرتنا قال عبد الله بن أنيس فبينما هم على ذلك اذ أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الزحف فقال شكر لك الله وأحسن جزاءك ثم قال عبد الله يا أبا ضرار اعلم أن حامية الروم والبطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس ومامعها من الاموال وقد أحاط بها كل فارس من الروم فهل لك يا ابن الازور أن نحمل معى فقال وأين هم فقال أما تنظر اليهم قد عينه واذا بجماعة الروم وبطريق طرابلس وقد أحدقوا بالدير عن عن يمنه عن الجارية والغيران مشتملة والصلبان تلمع كضوء النار وكانهم سد من حديد فقال أرشدك الله للخيرات فنعم المرشد أنت

الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وكان كل جد من أجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق أن لا يوضع ذلك النور الا فى الطاهرات فاول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث وشيث على أنوش وأنوش على قنن وهكذا الى أن وصلت النوبة الى عبد الله ابن عبد المطلب فلما أودع ذلك فى صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد لقى فى زمانه ما لقى يوسف عليه السلام من امرأة العزيز وقد

احمل حتى أحمل معك بحملك قال فحمل عبد الله بن جعفر من جهته وحمل ضرار بن الأزور من جهته وتبعتهما الرجال وزعقوا في الروم وحماة المشركين وهم يمانعون عن أنفسهم وكان أشدهم منعة بطريقهم فبرز أمام القوم وهو يهدر كالبعير ويزأر زئير الاسد يصيح بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الأزور وباطشه في الضرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه في سرجه وشدة ضربه وحسن احترازه فاخذ ضراره منه حذره واحترز منه البطريق وطلبه أشد الطلب وكل واحد منهما طامع في صاحبه فانفرد ضرار بن الأزور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه وليس مع ضرار أحد من المسلمين فانبسط ضرار بين أيديهم ليمكر بهم وطلبه البطريق وأصحابه وقصدوه بحملتهم فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا يصلح لمجال الخيل فاعترضه واحد في ظلمة الليل فكبا به الجواد فسقط الى الارض هاويا ثم سار من سقطته يروم أخذ الفرس فلم يحد الى ذلك سبيلا فوقف مكانه وسيفه وحقيقته بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبرهم صبر الكرام ولم يأخذه في الله لومة لائم فخفق عليه بطريق الروم وأقبل يضرب بعموده فلما لازمه ورمى العمود عليه زاغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه ضربة أزعجت فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشبك يديه وضربه الثانية فوقعت ضربة ضرار في عين جواده فانتكس الجواد الى الارض ووقع العلج على ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد في سرجه فعاجله ضرار قبل وصول غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فبانت سيفه ولم يعمل شيأ فاهضه العلج وقد أيقن بالهلاك وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحته وملك صدره واستوى على نحره وكان مع ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صدر عدو الله الى سرته فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم وثب ضرار وملك جواد عدو الله واستوى في سرجه وكان على الجواد كنير من الذهب والفضة والفصوص التي تساوي ثمنا كثيرا فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا وكان ضرار لما انبسط أمام القوم ملك عبد الله بن جعفر الدير ومن فيه هو ومن معه من المسلمين واحد قوابه ولم يأخذوا منه شيأ حتى رجع خالد رضي الله تعالى عنه من اتباع الروم وذلك ان خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام والروم يعرفون مخاوضه فوقف خالد ورجع الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا العلج وانتشرت الناس في جميع الغنائم وما كان في السوق من المتاع والفراش والقماش والثياب والطعام وغيره قال وائلة بن الاسقع فجعلنا نجمعه ونأكل من الخبرات وأخرجوا ما كان في الدير من آنية الذهب والفضة والستور والمراتب وأخرجوا ابنة البطريق ومعها أربعون جارية فمن حلي وحلل والمال على البراذين والبغال والحمير فانقلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والاموال الجسيمة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فنسبت تلك السرية لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وعبد الله بن أنيس مدركها وخالد بن الوليد منجدها ولقي خالد فيها مشقة وجراحا مؤلمة فلما سار وأقبل خالد الى الدير صاح بصاحبه باراهب فلم يكلمه فهتف به مرة أخرى وهدده فاطلع عليه وقال ما شأنك وحق المسيح ليطالبنك صاحب هذه الخضراء بدمائهن قتلت فقال خالد كيف بطا البنا وقد أمرنا أن نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب والله لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتعرض لكم لاتركتك في صومعتك بل كنت قتلتك أشر قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه وانقلب خالد والمسلمون بالغنائم الى دمشق وأبو عبيدة رضي الله عنه فيها فشكرهم وسلم على خالد وعلى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة وقسمها على الناس فدفع لضرار بن الأزور فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلي الذهب والفضة والجواهر والفصوص فأتى به ضرارا الى أخته السيدة خولة رضي الله تعالى عنها قال فرأيتها تنزع فصوص الجوهر فتفرقها على نساء المسلمين وان الفص منها ليساوي الثمن الكثير قال وعرض السبي على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وفي الجملة ابنة البطريق فقال عبد الله بن جعفر أريدها قال أبو عبيدة حتى أستأذن أمير المؤمنين في ذلك فكتب اليه يعلمه بها ويسئله عبد الله بن جعفر فكتب عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه هي له فأخذها عبد الله وأقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ وكانت من قبل تعرف طبخ الفرس والروم وأقامت عنده الى أيام يزيد فاخبر بها فاستهداها منه فاهداها له وكانت عنده وقال عامر بن ربيعة أصابني من غنيمة سوق الدير أثواب ديباج حرير فيها صور الروم وكان في كل ثوب منها صورة

روى الترمذي عن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلني من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيت فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أي ذاتا وأصلا وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الاصنام * عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة سيدنا ابراهيم في ولده فلم يعبد أحد منهم صنما بعد دعوته وجعل من ذريته

حسنة وهى صورة مريم وعيسى عليهما السلام فحملت الثياب الى اليمن فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمى وأنا مع أبى عبيدة يا ابن أخى ابعث لى من هذه الثياب واكثر منها فانها تنفق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رجع جيش المسلمين غانما كتب أبو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يخبره بما فتح الله على يديه وما غنم المسلمون من دير أبى القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثنى عليه ويخبره بما قال فيه وما تكلم به وسأله فى كتابه أن يكتب الى خالد يستشيره فى المسير الى هرقل أو الى بيت المقدس وكتب اليه أيضا أن بعض المسلمين يشربون الخمر قال عاصم بن ذؤيب العامرى وكان ممن شهد قتال الروم بالشام وفتح دمشق العرب الوافدون من اليمن فأخذوا فى الشرب واستطابوا ذلك فانكر ذلك الامير أبو عبيدة فقال رجل من العرب أظنه سراقة بن عامر يا معاشر المسلمين خلوا شرب الخمر فانها تزيل العقول وتكسب الاثم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحمولة اليه (وحدثنى) أسامة بن زيد الليثى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الغفارى قال كنت مع أبى عبيدة بالشام فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخبره بفتح الشام وفى الكتاب ان المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحد فقدمت المدينة فوجدت عمر رضى الله تعالى عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وعنده نفر من الصحابة وهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف يتحدثون فدفعت الكتاب اليه فلما قرأ جعل يفكر فى ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد فى شربها ثم سأل عمر عليا رضى الله تعالى عنهما فى ذلك وقال ماترى فى هذا فقال على رضى الله تعالى عنه ان السكران اذا سكر هذى واذا هذى افترى فكتب اليه عمر ان من شرب الخمر فاجلده ثمانون جلدة وراء مرى ما يصلح لهم الا الشدة والفقر ولقد كان حقهم أن يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه ويؤمنوا به ويشكروه فمن عاد فأقم عليه الحد (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ورد كتاب عمر رضى الله تعالى عنه على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقرأه نادى فى المسلمين من كان فى نفسه حد فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل ذلك كثير من الناس ممن كان شرب الخمر وأعطى الحد من نفسه ثم قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انى عزمت على المسير الى انطاكية وقصد كلب الروم لعل الله تعالى يفتح فتحا على أيدينا فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن تبع لك نقاتل أعداءك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فانى سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها تو جهنا منها ان شاء الله تعالى الى انطاكية فأسرع المسلمون فى اصلاح شأنهم وأخذوا أهبتهم فلما فرغ أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من جميع شغله أمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يأخذ راية العقاب التى عقدها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأمره أن يسير أمام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عميرة الطائى والمسيب بن نجبة الفزارى والناس يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمى وترك عنده خمسمائة رجل وسار أبو عبيدة بالمسلمين ومعه ناس من اليمن ومضر

﴿ذكر فتح حمص﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة فلما وصل الى هناك بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى حمص وقال يا أبا سليمان انهض على بركة الله تعالى وعونه ونازل القوم وشن الغارة على أرض العواصم وقنسرين وانا أسير الى بعلبك ولعل الله أن يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد رضى الله تعالى عنه بمن معه الى حمص وتوجه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى بعلبك اذ ورد بطريق جوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال ان فتحتم بعلبك فانا بين أيديكم ولا تخالف لكم قولا فصالحهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح سار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بطلب بعلبك فما بعد من اللبوة الا وقد أشرف عليه راكب نجيب فاذا هو أسامة بن زيد الطائى فقال يا أسامة من أين أقبلت فاناخ نجيبه وسلم على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وعلى المسلمين وقال أتيت من المدينة وسلم اليه كتابا من عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقضه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فلا مرد لقضاء الله وقدره ومن كتب

من يقيم الصلاة قال السيوطى رحمه الله تعالى وهذه الاوصاف كانت لاجداده صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام وكل ماذكر عن ذرية سيدنا ابراهيم من المحاسن فان أولى الناس به سلالة الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم نور النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل ولدا سحق عليه السلام وبقيه ذرية ابراهيم لانه دعا لاهل هذه البلد الا تراه قال رب اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فلم

في اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك أن جبلة بن الايهم الغساني كان قدم علينا بابني عمه وسراة قومه فانزلناهم وأحسنا اليهم وأسلموا على يدي وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كان في الغيب وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها فطلب الحج فطاف جبلة بالبيت أسبوعا فوطئ رجل من فزارة ازاره فسقط ازاره عن كتفه فالتفت الى الفزاري وقال يا ويلك كشفتني في حرم الله تعالى فقال والله ما تعمدت ذلك فلطم جبلة بن الايهم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثنياه الاربع فأقبل الفزاري الى مستدعيا على جبلة فامرت باحضاره وقلت له ما حملك على أن لطمت أخاك في الاسلام وكسرت ثنياه الاربع وهشمت أنفه فقال جبلة انه وطئ ازاري برجله فخلته والله لولا حرمة هذا البيت لقتلته فقلت له قد أقررت على نفسك فاما أن يعفو عنك واما أن آخذ له منك القصاص فقال أقتص مني وأنا ملك وهو من السوقة قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال أتتركني الى غد وتقتص مني فقلت للفزاري أتتركه الى غد قال نعم فلما كان الليل ركب في بني عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وأرجو أن الله تعالى يظفرك به فانزل على حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك أهلها فاصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب في سره جهر به مرة أخرى ثم لوى بطاب حمص وكان خالد رضي الله تعالى عنه سبقه اليها بثلاث الجيش فنزل عليها يوم الجمعة من شوال سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية وكان عليها واليا بطريق من قبل هرقل اسمه لقيط وكان قدمات قبل نزول خالد والمسلمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين فاجتمع المشركون في كنيستهم العظمى وقال كبيرهم اعلموا أن صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا حوسية ويغلبك وان أنتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك أن يسير اليكم والياه وجيشا فان العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسير اليكم ولا يصل اليكم وليس عندكم طعام يقوم بكم لحصار فقالوا أيها السيد فما الذي ترى قال تصالحون القوم على ما أرادوا وتقولون نحن لكم وبين أيديكم ان فتحتم حلب وقنسرين رهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك أن يمدنا بجيش عرمرم ويولي من أراد علينا ويستوثق لنا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا بر بنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه جاثليقا كان عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وتكلم في الصلح معه بما تحدث به البطريق من أمر سير المسلمين الى حلب وقنسرين والعواصم وانطاكية فاجابهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه الى ذلك وصالح القوم رهم أهل حمص على عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة كاملة أو لهما ذو القعدة وآخرها شوال سنة أربع عشرة من الهجرة قال وانبرم الصلح وخرجت السوقة من حمص الى عسكر المسلمين فباعوا واشتروا ورأى أهل حمص سماحة العرب من بيعهم وشرائهم وربحوا منهم وربحوا وافيا

﴿ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ان أبا عبيدة دعا خالد بن الوليد وضم اليه أربعة آلاف فارس من لخم وجذام وطي ونبهان وكلان وسنبس وخولان وقال يا أبا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة واقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلدة العواصم وارجع على أثرك وانفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة أو ناصر من قومهم أم لا فأجابه خالد الى ذلك وأخذ الراية وتقدم أمام الكتيبة وجعل ينشد ويقول

أخذتها والملك العظيم * وانثني بحملها زعيم
وصاحب لاحد الكريم * أسير مثل الاسد الشموم
يارب فارزقني قتال الروم

﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى) وسار خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى شيزر ونزل على النهر المقلوب ودعا يعصعب بن محارب البشكري وضم اليه خمسمائة فارس وأمره أن يشن الغارة على العواصم وقنسرين وسار خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى كفر طاب والمراد والى دير سمعان وجعلت خيل المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرساتيق ويأخذون الغنائم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليد بالاسارى فسار بهم الى أبي

نزل ناس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه فان الكلمة الباقية هي التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فأبواه ناجيان منعمان في أعلى درجات الجنان لانهما ماتا في زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الامين أخبر صلى الله عليه وسلم بعدم نجاتهم كامرئ القيس وأضرابه وقد حفظ الله نسبه الشريف

عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر الى خالد وما معه من الغنائم والاموال فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم قد ارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ما هؤلاء يا اباسليمان فقال خالد يا أمير المؤمنين هذا مصعب بن محارب البشكرى وقد عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه ومن أهل اليمن وانه أغار بهم على العواصم وقنسرين وقد أتى بالغنائم والسبى والاموال فالتفت الامير أبو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليها رجال ونساء وصبيان ولهم دوى عظيم وبكاء شديد فقصدهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا برجال مقرونين فى الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب أموالهم وخراب ديارهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه اترجمانه قل لهم مالكم تبكون ولم لا تدخلون فى دين الاسلام وتطلبون الامان والذمام لتأمنوا على أنفسكم وأموالكم فقال لهم الترجمان ذلك فقالوا أيها الامير نحن كنا بالبعد منكم وكانت أخباركم تأتينا وما ظننا أنكم تبلغون الينا فاشهرنا حتى أشرف علينا أصحابكم فنهبوا أموالنا وأولادنا وساقونا فى الحبال كما ترى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكانت الاعلاج زهاء من أربعمائة علج فقال لهم الامير انا قد علمنا عليكم وأطلقناكم من أسركم ورددنا عليكم أموالكم وأهاليكم فهل تكونون فى طاعتنا تؤدون الجزية الينا والخراج فقالوا أوف لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما شرطته علينا فعند ذلك أقبل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى المسلمين وقال لهم قد رأيت من الرأى أن أؤمن هؤلاء من القتل وأرد عليهم أموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ونعمر الارض والبلاد ونأخذ خراجهم وجزيتهم فما أنتم قائلون فما كنت بالذى أقطع أمرا الا بمشورتكم فقالوا الرأى رأيك فى ذلك أيها الامير ان رأيت صلاحا للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ففرض على كل واحد دار بعة دنانير وبذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعند ذلك رد عليهم أموالهم وأولادهم وأقرهم على بلادهم وكتب أسماءهم وأمرهم بالرجوع الى أوطانهم فلما استقر والى ضياعهم أخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا لقد ظننا انهم يقتلوننا ويستعبدون أولادنا والآن قد رجعنا وأقررنا فى بلادنا على أداء الجزية والخراج (قال الواقدى) فسمعت الروم ذلك فأقبلوا الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فى طلب الامان وأداء الجزية والخراج

﴿ذكر فتح قنسرين﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبلغ الخبر الى أهل قنسرين أن الامير أبا عبيدة يعطى الامان من قصده فاحبوا أن يأخذوا الامان من أبى عبيدة رضى الله عنه وأجمعوا رأيهم على ذلك وان ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارقة الملك من أهل الشدة والبأس وكان أهل قنسرين يخافون منه وكان اسمه لوقا وصاحب حلب عسكره مثل عسكره وسطوته مثل سطوته وكان الملك هرقل قد عينهما اليه فقالا له أيها الملك ما كنا نترك ملكا من غير أن نقاتل قتالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيشا عرمرما وكانا منتظرين ذلك من وعد الملك لهما وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا أنهما لا يجتمعان فى موضع واحد قال فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم عليه أهل قنسرين من الصلح مع أبى عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم أن يكر بهم فجمع أهل قنسرين اليه وقال لهم يا بنى الاصفر ما تريدون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكانكم بهم وقد أقبلوا الينا يفتحون بلادنا كما فتحوا أكثر بلاد الشام فقالوا أيها السيد قد بلغنا انهم أصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قاتلوه واستعبدوا أهله وأولاده ومن دخل تحت طاعتهم أقروه فى بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأى عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على أنفسنا وأموالنا فقال لهم البطريق لقد أشرتم بالصواب والامر الذى لا يعاب لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم وها أنا أعقد لكم الصلح معهم سنة كاملة الى أن توافينا جيوش الملك هرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم فقالوا افعل ما فيه الصلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واتفق أهل قنسرين والبطريق على صلح المسلمين وفى قلوبهم الغدر قال وان لوقا البطريق دعا برجل من أصحابه اسمه اصطخر وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان قوى الجنان يعرف العربية والرومية وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية فقال لوقا يا أبانا

من سفاح الجاهلية وقال محمد بن السائب كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة جدفا وجدت فيهم سفاحا ولا شيأ مما كان فى أمر الجاهلية فان بعض أهل الجاهلية كان اذا أراد النكاح يقول الزوج خطب ويقول ولى نكاح المرأة تنكح وهذا عندهم عبارة عن العقد وأما نكاح عبد الله آمنة فكان عقدا موافقا لما عليه شريعة الاسلام مشتملا على تلك الشروط المعتبرة وان لم تكن بشرع بل بتوفيق من الله تعالى وكذا فى بقية أجداده عليه الصلاة والسلام وما قرب وجوده صلى الله

سرا الى العرب وقل لهم يصالحونا سنة كاملة حتى نبعد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب الكتاب الى الامير ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال بعد كلمة كفره اما بعد يا معاشر العرب ان بلدنا بلد منيع كثير العدد والرجال فاما أتونا من قبله ولو أقمتم علينا مائة سنة ما قدرتم علينا وان الملك هرقل قد استنجد علينا من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم نصالحكم سنة كاملة حتى نرى امن تكون البلاد ونحن نريد منكم أن تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد أرض قنسرين والعواصم حتى اذا هبت العرب بالغارة بدت العلامة تركتم حد أرضنا ونحن نصالحكم خفية من الملك هرقل الى ان يفتقلنا والسلام ثم ختم على اصطخر خلعة سنية وأعطاه بغلة من مراكبه وعشرة غلمان وسار حتى وصل الى حمص فرأى الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه يصلى بالمسلمين صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون ويعجب من ذلك فلما فرغوا من صلاتهم ونظروا الى القسيس وثبوا اليه وقالوا له من أنت ومن أين أقبلت فقال أنا رسول وهى كتاب فدفعوه بين يدى أبى عبيدة فهم القسيس بالسجود له فمنعه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من ذلك وقال له نحن عبيد الله عز وجل فنشقى ومنا سعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض فلما سمع اصطخر ذلك بهت وبقى لا يرد جوابا وهو متعجب مما تكلم به الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فناداه خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقال له ما شأنك أيها الرجل ورسول من أنت فقال اصطخر أأنت أمير القوم فقال خالد لا بل هذا أميرنا وأشار الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم ثم أخرج الكتاب ودفعه الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فأخذه وقرأه على المسلمين فلما سمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ما فى الكتاب من صفة مدينتهم وكثرة عددهم ورجالهم وزادهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك رأسه وقال لابى عبيدة وحق من أيدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الطاهرة ان هذا الكتاب من عند رجل لا يريد الصلح بل يريد حربنا ثم قال لاصطخر تريدون أن نخدعونا حتى اذا جاءت جنود صاحبكم ورأيتم القوم وقد جاءتكم نقضتم صلحنا وكنتم أول من بقاتلنا وان رأيتم الغلبة لنا اظهرتم الى طاغيتكم هرقل فان أردتم ذلك فنواعدكم الحرب مواعدة من غير أن يكون صلحنا سنة كاملة فان لحق بكم جيش هذه السنة من الملك هرقل فلا بد من قتاله فمن أقام فى المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض له قال اصطخر قد أجبناكم الى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أيها الامير اكتب لهم كتابا بمواعدة الحرب سنة كاملة أولها مستهل شهر ذى القعدة سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية قال فكتب له أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فلما فرغ من الكتاب قال له اصطخر أيها الامير حد بلادنا معروف وبازائنا صاحب حلب وبلاده يحد بلادنا ونريد أن تجعل لنا علامة فيما بيننا وبينكم حتى اذا طاب أصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك (قال الواقدى) فرضى أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك وقال أنا أبعث من يحد لكم ذلك قال اصطخر أيها الامير ما نريد معنا أحدا من أصحابك نحن نصنع عمودا ونصبه ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا رآه أصحابك لا يتجاوزونه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه افعل ذلك ثم دفع اليه الكتاب ونادى فى عساكر المسلمين وأصحاب الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوزه بل يشن الغارة على أرض حلب وحدها ولا يتجاوز العمود فليبلغ الشاهد الغائب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورجع اصطخر الى بطريق قنسرين وأعلمه بما جرى له مع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ودفع له الكتاب ففرح بذلك وتصدا الى عمود عظيم وصنع عليه صورة الملك هرقل كأنه جالس على كرسى مملكته (قال الواقدى) وكانت خيل المسلمين تضرب غارتها الى أقصى بلاد حلب والعمق وانطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم ولا يقربون العمود قال عمرو بن عبد الله الغبرى عن سالم بن قيس عن أبيه سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه قال كان صلح المسلمين لاهل قنسرين والعواصم على أربعة آلاف دينار ملكية ومائة أوقية من الفضة وألف ثوب من متاع حلب وألف وسق من طعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عامر قال كنا فى بعض الغارات اذ نظرنا الى العمود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله بخيولنا ونعلمها الكر والفر وكان بيد أبى جندلة قناة نامة فقرب به الجواد من الصورة وهو غير متعمد ذلك ففقأ عين الصورة وكان عندها قوم من الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العمود فرجعوا الى البطريق وأعلموه بذلك فغضب

عليه وسلم رأى عبد المطلب وهو نائم فى الحجر منامات هائلا فانتبه فزعا مرعوبا وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يسود أهل السماء والارض فتزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ من نسل النضر وأمها صخرة بنت عبد الله بن عمران من نسل النضر أيضا فحملت بعبد الله الذبيح وقصته فى الذبح مشهورة وسبب تسميته بذلك أن عمرو الجرهمى لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقبض الله تعالى لهم من أخرجهم

غضب اشد بدا ودفع صليبا من الذهب الى بعض أصحابه وضم اليه ألف فارس من أعلاج الروم وعليهم الديباج الرومى وعليهم المناطق المجوفة وأمر اصطخر أن يسير معهم وقال له ارجع الى أمير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ومن غدر جند ل فأخذ اصطخر الصليب وسار مع ألف فارس من الروم حتى أشرف على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع أسرعوا اليه ونكسوه فاستقبل أبو عبيدة القوم وقال من أنتم قال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين اليك وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذى بيننا وبينكم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف أسأل عنه ثم نادى يا معاشر الناس من فقأ عين التمثال فليخبرنا بذلك فقال أيها الامير أبو جندلة وسهل بن عمر وصنعا ذلك من غير أن يتعمداه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لاصطخر ان صاحبنا فعل ذلك من غير أن يتعمد فما الذى يرضيك منا فقالت الاعلاج لا نرضى حتى نفقأ عين ملككم يريدون بذلك ان يتطرقوا الى رقاب المسلمين فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه هاأنا فاصنع بى مثل ما صنع بصورتكم قالوا لا نرضى بذلك الا بعين ملككم الاكبر الذى يلى أمر العرب كلها فقال ان عين ملككم لا تمنع من ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وغضب المسلمون حين ذكر الاعلاج عين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهموا بقتل الاعلاج فنهاهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عن ذلك فقالت المسلمون أيها الامير نحن دون امامنا نفتديه بانفسنا ونفقأ عيوننا دون عينه فقال اصطخر عندما نظر الى المسلمين وقد هموا بقتله وقتل من معه من الاعلاج لا تفقأ عين عمر ولا عيونكم ولكن نصور صورة أميركم على عمود ونصنع به مثل ما صنعتم بصورة ملككم فقالت المسلمون ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وانتم تريدون العمد فقال أبو عبيدة رضى الله عنه مهلا يا قوم فاذا رضى القوم بصورتى فقد أجبتهم الى ذلك ولا يتحدث القوم عنا انا عاهدنا ثم غدرنا فان هؤلاء القوم لا عهد لهم ولا عقل ثم أجابهم الى ذلك (قال الواقدى) فصور واصورة أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه على عمود وجعلوا له عينين من زجاج وأقبل فارس منهم حنقا فأعين الصورة ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين وأخبره بذلك فقال لقومه بهذا نالهم ما يريدون قال وأقام أبو عبيدة على حمص بغير يمنا وشمالا ينتظر خروج السنة ليبظر ما بعد ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر أبى عبيدة على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ولم يرد عليه شئ من الكتب والفتح فانكر عمر ذلك وظن به الظنون وحسب أنه قد دا خله خبر وقد كرن الى القعود عن الجهاد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أمين الامة أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى الله عز وجل سرا وعلانية وأحذركم عن معصية الله عز وجل وأحذركم وانها كم أن تكونوا ممن قال الله فى حقهم قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية وصلى الله على خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه قرأه على المسلمين فعلموا أن أمير المؤمنين عمر يحرضهم على القتال وندم أبو عبيدة رضى الله عنه على صلح قنسرين ولم يبق أحد من المسلمين الا بكى من كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقالوا أيها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع أهل شيزر وقنسرين واطلب بنا حلب وانطاكية فلعل الله أن يفتحها على أيدينا وقد انقضى أجل الصلح وما بقى الا القليل وما البقاء الا للملك الجليل فعزم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على المسير الى حلب وعقد راية أخرى لمصعب بن محارب العبشكرى وأمر عياض بن غانم ان يسير على مقدمتهم واتبعه خالد بن الوليد وسار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى أن نزل على الرشين وصالح أهلها وسار الى حماة فخرج أهلها اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه الرهبان على أكفهم والقسوس أمام القوم يطلبون منه الصلح والذمام فلما رآهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقف وقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها الامير نريد أن نكون فى صلحكم وذمامكم فأنتم أحب الينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فصالحهم أبو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح والذمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيزر فاستقبلوه فصالحهم وقال لهم أسمعتم للطاغية هرقل خبرا فقالوا ما سمعنا له خبرا غير أنه اتصل بنا الخبر أن بطريق قنسرين قد كتب الى الملك هرقل يستنجده عليكم وقد

من مكة عمد عمر والى زمزم فطمها وهرب الى اليمن ومضت مدة طويلة وزمزم مطمومة مجهولة الى أن رأى عبد المطلب رؤيا تشير له بحفرها فاراد ذلك فمنعته قريش وآذاه منها هؤلاء حسدا ولم يكن له ولد سوى الحرث فنذر لله تعالى ان ولد له عشر بنين ليذبحن أحدهم ويسمتين بباقيهم على حفر زمزم فتكامل له عشر بنين وهم الحرث والزبير وحجر وضرار والمقدم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ولما قرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى فى منامه

ومشى بجبلة بن الايهم الغسانى من بنى غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية فى عشرة آلاف فارس
وقد نزلوا على جسر الحديد فكان منهم على حذر أيها الامير فقال أبو عبيدة رضى الله عنه حسبنا الله
ونعم الوكيل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام الامير أبو عبيدة على شيزر وبقى مرة يقول أسيروا الى حلب
ومرة يقول أسيروا الى انطاكية فجمع أمراء المسلمين اليه وقال أيها الناس قد بلغنى ان بطريق قنسرين قد
نقض العهد وأرسل للملك هرقل والخبر كذا وكذا فما أنتم قائلون فقالوا أيها الامير ما أهل قنسرين والعواصم
وسرنا الى حلب وانطاكية فقال خذوا أهبتكم رحمكم الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بقى
من الصلح والعهد الذى بينهم وبين أهل قنسرين شهر أو أقل من ذلك فأقام أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه
ينتظر انفصال العهد قال وكانت عبيد العرب يأتون بجوانيم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك من
الاشجار التى تطعم الثمار فعظم ذلك على الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فدعا العبيد اليه وقال ما هذا
الفساد فقالوا أيها الامير ان الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار قريبة فقال الامير أبو عبيدة عزيمة منى على
كل حر عبد قطع شجرة فما طعم ثمرا لا جازينه ولا نكان به فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب
من أقصى الديار قال سعيد بن عامر وكان معى عبد نجيب وكان اسمه مهجعا وقد شهد معى الوقائع والحروب
وكان جرىء القلب فى القتال وكان اذا خرج فى غارة أو فى طلب حطب يتوغل ويبعد فخرج هو وجماعة من
العبيد ممن شهد الوقائع فى طلب الحطب فأبطأ خبره على سيده سعيد بن عامر فركب جواده وخرج فى طلبه
وجعل يقفو أثره واذا قد لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر جسده وما كاد يمشى خطوة
واحدة لا ويهوى على وجهه قال سعيد بن عامر فتزلت اليه وقلت له ما وراءك من الاخبار فقال هالكة
وردمار يا مولاى فقلت عليك يا ابن الاسود حدثنى بخبرك قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه
فنضحت على وجهه ماء فسكن ما به فقال يا مولاى انج بنفسك والا أدركك القوم يصنعون بك مثل
ما صنعوا بى فقلت وأين القوم الذين صنعوا بك ما أرى فقال خرجت يا مولاى أنا وجماعة من الموالى نحتطب
حطبا فتباعدنا كثيرا فى البر واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب وفى أعناقهم صلبان
الذهب والفضة وهم معتقلون بالذهب والفضة والرماح فلما نظروا الينا أسرعوا نحونا ودارت بنا وعزموا
على قتلنا فقلت لاصحابى دونكم واياهم فقالوا ويحك ومن نقاتل وليس لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة والجبل
وما النا الا أن نأتى بأيدينا الى الاسر فهو أهون من القتال فقلت لا والله ما سلمت نفسى اليهم دون أن أقاتل
وقتالا شديدا فلما رأوا منى الجد فعلوا مثل فعلى فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة وأما
أنا فما زلت أضرب بالحسام حتى سقطت على وجهى فرجعوا عنى وبقيت كأنى
فخنى والله ما نزل بالعبيد فأردفته ورائى ورجعت على أثرى واذا بالخيل قد أطلعت من ورائى كأنها الريح
الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا بخيل غسان أحدقت بالرماح الطوال وهم يقولون نحن
بنو غسان من حزب الصليب والرهبان قال سعيد بن عامر فنادينهم أنا من أصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم
فأسرع بعضهم الى وهم أن يعلونى بالسيف فناديته يا ويلك أتقتل رجلا من قومك فقال من أى الناس أنت
قلت أنا من الخزرج الكرام فردا السيف وقال أنت طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح فقلت ومن أين
يعرفنى جبلة حتى يطلبنى فقال انه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار محمد بن عبد الله ثم قال سر بنا طائعا
والا مرت كرها فقال سعيد بن عامر فسرت والجيش معى حتى أشرفنا على جيش عرمرم وعنده أعلام وصلبان
فلما رفعت لم أزل مع القوم حتى أتوا بى الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالس على كرسى من ذهب أحمر وعليه
ثياب الديباج الرومى وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفى عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع رأسه
الى وقال من أى العرب أنت قلت أنا من اليمن قال أكرمت من أيها قلت أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو
ابن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عبد الله بن الازور بن عوف بن مالك بن كهلان بن سبأ فقال
جبلة من أى الملا أنت نسبا فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة من أنصار محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام
فقال جبلة وأنا من قومك من بنى غسان فقلت امن القبيلة التى نسبت اليها فقال أنا جبلة بن الايهم الذى
رجعت عن الاسلام فما رضى صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلى لهذا الدين ناصرا حتى يأخذنى

قائلا يقول باعبد المطلب
أوف بنذرك لرب هذا
البيت فاستيقظ فزعا
مرعوبا وأمر بذبح كبش
وأطعمه للفقراء والمساكين
ثم نام فرأى أن قرب ماهو
أكبر من ذلك فاستيقظ
من نومه وقرب ثورا ثم نام
فرأى أن قرب ماهو أكبر
من ذلك فانتبه من نومه
وقرب جملا ثم نام فرأى أن
قرب ماهو أكبر من ذلك
فقال وما أكبر من ذلك قال
قرب أحد أولادك الذى
نذرته فاغتم غما شديدا ثم
جمع أولاده وأخبرهم
بنذره ودعاهم الى
الوفاء ففعلوا جميعا انا لك
طائعون فمن تذبح

القود لعبد حقير وأنا ملك اليمن وسيد غسان فقلت بأجمعنا ان حق الله أوجب من حقك ودينه لا يقوم الا بالحق والمصافة وان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يخاف ولا تأخذه فى الله لومة لائم فقال لى ما اسمك فقلت سعيد بن عامر الانصارى فقال أوطئ يا سعيد قال فجلست فقال ألك عهد بحسان بن ثابت الانصارى فقلت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى أنت حسان ولسانك حسام فقال لى كم لك منذ فارقته فقلت عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها وأمر مولاته أن تنشدنى شعرا فلما أنشدت

لله در عصابة نادمتهـــم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أنسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

الملحقين فقيرهـم بغنيهم * والمشفقين عـلى اليتيم الارمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به قال جبلة بن الايهم أوحفظ لى هذه المكرمة قلت نعم فأمر لى بثوب من الخز الى وحى رفيه شئ من الورق وقال أنا أمرت لك بالخز كى تلبسه ولا تحرمه ثم قال لى يحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى أسرت فيه فقلت ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل انا من أصحاب الامير أبى عبيدة بن الجراح وقد قصدنا نريد حلب وانطاكية فقال جبلة اعلم ان الملك قد بعثنى أنا وهذا البطريق صاحب عموريه حتى نحضر صاحب قنسرين فانه قد كاد كم بصلحه لكم وأنا منتظران يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك ابى عبيدة وحذره من أسيافنا وقل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلادهرقل وسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه من الشام قال سعيد بن عامر فركبت وأردفت غلامى ورائى وسرت حتى أتيت عسكر المسلمين فأسرع الناس الى وقالوا أين كنت يا ابن عامر فأتيت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وحدثته بقصتى مع جبلة بن الايهم فقال لى لقد خلصك الله بذكرك لحسان بن ثابت الانصارى ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة ثم قال أيها الناس ماترون من قصة هذا البطريق وقد وفينا له وكادنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ان البغى مصرعة وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده أعظم مكيدة وأنا أسير الى لقائه بعشرة رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة أنت لها يا أبا سليمان ولكل كرة نخذة من أحببت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أين عياض بن غانم الاشعرى أين عمرو بن سعيد أين مصعب بن محارب البشكرى أين أبو جندلة ابن سعيد المخزومى أين سهل بن عمرو العامرى أين رافع بن عميرة الطائى أين المسيب بن نجبة الفزارى ابن سعيد بن عامر الانصارى أين عمرو بن معديكرب الزبيدى أين عاصم بن عمر القيسى أين عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم فأجابوه بالتلبية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ضرار بن الازور رضى الله عنه رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة فقال لهم خالد بن الوليد هلموا فوجدوه قد تدرع بدرع مسيلمة الكذاب الذى استلبه منه يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركب جواده وقال لعبده هام سرمى حتى ترى منى عجبا فسار معه وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه والعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو عبيدة رضى الله عنه يدعو لهم بالنصر فأقبل خالد على سعيد بن عامر الانصارى وقال يا سعيد أما أخبرك جبلة بن الايهم من أين يأتى البطريق صاحب قنسرين اليه فقال نعم يا أبا سليمان أخبرنى فقال له خذ بنا فى الطريق الى جبلة بن الايهم حتى نكمن له فيه فاذا أتى البطريق صاحب قنسرين كدناه كما كادنا ومررناه ومن معه فسار سعيد أمام القوم بدلهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا الى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب البطريق وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم يأت أحد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم فى المكمن فبينما هم فى المكمن اذ أشرف عليهم جيش جبلة بن الايهم والعرب المتنصرة وصاحب عموريه وهم طابون أرض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا أبا سليمان أما ترى هذا الجيش الذى قد أشرف علينا فى عدد الشوك والشجر فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختاطوا بهم انتم وكونوا فى جملتهم كأنكم من جيشهم الى أن نلتقى بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختاطوا بهم

منا فاذبح فقال ليأخذ كل منكم قدحا بكسر القاف أى سهما ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا وأخذوا أقداحهم ودخل جوف الكعبة ودفعها الى القيم كما كانوا يصنعون وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عليه وأخذ الشفرة وأقبل على ذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعتذر الى ربك وان فعلت هذا لم يزل الرجل يأتى بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق الى قطيعة أو سجاح الكاهنة فلعلها تأمرك بأمر فيه فـــرج فانطلقوا

وصار وافى جملتهم وهم لا يفترقون قال رافع بن عميرة الطائى فلما أشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلدا العواصم وقنسرين اذا بطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرؤن الانجيل وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض وخرج البطريق أمام الصحابة ليأتى الى جبلة بن الأيهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضى الله عنه مواجها له وحوله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب البطريق منهم قال سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب فقال خالد ياويلك مانحن من عباد الصليب بل نحن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد رضى الله عنه وجهه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ياعدو الله أنا خالد بن الوليد أنا المخزومى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده البطريق وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا السيوف على أصحابه وارتفعت الضجة والجلبة وأعلن العدو بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فانزعجوا لذلك ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت فبرز ونحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما نظر خالد الى مادهمه ونزل بأصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خائف أن يتقلب من يديه أو تجرى عليه حادثة قبل أن يقتلهم خالد أن يقتله ورفع السيف ليعلوه به فتبسم البطريق من فعاله وتعجب خالد من ضحكه وقال ويلك مم ضحكك فقال البطريق لانك مقتول أنت ومن معك وتريد قتلى وان أنت أبقيت على فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح خالد بأصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولى واحموا عنى واصبروا على مانزل بكم ولا يكثر عليكم من أحد قق بكم فان أشد ما تخافون منه القتل والموت منيه خالد فى سبيل الله وانى والله أهد يت نفسى للقتل مرارا على أن رزق الشهادة واعلموا رحمكم الله أن سحتنا واضحة رمفوضة الى الله عز وجل وكانى بكم قد عدتم الى ربكم وسكنتم دار الابوت ساكنها ثم قر الا يمسهم فيها نصب وماهم منها بخرجين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد رضى الله عنه ودار وا من حوله وسار عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن يمينه و رافع بن عميرة عن يساره وعبيده هما م من ورائه وأصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين الى عبيده هما م وقال أوثقه الى جانبك ولا تبرح من مكانك وأبشر بالنصر من الله عز وجل (قال الواقدى) وأقبلت اليهم العرب المتنصرة يقدمهم جبلة بن الايهم فى عنقه صليب من الذهب الأحمر وفيه طرف من الجوهر وعليه ثياب الديباج المزركش ومن فوقه درع مذهب لزرد وعلى رأسه بيضة من الذهب وعلى أعلاها صليب من الجوهر وفى يده رمح طويل وسنانه يضئ كالقنديل وصاحب عمورية كالبرج المشيد ومن حوله الاعلاج المدماجة وقد أحدقوا بهم الجيش من كل جانب فلما نظر صاحب عمورية الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وقد ملك صاحب قنسرين وهو فى يده أسير خاف أن يحمل عليه خالد فاقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح ماهؤلاء العرب الاشياطين ألا ترى الى هذا العربى ومن معه وهم عشرة رجال وقد أحدقوا بهم هذا الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير ولا يخلص من أيديهم وانى خائف عليه أن يقتلوه وهو عزيز عند الملك هرقل فاخرج الى هذا العربى وقل له يخلى صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بأنفسهم فاذا أطلقوا صاحبنا حملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائى فبينما نحن وقوف حول خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الروم والعرب المتنصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر فى كثرتهم لاننا واثقون بالله عز وجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادى برفيع صوته ويقول من أنتم من أصحاب محمد المعروفين من أنتم من العرب التابعين أخبرونا من قبل أن ينزل بكم الدمار فكان المكلم له خالدا وبادره بالخطاب وقال له بل نحن من أصحاب محمد المختار المعروفين بأهل القبلة والاسلام والاكرام والانعام وأما سؤلك عن انسابنا فنحن الآن من قبائل شتى وقد جمعنا الله كلنا واحدة ونحن مجتمعون عليها وهى قول لا اله الا الله محمد رسول الله زاده الله تعالى شرفا فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا ذل يفكر فيه ولا فهم منه فقال جبلة ياتى أنت أمير هؤلاء العرب فقال خالد لست أميرهم بل أخوهم فى الاسلام وهم اخوانى المؤمنون فقال جبلة من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد أنا المعروف بكبش بنى مخزوم أنا خالد بن

حتى أتوا خيرة فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا مائة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل ثم اضربوا بينهما حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم وفدى صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم

الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى عن يمينى هو عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهذا الذى عن شمالى من أهل اليمن من كرام طيئ وهو رافع بن عميرة الطائى صهرى وفؤادى وذلك أنى اخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطالها الموصوف فلا تزدر بقلتنا ولا تفرح بكثرتكم فما أنتم فى القتال الا كطيور وقع عليها صائدها وهى كامنة فى أوكارها فما أتى القانص الشبكة عليها فما انفلت منها الا النحيب (قال الراوى) فزاد غضب جبلة من كلام خالد رضى الله تعالى عنه وقال له استعلم ان كلامك عليك ميشوم اذا دارت بك الاسنة وبقيت أنت ومن معك طعاما للوحوش فى هذه الفلاة تمزقكم بكرة وعشيا فقال له خالد ذلك لا يكثر علينا وهو سهل لدينا فانت من العرب التى قد نسبت لعبادة الصليب فقال أنا سيد بنى غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة بن الايهم فقال خالد أنت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى وسلك سبيل الغى وضل وغوى فقال جبلة است كذلك أنا الذى اخترت العز على الذل والهوان فقال خالد فانك على ذل نفسك حريص وانما الكرامة غدا فى دار البقاء والبعد عن دار الشقاء فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لا تفرط علينا فى المقال فانما أبقانى عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الاسير الذى فى يدك لانى أخاف ان حملت عليكم قتلته قبل قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده فى النسب فاطلقه من يدك حتى أجود عليكم بأنفسكم فقال خالد أما أسيرى فلا أطلقه من يدى حتى أقتله ولا أبالى بما صنع بى بعده وأما قولك تحمل على وعلى من معى بهذه الجموع فما أنصفت فى المقال فاذا أردت النصفة فى القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد أحدقت بنا أعنة خيولكم وأسنة رماحكم وطيال سيوفكم فابرزوا فارس لفارس وهذا أميركم فان قتلتمونا فقد خلصتم أسيركم وان أظفرنا الله بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك أسيركم اذا هلكت أنفسكم قبله (قال الواقدى) فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عوريه بجواب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فغضب صاحب عورية غضبا شديدا وانتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد الى البطريق وقد جرد سيفه علم انه يريد القتال فلما هم صاحب عورية بالحملة أمسكه جبلة ومنعه عن الحملة وأوقفه تحت صليبه وأقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال يا أخا بنى مخزوم ان الحرب كما ذكرت تحتمل النصفة وهؤلاء بنو الاصفر أعلاج الروم وغنم ما يعرفون النصفة فى البراز وقد حدثتهم بحديثك هى وقد رضوا منك بالمبارزة فمن أراد منكم المبارزة فليبرز فقال رافع بن عميرة الطائى فعزم خالد ابن الوليد أن يبرز فنهنه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وقال يا أبا سليمان وحق القبر الذى ضم أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق شيبة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لا يبرز لهؤلاء القوم غيرى وأبذل المجهود فيهم فاما لى أحق بأبى بكر الصديق فتركه خالد وقال أخرج شكر الله مقالك وعرف لك فعالك قال فخرج عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة أجنادين وكان الجواد من خيل بنى لخم وجذام من العرب المتنصره وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارق فى الحديد والزرد النضيد وبيده قناة تامة الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال وقال دونكم والقتال فانا ابن الصديق ثم جعل يقول

أنا ابن عبد الله ذى المعالى * والشرف الفاضل ذى الكمال
أبى الجميد الصادق المقال * أدين هذا الدين بالفعال

ثم طلب البراز قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يحول عبد الرحمن على الفارس الا حولة واحدة فيصرعه قتيلا فلما قتل الخمسة فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب فلما قرب من عبد الرحمن قال له يا غلام قد تعديت علينا فى قتالك وبغيت علينا فى قتالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغى من شيمتنا قال جبلة لانك قد ملأت الارض من قتلانا وما خرجت اليك أقاتلك لانك لست لى كفؤا فى القتال وانما خرجت اليك لان رجلا من أصحابك قد خرج يعينك وليس هذا من شيم الاشراف والانصاف قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم وقال يا ابن الايهم تريد أن تخدعنى وأنا تربية الامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد شهدت معه الوقائع والقتال

نزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فعقرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين والذبيحان عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل اسحق وأما والدته صلى الله عليه وسلم فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية (ولما) حملت به صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فى رجب أمر الله تعالى رضوان خازن

فقال جبلة لست مخادعا وما قلت الا حقا فقال عبد الرحمن فاخرج بازاءه من خرج مني فارسا من قومك ان كنت صادقا في مقالتك واحمل علي فاني كفء كريم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وانه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل قال هل لك يا غلام أن تلقى بيدك الينا وأغمسك في ماء المجودية غمسة تخرج منها نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن أمك وتكون من حزب الصليب والانجيل وتأكل القربان وتأخذ هذه الجزية العظيمة من الملك هرقل وأزوجك ابنتي وأقاسمك نعمتي وأتفضل عليك باكرامي وانعامي وأنا الذي مدحني شاعر نبيكم حيث يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم * يعطي الجزيل ولا يراه بأنه
الا كبعض عطية المذموم * لم ينثني بالشام اذ هو بارح * يوما ولا متنصرا بالروم
ان حثته يوما تقربه منزل * تسق براحته من الخرطوم

فاسرع الى ما عرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون في النعم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله الا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن اللئام أتدعوني من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر والجهالة وأنا ممن وقر الايمان في قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبي الله وأبغض من كفر بالله فدونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ما عزمت عليه حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك وأرغم بها أنفك وتستريح العرب من أن تنسب اليك لانك كافر بالرحمن وعابد للصلبان قال فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فنزاغ عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وانتضى سيفه وتمارك في الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه فبراه فرمى جبلة باقي الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وكان من بقايا سيوف كندة كانه صاعقة بارقة ماضرب به شيأ الا براه وحمل عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه حملة عظيمة قال رافع بن عميرة الطائي فجهمنا والله من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة ومنازلته على صفرسنه وقلة اعوانه ثم التقينا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة في جحفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فانثنى سيف عبد الرحمن عنها لانها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحا واضحا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته فلما أحس عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه بالضربة قد وصلت اليه ثبت نفسه وأرى قرينه كان الضربة لم تصل وحرك جواده واطلق عنان فرسه حتى لحق بخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وأصحابه فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله بضربته فقال نعم وأظهر له ضربته وما لحقه فأخذ رمحه عن فرسه وسدد اليه رمحه فقال خالد يا ابن الصديق ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق بيعة أبيك لافجعنهم في أميرهم كما فجعوني بك ثم صاح خالد بعبيده هام وقال قدم هذا العاج فقدم بين يديه فضربه بسيفه فأطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد فجعهم ذلك وغضب جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح في الروم والعرب المتنصرة وهو بالجملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبيده هام قف أنت عند عبد الرحمن فامنع عنه من أراده بسوء ثم قال لاصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج أحد منكم عن صاحبه وكونوا حولي فما أسرع الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضي الله عنهم كما أمرهم وما قصدهم الا من أيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال فقال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد بن الوليد كلما كثرت الخيل حولنا وازدحمت علينا تقدم اليها بنفسه ويفرقها بسيفه ولم يزل كذلك حتى أخذنا العطش والظمأ فقال رافع بن عميرة الطائي فلما رأيت ذلك قلت لخالد بن الوليد يا أبا سليمان لقد نزل بنا القضاء فقال والله لقد صدقت يا أبا عميرة لاني نسبت الفلنسوة المباركة ولم أصبها معي (قال الواقدي) وقد عظم عليهم الامر وعزم منهم الصبر وأخذهم الانبهار ورأوا من المشركين الدمار والارض قد مدت من قتلى المشركين وهم بين الروم كانهم أسرى واذ قد نادى بهم منادوهتف بهم هاتف وهو يقول خذل الآمن ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان هذا وقد بلغت

الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه الهادي الامين المأمون في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنان وأربعون سنة وأقام في بني سعد أربع سنين وتوفي أبوه عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين وكفله

القلوب الحناجر وعملت السيوف الدواتر ودارت عليهم الدوائر (قال الواقدى) حدثنا بسرة عن اسحق بن عبد الله قال كنت مع أبى عبيدة رضى الله عنه فبينما نحن فى شيزر وأبو عبيدة فى مضربه واذا به قد خرج فى بعض الليل من مضربه وهو ينادى النفير النفير يا معشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فاسرعنا اليه من كل جانب ومكان وقلنا له مانزل بك أيها الامير فقال الساعة كنت نائما اذ طرقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرنى وقال لى معنفا يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق بخالد بن الوليد رضى الله عنه فقد أحاط به القوم اللئام وانك تلحقه بان شاء الله تعالى برب العالمين (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فلما سمع المسلمون قول أبى عبيدة رضى الله عنه تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن معه قال فبينما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على المقدمة فى أوائل الخيل اذ نظر الى فارس يسرع به جواده وهو أمام الخيل ويكرى فى سيره كرا فامر أبو عبيدة رضى الله عنه رجالا من المسلمين أن الحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فلما كلت الخيل عن ادراكه نظر أبو عبيدة اليه وظن أنه من الملائكة قد أرسله الله أمامهم غير أنه نادى به الامير أبو عبيدة على رسلك أيها الفارس المجد والبطل المكدار فى بنفسك يرحمك الله فوقف الفارس حين سمع النداء فلما قرب أبو عبيدة من الفارس اذا هى أم تميم زوجة خالد بن الوليد رضى الله عنهما فقال لها أبو عبيدة فما حملك على المسير أمامنا فقالت أيها الامير انى سمعتك وأنت تصيح وتصرخ بالنداء وتقول ان خالدا أحاطت به الاعداء فعلمت ان خالدا ما يخذل أبدا ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ حانت منى التفاتة الى الفلنسوة المباركة وقد نسيها فأخذتها وأسرعت اليه كما ترى فقال أبو عبيدة لله درك يا أم تميم سيرى على بركة الله وعونه قالت أم تميم كنت فى جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء العرب والخيل تطير بنا طيرا حتى أشرفنا على الغبرة والقتام ونظرنا الاسنة والصوارم تلوح فى القتال كانها الكواكب والمسلمين حس يسمع قالت فانكرنا ذلك وقلنا ان القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وحمل وحملت المسلمون قال رافع بن عميرة فبينما نحن قد يئسنا من أنفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن الا ساعة حتى أحاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الاصوات وارتفعت الزعقات قال مصعب بن محارب البشكرى فرأيت عبدة الصلبان وهم هاربون ورأيت خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو ثابت فى سرجه متشوف الى الاصوات من أين هى واذا بفارس قد خرج من الغبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه وهم يهربون منه حتى ازاح من حولنا الكتائب والرجال فاسرع خالد بن الوليد اليه وقال من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقالت انا زوجتك أم تميم يا أبا سليمان وقد أتيتك بالفلنسوة المباركة التى تنتصر بها على أعدائك فخذها اليك فوالله ما نسيتها الا لهذا الامر المقدر ثم سلمتها اليه فلما مر من ذؤابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نور كالبرق الخاطف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وضع خالد الفلنسوة على رأسه وحمل على الروم الا قلب أوائلهم على أواخرهم وحملت المسلمون حملة عظيمة فما كان غير بعيد حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن فى القوم الا قتيل وجريح وأسير وكان جبلة أول من انهزم والعرب المتنصرة أثره فلما رجع المسلمون عن اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير أبى عبيدة رضى الله عنه واتباعه وسلموا على الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وعن المسلمين وشكروا الله على سلامتهم ونظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وأصحابه وهم كانهم قطعة ارجوان نصاعة وهنأ بها السلامة وقال لله درك يا أبا سليمان لقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يا معشر الناس قد رأيت أن نسير من وقتنا هذا ونغير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال ونهب الاموال فقال المسلمون نعم ما رأيت يا أمين الامة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فانتخب أبو عبيدة رضى الله عنه فرسانا جعلهم فى المقدمة مع عياض بن غانم الاشعرى وساروا حتى أشرفوا على قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شنوا الغارات فشنوا الغارات عليهم وسبوا الذرارى وقتلوا الرجال فلما نظر أهل قنسرين الى ذلك أغلقوا أبواب مدينتهم وأذعنوا بالصلح وأداء الجزية فاجابهم أبو عبيدة رضى الله عنه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل رأس منهم أربعة دنانير وبذلك أمره عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما فتح أبو عبيدة

جده عبد المطلب الى ان توفى وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتى عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فى رضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن اربعين سنة وتوفى أبو طالب وهو ابن تسع واربعين وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبى طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة

رضى الله عنه قنسرين والعواصم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على برأيكم رحمكم الله فان الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية فهل أسير الى حلب وقلاعها وانطاكية وملوكها وعساكرها أو نرجع الى ورائنا فقالوا أيها الامير كيف نرجع الى حلب وانطاكية وهذه أيام انقضاء الصلح الذى بيننا وبين أهل شيزر وارمين وحمص وجوسية ولا شك أنهم قد أخذوا الحصار وقوة وابلادهم بالاطعمة والرجال ونخاف ان يتغلبوا علينا فيما أخذناه من البلاد ويغيروا علينا لاسيما بعلبك وحمص فانهم أولو شدة وعديد ونرى من الرأى أن نرجع اليهم ونقاتلهم فلعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب ذلك ورجع على طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا قد تحصنت بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لابى عبيدة قصد الا حمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد وقد بعث اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته وكان من أهل الشدة والباس ومعه جيش عرمرم وكان اسم البطريق هربيس فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك ترك على حمص خالد بن الوليد رضى الله عنه وسار هو الى بعلبك فلما قرب منها واذا بقافلة عظيمة فيها جميع من الناس ومعهم البغال والدواب وعليها من أنواع التجارات وقد أقبلت من الساحل يريدون بعلبك فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى سوادها قال لمن حوله من الفرسان ماهذا الاجمع كثير أمامنا فقالوا الاعلم لنا بذلك فقال على بخبرهم فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع بعضهم بخبرها فاذا هى قافلة من قوافل الروم محملة متاعا قال شداد بن عدى وكانت أحمال القافلة أغلبها سكرا وكانت لأهل بعلبك فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه الله اليكم فانها غنيمة من عند الله (قال الواقدى) فاحتوينا على القافلة وكان فيها أربعمائة حمل من السكر والفستق والتين وغير ذلك وأخذنا أهلها أسارى فقال أبو عبيدة رضى الله عنه كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء فابتغيناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب وصنعنا من السكر المصيدة والفالوذج بالسمن والزيت ودعس المسلمون دعسا وبتنا حيث حوتنا القافلة فلما أصبح الصباح أمر أبو عبيدة رضى الله عنه بالمسير الى بعلبك والنزول عليها وكان قد هرب قوم من القافلة وأخبروا أهل بعلبك بالقافلة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكان شديد البأس شجاع القلب فلما أتاه الخبر بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله وأهل الحرب وأمرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل يسير وهو يعلم ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه سائر اليهم بجيوش المسلمين فلما انتصف النهار وتراءى الجمعان وكان هربيس معه سبعة آلاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده ونظر طوالع جيش أبى عبيدة رضى الله عنه ونظر المسلمون الى ذلك نادوا بالنفير النفير فمنذ هاتيك تبادرت الفرسان وتقدمت الشجعان وشرعوا رماحهم وجردوا سيوفهم ووصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب فقال له بعض بطارقته ما الذى تريد أن تصنع مع العرب فقال أقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فيغيروا على مدينتنا فقال له الراى عندى ان لا تقاتل العرب وارجع سالما أنت ورجالك فان أهل دمشق الشام ما قدروا عليهم ولا ردهم عساكر أجناد بن ولا جيوش فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية بمن جرى لهم بالامس مع صاحب قنسرين وصاحب حمص وحماة والعرب المتنصرة وكيف ردهم هؤلاء العرب على أعقابهم منهزمين والصواب أنك تفوز بنفسك وبمن معك وارجع فقال هربيس لست أفعل ذلك ولا أنهزم أمام العرب وقد بلغنى ان عسكرهم الكبير على حمص مع الامير أبى عبيدة الذى كان فيها خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح الينا فقال ذلك البطريق الناصح أما أنا فلست أتبع رأيك ولا اقاتل العرب ثم لوى عنان فرسه راجعا الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم وأما هربيس فانه صف رجاله وزحف يريد القتال فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه ذلك وانهم عولوا على الحرب صف رجاله وعساكره وقال أيها الناس اعلموا رحمكم الله تعالى ان الله قد وعدكم رأيدكم بالنصر حتى هزم أكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التى أنتم قاصدون اليها وسط ما فتحتموه من البلاد وأهلها قد أكثر وا من الزاد والعدد والقوة فاياكم والعجب وانتصروا واغزوا أعداء الدين وانصروا الله ينصركم واعلموا ان الله معكم ثم حمل الامير أبو عبيدة وحمل المسلمون قال عامر بن ربيعة وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدا المرسلين ما كان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة

أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم رجع الى مكة فى جوار المطعم بن عدى ولما تمت له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له خمسون سنة أمره ربه ولما اشتد البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهى يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويرتحلون الى المدينة ولم

مع أصحابه وفيه سبع جراحات فتلقاه الذى أشار عليه لا تقاتل العرب وقال له وأين غنائم العرب التى
غنمتموها فقال له هربيس قتحك المسيح أتهزأ بى وقد قتلت العرب رجالى وقد جرحت هذه الجراحات فقال له
البطريق ألم أقل لك انك مهلك نفسك ورجالك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان الامير أبا عبيدة سار حتى
نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد أغلقوا الابواب وقد أحرزوا أموالهم
ومواشيهم فى جوفها واطلع المسلمون على الاموال كانها الجراد المنتشر قال فلما نظر الامير أبو عبيدة رضى الله عنه
الى البلد وتحصينه وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك انه بلد لا يزاد له البرد فى الشتاء والصيف فقال
الامير أبو عبيدة رضى الله عنه لخواص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرأى فى ذلك فاجتمع رأيهم
على شورى واحدة وهو ان يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه أصلح الله الامير انى
أعلم ان الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن ان المدينة لا تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله
النصر وان يفتحها الله على أيدينا فقال الامير يا ابن جبل من أين علمت أن القوم يتضايقون فى مدينتهم
فقال يا أمير المؤمنين انى كنت أول من أسرع بجواده قبل وأشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت
ان ألحق سوابق الخيل فرأيت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المنحدر والمدينة مشحونة
باهل السواد والقرى والمواشى ودوابهم فيها وقد ضاقت بهم وهذه أصوات القوم فى المدينة كأنهم النحل
من كثرتهم فقال أبو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مباركا الرأى سديد المشورة (قال
الواقدى) وبات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضا الى الصباح ثم كتب أبو عبيدة رضى الله عنه الى
أهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين
فيهم أبو عبيدة بن الجراح الى أهل بعلبك من المخالفين والمعاندين أما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله الحمد
أظهر الدين وأعز أولياءه المؤمنين على جنود الكافرين وفتح عليهم البلاد وأذل أهل الفساد وان كنا بنا
هذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمة الى كبيركم وصغيركم لانا قوم لا نرى فى ديننا المبنى وما كنا بالذين نقاتلكم حتى
نعلم ما عندكم وان دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان أردتم لذمام
ذمتنا كم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فاسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى ثم
كتب انا قد أرحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين
وأمره أن يسير به الى أهل بعلبك ويأتيه بالجواب فاخذ المعاهد الكتاب وأتى به الى السور وخاطبهم
بلغتهم وقال انى رسول اليكم من هؤلاء العرب فادلوا حبلا فربطه فى وسطه وأخذه القوم اليهم وأتوا به الى
بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع هربيس أهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة رضى
الله عنه وقال أشيروا على برأيكم فقال له بطريق من بطارقته وهو صاحب مشورته الرأى عندى أن
لا نقاتل العرب لانا لا نيأس لنا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كنا فى أمن وخصب ودعة كما قد صار أهل
أركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وان نحن قتلناهم واخذونا فى الحرب قتلوا رجالنا واستعبدونا
وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب فقال هربيس لا رحمك المسيح فما رأيت أجبن منك ولا أقل جلدا يا
ويلك كيف تأمرنا أن نسلم مدينتنا الى أوباش العرب لاسيما وقد عرفت حربهم وقتالهم واختبرت نزالهم
وانى فى هذه النوبة لو حملت فى ميسرتهم كنت هزمتهم فقال البطريق نعم كانت الميسرة والقلب يخافون
منك ثم تخاصما وتشاتما وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة يطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى
هربيس الكتاب الى المعاهد بعد أن مزقه وأمر غلمانه أن يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل المعاهد الى
عسكر المسلمين وأتى أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه وحدثه بما كان من القوم وقال أيها الامير ان أكثر القوم
عزموا على القتال فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه للمسلمين شدوا عليهم واعلموا ان هذه المدينة فى وسط
أعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالا على من صالحتم ولا تقدروا على سفر ولا على غيره قال فلبس
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والمدد ورجعوا الى الاسوار وعطف أهل بعلبك عليهم وترامو
بالسهام والاحجار وان هربيس قد نصب كرسيه ومنبره على برج من أبراج القلعة من ناحية المدينة وقد
عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على رأسه صليبا من الجوهر وحوله البطارقة والديرجانية

يه فى بمكة الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر وعلى ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر الى الغار ومنه الى
المدينة وكان خروجه
من مكة يوم الاثنين
وقدومه المدينة يوم الاثنين
هلال ربيع الاول وأقام
على رضى الله عنه بمكة
بعد خروجه صلى الله
عليه وسلم ثلاثة أيام ثم
ادركه بقباء يوم الاثنين ثم
أسس مسجد قباء وهو
المسجد الذى أسس على
التقوى ثم خرج من قباء
يوم الجمعة حين ارتفع النهار
فادركته الجمعة فى بنى سالم
ابن عوف فصلاها بهن
كان معه من المسلمين وركب

بالدروع المذهبة والمدد الكاملة وفى أعناقهم صلبان الذهب والجوهر وبايديهم القسى والسهام قال عامر بن وهب البشكرى شهدت حرب بعلبك وقد زحفت المسلمون الى سورها قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر وكان أناس من العرب بلا سلاح فأصابهم سهام القوم قال ورأيت القوم يتساقطون علينا من السور تساقط الطير على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الغوث الغوث وكنا قد عرفنا من الحرب ان من قال الغوث يعنى الامان فقلت له ويلك الامان فالذى ألقاك الينا من سوركم فجعل يكلمنى بالرومية وأنا لا أدرى ما يقول قال عامر بن وهب البشكرى فمحبته الى خيمة أبى عبيدة وقلت له أيها الامير اطلب من يعرف لغة هذا العلج فانى رأيتهم يرمى بعضهم بعضا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لمن حضر من المترجمة أخبرنا بخبر هذا العلج وما قضيته ولم يرمى بعضهم بعضا فقال له أترجمان يا ويلك قد أعطيناك الامان فاصدقنا فى الكلام وقل انما يرمى بعضكم بعضا قال ان بعضنا يرمى بعضا لاحكام أهل السوارى والقرى فلما سمعنا بمسيركم ورجوعكم عن أهل قنسرين التجأنا الى هذه المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن فيها لما نعلم من كثرة ما بها من الجيش فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة وبقى بعضنا الى السور فاذا ليس لنا موضع نأوى اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار مسكنا لنا فلما زحفتم الى القتال برز اليكم أهل الحرب والنزال من هذه المدينة فجعلوا يدوسوننا بارجلهم واذا اشتد الحرب عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ذلك فرح فرحا شديدا وقال ارجو من الله أن يجعلهم غنيمة لنا قال وأخذت الحرب ما أخذها وطحنت رجالها وعلا الضجيج وحمى الروم أسوارهم فلم يقدر أحد من المسلمين أن يصل اليها من كثرة السهام والحجارة قال غياث بن عدى الطائى حاربنا أهل بعلبك فى أول يوم فاصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا وأصيب من الروم على السور خلق كثير من أهل الحرب وغيرهم وانصرف المسلمون الى رحالهم ومالهم همة الى الطعام ولا الشراب ولا يريد أحدنا منا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد قال فبينما نحن ليلتنا نوقد النار ونتناوب فى الحرس الى الصباح فلما صلينا الفجر نادى منادى من قبل أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول عزمة منى على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى ينفذ الى رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو قال فابتدرنا الاصلاح لامورنا فلما نظر أهل بعلبك الى تأخرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا ان ذلك فشل منا وعجز فصاح هربيس فى الروم وقال اخرجوا لهم بارك المسيح فكم قال غياث بن عدى فلم يشعر المسلمون الا والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت الينا كالجراد المنتشر قال وكان بعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا يضع له القرص واذا بمنادينا ينادى ياخيل الله اركبى وللجهاد تأهبى فدونكم والقوم قبل أن يدهموكم قال حمدان بن أسيد الحضرمى وكان لى قرص خبزته وقدمت شيأ من الزيت لآكله اذا مى للقرص واذا بالمنادى ينادى النفير النفير قال فوالله ما راعنى ذلك حتى أخذت قطعة وغمستها فى الزيت وهويت بها الى فمى فسمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادى عريانا من دهشتى لسرعة الاجابة وضربت بيدى على عمود من أعمدة الخيام وحملت على القوم فوالله ما شعرت بما صنعت ولا عقلت ما على نفسى حتى صرت فى الروم فجعلت أحطمهم حطما وأهبرهم بالسيف هبرا قال فنظرت الى خيل الروم متفرقة والامير أبو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه ينادى برفيع صوته اليوم يوم له ما بعده قال ونظر أبو عبيدة الى شدة ضرب الروم وصبرهم على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية وأحاط بالروم من كل جانب وممكان وكان فى جملة خيله عمرو بن معديكرب الزبيدى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وربيعة ابن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور رضى الله تعالى عنهم وذو الكلاع الحميرى فقد درهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا فلما نظر الروم الى فعلهم رجعوا على أعقابهم طالبين الاسوار وغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى عسكرهم وأضرموا نيرانهم ودفنوا من استشهد منهم وأقبلت رؤساء المسلمين الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقالوا أيها الامير ما الذى قد عزمت عليه وما عندك من الرأى برحل الله فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه اعلموا أن من الرأى أن نتأخر عن المدينة مقدار شوط أو فرسخ ليكون ذلك مجالا لخيلكم ومنصة لحربكم والنصر من عند الله تعالى ثم دعا أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بسعيد بن زيد بن عمرو بن

راحلته متوجها الى المدينة فلما قدم على ناقته صاروا يمسكون زمامها ويقولون يا رسول الله علم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فسارت تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وأقام عنده صلى الله

نقيل وعقد له رايته وأمره على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وأمرهم أن يهبطوا الى الوادى وأن يقتلوا القوم على الابواب وأن يشغلوهم عن المسلمين ثم عاد ضرار بن الازور وعقد له رايته وأمره على خمسمائة فارس ومائة راجل وسرحه الى باب الشام وقال يا ابن الازور أظهر شجاعتك على بنى الاصفر فقاتل من هناك من الروم فقال حبا وكرامة قال ومضت كل فرقة الى جهة من الجهات فلما أصبح الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا فى خلق كثير الى أن تكاملوا حول بطريقهم هربيس فقال لهم البطريق اعلموا يا معاشر النصرانية ان أهل هذا الدين من قبلكم قد نشلوا عن قتال هؤلاء العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم فقالوا أيها السيد طب نفسا وقر عينا فانا كنا نخاف من العرب قبل أن نختبرهم ونعلم قتالهم وقد علمنا انهم اذا لاقوا حربنا لم يكونوا أصبر منا على الحرب لان أحدهم يأتى الحرب وعليه ثوب خلق خام أو فروة خلقة ونحن علينا الدروع والزرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح (قال الواقدى) فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى كثرتهم نادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين لا تفشلوا فتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قال وان الروم داخلهم الخوف لما كانوا قد نالوه من قوة المسلمين بالامس فحملوا حملة عظيمة قال سهل بن صباح العبسى شهدت قتال أهل بعلبك وقد خرج الينا أهلها فى اليوم الثانى وهم أطمع مما كانوا فى اليوم الاول وقد حملوا علينا حملة عظيمة شديدة منكرة وكنت فى ذلك اليوم أصابنى جرح فى عضدى الايمن وما أطيق أن أحرك يدى ولا أحمل سيفا ثم حملت عن جوادى وجريت بين أصحابى وقلت فى نفسى اذا قصدنى أحد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لى بد أن أدفع عن نفسى فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته وأشرفت على العسكرين وجعلت أنظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم فى العرب والمسلمون ينادون بالنصر وأبو عبيدة يدعو لهم بالنصر والتحمت القبائل وافتخرت العشائر قال سهل بن صباح وأنا على الجبل من وراء حجر أنظر الى ضرب السيوف على البيض والجنف والشرى يطير من شعاعها وقد التقى الفريقان واختلط الجمعان فقلت فى نفسى ويحى وما عسى أن ينفع المسلمين مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على الابواب والامير أبو عبيدة فى مثل هذا الحرب وانهم والله على وجل أن ينكشفوا ومن عظم شدتهم وحربهم وهول ما يلقونه قال فأسرعت الى جرائم الشجرة فجعلت أكسرها وأعيى الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد كان معى فاوقدت النار وأضرمتها فيه وعميت عليه حطبا أخضر ويابسا حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا أن يجتمع بعضنا الى بعض بارض الشام فى الليل وقود النار واثارة الدخان قال فما هو الا أن علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد وأصحابه وضرار بن الازور وأصحابه فنادى بعضهم بعضا الحقوا الامير أبا عبيدة رحمكم الله فانه هذا الدخان ماه والا من شئ عظيم والصواب أن نكون بخيلنا فى موضع واحد فأسرعوا بخيلهم وسار واحتى أشرفوا على المسلمين وهم فى شدة الحرب وأعظم الكرب وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بمنادهتف بهم بأحلى القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصر ثم على عبدة الصلبان واذا قد أشرف عليهم سعيد بن زيد وضرار بن الازور فى أوائل خيلهم وقد شرعا سنانهما وجلا فى الروقد أيقن الروم أنهم الغالبون اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين فاقبلوا ينظرون ما الخبر واذا بالمسلمين من ورائهم وقد جالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والخراب وظنوا انه قد أتى للمسلمين نجدة ومدد وقد غر بهم البطريق فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم وقال ياويلكم لا ترجعوا الى المدينة فقد حيل بينكم وبينها هذه مكيدة من مكايد العرب فلما سمعت الروم ذلك أحاطوا ببطريقهم كالحلقة المستديرة يحمى بعضهم بعضا فمدل بهم البطريق نحو الجبل ذات الشمال وكان سعيد بن زيد وضرار ابن الازور قد أقبلا يجيشهما عن يمين الحصن وشماله فحملوا عليهم واتبعوا آثارهم حتى طلعوا الى الجبل والتجأت الروم الى ضيعة فى الجبل حصينة خالية من أهلها فاستدار الروم اليها وتحصنوا فيها واتبعهم سعيد بن زيد فى الخمسمائة فارس الذين كانوا معه وذلك ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى هزيمة الروم نادى فى المسلمين معاشر الناس لا يتبعهم أحد ولا يفترق جمعكم لانى أخشى أن تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى اذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ولو سمع النداء ما تبع القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما تحصنت الروم فى الضيعة قال سعيد بن زيد هذه طائفة قد أراد الله هلاكها فدوروا بهم وحاصروا فى كل مكان ولا تدعوا أحدا يطلع رأسه الى أن تلحق بكم المسلمون ويأتى اليكم أمر من الامير أبى عبيدة ثم أقبل الى

عليه وسلم إستة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم أذن له فى الجهاد فأول غزواته غزوة الابواء خرج الى الجهاد يريد عير قريش ثم غزوة العشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهى أرض لبنى مدلج بناحية الينبع فسارت الى الشام ولم يدركها والمراجع الى المدينة من العشيرة لم يقم الا تسع ليال حتى سافر يريد بنى سليم (والواصل) الى ماء من مياههم أقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وتسمى هذه بدرا الاولى (ولما بلغه صلى الله عليه وسلم) رجوع العير من

رجل من عظماء المسلمين وقال له اخلفني في قومي حتى أنظر رأي الامير أبي عبيدة ومن معه ثم أخذ معه زهاء من عشرين فارسا من أصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين فلما نظر اليه الامير أبو عبيدة ومن معه قال ياسعيد أين رحالك وما صنعت بهم قال أبشر أيها الامير فان المسلمين في خير وسلامة وقد حاصروا أعداء الله في ضيعة في هذا الجبل ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها فقال أبو عبيدة الحمد لله الذي هزمهم عن أوطانهم وجعلهم أشتاتا ثم أقبل أبو عبيدة على سعيد بن زيد على ضرار بن الازور وقال لهما ماهذه المخالفة رحمكم الله ألم آمركم بالاقامة على أبواب المدينة والمشاغلة للقوم فما الذي ردكم الى وقد أرعيتم قلبي وقلب من كان معي وظننت ان أهل المدينة كادوكم وهو الذي منعنا أن نتبع المنهزمين فقال له سعيد بن زيد أيها الامير والله ماعصيت لك أمرا ولا خالفتك في قول وانى قد رقت حيث أمرتني اذ رأينا دخانا فدللنا منه ولاح لنا بياته فقلنا والله ماهذه الا داهية من دواهي الروم أونفير قد استدعانا به المسلمون فاسرعنا نحوك فعندها نادى الامير أبو عبيدة في المسلمين معاشر الناس أيكم أوقد نارا أو دخن دخانا في هذا الجبل فاجابه الامير أبا عبيدة فقال سهل بن صباح فلما سمعت النداء أجبت المنادي وأتيت الامير أبا عبيدة فقال ما الذي جرأك على ذلك فقصصت عليه قصتي فقال أبو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك بعدها أن تحدث حدثا من غير اذن أميرك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فبينما الامير كذلك يحدث سهل بن صباح واذا برجل من المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير يا أمة البشير النذير أدركوا اخوانكم المسلمين فقد أحاط بهم الروم وهم في أشد مايكون من القتال وانه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى باصحابه ورجاله وقال ياعباد المسيح اليكم هذه الشرذمة المسيرة والعصابة الحقيرة التي قد أحاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم ان قتلتم القوم كسرتم بذلك حدة العرب وانصرفوا عنكم قال مصعب بن عدي وكنت في بعلبك من أصحاب سعيد بن زيد وقد جعلنا نحاصرون البطريق والروم في الضيعة ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الا والبطريق والروم قد تبادروا الينا من كل مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا فقال والله لقد كبوا علينا الخيل واحاطوا بنا وبعد ماكنا أحطنا بهم وكان شعارنا في ذلك اليوم اصبروا صبرا قال فبينما نحن كذلك في أشد الحرب وأعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبل ومنادا يناديا ويقول أمامن رجل يهب نفسه في الله ويستفز المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يبعدون منا فقال مصعب بن عدي فلما سمعت الصوت هززت جوادي بكعبي وكان جوادا عتيقا يسبق الريح الهبوب أو الماء اذا انسكب من ضيق الانبوب وكأنه الطود العظيم والله لقد خرج من تحتي كأنه البرق ولم تلحق منه لروم الا الغبار بعد ماقلت منهم رجلين ولقد نظرت الى فرسي وهو يشب الصخرة ويسلك الوعر حتى أشرفت على عساكر المسلمين فناديت النفير النفير يا أمة البشير النذير فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة فأحابه خمسمائة رام من أصحاب القسي العربية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له اسرع برحمك الله والحق باصحابك قبل أن يأتي المدد اليهم ثم نادى بضرار بن الازور وأصحابه وقال له أدرك أخاك سعيد بن زيد قال فسار المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل وأشرفوا على الروم وهم محدقون باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو زيد بن ورقة بن عامر الزبيدي وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع أصحاب سعيد بن زيد وقد أحاطت بنا الروم وقد صبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا مابين جريح وقتيل ونحن في أشد مايكون من القتال والجراح وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا النفير فلما أشرفت علينا راية المسلمين رجعت الروم على أعقابهم مدبرين والى الضيعة راجعين ولحقنا من تأخر منهم وكثر فيهم القتل والجراح لاكثرتهم ونحصن القوم في الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وماترك منا منهم أحدا يخرج رأسه من كثرة النبل وورد الخبر الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه عن استشهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين وأن القوم قد لزموا الحصار وأن لا زاد عندهم ولا ماء فقال أبو عبيدة الحمد لله ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة فان الله عز وجل كاد عدوكم وهو منجز لنا ماوعدنا من نصره قال فعند هذا رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التي كانوا فيها أول مرة وضربوا خيامهم وأنفذوا طعامهم وأرسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم وأضرموا النيران في عسكرهم وذهب منهم الخوف وأتاهم الامان وان أهل بعلبك افترقوا على

الشام خرج اليها في ثلثمائة وثلاث عشر وخرج أبو سفيان من مكة في قريب من الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدرا الثانية وبدرا الغنائم (ثم غزا صلى الله عليه وسلم بني قينقاع) بفتح القاف وضم النون وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يامعشر اليهود احذروا أن

السو روجعلوا يضربون على وجوههم ويصيحون بلغتهم فقال الامير أبو عبيدة له بعض التراجمة ما يقول هؤلاء فقال له الترجمان أيها الامير انهم يقولون ياويلهم وياعظم ما أصابهم وياخراب ديارهم وياقتلاء رجالهم حتى ظفرت العرب ببلادهم (قال الواقدى) فلما دنا المساء أرسل الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد يقول له يا ابن زيد الحذر الحذر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم أحد ولا تفسح لهم قد ماواحدا فيخرج منهم واحد فيتبع أولهم آخرهم فتكون كمن حصل فى يده شئ فأضاعه فلما وصل الرسول الى سعيد بن زيد بهذه الرسالة أمر المسلمين أن يحيطوا بالضيعة من كل جانب وأن لا يخرجوا الى الحطب الا مائة بالسلاح ففعلوا ذلك وأمروا نيرانهم وباتوا طول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيعة يطوفون فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك أقبل على أصحابه ورجاله وقال لهم ياويلكم لقد أسسنا من التدبير وأحطأنا الرأى ومالنا مدد ولا نجدة ولا نصير ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على أن يحيطوا فى هذه الضيعة والآن قد حبسنا أنفسنا فى حبس ليس فيه طعام ولا شراب وان دام علينا هذا يوما ثانيا وثالثا ضعف قوينا ومات ضعيفنا وبطلت حيلتنا وسلمنا أنفسنا كارهين فنقتل عن آخرنا فقالت البطارقة فما الذى تراه أيها السيد فقال قد رأيت من الرأى أن أخدع العرب وأحتال عليهم وأسألهم الصلح لنا ولاهل مدينتنا كما قد طلبوا وأضمن أن أفتح لهم المدينة وتكون فى ذمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورنا واعلمنا نرسل الى صاحب عين الجوز والى صاحب جوسية فلما علما بقدومنا الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج المدينة ونحن من أعلى الاسوار ويكفينا المسيح هذه النوبة فقالت البطارقة اعلم أيها السيد أن صاحب جوسية لا يجيبك الى نجدة أبدا لانه مشتغل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل حصارنا هذا فلقد بلغنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا أنهم صالحوهم وليس لهم من القوة والقدرة أن يقاتلوا العرب وأما أصحاب عين الجوز فانهم فى تجارتهم متفرقون فى أقصى الشام وما أظن الا أنهم فى صالح العرب فانظر لنفسك ورعيتك ما فيه الصلاح فلما سمع البطريق هربيس قولهم أجابهم الى ذلك فلما أصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب أما فيكم رجل يعرف كلامى أنا هربيس البطريق فلما سمعه بعض التراجمة أقبل على سعيد بن زيد وقال له يا مولاى ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم وهو يستدعى كلامك فقال له سعيد بن زيد أدن منه وانظر ماذا يريد وماذا يقول قال فدنا الترجمان منه فقال له ما الذى تريد قال أريد أن يؤمننى أميركم هذا فى ذمامه وذمام أصحابه وبدونى حتى أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين فقال الترجمان ذلك لسعيد ابن زيد فقال سعيد بن زيد لا كرامة له حتى أدنو منه وأمشى اليه حتى يخاطبنى فان كان له حاجة فليأت الى خاصة ما ذليلا صاغرا حتى أسمع كلامه وأعلم مراده قال فاعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد فقال هربيس فكيف أنزل اليه وأنا محارب له فأنا أخاف أن يقتلنى فقال له الترجمان أنا أحدثك منه الذمام فان العرب لا تخون اذا أمنت فقال البطريق نعم قد تناهت الينا أخباركم ولكنى أريد أن أستوثق لنفسى ولاصحابى وأهل بلدى لانهم قوم قد لحقهم الحقد علينا وقد أصبنا منهم دما كثيرا وانى أريد أن أرسل له شخصا يأخذ لى منه أمانا فقال الترجمان أنا أعرفه ذلك ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له ان البطريق هربيس يريد أن يوجه اليك رجلا من أصحابه يأخذ له منك أمانا فقال سعيد بن زيد دعه يوجه من يريد وأعلمه أن رسوله مناف أمان حتى يرجع اليه قال فاعلمه الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء أصحابه وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق وان بلاد الشام قد أخذ المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وأنا فى شدة شديدة وان لم نأخذ من القوم الامان والا هلكنا وهلكت خيلنا وبعد ذلك يتحكمون فى أولادنا وحريمنا ويقتسمون أموالنا وذرارينا وليس لنا نجدة لان كل بلد مشتغل بنفسه عن نصرته فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم حتى أنزل أنا اليهم فلعلنا نجرى بينهم صلحا ولعلى أمكر بهم حتى نرجع الى المدينة ولعلى أرغب صاحبهم فى شئ من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنزل الرجل ووقف أمام الامير وسعيد بن زيد وهم الرجل أن يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون فامسكوه ففزع الرجل وقال لم تمنعونى أن أعظم صاحبكم فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال انما أنا وهو عبدان

ينزل بكم ما نزل بقريش من النقمة أى بدر فلم يقبلوا وأظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم وأعطى اللواء الابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقد حصنوا فى حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة اشتد الحصار فقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم ويخرجوا من المدينة بأولادهم وعيالهم ويتركوا أموالهم فاجابهم وأخذ أموالهم فباؤا بغضب من الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وأجلاهم عن المدينة ونزلوا باذرعات قرية من الشام (ثم كانت غزوة السويق) خامس ذى

الله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا لله الملك المعبود القديم فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الأمم فقال سعيد بن زيد فما الذى جاء بك قال جئت لآخذ منك أمانا البطريق أن لا تنقض لنا عهدا فقال سعيد بن زيد ليس من أخلاق الامراء ومن تقود الجيوش أن يغدر بعد الأمان ولسنا بحمد الله ممن ينقض عهدا وقد أعطيت صاحبك أمانا وان معك من ألقى السلاح وخرج يطلب الامان مستسلما فقال الرجل نريد منك الأمان ومن أميرك ومن معك فقال سعيد لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى البطريق وأعلمه بجواب سعيد وقال له اخرج وايا كم والغدر فانه يهلك صاحبه وان هؤلاء العرب لا يخونون أمانهم وعهودهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وانقد بلغنى ان البطريق هرقيس خلع ما كان عليه من الثياب والديباج وألقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدى سعيد ابن زيد فخر سعيد لله ساجدا وقال الحمد لله الذى أزال عنا الجبابرة وملكنا بطارقتهم وملوكهم ثم أقبل عليه وقال له ادن منى فدنا الى أن جلس الى جانبه وقال له أهذا الباسك دائما أو غيرته فقال لا وحق المسيح والقربان ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست هذا الا فى وقتى هذا فانى ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم قال لسعيد هل لك أن تصالحنى على أصحابى هؤلاء وعلى أهل المدينة ومن فيها فقال سعيد أما أصحابك هؤلاء فانى أوقفهم على شرط أن من دخل فى ديننا فله ما لنا ومن اختار الاقامة على دينه وألقى السلاح كان آمنا من القتل وعليه العهد أنه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا أبدا وأما المدينة فالامير أبو عبيدة عليها وقد فتحها ان شاء الله تعالى ثم قال ان أحببت أن تسير معى الى أبى عبيدة حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك فسر وأنت فى ذمامى فان اتفق بيننا كما لامر والا رددتك الى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين فقال البطريق أنا أفعل ذلك فعند ذلك دعا سعيد بن زيد بن أبى وقاص ابن عوف العدوى وقال يا ابن أبى وقاص كن بشيرا للامير أبى عبيدة بما سمعت وأسرع بالجواب قال فأسرع ابن أبى وقاص بن عوف وركب جواده وكان حصانا شديد العدو وجعل يسير سيرا حثيثا حتى أشرف على الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه ووقف بين يديه وسلم عليه وقال أصلح الله تعالى شأن الامير أبشرك بأن البطريق هرقيس قد أخذ الامان من سعيد بن زيد وهو يريد أن يقبل به عليك يسأل الصلح والامان له ولاهل مدينته فلما سمع الامير ذلك سجد لله شكرا ورفع رأسه وقال أيها الناس تقدموا الآن الى قتال أهل المدينة وأظهروا أسلحتكم عليها وكبروا تكبيرة واحدة لكى نرعبوا بها القوم قال ففعل المسلمون ذلك فارتجت المدينة رفزع أهل بعلبك وتداعوا للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب وكان أول من سبق الى المدينة وأعلاهم خبر البطريق المرقال بن عنبة وقال حصنوا أنفسكم وأولادكم وأموالكم بالصلح فان أبيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتح لنا بلادكم وأموالكم وغيرها وأن الله تعالى منجز أمره فلما سمع أهل بعلبك ذلك فزعوا وقزعا شديدا واغبرت وجوههم ورعبت قلوبهم وكلت من الحرب أيديهم وقالوا أهلكنا البطريق وأهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل أن يوجد بنا هذا الحصار لكان خيرا لنا قال وشدد المسلمون عليهم القتال (قال الواقدى) فلما علم أبو عبيدة أن نيران الحرب قد أضرمت على المدينة أرسل الى سعيد بن زيد يقول له أسرع الينا ومعك البطريق وله الامان الذى أمنت أنت فنحن لا ننقض لك عهدا فلما ورد رسول أبى عبيدة على سعيد بن زيد استخلف على الضيعة رجلا من أصحابه وسار سعيد مع البطريق حتى ورد على الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فلما وقف البطريق بين يديه ونظر الى زيه وزى من معه وشهد قتالهم وعظم ما تلقى المدينة من حربهم وقتالهم وحرك البطريق رأسه وعض على أنامله فقال أبو عبيدة رضى الله عنه الترجمان ما لهذا يحرك رأسه وبعض أنامله كأنه يتأسف على شئ فانه قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل على الترجمان وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة والمذبح لقد ظننت انكم أكثر عددا من الحصى وأكثر مددا ولقد كان يخيل لنا عند حربكم وشدة ما نلقى منكم أنكم على عدد الحصى والرمل من كثرتكم ولقد كنا نرى خيلا شهبا وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر وعليهم ثياب خضر فلما صرت بينكم لم أر من ذلك شيئا وما أراكم الا فى قلة عدد وما أدرى ما فعل جمعكم أبعثتموه الى عين الجوز أو الى جوسية أو مكان آخر فأخبر الامير الترجمان بذلك فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن

الحجة من السنة الثانية من الهجرة وذلك أنه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان ان يغزو محمدا واصحابه فخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريبا من المدينة بجبل بينه وبينها نحو ميل وقطع جانبا من النخل ولقى رجلين من الانصار فقتلهما وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فى طلبه فهرب هو وأصحابه وسار وا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة ويحملونه زادهم فلذلك سميت غزوة السويق (ثم كانت غزوة

معاشر المسلمين يكثرنا الله تعالى فى أعين المشركين وعدنا بالملائكة كما فعل بنا يوم بدر وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم علينا وأذل ملوككم فلما سمع البطريق كلام أبى عبيدة رضى الله عنه على لسان الترجمان قال لقد وطئتم الشام الذى عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجراجمة وما ظننا أن يكون ذلك أبدا وأما مدينتنا فهى حصينة تعيا بالحصار لأنها مدينة ليس بالشام مثلها بناها سليمان بن داود عليه السلام لنفسه وعملها دار مقامه وخزانة لملكه ولولا ما سبق من تفريطنا وخروجنا عنها إليكم وانحرافنا عنها ما صاصحنا كم أبدا ولا هانا الناحر بكم ولو أقمتم علينا ثمانية سنة والآن فقد كان ذلك فهل لكم أن تصالحونا حتى نصالحكم فتعدلوا إلينا فهو أقرب رشدا لنا ولكم فوحق المسيح والإنجيل الصحيح إن نصالكم هذه المدينة لا يصعب عليكم فى الشام حصن ولا مدينة قال فلما أخبر الترجمان الأمير أبا عبيدة رضى الله عنه بما قاله قال أبو عبيدة للترجمان قل له إن شاء الله تعالى ملكا أرضكم ودياركم وأذل لنا ملوككم فلا بد أن تؤدوا الجزية وقد ظننت لنفسك أمانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصغار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا أن نملك مدينتكم إن شاء الله تعالى ونقتل الرجال ونأسر الأبطال فمن أراد حربنا وقتالنا فلا يدخل فى صلحنا أبدا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان لقد تيقنت أن المسيح قد غضب على أهل هذه المدينة إذ بعث بكم إليها وملككم عليها وقد أجهدت فى حربكم ومكرت بكم ومانفع مكرى واجتهادى لأنكم قوم مسلطون وإنما طلبت منكم السلم والقيت يدى فى أيديكم بعد جهد منى لا شفقة منى على نفسى ولا بقاء منى على ملكى ولكن أردت صلاح البلاد لأن الله تعالى لا يحب الفساد والآن فهل لكم أن تصالحوا على المدينة وما فيها وعلى أصحابى هؤلاء فقال له الأمير أبو عبيدة رضى الله عنه فما الذى تبذل لنا فى صلحك قال له البطريق أيها الأمير انظر ما الذى تريد فقال الأمير أبو عبيدة لو أن الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة بما فيها ذهبا وفضة كان أحب الى من سفك دم رجل واحد لكن الله تعالى أعطى الشهداء فى الآخرة أكثر من ذلك فقال البطريق أنا أصالحكم على ألف أوقية من الفضة البيضاء وألف ثوب من الديباج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتبسم الأمير أبو عبيدة من كلامه وأقبل على المسلمين وقال لهم أما تسمعون ما يقول هذا البطريق قالوا نعم قال فما رأيكم فيما شرط على نفسه فقالوا يزيد عليه وشرطه رضينا فأقبل الأمير على البطريق وقال له أنا أصالحكم على ألفى أوقية من الذهب الأحمر وألفى أوقية من الفضة البيضاء وألفى ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح أصحابك الذين هم فى الضيعة محاصرون ولنا عليكم خراج أرضكم فى العام الآتى وأداء الجزية فى كل عام وأنتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا تحدثون حدثا ولا كنيسة وتزرون النصح للمسلمين فلما سمع البطريق ذلك من شرط الأمير أبى عبيدة رضى الله عنه قال ذلك كله علينا إلا ألفى أردبان أشرط عليك وعلى أصحابك شرطا فقال له الأمير أبو عبيدة وما شرطك فقال لا يدخل إلينا من أصحابك أحد وتنزل صاحبك الذى تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه ويكون له الخراج والجزية وتدعنى أنا من داخل المدينة من قبل الإصلاح بين الناس والنظر فى أحوالهم ونحن نخرج إلى من تخلفه علينا من أصحابك سوقا يكون فيه من جميع مافى مدينتنا ولا يدخلون إلينا مخافة أن يغلظوا بكلامهم على كبرائنا ويفسد الأمر بيننا وبينكم ويكون سببا للغدر ونقض العهد قال أبو عبيدة فإذا صالحنا كم نحاهد عدوكم لأنكم تصيرون فى ذمتنا ويكون الرجل الذى تخلفه علينا كمثل الواسطة والسفير بيننا وبينكم قال البطريق هو بيس يكون خارج المدينة ويفعل ما شاء إن يفعله من المحاماة فقال أبو عبيدة لكم ذلك ولا نضائق الدخول الى مدينتكم من حاجة فقال البطريق تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق الى المدينة وأبو عبيدة معه فلما وصل الى الباب حسر البطريق عن رأسه ورطن عليهم بلغة الروم فعرفوه عند ذلك فقالوا له وأين أصحابك ورجالك فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبره وخبر أصحابه وأعلمهم بالصلح فبكى القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الأموال فقال لهم البطريق ياقوم وحق المسيح ما صالحتهم ولى وجه غير الصلح فقالوا له اذهب أنت وصالح عن نفسك وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا وإن ندع أحدا منهم يملكنا ولا يدخل بلادنا ومدينتنا وهى أحصن مدينة فى الشام وكان الأمير أبو عبيدة رضى الله عنه قد أعلم المسلمين بمصالحة البطريق وأمرهم أن يكفوا عن القتال والحرب فلما سمع الترجمان كلام أهل بعلبك البطريق بهم أخبر الأمير أبا عبيدة رضى الله عنه بذلك

(كركرة الكدر) وهى أرض بها طيور فى ألوانها كدرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن قوما من بنى سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم فى مائتين من أصحابه فهربوا وأخذ إبلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاة لهم منهم غلام يقال له يسار فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وأعتقه لأنه رآه يصلى بعد أن أسلم ولما قرب من المدينة خمسها فخص كل رجل بعيران (ثم كانت غزوة أمر) بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء وذلك أنه صلى الله عليه

فأقبل البطريق فقال له أبو عبيدة هات ما عندك والا نردا لحرب كما كان فقال البطريق دعنى والقوم فوحق الانجيل الصحيح وعيسى المسيح لو لم يقبلوا منى لادخلتك بالكنيسة اليهم فتضع السيف فيهم وتقتل رجالهم وتسبى نساءهم وتنهب أموالهم لانى خبير بعورات بلادهم وبطارقتها قال أبو عبيدة رضى الله عنه ماشاء الله كان قال وكان الروم على سورهم يسمعون كلام البطريق لابى عبيدة رضى الله عنه فدخل الرعب فى قلوبهم فعند ذلك أقبل البطريق على الروم وقال لهم ماتقولون فى صلح العرب فانى أسير فى أيديهم ورجالهم وبنوعمكم فى قبضتهم فان لم تصالحوا العرب والا يقاتلونا جميعا ويرجعوا اليكم من بعدنا فقالوا أيها السيد انا لا نطيق هذا المال فقال ياويلكم على وحدى ربيع ماط لبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا انا لا نفتح الباب الا لك وحدك ولا يدخل معك أحد من العرب حتى نصلح مدينتنا ونرفع رحالنا ونخفى حرمنا فقال البطريق ويحكم فانى قد صالحت القوم على أن لا يدخل مدينتكم أحد منهم وان الرجل الذى يخلفونه عليكم يكون هو وأصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا يبتاعون منه قال ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم وبعث الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد أن يخلى عن الرجال الذين هم فى الضيعة محاصرون نخلى سعيد ابن زيد سبيلهم وجاءهم عند الامير أبى عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهائن على المال الذى عندهم لانه خاف ان تركهم أن يرجعوا الى المدينة ويندر وابنا المسلمين فتركهم عنده فى عسكره هذا والبطريق فى المدينة يجبى المال بعد اثنى عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى حضرة أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال له تسلم الاموال على ما وافقتك عليه وخل عن الرجال وانظر الى من تخلفه علينا من أصحابك فأحضره لنا حتى نشرط عليه بحضرتك أن لا يجور علينا ولا يطا البنا بالانطيق ولا يدخل مدينتنا قال فدعا أبو عبيدة رجلا من سادات قريش اسمه رافع بن عبد الله السهمى وقال له يارافع بن عبد الله استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس من بنى عمك وعشيرتك وار بعمائة فارس من أخلاط المسلمين وانى آمرك بما أمرك الله به فاتق الله حق تقاته ولا تكن الامن الولاة العادلين واياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين واعلم أن الله تعالى سائلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير الحق واعلم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام أن يا موسى لا تظلم عبادى أخرب بيتك من نفسك فأقم الارصاد فى أطراف البلاد فانك بين أعدائك وبعد هذا ما عرفتك الا يقاظا وأحذرك من السواحل وشن الغارة عليهم ولتكن غارتك فى المائة والمائتين ولا تمكن أحدا من المدينة يخلط بأصحابك فى غارة حتى يطمع عدوكم فيه وأحسن معاملة من ساعدك وأصلح بينهم وأمرهم بالعدل وكن بينهم كاحدهم وأمر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم عن الفساد والظلم للرعية والله تعالى خليفتى عليك والسلام عليك

﴿ذكر حديث نزول المسلمين على حمص﴾

﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به آمين﴾ ثم هم أبو عبيدة رضى الله عنه بالرحيل الى حمص واذ قد ورد عليه صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ما صالحه عليه أهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب السلمى وأوصاه بمثل ما أوصى به رافع بن عبد الله ورحل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يطلب حمص فلما وصل الى بين الرأس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هديه كثيرة فقبلها منه وجد معه صلحا وسار الامير أبو عبيدة رضى الله عنه حتى نزل على حمص (قال الواقدى) حدثنا حبان بن تميم الثقفى قال كنت فيمن أقام مع رافع بن عبد الله السهمى فى جملة أصحابه وذلك اننا نصبنا بيوت الشعر على العمد وأقمنا خارج المدينة لا يدخل اليها أحد منا ونحن مع ذلك نشن الغارة على سواحل الروم ونكبس على العرب التى لم تكن فى صلحنا وكنا اذا خرجنا فى سرية نبيع الغنائم فى بعلبك نفرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كذب ولا خيانة ولا نر بد ظلم أحد وطابت قلوبهم وربحوا فى تلك المدة اليسيرة ما لا عظيما فلما نظر البطريق هربيس الى مارج أهل بعلبك منا فى تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم اليه فى كنيسة المدينة وهى الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد وعدهم فيه الاجتماع فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة لقد علمتم انى قد اجتهدت فى أموركم وأحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وأنتم تعلمون ما ذهب منى من المال

وسلم بلغه ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من بنى ثعلبة وأراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه فلما سمعوا به هربوا فى رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) يفتح الباء الموحدة ويقال بضمها ثم بحاء مهملة ساكنة فى السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة أحد) فى السنة الثالثة أيضا وأحد جبل على ثلاثة أميال من

وأنا اليوم واحد منكم وقد سلمت مالى وسلاحى وقتل أكثر غلمانى ورجالى وبنو عمى وأنتم قوم قد أصبتم من هؤلاء العرب خيرا كثيرا فى هذه التجارات وقد أديت وحدى ربع المال فقالوا صدقت أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فيا الذى تريد الآن فقال ياقوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم وأريد أن تردوا على بعض ما بذلت من المال للعرب فقالوا أيها البطريق وأنى لك بذلك فقال البطريق ياقوم لست أكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حويته منازلكم شيأ وانما أريد أن تحملوا فى هذه البيوع والاشربة العشر مما تأخذون وتعطون قال فاضطرب القوم اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقال ياقوم هذا رجل منا وصاحب ملكنا قد اجتهد فى أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وماعسى يصيب منا فى مالنا قال فأجابوه الى ذلك وجعلوا له عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ منهم أعشارهم ويحمها ويحملها اليه فأقام على ذلك أربعين يوما فلما نظر هرقل اليس الى كثرة ما قد اجتمع له من ذلك العشر قال أنا أعلم أن هذه المدينة فى كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ثم جمعهم فى الكنيسة مرة ثانية وقال لهم ياقوم قد علمتم ما بذلت من المال على صلحكم وهذا الذى تعطونى اياه من العشر ليس يجزينى فان أردتم أن تردوا على مالى وتجعلوا لى كما حكم فاجعلوا لى الربع فى أموالكم حتى يرجع الى مالى سريعا والا فانى أحلف من هذا العشر مالى وسلاحى وغلمانى (قال الواقدى) فأبى القوم وضجوا عليه وأشهروا عددهم ووقفوا فى الطريق لغلمانه فقطعوهم بالسلاح وأوقعوا بهم وقتلوهم لذلك وهم لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى أميرهم رافع بن عبد الله السهمى وقالوا أيها الامير أما تسمع أصوات هؤلاء القوم فى مدينتهم فقال ياقوم قد سمعتم كما سمعت فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم وبهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن أحق بمن أوفى بعهد الله تعالى فانهم خرجوا الينا وأعلمونا بأمرهم صالحنا بيننا وبينهم ونظرنا فى أمورهم (قال الواقدى) فما استتم الامير رافع بن عبد الله كلامه حتى خرج أهل بعلبك يهرعون اليه فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبك أيها الامير ثم أعلموه بقصتهم وما فعل البطريق بهم أول مرة وما فعل بهم ثانى مرة قال رافع بن عبد الله انا لا نمكنه من ذلك فقالوا يا أيها الامير انا قد قتلناه وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رافع فيما الذى تريدون فقالوا نريد أن تدخلوا الى المدينة فانا قد أطلقنا لكم الدخول اليها فقال رافع بن عبد الله أنا لا أقدر أن أدخل المدينة الا باذن الامير أبى عبيدة لانه ما أذن لى بذلك ثم كتب رافع بن عبد الله الى الامير أبى عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذى قالوه فكتب له بالدخول الى المدينة كما قد أذنوا له فدخل رافع وأصحابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا موسى بن عامر قال حدثنا يونس بن عبد الله قال حدثنا سالم بن عدى عن جده عبد الرحمن بن مسلم الربعى وكان ممن حضر فتوح الشام أوله وآخره قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبد الله وتوجه الى حمص للحوق بخالد بن الوليد فلما قرب من حمص ومر موضع يقال له الزراعة وجه على مقدمته جيشه ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض وضم اليه خمسة آلاف فارس من المسلمين فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه الى لقائه وسلم عليه وعلى من معه من المسلمين ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور فى خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن معد يكرب الزبيدى وقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بقية الجيش فلما أشرف أبو عبيدة على حمص قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون بأجمعهم وسلموا عليه وعلى من معه ونزل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على النهر المعلوب فلما استقر به القرار كتب الى أهل حمص وبطريقها الجديد وهو رابيس كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على الشام وقائد جيوشه أما بعد فان الله تعالى قد فتح علينا بلادكم ولا يعزنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم فما مدينتكم عندنا اذا أتاكم الحرب الا كالبرمة قد نصبناها فى وسط عسكرنا والقينا اللحم فيها وجميع العساكر يتوقع الاكل منها وقد دار وابها ينتظرون نضجها واكل ما فيها ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل فان أجبتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا منا يعلمونكم أمر دينكم وما فرض الله تعالى عليكم وان أبيتم الاسلام قررناكم على اداء الجزية وان أبيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب والقتال حتى يحكم الله وهو خير

المدينة وسببها أنه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم وخلص أبو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى أشراف قريش الى من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محموسة فى دار الندوة لم تدفع الى أربابها فقالوا ان محمدا وتركم أى نقص عددكم بان قتل رجالكم ولم تأخذوا بثارهم فأعينونا بهذا المال حتى نحاربه لعلنا ندرك منه ثارا عن أصاب منا فطابت نفوسهم على أن يجهزوا بربح ذلك العير جيشا الى محمد وكان رأس المال خمسين ألف دينار وقد ربح

الحاكمين ثم طوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وكان ذلك الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال له انطلق الى حمص واثننا بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب وسار حتى وصل الى السور فرماهم أهل حمص أن يرموه بالسهام والحجارة فقال لهم بالرومية يا قوم أمسكوا عليكم فأنا رجل معاهد وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء العرب (قال الواقدى) فأدلوا له حبلا فربط وسطه به ورفعوه اليهم وأتوا به الى بطريقهم فلما وقف بين يديه خضع له وناوله الكتاب فقال له البطريق ارجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب قال لا ولكن فى ذمتهم وعهدتهم أنا وأولادى وأهلى ومالى وما رأينا من القوم الا خيرا والصواب عندى أن لا تقاتلوهم فان القوم أولو بأس شديد لا يخافون ولا يرهبون الموت قد تمكسوا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة وقد أقسم القوم بدينهم لا يبرحون عن مدينتكم حتى تسلموها اليهم أو يقتلهم الله على أيديهم وحق دينى انكم أحب الى من العرب وأريد النصر لكم دون القوم ولكنى خائف عليكم من بأسهم وسطوتهم فسلموا تسلموا ولا تخالفوا تندموا (قال الواقدى) فلما سمع البطريق هرابيس كلامه غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح والانجيل الصحيح لولا أنك رسول لامرت بقطع لسانك على جزءتك علينا لما قرأ الكتاب وعلم ما فيه أمر كاتبه أن يكتب الى الامير أبى عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة لكمة ثم قال يا معاشر العرب انه وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد والوعيد والوعيد ولسنا ممن لا قيتم من أهل الشام ولم يزل الملك هرقل يستنصر بنا على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلا بد لنا من الحرب والقتال فاستوروا شدوا أبوابنا حديدا وحرسوها بالعبيد والسلاح وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهد وأمر غلمانه أن يدلوه بالحبال من السور وسار حتى وصل الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وسلمه الكتاب ففضه وقرأه فلما سمع المسلمون ما فيه هرولوا على الحرب والقتال وقسم الامير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجبة الفزارى فنزل بهم على باب الجبل مما يلى باب الصغير وبعث فرقة أخرى مع المرقال بن هشام بن عقبة بن أبى وقاص فنزل بهم على باب الرستق وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبى سفيان فنزل بهم على باب الشام ونزل الامير أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما على باب الصغير وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم فيتلقونها بالحجف ونبال العرب تصل اليهم والى من بأعلى السور فأثرت لاجل ذلك ضررا فانفضوا عند المساء فلما كان الغد جمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه كل عبد كان فى عسكر المسلمين وأمرهم أن يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالحجف ويزحفوا الى سور حمص ويضربوا السور بأسيافهم ويتلقوا السهام بحجفهم فقال الامير أبو عبيدة وما عسى أن يغنى عنا هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه على رسلك أيها الامير ولا تخالفنى فيما صنعت فانى عزمت أن أقاتلهم بالعبيد ونعلمهم أن ليس لهم عندنا من القدر شئ فما قاتلهم أنفسنا الا أن يخرجوا الينا فقال أبو عبيدة رضى الله عنه افعل ما شئت فالله تعالى يوفقك فعند ذلك أمرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالزحف على الاسوار وكانوا أربعة آلاف عبد وأمر خالدا ألفا من العرب أن تترجل معهم ففعلوا ذلك وزحفوا على السور وقد استتروا بالحجف والعرب من ورائهم فرموا بالنبل وضربوا بسيوفهم فنهاما تنثلم ومنها ما انكسر (قال الواقدى) وأشرف عليهم هرابيس صاحب حمص وقد دارت بطارقته وأصحاب العرب فجعلوا ينادون الى أفعالهم فقال هرابيس يا معاشر البطارقة وحق المسيح ما ظننت أن العرب بهذه الصفة واذا هم كلهم سودان فقال له بعض من لحقه بأجنادين وسائر المواطن لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب فى الحرب وقد قدموا هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالنا مع أن ليس لنا عندهم من القدر أن يلقونا بأنفسهم أو نخرج اليهم فقال هرابيس وحق المسيح ان هؤلاء أشد من العرب بأسا وأقوى مراسا واعلموا انه ما لزق قوم بسور مدينتنا ولا دنوا منها الا وقد هان علينا أمرها واقترب على أيدينا فتحها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى أن العبيد قاتلوهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم حتى أقبل الليل ورجعت الموالى الى عسكر المسلمين وبعث هرابيس من ليلته رسولا الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فأقبل الرسول والظلام معتكر فاحس جيوش المسلمين به فهموا به فقال أنا رسول من البطريق هرابيس صاحب حمص وأريد الجواب عن هذا الكتاب فسلم اليهم كتاب هرابيس فأخذه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه

كل دينار دينارا فكان الربح خمسين ألف دينار وخرجوا بها المحاربته صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى على نبيه فى ذلك ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وجمع أبو سفيان من قريش ومن والاهم من قبائل العرب كنانة وتهامة ثلاثة آلاف من القبائل والحلفاء ومنهم جابر بن مطعم بن عدى ووحشى قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج أبى سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضى الله

وقرأه فاذا فيه يا معاشر العرب انا ظننا أن عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور واذ أنتم بخلاف ذلك لانكم فى أول حربكم انا فرقتم على الابواب فقلنا هذا أشد ما يكون من الحصار وأعظم ما يقدرون عليه من الاضرار فلما كان الغد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون أسيافهم ويكسرون سلاحهم فيا ليت شعرى هل تصبرون هؤلاء على فساد سورنا وقد بان لنا عجز رأيكم وتدبيركم فى القتال وملاقاة الرجال والآن فانا أشير عليكم بامر فيه الصلاح لنا ولكم وهو أن تسيروا الى الملك هرقل وتفتحوا ما بين أيديكم كما فتحتم ما وراءكم وايا كم واللجاج والبغى فانهما قتلا ذا لمن اتبعهما وراجعا على من بدأ بهما أو نحن نخرج اليكم صيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق قال فلما قرأ الامير أبو عبيدة كتاب هرابيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثعم وسيد من سادا تهم اسمه عطاء بن عمرو الخثعمى وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الرأى قد فاد الرجال وولى أمر الجيش وحزم العساكر فلما سمع كتاب هرابيس وثب قائما على قدميه وقال للامير أبى عبيدة رضى الله عنه أقسمت عليك أيها الامير برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعت مقالى فان فيه صلاحا للمسلمين فالله وفقنى لمقالة وأبدا المسلمين بها قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه قل يا أبا عمر وفانت عندنا ناصح للمسلمين قال فدنا من الامير أبى عبيدة وسار وره وقال له أصلح الله الامير اعلم ان خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء الشام وهذا البطريق أشد منعة وأعظم حولة ممن كان قبله وقد علم يفتوح بعلمك وانك لابد ان تنزل على حصارها وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار وقد شحنها بالرجال ومالك فى رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوا منه عندهم ما يكفيهم أعواما وان نحن حاصرناهم يطول الأمر كما طال أمرنا على دمشق والرأى عندى ان تخدعهم بخديعة ونحتال عليهم بحيلة فان تمت لنا عليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وما الحيلة عندك يا ابن عمرو فقال الرأى عندى ان تكتب الى هؤلاء القوم ان يجيرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم الى أن يفتح الله تعالى عليك غير مدينتهم ونرجع اليهم وقد قل زادهم وانتشر وافى سوادهم وتفرقوا فى أمصارهم وتجاراتهم ونشن عليهم غارة فنهلك ما ظهر منهم ويهون علينا أمر من بقى فى حمص مع قلة الزاد والعلوفة فقال أبو عبيدة أصبت الرأى يا ابن عمرو انى سوف افعل ما ذكرته ونرجو من الله التوفيق والعون ثم دعا أبو عبيدة رضى الله عنه بدواة وبياض وكتب جواب الكتاب بقرأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى رأيت فى قولك صلاحا لنا ولكم ولسنا نريد البغى على أحد من عباد الله عز وجل وقد علمت أن عسكرنا كثير وخيلنا وابلنا كثير فان أردتم ان نرتحل عنكم فابعثوا الينا ميرة خمسة أيام وأنتم تعلمون ان البطريق الذى أمامنا بعيد وما نلقى بعدكم الا كل حصن منيع وأبواب حديد فاذا أمرتمونا رحلنا عنكم الى بعض مدائن الشام فاذا فتح الله علينا ببعض مدائن الشام رجعنا عليكم كما زعمتم فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم وطوى الكتاب وسلمه الى الرسول وسار الى حمص فلما قرأ هرابيس الكتاب فرح بذلك وجمع الرؤساء والرهابين وقال لهم اعلموا أن العرب قد بعثوا يطلبون منكم الزاد والميرة حتى يرحلوا عنكم فان العرب مثلهم كمثل السبع اذا وجد فريسته لم يرجع الى غيرها وهم قد لحقهم الجوع فى مدينتكم واذا أشعثناهم انصرفوا عنا فقالوا أيها الامير نخاف من العرب أن يأخذوا الزاد والعلوفة ولا يرحلوا عنا فقال انا نأخذ لكم عليهم العهود والمواثيق انكم اذا أمرتموهم يرحلون عنكم فقال افعل ما بدا لك واستوثق لنا ولك قال فبعث هرابيس وأحضر القسوس والرهبان وأمرهم أن يخرجوا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه و يأخذوا عليهم العهود والمواثيق اذا أمرناهم يرحلوا عنا قال فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستن فسار وا حتى وصلوا الى الامير أبى عبيدة وأخذوا عليهم ميثاقا وعهدا ان يرحلوا عنهم اذا هم مارو هم ولا يرجعوا عليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن الشام شركا أو غربا سهلا كان أو جبلا فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه قد رضيت بذلك وتم الصلح على ذلك وأخرج لهم أهل حمص مما كانوا قد ادخروه من الزاد والعلوفة شيأ عظيما لهم ولعسكرهم ما يكفيهم مدة خمسة أيام فاقبل أبو عبيدة عليهم وقال يا أهل حمص قبلنا ما حملتموه لنا من الزاد والعلوفة فاذا رأيتم الآن ان تبيعوا من الزاد والعلوفة فقالوا نحن نفعل ذلك فعندها نادى الامير أبو عبيدة بشراء الزاد والعلوفة وانكثر وامن ذلك فان قدامكم طريقا واسعا قليل الزاد والعلوفة فقالوا أيها الامير بماذا نشترى الزاد وعلى أى

عنهم وهؤلاء أسلموا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وستمائة درع ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفا مكتوبا عليه فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر (ولما جاوز المدينة) عرض عليه أصحابه فرد منهم شبانا خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلق كثير منهم جابر بن عبد الله فاخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم ان الله

شئ نحمله فقال أبو عبيدة من كان معه شئ من الذى غنمتموه من الروم فليشتر به الزاد والعلوفة قال حسان ابن عدى الغطفانى خفف الله عن أبى عبيدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس مما كان قد أثقلنا وأثقل دوابنا فأخذنا به الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم فى البيع والشراء ويشترى منهم أهل حمص ما يساوى عشرين دينارا بدينارين ورغب أهل حمص فى شراء الرخيص ولم يزل أهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص فرحون برحيل العرب عنهم قال وكان للروم فى عسكر العرب جواسيس وعيون يأخذون لهم الاخبار فلما نظرت الجواسيس الى أهل حمص وقد فتحوا مدينتهم وهم يميرون العرب ظنوا أنهم دخلوا فى طاعتهم فسارت الجواسيس الى أنطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتازوا ببلد من البلاد أو حصن من الحصون يقولون ان أهل حمص قد دخلوا فى طاعة العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل للمسلمين وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيزر فأشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك

﴿ذكر فتح الرستن﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار الامير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماءها غزيرا وهى مشحونة بالرجال والعدد والعديد فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا فى ذمته فأبوا ذلك وقالوا لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة قد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا قال فأتى أهل الرستن الى بطريقهم وكان اسمه نقيطاس وشاوراه فى ذلك فقال بأقوم مازالت الملوك والعساكر يودع بعضها بعضا وما يضرنا ذلك ثم بعث الى الامير أبى عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة نحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل فقال الامير أبو عبيدة ونحن نفعل ان شاء الله تعالى (روى الواقدى رحمه الله تعالى) عن ثابت بن قيس بن علقمة قال كنت ممن حضر عند أبى عبيدة رضى الله عنه فمند ذلك دعا بأهل الرأى والمشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان هذا حصن منيع ليس لنا الى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة وأنا أريد أن أجعل منكم عشرين رجلا فى عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها فاذا صاروا فى المدينة فثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين فقال خالد بن الوليد فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة وتكون أسفل الصناديق أنثى فى ذكر من غير شئ يمسكها فاذا حل أصحابنا فى حصن هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فان النصر مقرون بالتكبير فأجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخذ صناديق الطعام المنخبة عند الروم نفض أسافلها وجعلها ذكرا فى أنثى فأول من دخل فى الصناديق ضرار بن الازور والمسيب بن نجبة وذو الكلاع الحميرى وعمرو بن معديكرب الزبيدى والمرقال وهاشم بن نجبة وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق ومالك بن الاشتر وعوف بن سالم وصابر بن كلكل ومازن بن عامر والاسيد بن سلمة وربيعة ابن عامر وعكرمة بن أبى جهل وعتبة بن العاص ودارم بن فياض العبسى وسلمة بن حبيب والفارع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبد الله بن جعفر الطيار وجعله أميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم فلما حطت الصناديق فى الرستن ألفاها نقيطاس فى قصر امارته وارتحل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وسار حتى نزل فى قرية يقال لها السودية فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه وما فعلت الصحابة رضى الله عنهم فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة واذا بالصياح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان من أمر الصحابة أنه لما تركهم نقيطاس فى دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته وأهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر لاجل رحيل المسلمين عنهم وارتفعت أصواتهم بقراءة الانجيل وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على أنفسهم وشهروا سلاحهم وقبضوا على امرأة نقيطاس وحرمه وقالوا نريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم فلما حصلت المفاتيح فى أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وركبوا القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة ولا سلاح وبعث

أوقفه بين يديه وقال سلنى أعطك فقال أسألك يا رب أن أردك الى الدنيا فأقتل فيك ثانيا فقال له عز وجل انه سبق منى أنهم لا يرجعون الى الدنيا فقال أى رب فابلغ من ورائى فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان قتادة يتقى السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابه سهم خرجت منه حدقته فلما رآها صلى الله عليه وسلم فى كفه دمعت عيناه وقال اللهم

عبدالله بن جعفر الطيار وربيعة بن عامر والاسيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص والفارع ابن حرملة وسلم اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم المسلمين من حول المدينة كاملون فتبادر الخمسة الى الباب القبلي وهو باب حمص ونهضوا ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة واذاهم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد رضي الله عنه فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموا أنهم فى قبضتهم وان مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انا لا نقاتلكم ونحن الآن أسرى لكم فاعدلوا فينا فانتم أحب الينا من قومنا فقال فمرض خالد بن الوليد رضي الله عنه الاسلام عليهم فاسلم منهم كثير وبقى الاكثر يؤدون الجزية وأما أميرهم نقيطاس فانه قال لا أريد بديني بدلا فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه الآن فاخرج بأهلك عنا وحدث قومك بعدنا فاخرجوه من الرستن فتوجه بأهله وأمواله الى حمص وأعلم أهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على أهل حمص وعلموا أن العرب تصبحهم أو تمسيهم بالغارة وبعث عبدالله ابن جعفر الطيار الى أبي عبيدة يخبره بالفتح والنصر فحمد الله شكرا وبعث اليهم ألف رجل من اليمن وأوصاهم بحفظ الرستن وأمر عليهم هلال بن مرة البشكري فلما استقر وا بالرستن رحل خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبدالله بن جعفر وأهلهم وعساكرهم وتوجهوا الى حماة وكان أهل حماة فى صلح المسلمين كما ذكرنا وكذلك أهل شيزر الا أن بطريق أهل شيزر مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس ففسخ الصلح واذاق أهل شيزر ضرا وشرا وكان يصادرهم و يأخذ أموالهم ويحتجب عنهم لا هيا فى أكله وشربه فلما بلغ الخبر الامير أبا عبيدة بعث خيلا جريدة الى شيزر فاغارت الخيل على بلدهم ووقعت الصيحة بشيزر وسمع البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته وأظهر لهم بعض صحابه وجاس فى بيعتهم المعظمة عندهم وجمع الرؤساء منهم وقال لهم يا أهل شيزر أنتم تعلمون ان الملك هرقل قد استخلفنى عليكم أحفظ مدينتكم وأمنع عن حريمكم وأموالكم ثم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وأمرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم خالد بن الوليد فى أصحابه ومعهم جيش الزحف فنزلوا بازائهم وأشرف بعده يزيد بن أبي سفيان باصحابه فنزل عليهم وأشرف بعده الامير أبو عبيدة فى عساكره جميعهم فلما نظر أهل شيزر تلاحق العساكر بهم هالهم ذلك وعظم عليهم وحارت أبصارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى ذلك كتب الى أهل شيزر كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أهل شيزر فان حصنكم ليس بامنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع فاذا قرأتم كتابى هذا فادخلوا فى طاعتى ولا تخالفونى فيكون و بالا عليكم وقد بلغكم عدلنا وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل فى طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين و بعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم أعطوه بطريقهم نكس فقرئ عليه فلما فهم ما فيه قال ما تقولون يا أهل شيزر فيما ذكرت العرب فقالوا صدقت العرب أيها البطريق الكبير فان حصننا ليس بامنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق ولا بصرى وأنت تعلم شدة أهل حمص وحدة شجاعتهم وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدنها والاردن وحصنها فكيف تمنع عنهم شيزر وهى حصن حصين فان عصيت هؤلاء العرب فانك معمول على هلاكنا وخراب مدينتنا (قال الواقدى) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام واقبل البطريق نكس يسب أهل شيزر و يأمر غلمانه بضربهم فلما نظر أهل شيزر ذلك غضبوا واظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرف المسلمون ذلك وقالوا اللهم اهلكهم بسيوفهم ولم يزل أهل شيزر فى القتال حتى نصروا على البطريق وعلى غلمانه وقتلوهم عن آخرهم ثم أخرجوا الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه رجالا الى لقائه بغير سلاح فلما وقفوا بين يدى الامين أبي عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير انا قتلنا بطريقنا فى محبتكم فقال يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدر رزقكم لقد كفيتمونا الحرب والقتال ثم قال للمسلمين الا ترون الى حسن طاعة هؤلاء العرب وفعالهم بطريقهم فى محبتكم والدخول فى طاعتكم وقد رأيت من الرأى ان أحسن الى القوم وأنعم عليهم فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى نصل ما تصنع الى غيرهم و يفتح الله علينا البلاد ان شاء الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاقبل على أهل شيزر وقال أبشروا فانى لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم

فى قتادة كما وفى وجه نبيك ثم ردها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت أحسن عينيه وأحدهما بصرا وما رجع من غزوة أحد وبات ليلة شاع فى صبيحتها أن قريشا يريدون الرجوع الى المدينة فانتدب صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهى غزوة حمراء الاسد فاجابه كل من كان باحدا وكثرهم جريح وتلقاه طلحة بن عبد الله فقال أين سلاحك يا طلحة فقال قريب يا رسول الله وذهب السلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وأنا أهم بجراح

الدخول فى ديننا فله مالنا وعليه ماعلينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ففرح الروم بذلك وقالوا أيها الامير معنا وأطعناوهذا قصر بطريقنا فأنت أحق بما فيه وهو هديته منا اليك فدونك واياه وما فيه من الرجال والآنية والاموال فأخرج أبو عبيدة رضى الله عنه منها الخمس وقسم الباقى على المسلمين بالسوية ونادى أبو عبيدة رضى الله عنه يا معاشر المسلمين قد فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ووفيتم لهم ماعاهدوكم عليه فارجعوا بنا عليهم رحمكم الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فركب المسلمون ظهورخيولهم وهموا بالمسير واذقد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهى منقلبة من طريق انطاكية وقد أخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها فاذا معها قسيس كبير من قسوس الروم ومعها مائة برذون موثقة بالاحمال ومن حولها مائة عليج من علوج الروم يحفظونها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يكن للقسيس خبر بنزول المسلمين على شيزر فصاح بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج أسرى وأخذوا البراذين وأقبل خالد على القسيس وقال له ياويلك من أين أقبلت بهذه الاحمال قال فرطن القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس المشؤم فبعث اليه رجل من أهل شيزر وقال يا أيها الامير انه يذكر أنه من القسوس المعظمة عند الملك هرقل وقد بعثه وبعث معه الى هرقيس هذه الاحمال فيها ديباج أحمر منسوج بقضبان الذهب وعشرة أحمال مملوءة دنانير وباقى الاحمال مملوءة من الثياب والدنانير فأخذها واخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا مثلها ورق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فوجده على النهر المقلوب مما يلى شيزر وتحته عباءة قطوانية وعلى رأسه مثلها تظله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه بالقسيس فأوقفه بين يديه فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ماهذا يا أباسليمان فقال خالد رضى الله عنه انهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهرقيس صاحب حمص من كلب الروم هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعرض عليه الغنيمة ففرح الامير أبو عبيدة فرحا شديدا وقال يا أباسليمان لقد كان فتح شيزر علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان معه لا يفارقه وقال اسأل هؤلاء عن كلب الروم الطاغية هرقل هل هو فى جمع كثير أم لا فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس قل للامير ان الملك هرقل قد بلغه أنكم تحتم دمشق وبعلبك وحوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معى هذه الهدية الى هرقيس البطريق وكتب اليه يأمره بقتالكم ويعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استحقد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابته الروسية والصقالبة والافرنج والارمن والدوقس والمغاليط والكرج واليونان والعلف والغزنة وأهل رومية وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بكل ما أعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير أبى عبيدة وعرض على القسيس الاسلام فقال القسيس للترجمان قل للامير أبى عبيدة انى البارحة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وعرض على الاعلاج الاسلام وأبوا ذلك فضربت رقابهم ورحل أبو عبيدة رضى الله عنه متوجها الى حمص وقد سير الخيل جريدة فى مقدمته فبايشعر أهل حمص الا والخيل قد أغارت عليهم فرجع القوم الى المدينة وقد غلقوا الابواب وقالوا غدرت العرب وحق المسيح قال ونزل المسلمون حول حمص ودار وابها من كل جانب ومكان وقد نفد الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا الى تجاراتهم وفى طالب الميرة وقد تفرقوا فى البلاد فلما نزل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على حمص دعا بالعبيد والموالى وأمرهم أن يتفرقوا على الطرقات والمحارس وقال لهم كل من وجدتموه قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة فائتونى به نفعل العبيد ذلك وصعب على هرقيس صاحب حمص وكتب الى الامير أبى عبيدة كتابا يقول فيه يا معاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر ولا بنقض العهد أنتم صالحتمونا على الميرة فرنا كم وطلبتم منا البيع فبعنا كم فلم تقتضيتم ماعاهدناكم عليه فكتب الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يقول أريد أن ترسل الى القسوس والرهبان الذين أرسلتهم الى حتى أوقفهم على ماعاهدتهم عليه ليعلموك انا لم نغدر ولا مثلنا من يفعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ هرقيس الكتاب أحضر القسوس والرهبان وبعث بهم الى الامير أبى عبيدة فخرجوا عليه وفتح لهم باب حمص وسار والى أن وصلوا للامير أبى عبيدة فسلموا عليه وجلسوا بين يديه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من جراحى قال ياطلحة أين ترى القوم قال قريبا قال أما انهم لا يبالون منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ونستلم الركن (وسار حتى بلغ حمراء الاسد) وهو مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال ولما بلغ المشركين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة (وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير) وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة

فقال لهم أبو عبيدة رضى الله عنه ألم تعلموا أنى عاهدتكم وحلفت لكم أنى منصرف عنكم حتى أفتح مدينة من مدائن الشام هلا كان أبو جهل لأم يكون الرأى ان شئت رجعت اليكم أو سرت الى غيركم فقالوا بلى وحق المسيح فقال لهم ان الله تعالى قد فتح علينا شيزر والرستن فى أهون وقت وقد غنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله فى هذه المدة اليسيرة والآن فلا عهد لكم عندنا ولا صلح الا ان تصالحونا على فتح المدينة وتكونوا فى ذمتنا وأماننا فقال القسوس والرهبان لقد صدقت أيها الامير وليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم وقد بلغنا فتحكم شيزر والرستن والخطا كان منا اذلم نستوثق لانفسنا والآن الامر بيد بطريقنا ونحن نرجع اليه ونعلمه بذلك ثم رجعوا الى مدينتهم ودعا الامير أبو عبيدة رضى الله عنه بالرجال والابطال وأهل الحرب وقال خذوا أهبتكم فان القوم بلازاد ولا مدد يأتى اليهم من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله قال فلبس المسلمون السلاح والعدد ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع أهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا ما عندك من الرأى فى أمر هؤلاء العرب فقال الأمر عندى أن نقاتلهم ولا نريهم مناضعفا فقالوا فان الزاد قد نفد من مدينتنا وقد أخذ هذه القوم منا وما معنا عن هذه الحيلة فقال هربيس مالكم تعجزون عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم تصبكم شدة ولا جوع وانما أصابوا منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدر واعليكم ولقل الرجال على السور بكعبكم اياهم وعندى من الزاد فى قصرى مايمكم كثير المدة الطويلة وما أحسب أن الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويوجه اليكم العساكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان عند البطريق هربيس فى قصره جب عظيم مملوء طعاما ففضه وفرق الطعام على أهل حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم وصغيرهم بقية يومهم ذلك وقد انحصر أهل حمص جميعهم فنفد ذلك اليوم نصف ما فى الجب وقال لهم اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة أيام وابرزوا الى حرب عدوكم ثم أخذوا أهبة الحرب وعرض عسكره وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزارزة والعمالقة لابساتهم غيرهم فيهم ألف مدجج مملكية وفتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواشن والبيض والمغافر والقسى والنشاب والحراب واقبل يحرضهم على القتال ويوعدهم بالمدد والنجدة من الملك هرقل ثم دعا بالقسوس والرهبان وقال لهم خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهى كنيسة جرجيس وهى الجامع اليوم ونشروا المزامير وضجوا بالتهمير وأقبلوا يتهللون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك فلما كان الصباح دخل هربيس الى البيعة وتقرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدم له خنوص مشوى فأكله حتى أتى على آخره وقدم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه فى أم رأسه ثم لبس ديباجا محشوا بالفرو والزرد الصغار المضعف المعدو لبس فوقها درعا من الذهب الأحمر وعلق فى عنقه صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدم له مهر كالطود العظيم فاستوى على ظهره وخرج من قصره فلما باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان وفتحت أبواب حمص وخرجت الروم فى عددهم وعديدهم ورياتهم وصلبانهم وبين يدى هربيس خمسة آلاف فارس من علوج الروم وهم بالعدد العديد والزرد النضيد فلما فهم هربيس أمام المدينة كانهم سد من حديد أرقطع الجلمود وقد وطنوا نفوسهم على الموت دون أموالهم وذراريهم فبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كانهم حجارة ثابتة ماولوا عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فتبادرت الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد الا أن المسلمين رجعوا القهقرى وقد فشا فيهم القتل والجراح فلما نظر الامير أبو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح فيهم بصوته يا بنى القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من أيام الله تعالى فاحملوا معى بارك الله فيكم فتراجع الناس وحملوا على أهل حمص حملة عظيمة وشد واعليهم الحملة وجعل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى جمع كثير من بنى مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم طحن الحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف وجعل ابن مسروق العبسى فى طائفة من قومه من بنى عبس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير صدمة عظيمة فتراجعت

دون العشرة فجلسوا بجانب جدار من بيوتهم فأرادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقى عليه حجرا فأخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فأرسل اليهم أن اخرجوا من بلدى لان بلدهم كان من أعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثالثة) فى السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد لان أبا سفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف

الروم الى الاسوار وقد فشا فيهم القتل فبربرت الروم بلغاتها وتراجعت على المسلمين وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ورشقت العلوج بالنشاب وطعنوا فى المسلمين بالحراب وقد استتروا بالدرق والطوارق قال فلما نظر خالد ابن الوليد الى ذلك برز باللواء وكان هو صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالحملة بارك الله فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة قال فبينما خالد بن الوليد يحرض أصحابه على القتال أذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة مانعة وهو يهدر كالاسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على رأسه فوقع سيفه على البيضة فطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته فى يده فطمع العلج فيه وحمل عليه ولاصقه حتى حك ركابه بركاب خالد وتعانقا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن أضلاعه وأدخل بعضها فى بعض فأرداه قتيلا وأخذ خالد سيف العلج وهزه فى يده حتى طار منه الشرر ووضع رأسه فى قربوس سرجه وحمل وصاح فى بنى مخزوم فحملوا حملة عظيمة وهاجوا فى أوساطهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادى برفيع صوته أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد حتى توسطت الشمس فى كبد السماء وحمى الدرع على خالد بن الوليد رضى الله عنه فخرج من المعركة وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل من درعهم وسواعدهم كأنها شقائق الارجوان وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوائلهم وهو يقول

ويل لجمع الروم من يوم شغب * انى رأيت الحرب فيه تلتهب
وكم لقوا منا مواقع النصب * وكم تركت الروم فى حال العطب

قال فناداه الامير أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان لله درك لقد جاهدت فى الله حق جهاده فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الى غفلة الروم صاح فى بنى زهرة وحملوا فى ميمنة الروم وحمل ميسرة بن مسروق العبسى فى قومه وحمل عكرمة بن أبى جهل وحوله جمع كثير من بنى مخزوم وحمل المسلمون بأجمعهم وقد اطلعوا على الشهادة وأيقنوا بالعناية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يكن فى يوم حمص أشد حربا ولا أقوى جلادا من بنى مخزوم غير أن عكرمة بن أبى جهل كان أشدهم بأسا واقداما وهو يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال ياقوم أنا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور مشوقات الى ولوبدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغتنهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق هربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تضىء وتلتهب وهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة فلما نظر خالد بن الوليد الى ابن عمه وقد وقع صريعا أقبل حتى وقف عليه وبكى وقال باليت عمر بن الخطاب نظر الى ابن عمى صريعا حتى يعلم أنا اذا لاقينا العدو تركنا بنا الاسنة ركوبا ثم قال ولم يزالوا فى الاهوال الشديدة حتى هجم الليل عليهم وتراجعت الروم الى مدينتهم وغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار ورجعت المسلمون الى رحالهم وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبح الصباح قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه معاشر المسلمين ما بالكم قد صدكم هؤلاء القوم وبعد الطمع فيهم ما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله ألبسكم عافية مجللة وسلامة سابغة وأظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع فهذا التقصير والله تعالى مطلع عليكم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه هؤلاء فرسان الروم أشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان وقد تعلم انهم يكونون أشد فى الحرب لانهم يمنعون من الذرارى والنسوان فقال أبو عبيدة رضى الله عنه فما الرأى عندك يا أبا سليمان يرحمك الله فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أيها الامير قد رأيت من الرأى اننا نكشف للقوم غدا ونودع لهم سوائمنا وابلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعتنا خيلهم وتباعدوا عن مدينتهم وصار وامعنا عطفنا عليهم ومزقناهم بالاسنة ونقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم فقال أبو عبيدة نعم الرأى ما رأيت يا أبا سليمان ولقد أشرت وأحسنت قال وتواعد المسلمون على أن ينكشفوا بين أيدى الروم وان يتركوا لهم سوائمهم فلما أصبح الصباح فتحت أبواب حمص وخرجت الروم من جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال فساقهم العرب كفوا القتال وأروهم التقصير والخوف فاطمعوهم فى أنفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار

وخمسمائة من أصحابه فأقام على بدر ثمانية أيام مدة الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة فى ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من محمد صلى الله عليه وسلم فجمع قريشا وقال لهم انه لا يصلح هذا العام لقتال محمد فارجعوا فرجعوا وباع المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا ربحا كثيرا وفيهم نزل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية (ثم كانت غزوة دومة الجندل) أواخر السنة الرابعة والجندل بفتح الدال المهملة بلدة قريبة

وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت الروم فى المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشد الروم بالحملة عليهم فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا سوائمهم * قال نوفل بن عامر حدثنا عرفجة بن ماجد التميمى عن مراقة النخعى وكان ممن حضر يوم حمص قال لما انهزمت العرب أمام الروم وتبعناهم بيس البطريق فى خمسة آلاف فارس على خمسة آلاف أشهب وكانوا أشد الروم قال مراقة بن عامر وانهزمنا أمام القوم كأننا نطلب الزراعة وجوسية وأدركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا فى الزاد والطعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد حنكته التجارب وعرف أبواب الحيل والخداع وكان عالما من علماء الروم وقد قرأ التوراة والانجيل والزبور والمزامير وصحف شيث وابراهيم وأدرك بعض حواريى عيسى بن مريم عليه السلام فلما أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملك الروم سوادهم جعل يصيح ويقول وهو ينادى وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكايد العرب وان العرب لا تسلم أولادها وآباءها ولو قتلوا عن آخرهم قال وجعل القسيس يصيح وأهل حمص قد وقعوا فى النهب وليس يعنيهم سوى الزاد والطعام والبطريق هربيس قد الح فى طلب المسلمين فى خمسة آلاف فارس فلما بعدوا عن المدينة صاح الامير أبو عبيدة رضى الله عنه برفيع صوته اعطفوا على الروم كالسباع الضارية والعقبان الكاسرة فردوا عليهم كرة وساوا حد احتى أحاطوا بالبطريق وأصحابه من كل جانب ودار وابهم مثل الحلقة المستديرة وأحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين وبقيت الروم فى أوساطهم كالشامة السوداء فى الثوب الابيض فعند ذلك نصبت العلوج نشابها على العرب والمسلمون يكرون عليهم مثل الاسود الضارية ويحومون عليهم كما تحوم الغيور ويضربونهم بالسيوف ويصرعونهم يمينا وشمالا حتى انكسر أكثرهم (قال عطية بن فهر الزبيدى) فلما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكالبت علينا فلما حميت الحرب ابتدر خالد بن الوليد رضى الله عنه من وسط العسكر وهو على جواد أشقر وعليه جوشن مذهب كان اصاحب بلبك أهداه له يوم فتح بعلبك وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد عمم نفسه بعمامة حمراء وكانت تلك العمامة علامته فى الحرب وجعل يهدر كالاسد الحردان وقد انتضى سيفه من غمده وهزه حتى طار منه الشرر ونادى برفيع صوته رحم الله رجلا جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل أعداءه فعندها انتضب المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة عظيمة ونادى الامير أبو عبيدة يا بنى العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم وأموالكم فان الله مطلع عليكم وناصركم على عدوكم قال وكان معاذ بن جبل قد انفرد فى خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقض على الروم فما شعرت الروم والعلوج ممن انغمس فى الغارة وحمل الزاد والرحال والامتعة والطعن قد أخذهم باسنة الرماح من كل جانب كأنها ألسنة النار المضرمة ونادى منادى فتيان العرب اطلبوا الباب لئلا ينجو أحد من الروم برحالها وأولادنا فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت علوج الروم قد غرقت فى رحال المسلمين فلما نظروا الى معاذ وقد حمل عليهم فى رحاله عادت وقد رمت الرحال وطلبت الحرب فانفلت منهم من انفلت وقتل من قتل قال صهيب بن سيف الفزارى فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا مائتا نفس فارس قال واتبعنا القوم الى الابواب فكان أعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب لان أكثر الرجال من العواصم وغيرهم كانوا فى المدينة قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت ممن أوقع بعددا القتلى فعددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجرح فدنوت من الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وقلت البشارة أيها الامير فانى عددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجرح فقال الامير أبو عبيدة بشرت بخير يا سعيد يا ابن زيد فهل ترى قتل بطريقهم هربيس فقال سعيد بن زيد أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فما قتله غيرى فقال الامير أبو عبيدة وكيف علمت انه قتيلك يا سعيد فقال سعيد بن زيد أيها الامير انى رأيت فارسا عظيم الخلقة طويلا ضخما أحمر اللون وبيده سيف وعليه لامة حربه صفتهما كذا وكذا وهو فى وسط الروم كأنه البعير الهائج فحملت عليه وقلت فى حملتى اللهم انى أقدم قدرتك على قدرتى وغلبتك على غلبتى اللهم اجعل قتله على يدى وارزقنى أجره فقال له أبو عبيدة أما أخذت سلبه يا سعيد قال لا ولكن علامتى فيه نبلة من كنانتى أثبتها فى قلبه فخر يهوى عن جواده ونفرت عنه أصحابه فلحقته فضربته بسيفى ضربة فصرمت حقوته ونبلتى فى قلبه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أدركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى سعيد ففعلوا ذلك (قال الواقدى

من دمشق بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جماعة يتعرضون لمن مر بهم بالاضرار والفساد وأخذ الاموال وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب صلى الله عليه وسلم لهم الناس وخرج فى ألف مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم الخبر تفرقوا ففجع على ماشيتهم وأمسك أصحابه رجلا منهم فسأله عنهم فقال هربوا فعرض عليه الاسلام فاسلم (ثم كانت غزوة الخندق) فى شوال سنة خمس ويقال لها غزوة الاحزاب وكان كما قريش ومن عاونهم من يهود بنى

رحمه الله تعالى) فلما أخذت الحرب أوزارها أخذ المسلمون الاسلاب والدروع الشهابى ومثلوا الجميع امام الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فأخرج منها الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقى على المجاهدين قال ووقع الصياح والبكاء فى حمص على من قتل منهم من فرسان الكفار ورجالهم قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتحدثوا مع القسوس والرهبان على أن يسلموا حمص الى المسلمين وخرج علماء دينهم ورؤساؤهم الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وصالحوه على تسليم المدينة اليه وأن يكونوا تحت ذمامه وأمانه فصالحهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال لست أدخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل وأراد أهل حمص أن يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير أبو عبيدة عن ذلك ولم يدخل أحد من المسلمين الى حمص الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك لتتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة (قال جرير ابن عرف) حدثنا حميد الطويل قال حدثنى سنان بن راشد اير بوعى قال حدثنا سلمة بن جريج قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال لما صالحنا أهل حمص بعد قتل هربيس خرج أهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا من استشهد من المسلمين مائتين وخمسة وثلاثين فارسا كلهم من حمير وهمدان الا ثلاثين رجلا من أهل مكة وهم عكرمة بن أبى جهل وصابر بن جرى والريس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمى ابن عم العباس رضى الله عنه وجميع بن قادم وجابر بن خويلد الربعى فهؤلاء من المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس

﴿ذكر وقعة اليرموك﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل ان المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد أخذوا الهدية التى بعثها الى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فيما مضى عليه الايام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخرها فى رومية الكبرى وانه بعث جيشا الى قيسارية ساحل الشام يكون حفظه على عكا وطبرية وبعث بجيش آخر الى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الارمنى ملك الارمن وقد جمع من الارمن ما لا يجمعه أحد من أهالى الملك هرقل وبعد أيام قدم على الملك هرقل للقائه فى أرباب دولته فلما قرب منه ترجل ماهان وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك وقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماه المعمودية قد حذرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا منى فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبحنا العمدان لابد لهؤلاء العرب أن يملكوا ما تحت سرير هذا والآن البكاء لا يصلح الا للنساء وقد اجتمع لكم من العساكر ما لم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا وقد بذلت مالى ورجالى كل ذلك لأذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا للمسيح من ذنوبكم وانوحوا للرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر فى القتال ولا يخامر بعضكم بعضا وايا كم والعجب والحسد فانهما ما نزلا بقوم الا وتزل عليهم الخذلان وانى أريد أن أسألكم وأريد منكم الجواب عما أسألكم عنه فقالت العظماء من الروم والملوك اسأل أيها الملك عما شئت قال انكم اليوم أكثر عددا وأعز رمددا من العرب وأكثر جموعا وأكثر خيلا وأعظم قوة فمن أين لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجراجمة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وقد قصدوا اليكم مرارا وجمعوا منكسرين والآن قد علا عليكم العرب وهم أضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح وقد غلبوكم على بصرى وحوران واجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه فعند ها قام قسيس كبير عالم بدين النصرانية وقال أيها الملك أما تعلم لم نصرت العرب علينا قال لا وحق المسيح فقال القسيس أيها الملك لان قومنا بدلوا دينهم وغيروا ملتهم وجحدوا باجابة المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه وظلموا بعضهم وليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس فيهم عدل ولا احسان ولا يفعلون الطاعات ويضيعوا أوقات الصلوات وأكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت فيهم المعاصى والفواحش وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام بالنهار ولا يفترون

الفضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه فى ان يبرز لهم أو يكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بالخندق وقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا عليهم فأعجبهم ذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر فيه معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضى الله عنه قال اشتد علينا فى بعض الخندق كدية فشكوناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء

عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا أن الدنيا دار الفناء وأن الآخرة هي دار البقاء (قال الواقدي) فلما سمع القوم والملك هرقل ما قاله القسيس قالوا وحق المسيح لقد صدقت بهذا نصرت العرب علينا لا محالة واذا كان فعل قومنا ما ذكرت فلا حاجة لي في نصرتهم وأنى قد عزمت أن أصرف هذه الجيوش والعساكر الى بلادها وآخذ أهلي ومالي وأنزل من أرض سورية وأرحل الى أسبوك يعني القسطنطينية فأكون هناك آمنا من العرب قال فلما سمع القوم ذلك من الملك صفوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح فيطالبك بذلك يوم القيامة وتبيرك الملوك بذلك ويستضعفون رأيك وأيضا نشمت بنا أعداؤنا اذا أنت خرجت من جنة الشام وسكن بعدنا فيها العرب وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذي ما اجتمع الملك من ملوك الدنيا ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح أن ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت واتركنا نمض الى قتال العرب قال ففرح الملك هرقل بقولهم ونشاطهم وعزل على أن يبعث الجيش مع خمسة ملوك من الروم فاول ما عقدلواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر وسلمه الى قنا طير ملك الروسية وضم اليه مائة ألف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الزبرجد الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوره ومنطقه وضم اليه مائة ألف فارس من الروم والفرادنة ومن سائر الاجناس الرومية ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملون وعليه صليب من الذهب الاحمر وسلمه الى الدبرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة ألف فارس من المغليط والافرنج والقلن وخلع عليه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء ابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه صليب من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من أهل الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مرارا فلما عقد لهؤلاء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالفلائد التي لا يقلدها الا الملوك الاكابر وقال له ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقنا طير وجرجير والدبرجان وقوريرين وهم ملوك الجيش اعلموا أن صلبانكم تحت صليب ماهان وأمركم اليه فلا تصنعوا أمرا الا بمشورته ورأيه وتطلبوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم وافترقوا على أربع طرق فانكم ان أخذتم على طريق واحدة لم تسعكم وتهلكوا الارض ومن عليها ثم خلع على جبلة بن الايهم الغساني وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقال لهم كونوا في المقدمة فان هلاك كل شئ بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم أمر القسوس أن يغسوهم في ماء المعمودية ويقرؤا عليهم ويصلوا عليهم صلاة المونى (قال) حدثنا نوفل بن عدي عن سراقة عن خالد قال أخبرنا كاهم مولى هشام بن عمرو بن عتبة وكان ممن حضر فتوح الشام كله قال فكانت جبلة من بعث الملك هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب (قال) وحدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الاعلى ان جبلة من بعث الملك هرقل سوى جيش انطاكية الى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميري كنت أحضر اليرموك من أوله الى آخره فلما أشرفت علينا عساكر الروم باليرموك وأتوا نحونا صعدت على محل من الارض مرتفع وأقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه رماس صاحب بصرى ليحزر عددا القوم قال فتنكر رماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد الينا فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل أبو عبيدة رماس عن ذلك فقال أيها الامير سمعت القوم يذكرون ان عددهم ألف ألف فلا أدري أهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويحدثوا بذلك أم لا فقال أبو عبيدة يا رماس كم عهدك بهم وكم يكون تحت كل راية من عساكر الروم فقال أيها الامير أما ما عهدت في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال الله أكبر أبشروا بالنصر على الاعداء ثم قرأ الآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم ان الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه ماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين ركب الملك هرقل وركب

فتفل فيه ودعا بما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا تردفاسا ولما حضروا حول المدينة مكثوا مدة وأرسل الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرودة فقطعت أطناب خيامهم وأكفأت قدورهم على أفواهها ونصر الله المسلمين وخذل الاحزاب (ثم كانت غزوة بني المصطلق) في شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من خزاعة وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحرث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه أسلم

الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره على باب فارس وسار معهم يوصيهم وقال لقناطير وجرجير والدير جان وقورين ليأخذ كل رجل منكم طريقا وأمر كل واحد منكم نافذ على جيشه فاذا لقيتم العرب فالأمر فيكم لماهان ولابد على يده واعلموا أنه ليس بينكم وبين هؤلاء القوم الا هذه الواقعة فان غلبوكم فلا يقنعوا بلادكم بل يطلبونكم حيث سلكتم ولا يقنعون بالمال دون النفس ويتخذون حريمكم وأولادكم عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم وجه قناطير بجيشه على طريق جبلة واللاذقية وبعث جرجير على طريق الجادة العظمى وهى أرض العراق وسومين وبعث قورين على طريق حلب وحماة وبعث الدير جان على أرض العواصم وسار ماهان فى أثر القوم بجيوشه والرجال أمامه يختبرون له الارض ويزيلوا عن طريقهم الحجارة وكانوا لا يمرون على بلد ولا مدينة الا اضروا بأهلها وبطالبونهم بالعلوفة والاقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون لا ردكم الله سالمين (قال وجبلة بن الايهم فى مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به أن الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى قتال المسلمين وكان الامير أبى عبيدة فى جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الاخبار فلما وصل جيش الروم الى شيزر فارقتهم عيون أبى عبيدة وسار واطلعين عسكر المسلمين فلم يجدوهم على حمص فسألوهم عنهم فأخبروهم انهم رحلوا الان الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه لما فتح حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذى تركه عندهم رجال من أهل حمص من كبرائهم ورؤسائهم وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وأخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبات تلك الليلة لم تغمض له عين خوفا على المسلمين فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته أقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قام فيهم خطيبا وحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وترحم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ودعا للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلاكم بلاء حسنا لينظر كيف تعملون وذلك عند ما صدقتم الوعد وأيدكم بالنصر فى مواطن كثيرة واعلموا أن عيونى أخبرونى أن عدو الله هرقل استنجد علينا من كل بلاد الشرك وقد سيرهم الينا وأثقلهم بالزاد والسلاح يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أنهم قد سارروا اليكم فى طرق مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بازائكم على قتالكم واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل من يكون الله تعالى معه فما عندكم من الرأى رحمكم الله تعالى ثم قال لبعض عيونه قم وأخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل وأخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها وعديدها فعظم ذلك على المسلمين ودخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد أحد منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ما هذا السكوت عن جوابى رحمكم الله فأشيروا على برأيكم فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتكلم رجل من أهل السبق وقال أيها الامير أنت رجل لك رفعة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذى حملك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامة فقال عليه السلام لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عامر بن الجراح أشر أنت علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه اغما أنا رجل منكم تقولون وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق فى ذلك فقام اليه رجل من أهل اليمن وقال أيها الامير الذى نشير به علينا أن تسير من مكانك وتنزل فى فرجة وادى القرى فتكون المسلمون قريبا من المدينة والخندق تصل اليها من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واذا طلب القوم أثرنا وأقبلوا الينا كنا عليهم ظاهرين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه اجلس رحمك الله فقد أشرتم بما عندكم من الرأى وانى ان برحت من موضعى هذا كرهنى عمر بن الخطاب ذلك وأخذ يعنفنى ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك ونزحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال أشيروا على برأيكم رحمكم الله تعالى فقام اليه قيس بن هبيرة المرادى وقال يا أمير المؤمنين لا ردنا الله الى أهلنا سالمين ان خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع

وأنه جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم رجلا يرده فعاد وأخبره بذلك فندب الناس لقتالهم ولما وصل اليهم عرض عليهم الاسلام فأبوا وحاربوا فاستأصلهم قتلا وأسرا ونهبوا واستاق اموالهم وشياههم وكانت الابل ألفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك (ثم كانت غزوة الحديبية) وما فيها من الصلاح

والاعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن فى مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة وعدنا وكنا فى نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه صدق والله قيس بن هبيرة بالحق نطق ثم قال يا معاشر المسلمين ارتحلوا الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة مع مالكم عند الله عز وجل فى دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة فى قوله لنا واسنا بارحين من منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال فوثب قيس بن هبيرة وقال صدق الله قولك أيها الأمير واعانك على ولا يتك ولا تبرح من مكانك وتوكل على الله وقاتل أعداء الله فان فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل فقال أبو عبيدة رضى الله عنه شكر الله فضلك وغفر لنا ولك والرأى رأيك ونتابع قول المسلمين بحسن رأيهم الا خالد ابن الوليد رضى الله عنه فانه ساكت لا يقول شيأ فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يا أبا سليمان أنت الرجل الحرىء والفارس الشهم وملك رأى وعزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة فقال خالد رضى الله تعالى عنه نعم ما أشار به قيس الا أن الرأى عندى غير رأيه ولكن لا أخالف المسلمين فقال ان كان عندك رأى فيه صلاح فأنت به وكلنا لرأيك تبع فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه اعلم أيها الأمير انك ان أقمت فى مكانك هذا فانك تعين على نفسك لان هذه الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين ابن الملك هرقل فى أربعين ألف فارس وأهل الاردن قد اجتمعوا اليه خوفا منكم والذى أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا اليرموك ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قريبا منكم متلاحقا بكم وأنتم على فتح لقتال عدوكم وهى أرض واسعة تحمل الخيل قال فلما نطق خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بهذا الكلام قال المسلمون نعم ما أشار به خالد وقال أبو سفيان بن حرب أيها الأمير افعل برأى خالد بن الوليد رضى الله عنه وابعثه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عساكرنا وعساكر الروم المقيمة بالاردن لئلا ندهى منهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين هذه الاشجار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيدا خل عدوكم فيكم الطمع فان أقبلوا يريدون غارة ومكيدة لقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه فقال خالد ابن الوليد والله يا ابن حرب لقد نطقت عن ضميرى وهكذا الرأى عندى فعند ذلك أمر أبو عبيدة الناس بالرحيل من الجابية فرحلوا ودعا أبو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذى أقبل به من أرض العراق وهو جيش الزحف وهو يومئذ أربعة آلاف فارس وأمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يسيرهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم قال ووقعت الضجة للمسلمين عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمع الروم المجتمعة بالاردن ضجة المسلمين عند رحيلهم فظنوا أنهم هاربون الى الحجاز لما بانغهم من جيش هرقل فطمعوا فيهم وهموا بالغارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فصاح فى رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر قال فانتضى المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وحمل ضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه والمركال وطلحة بن نوفل العامرى وزاهد بن الاسود وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم وغيرهؤلاء من الفرسان المذكورين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن ففرق منهم خلق كثير ورجع خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه وأما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وجعل أذرعات من خلفه وكان هناك تل عظيم فصعد أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى نساء المسلمين وأولادهم فاصعدهم على ذلك التل وأقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات فلما وصل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالأسارى والغنائم فرح أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فرحا شديدا وقال ابشروا رحمكم الله تعالى هذه علامة النصر والظفر وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كانهم ينتظرون وعدا وعدوا به وبلغ الخبر الى قسطنطين ابن الملك هرقل بان المسلمين قد نزلوا باليرموك وان ملوك الروم سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملوك يستضعف رأيهم فى ابطاء أمرهم ويحثهم على قتال المسلمين فلما ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم كتاب قسطنطين ابن الملك هرقل وأمرهم بالمسير فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا بعشرين يوما من مدائن الشام التى فتحها المسلمون الا وينعقون أهلها ويقولون لهم يا ويلكم تركتم أهل دينكم وملتكم وملتم الى

وكانت فى آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر) وما فيها وكانت سنة سبع من الهجرة (ثم كانت غزوة عمرة القضاء) وسرية مؤتة وفتح مكة ودخولها فى شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان (ثم غزوة حنين) ويقال لها غزوة هوازن وغزوة أوطاس وما وقع فيها من اعلاء كلمة الله واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيها من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشد له قصيدته المشهورة وهى بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

ولما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس فى دين الله أفواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق بالغزوات وغيرها فى كتابنا المواهب السنية فى خير البرية (وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ولم يحج بعد

العرب فيقولون لهم أنتم أحق بالملامة منا لانكم هربتم منهم وتركتمونا للملاء فصاحنا عن أنفسنا فيعرفون الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجمل وهو بالقرب من الرمادة والجولان وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولا وعرضا فلما تكاملت الجيوش باليرموك أشرفت سوابق الخيل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبلة بن الايهم فى المقدمة فى ستين ألف فارس من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وهم على مقدمة ماهان فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة جيوش الروم قالوا لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم قال عطية بن عامر فوالله ماشبهت عساكر اليرموك الا كالجراد المنتشر اذا سد بكثرته الوادى قال ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون عن قول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال وأخذ المسلمون أهبتهم ودعا الامير أبو عبيدة بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم ويجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم وقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أنا أرجو من الله تعالى أن يجعلهم غنيمة لنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نزل ماهان بعساكره بازاء المسلمين على نهر اليرموك أقام أياما لم يقاتل ولا يدنيهم حربا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان تأخير ماهان لامر وذلك أن رسولا ورد عليه من الملك هرقل يقول له لا تعجز الحرب بينك وبين المسلمين حتى نبعث اليهم رسولا ونعدهم مناكل سنة بمال كثير وهدايا لصاحبهم عمر بن الخطاب ولتكن أمير منهم ويكون لهم من الجابية الى الحجاز فلما وصل الرسول الى ماهان قال هيهات هيهات ان كانوا يجيبون الى ذلك أبدا فقال له جرجير وهو من بعض ملوك الجيش وما عليك فى هذا الذى ذكره الملك هرقل من المشقة فقال ماهان اخرج أنت اليهم وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذى سمعت واجتهد فى ذلك قال فلبس جرجير ثياب الديباج وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عالية تسرج من الذهب الأحمر المرصع بالدر والجوهر وخرج معه ألف فارس من المدججة وسار حتى أشرف على عساكر المسلمين فاوقف جرجير أصحابه وقرب من المسلمين ووقف بازائهم وقال يا معاشر العرب أنا رسول من الملك ماهان فليخرج الى أميركم والمقدم عليكم حتى نعرض عليه مقالتنا ولعلنا نصطلح ولا نسفك دم بعضنا قال فسمعه المسلمون فاعلموا الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فخرج بنفسه اليه وعليه ثوب من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد بسيفه وسار الى أن وصل الى جرجير ورفرس فرسه حتى التقت عنق فرسيهما والناس ينظرون اليهما فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يا أخا الكفر قل ما أنت قائل وأسأل عما تريد فقال جرجير يا معاشر العرب لا يغرنكم أن تقولوا هزمنا عساكر الروم فى مواطن كثيرة ونحن بلادهم وعلونا أكثر أرضهم فانظروا الآن ما قد أتاكم من العساكر فان معنا من سائر الاجناس المختلفة وقد تحالف الروم أن لا يفروا ولا ينهزموا وأن يموتوا عن آخرهم وليس لكم على ما ترون من طاقة فانصرفوا الى بلادكم وقد نالتم ما نالتم من بلاد الملك هرقل وقد عوّل الملك أن يتعوّد الاحسان اليكم وهو يهب لكم ما أخذتم من بلادهم منذ ثلاث سنين وقد أخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم حين قدمتم الشام منكم على رجليه ومنكم عريان فاجيبوا الى ما دعوتكم اليه والا كنتم من الهالكين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أما ما ذكرت من عساكر الروم وانهم لا يفرون ولا ينهزمون فلو رأت الروم شفار سيوفنا لطربت ناكصة على أعقابها وأما تهويلك لنا بكثرة عددكم فقد رأيت قلتنا وضعف أجسامنا وكيف لقينا جموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها وأحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم بالحرب والقتال حتى يعرف من الذى يثبت للحرب فلما سمع جرجير كلام الامير أبى عبيدة التفت الى رجل من أصحابه يقال له بهيل فقال يا بهيل الملك هرقل كانه أعرف بهؤلاء العرب منا ثم لوى رأس جواده ورجع الى ماهان وأخبره بما قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال له ماهان دعوتهم الى الموعد فقال لا وحق المسيح انى لم أفاتحه فى شئ من ذلك لكن ابعث لهم بعض العرب المتنصرة فان العرب يميل بعضهم الى بعض قال فعند ها دعا ماهان بجبلة بن الايهم الغسانى وقال يا جبلة اخرج الى هؤلاء وخوّفهم من كثرتنا وتواتر عددنا وألق فى قلوبهم الرعب وأحط بهم مكرك قال فخرج جبلة بن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع

الهجرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتاب يدعوهم الى الاسلام فاجابه منهم خلق كثير وأسلمت همدان جميعا فى يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم دخلت سنة احدى عشرة) فمرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة أقام بها الى آخر صفر وابتدأه المرض لليلتين بقيتا منه وقبض ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأوّل فى بيت عائشة ودفن ليلة الاربعاء وسط الليل وصلى عليه المسلمون أرسالا ولم يؤمهم أحد وغسله على والعباس والفضل وقثم وأسامة وصالح مولاه وهو شقران ودفن فى حجرة عائشة التى مات فيها صلى الله عليه وسلم (وولى بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه) واسمه عبد الله بن أبى قحافة واسم أبى قحافة عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب التيمى القرشى يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن سعد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم أبى بكر رضى الله

صوته يامعاشر العرب ليخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر لا خاطبه بما أرسلت به فلما سمع الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه كلام جبلة بن الايهم قال قد بعثت اليكم القوم بأبناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمرو بن عامر فأسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجى رضى الله تعالى عنه وقال لابى عبيدة أيها الامير أنا أخرج اليه وانظر ماذا يقول فأجيبه عنه ثم خرج عبادة نحوه يجوده الى أن وقف أمام جبلة بن الايهم فنظر جبلة الى رجل أسمر طويل شديد السمرة كأنه من رجال شنوءة فهابه ودخل الرعب فى قلبه من عظم خلقته وكان عبادة بن الصامت من الخطاط رضى الله تعالى عنه فقال له جبلة ياقفى من أى الناس أنت فقال عبادة أنا من ولد عمرو بن عامر فقال جبلة حييت فمن أنت فقال عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأل عما تريد فقال جبلة يا ابن العم انما خرجت اليكم لانى أعلم ان اكثركم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا واعلم ان هؤلاء القوم الذين قد نزلوا بازائكم معهم جنود لا قبل لكم بها وخلفهم عساكر وحصون وقلاع وأموال ولا تقولوا كسرنا وهزمنا عساكر الروم واعلم ان الحرب دول وسجال وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت وهؤلاء القوم ان انهزموا يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون وما قد نالتم نبلا تخذوه وامضوا الى بلادكم سالمين (قال عبادة بن الصامت) رضى الله تعالى عنه ياجبلة أما علمت ما قلناه من جوعكم المتقدمة بأجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن أنه من بقى من جوعكم قد تيسر علينا أمره ونحن لا نخاف ممن يقدم علينا من جوعكم ولقد وطئنا فى الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم وأنا يا جبلة أدعوك الى دين الاسلام وأن تدخل مع قومك فى ديننا وتكون على شرفك فى الدنيا والآخرة ولا تكون تابع ملج من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم وأن دينك ظاهر أوله وآخره ظهر كما ظهر أوله فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصدق به فقل لا اله الا الله محمد رسول الله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم من كلام عبادة بن الصامت وقال است مفارقا دينى فقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فان أبيت الا ما أنت عليه من الكفر فاياك أن تلقانى فى الموعد الاول فان لنا وقعة عظيمة فان أخذتك شفار سيوفنا فلا تخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم أهون علينا فان أبيت الا ما أنت عليه حل بك مثل ما حل بهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم وقال لما ذا تخوفنى من سيوفكم أما نحن عرب مثلكم رجل لرجل فقال عبادة بن الصامت قد علمنا أنك انما خرجت الينا محادا عاومعينا واسنا كأنتم يا ويلكم نحن على قتلنا نوحد ربنا ونقتع سنة نبينا محمد وان وراءنا عسكرا يعلو الاقطار ويسد القفار فقال جبلة لست أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا من ينصركم غيرهم فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم فى قولك وان وراءنا رجالا أنجادا وأبطالا أشدادا يرون الموت مغنما والحياة مغرما كل واحد بنفسه يلقى جيشا حافلا يا ويلك أنسيت علينا وسطوته وعز شوكته وعز براعته والعباس وطلعته والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن وغير ذلك قال فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال يا ابن العم أنا ما خرجت الا أريد النصيحة لكم فان أبيتم ذلك فاسألوا قومك يجيبونا الى الصلح فقال عبادة بن الصامت لا صلح بيننا الا بأداء الجزية أو الاسلام أو السيف وهو حكم بيننا وبينكم والله لولا أن الغدر يقبح بنا لعلوناك بسيفى هذا فلما سمع جبلة كلام عبادة وانه قد حاف عليه فى الكلام لم يرد عليه جوابا غير انه ثنى رأس جواده وأتى الى ماهان فزعا مرعوبا وقد امتلأ قلبه رعبا من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فلما وقف بين يدى ماهان تبين فى وجهه الجزع والفزع فقال لجبلة ما وراءك فقال أيها الملك انى خوفت وأرعبت ومنيت فكان ذلك كله عندهم بالسواء وقالوا ما بيننا الا الحرب والقتال فقال له ماهان فما هذا الفزع الذى أراه فى وجهك وهم عرب مثلكم وأنت عرب منهم وقد بلغنى انهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألف فارس أما يقاتل الرجلان منكم الرجل الواحد منهم دونك ياجبلة فسر أنت وأبناء عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وأنا وراءكم فان ظفرتم بهم كان الملك مشتركا بيننا وبينكم وتكون أقرب الناس الينا وأسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد الشام (قال الواقدى) وجعل ماهان يرغب جبلة فى العطاء ويلينه ويحرضه على القتال فى المسلمين حتى أجابه الى ذلك

تعالى عنه عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بستتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى سقيفة بنى ساعدة من الانصار يتشاورون فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الانصار منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقال عمر لابى بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار قال ابن اسحق ولما كان اليوم الثانى من السقيفة صعد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى الله به رسوله فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب

وأخبر قومه وبني عمه من بني غسان ولخم وجذام وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم بأخذ الاهبة للحرب والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا في سابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون ألف فارس ما يخ الطرف من غير العرب أحد يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر منقلد بسيف من عمل التبابعة وعلى رأسه الراية التي عقدها له الملك هرقل فسار جبلة نحو الصحابة في ستين ألف فارس حتى أشرف على عساكر المسلمين وأبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه وبين جبلة بن الايهم اذ أشرفت عليهم العرب المتنصرة فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على بعض يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب المتنصرة لقتالكم فما أنتم قائلون قالوا نقاتلهم ونرجو من الله تعالى الظفر وعليهم والمعونة وعلى غيرهم وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال اصبروا رحمكم الله ولا تحملوا حتى أكيدهم بكيدة يهلكون بها وقال لابي عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الامير ان القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم أضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا وضعفا وأريد أن أبعث لهم رسولا من بني عمهم يكلمهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا كان ذلك كسرا لهم وللمشركين ووهنا عظيما وان أبوا الا الحرب والقتال خرج منا نفر يسير يردونهم على أعقابهم بعزة الله عز وجل قال فتجب أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال يا أبا سليمان افعل ما تريد فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعيد وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن عبد الله وأبي أيوب بن خالد بن يزيد رضوان الله عليهم أجمعين فلما وقفوا بين يديه قال لهم يا أنصار الله تعالى ورسوله هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم من غسان ولخم وجذام وهم بنو عمكم في النسب فاخرجوا اليهم وخاطبوهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا لقتالهم كفؤا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب المتنصرة فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بني غسان نادى جابر بن عبد الله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجذام انتم بنو عمكم ونريد الدنو اليكم قالوا فاذن لهم جبلة بالدنو اليه فدخلوا عليه فاذا هو في مضرب من الديباج وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس وحوله ملوكه وملوك جفنة فحيوه بتحية ملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال يا بني اعمنا أنتم من الرحم ومن القرابة وانى خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي برهقكم فخرج الى رجل منكم فأفرط علي في المقال فأنا الذي أتى بكم الي فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله وقال يا ابن العم لا تؤاخذنا فيما تكلم به صاحبنا فان نبينا الا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لانك ذو قرابة ورحم وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملتنا ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف ونبينا شريف فقال ما أحب ذلك ولا غيره انى ضنين بديني وأنتم يا معاشر الاوس والخزرج رضيتم لأنفسكم أمرا ونحن رضينا لانفسنا أمرا لكم دينكم ولنا ديننا فقال له الانصاري ان كنت لا تحب أن تفارق دينك الذي أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لننظر لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول في ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا وان أقمت على دينك قنعنا منك بالجزية وأقررناك على بلدك وعلى مواطن كثيرة لآبائك وأجدادك فقال جبلة أخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن أن يتقووا علي بلدي لان الروم لا ترضى مني الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسوني على جميع العرب وأنا لو دخلت دينكم كنت دنيا ولا أتبع فقال الانصاري فان أبيت ما عرضناه عليك فان ظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فانها تفلق الهام وتبري العظام فتكون الوقعة بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كي ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك فقال وحق المسيح والصليب لابد أن أقاتل عن الروم ولو كان لجميع الاهل والقرابة فقال له قيس بن سعيد يا جبلة أبيت الا أن يحتوي الشيطان على قلبك فيهوي بك في النار فتكون من الهالكين وانما أتينا لندعوك الى دين الاسلام لان رحمك متصلة برحمنا فان أبيت فستعاين مناحر باشديدا يشيب فيه الطفل الصغير ثم وثب قيس بن سعيد وقال لقومه انهضوا على بركة الله تعالى وعونه وحسن طاعته فبعد الله وصفقا فقام جبلة فاستعد للقتال بعدته قال فركب الانصار خيولهم ورجعوا الى الامير أبي عبيدة وخالد ابن الوليد رضي الله تعالى عنهما وأعلموهما بما قاله جبلة وانه ما يريد الا القتال فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر مبايعة عامة بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم تكلم أبو بكر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ له بحقه والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى أطيعوني ما أطعت الله تعالى فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وسمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولي عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام (وولي بعده عمر بن الخطاب) باستخلاف أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو أول من دعي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبي بكر بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وبويع له

عنه أبعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين لينظرن منا جبلة ما يه فارتم
قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى اعلموا معاشر المسلمين ان القوم فى ستين ألف فارس من العرب المتنصرة وهم
حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة
بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا ولكن ينتدب منا أبطال ورجال الى قتال هؤلاء العرب المتنصرة فقال أبو سفيان
صخر بن حرب لله درك يا أبا سليمان فلقد أصبت الرأى فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما أحببت فقال انى قد
رأيت من الرأى ان ننتدب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفى فارس من العرب المتنصرة (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد من المسلمين الا عجب من مقالة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وظنوا
أنه يمزح بمقالته وكان أول من خاطبه فى ذلك أبو سفيان صخر بن حرب وقال يا ابن الوليد هذا الكلام منك جد
أم هزل فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لا وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الا
جدا فقال أبو سفيان فتكون مخالفا لأمر الله تعالى ظالما لنفسك وما أظن ان لك فى هذه المقالة مساعدا ولو
قاتل الرجل منا مائتين كان ذلك أسهل من قولك يقاتل الرجل منا ألفين وان الله عز وجل رحيم بعباده
فرض علينا أن الرجل منا يقاتل الرجلين والمائة المائتين والالف الالفين وانك تقول ثلاثون رجلا منا تلقى
الستين ألف فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل لما قلته فانه ظالم لنفسه معين على قتله فقال خالد
ابن الوليد رضى الله تعالى عنه يا أبا سفيان كنت شجاعا فى الجاهلية فلا تكن جبانا فى الاسلام وانظر لمن انتخب
من رجال المسلمين وأبطال الموحدين فانك اذا رأيتهم علمت أنهم رجال قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل وما
يريدون بقتالهم غير الله تعالى ومن علم الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقا على الله أن ينصره ويوسلك
مضلعات النيران فقال أبو سفيان يا أبا سليمان الامر كما ذكرت وما أردت بقولى الا شفقة على المسلمين فاذا قد
صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا يقاتل الرجل منهم ألف فارس من العرب المتنصرة فقال الامير
أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه نعم ما أشار به أبو سفيان يا أبا سليمان فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه والله
يا أيها الامير ما أردت بقولى هذا الا مكيدة لعدونا لانهم اذا رجعوا الى أصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل
ويقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا يدا خلهم الرعب منا ويعلم ما هان أن جيشنا كف له فقال
أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ان الامر كما ذكرت الا أنه اذا كان ستون رجلا منا يكونون عصبة ومعينا بعضهم
بعضا فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى أنا أنتدب من المسلمين رجالا أعرف صبرهم وقرارهم واقدامهم
فى الحرب وأعرض عليهم هذه المقالة فان أحبوا لقاء الله ورغبوا فى ثواب الله عز وجل فانهم يستجيبون الى
ذلك وان أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم من تطيب نفسه للموت فيا بخالد الا أن يبذل مهجته لله
عز وجل والله الموفق لما يحبه ويرضاه (قال أبو عبيدة) حدثنا عمرو بن سالم عن جده برمحى بن عدى قال
كنت بين يدى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فدعا بستين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأول مادعا خالد بن الوليد كال أبن عمرو التيمى أبن شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبن خالد بن سعيد أبن العاص أبن يزيد بن أبى سفيان الأموى أبن صفوان بن أمية الجمحى أبن
سهل بن عمرو العامرى أبن ضرار بن الازور الكندى أبن رافع بن عميرة الطائى أبن زيد الخيل أبيض
الركابين أبن حذيفة بن اليمان أبن قيس بن سعد أبن كعب بن مالك الانصارى أبن سويد بن عمرو الغنوى
أبن عبادة بن الصامت أبن جابر بن عبد الله أبن أبو أيوب الانصارى أبن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق
رضى الله تعالى عنهم أجمعين أبن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أبن رافع بن سهل أبن يزيد بن عامر أبن
عبيد بن أوس أبن مالك بن نصر أبن نصر بن الحرث أبن عبد الله بن ظفر أبن أبو لبابة بن المنذر أبن عوف أبن
عابس بن قيس أبن عبادة بن عبد الله الانصارى أبن رافع بن عجرة أبن عبيد بن عبد الله أبن معقب بن قيس
أبن هلال أبن الصابرون يوم أحد وقد ذكرهم الله تعالى فى كتابه فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين أبن
أسيد الساعدى أبن كلال بن الحرث المازنى أبن حزة بن عمرو الاسلمى أبن يزيد بن عامر (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) وقد سمى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الرجال الذين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم الا أنى اختصرت
فى ذكرهم وقدمت ذكر الانصار رضى الله تعالى عنهم لان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه انتخب اكثر

بالخلافة بعد موت أبى بكر
لثمان بقين من جمادى
الآخرة سنة ثلاث عشرة
من الهجرة ولما دفن أبو
بكر صعد المقرخلس دون
مجلس أبى بكر ثم حمد الله
وأثنى عليه وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم وخطب
خطبة بليغة وله فضائل
كثيرة منها جريان النيل
بكتابه الذى أرسله الى عمرو
ابن العاص لما افتتح مصر
وكانت عادته أنه لا يجرى
حتى يأتوا بجارية بكر
يأخذونها من أبويها
ويحلونها بالحلى والثياب
ويلقونها فيه ففى تلك السنة
أخبروا عمرو بن العاص
بذلك فلم يرض بعادتهم
وقال لا يكون هذا فى
الاسلام والاسلام يهدم
ما قبله فمكث النيل
لا يخرج شهر بؤنة وأبيب
ومسرى حتى هم أهل مصر
بالرحيل منها فلما رأى
عمرو بن العاص ذلك
كتب الى عمر بن الخطاب
يخبره بذلك فكتب اليه
بطاقة صغيرة وأمره أن
يلقيها فى النيل فأخذها
عمرو وقرأها فاذا فيها بسم
الله الرحمن الرحيم من
عبد الله أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب الى نيل مصر
أما بعد فان كنت تجرى
من قبلك فلا تجر وان كان
الله الواحد القهار هو الذى
يجريك فنسأل الله الواحد

الرجال من الانصار فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار ان خالدا اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المهاجرين من ولد المغيرة بن قصي ويوشك انه يختبرهم أو يقدمهم للهلاك ويشفق على ولد المغيرة (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) فلما سمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ذلك من قولهم أقبل يخط بجواده حتى توسط جميع الانصار وقال لهم والله يا أولاد عامر ما دعوتكم الا لما ارتضيته منكم وحسن يقيني بكم وبإيمانكم فأنتم ممن رسخ الايمان في قلبه فقالوا انك صادق في قولك يا أبا سليمان ثم صاحفها القوم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما انتخب خالد بن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه قال لهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه يا أنصار الله ما تقولون في الحملة معي على هذا الجيش الذي قد أتى يريد حربكم وقتالكم فان كان لكم صبر وأيد كم الله بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا أنكم لجيش الروم غالبون فاذا هزمتم هؤلاء العرب وقع الرعب في قلوبهم فينقلبون خاسرين فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ما تريد والق ما تشاء فوالله لنقاتان أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل في طلب الآخرة مهجنا لخزاهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه خيرا وكذلك الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال لهم ناهبوا رحمكم الله وخذوا السلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان الرمح خوان يمازاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها منا يا منها المخطئ ومنها المصيب والسيف والجحف عليهما تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يصبر به وتواعدوا أن الملتقى عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فقدموا على أهاليهم وودعوهم فأما ضرار بن الأزور فانه عمد الى خيمته ليستعد بما يريد ويسلم على أخته خولة رضي الله تعالى عنها بنت الأزور فلما لبس لامة حربه قالت له أخته خولة يا أخي مالي أراك تودعني وداع من أيقن بالفراق أخبرني ماذا عزمت عليه فأخبرها ضرار بما قد عزم عليه وانه يريد ان يلقى العدو مع خالد بن الوليد رضي الله عنه فبكت خولة وقالت يا أخي افعل ما تريد أن تفعل والق عدوك وأنت موقن بالله تبارك وتعالى فانه لكم ناصر وان عدوك لا يقرب لك أجلا بعيدا ولا يبعد عنك أجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك من عدوك نائبة فوالله العظيم شأنه لاهدأت خولة على الارض أو تأخذ يثارك فبكى ضرار بن الازور لبكائها واعد آلة الحرب وكذلك الستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينامو اطول ليلتهم حتى ودعوا أولادهم وأهاليهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الاعداء الى أن أصبح الصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة رضي الله عنه صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد رضي الله عنه وحرض أصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول

هبوا جميع اخوتي أرواحا * نحو العدو تبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا * اذا بذلنا دونه أرواحا
ويرزق الله لنا صلاحا * في نصرنا الغدو والرواحا

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأنشد بيتا آخر لم أدر ما هو وخرج أمام المسلمين وأصحابه يقدمون اليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذين انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ومعه زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وهي سائرة الى جانب أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي تدعو لهم بالسلامة والنصر وتقول لاخيها يا أخي لا تفارق ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخذكم في الله لومة لائم قال وودع المسلمون الستون أصحابهم وسار وا بأجمعهم وخالد بن الوليد رضي الله عنه في أوساطهم كأنه أسد قد احتوشته الاسود ولم يزالوا حتى وقفوا بازاء العرب المتنصرة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ونظرت العرب المتنصرة الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبل نحوهم وهم نفر يسير فظنوا أنهم رسل يطلبون الصلح والموادعة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهبوا المسلمين ونادى يا آل غسان اسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة وأخذوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كأنها شعل نار ووقع ابصر ون ما يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قاربوا صلبان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد رضي الله عنه يا عبدة الصلبان

القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر وفي خلافته فتحت مصر ودمشق والبصرى وبعلبك وحمص وهرب هرقل من انطاكية الى قسطنطينية (وولى بعده عثمان بن عفان) وكنيته أبو عمرو بعد ثلاثة أيام من وفاة عمر بحكم الشورى فبقي واليا اثنى عشر عاما كاملة غير عشرة أيام وقتل سنة خمس وثلاثين في ذي الحجة وله ضفائل كثيرة منها تجهيز جيش العسرة بشلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر في مدة خلافته عبد الله بن أبي سرح وذلك أنه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر فأقام على ولايته الى أن مات في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر ثنتي عشرة سنة (ثم ولى بعده علي بن أبي طالب) رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من

ويا أعداء الرحمن هلموا الى الحرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد رضى الله عنه علم انهم ما خرجوا رسلا وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة من بين أصحابه وقد اشتمل بلامة حربه وهو يقول

أنا ابن من عبدوا الصليب ومن به * نسطوا على من عابنا بفعالنا ○ ولقد علونا بالمسيح وأمه

والحرب تعلم انها مبراثنا * اناخرجنا والصليب أمامنا * حتى تبددكم سيوف رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستفز لنا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه انا فاخرج الى حومة الحرب فقال جبلة نحن قد رتبنا أمورنا للحرب بكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح لا أجمنا كم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم وأخبروهم اننا ما نريد الا القتال قال فاظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة أتظن اننا خرجنا رسلا اليك فقال جبلة أجل فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك أبدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة قليلة فان الله ينصرنا عليكم فقال جبلة باقى قد غررت بنفسك وبقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولحم وجذام فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك وانا قليلون فقد اكلم رجل منا الف منكم وتخلف منا رجال أشهى الينا لحوم من المطشان الى الماء البارد فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لقد كنت أفضل فى عقلك وأروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام انك أنت وستين رجلا ترومون قتالنا ونحن سادات غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل بهذه الستين ألف فارس فلا يبقى منكم أحد ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون ألف فارس فى وجه خالد بن الوليد والستين رجلا فثبت لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتبك الحرب بينهم فما كنت تسمع الا زئير الرجال وزمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى ما ظن أحد من المسلمين ولا من المشركين ان خالدا ومن معه ينجو منهم أحد فبكى المسلمون وأخذهم القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غرر خالد بن الوليد باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلكهم والروم تقول ان جبلة أهلك هؤلاء القوم فهلاك العرب حاصل بايدينا لا محالة ولم يزل القوم فى الحرب والقتال حتى قامت الشمس فى كبد السماء قال عبادة بن الصامت فلقد رأيت خالد بن الوليد رضى الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم والفضل بن العباس وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين لقد رأيت هؤلاء الستة قد قرنوا منا كبهم فى الحرب وقام بعضهم بجنب بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت الاسنة صدور الليوث حتى بلغت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزل الوافى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت فى جملتهم وقلت يصيبنى ما يصيبهم ونادى خالد بن الوليد وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المحشر وقد أعطى خالد القلب منا فلما حمى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلقد رأيت الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهم ينادون أفرجوا يا معاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا الزبير بن العوام وأنا الفضل بن العباس أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المحشر وقد أعطى خالد القلب منا فوالذى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أحصيت للفضل بن العباس عشر بن حملة يحملها على خالد بن الوليد حتى أزال عنه الرجال والابطال وحملوا على المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا فى القتال يومهم الى أن جنحت الشمس الى الغروب والمسلمون قد جهدهم القلق على اخوانهم أما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانه صاح بالمسلمين وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك خالد بن الوليد ومن معه لا محالة وذهب فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لتنظروا ما كان من أمر اخوانكم فكل أجاب الى قوله واشارته الا أبا سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه فانه قال للامير أبى عبيدة رضى الله عنه لا تفعل أيها الامير فانه لا يليق للقوم أن يخلصوا ونرى ما يكون من أمرهم قال فلم يلتفت أبو عبيدة رضى الله عنه الى كلامه وهم أن يحمل وقد أخذه القلق فبينما هو كذلك واذا جيش العرب المنتصرة مهزومون وأصوات الصحابة رضى الله عنهم قد ارتفعت بالتهليل والتكبير كل ينادى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله والعرب المنتصرة منهزمة على أعقابهم كانما صاح بهم صايح من السماء فبددت شملهم وأقبل خالد بن الوليد من وسط المعمعة يلتهب بما لحقه من التعب وكذا أصحابه الذين كانوا معه قال وان خالد بن الوليد افتقد أصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الا عشرين فجعل يلطم على

المهاجرين والانصار على على رضى الله عنه وقالوا الابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى امرتكم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولا بد فان بيعتى لا تكون خفية فخرج من المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل غيلة فى الكوفة سنة أربعين من الهجرة فى شهر رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان الوالى على مصر فى مدة خلافته قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الانصارى تولى عليها سنة ست وثلاثين من الهجرة وأقام على ولايته حتى أرسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده أن يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فاشيع عنه أنه بايع معاوية فعزله على وولى على مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه فلم يزل بمصر قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين على ومعاوية فاستخف أهل مصر بمحمد بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فولى على رضى الله تعالى عنه عليهم الاشتر النخعى ثم

وجهه وهو يقول أهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن وعند الامير عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبينما هو متحير فى ذلك اذ أقبل عليه الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وفرسان المسلمين وأبطال الموحدين فنظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه وقد اشتغل عن متابعة المشركين فقال أبو عبيدة يا أبا سليمان الحمد لله على نصر المسلمين ودمار المشركين فقال خالد بن الوليد اعلم أيها الامير ان الله قد هزم الجيش ولكن أعقبتك الفرحة ترحة فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وكيف ذلك فقال خالد أيها الامير فقدت أربعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الفضل بن العباس وجعل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه يسمى فرسان المسلمين واحدا بعد واحد حتى سمى أربعين رجلا فاسترجع أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال لخالد لا بد لعجلك يهلك المسلمون فقال سلامة بن الاحوص السلمى أيها الامير دونك والمعركة فاطلب فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رأيتموهم والا فاقوم أسرى أو قد تبعوا المشركين فامر أبو عبيدة فاتوا بهوادى النيران وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة خمسة آلاف فارس وسيدان من سادا تهم وهما رفاعة بن مطعم الغسانى والآخر شداد بن الاوس وجدوا من قتل من المسلمين عشرة رجال منهم اثنان من الانصار أحدهما عامر الاوسى والآخر سلمة الخزرجى فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لا شك أن بعض الصحابة قد تبع المشركين فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه اللهم التنا بالفرج القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك الزبير بن العوام ولا بابن عمه الفضل بن العباس ثم قال أبو عبيدة معاشر المسلمين من يقفو لنا أثر القوم ويتعرف خبر الصحابة وأجره على الله عز وجل فكان أول من أجابه خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقال له الامير أبو عبيدة لا تفعل يا أبا سليمان لانك تعبت من شدة الحرب فقال خالد والله لا يمضى فى طلبهم غيرى ثم غير جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس حازم بن جبير بن عدى من بنى النجار فركبه خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وطلب آثار القوم وتبعه جماعة من المسلمين فما سار خالد بعيدا حتى سمع خالد التهليل والتكبير فاجابهم بمثله فاقبل القوم وفى أوائلهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهاشم والمرقال فلما نظر خالد اليهم فرح فرحا شديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه للفضل بن العباس يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أمركم فقال يا أبا سليمان هزم الله المشركين ورددهم على أدبارهم خائبين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا مروا فرجوا خلاصهم فلم نرهم ولا شك انهم قتلوا فقال خالد رضى الله تعالى عنه أن القوم فى الاسر لا محالة فقال له الزبير بن العوام من أين علمت ذلك يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله تعالى عنه انا لم نجد فى المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وأنتم خمسة وعشرون وقد أسر خمسة رجال لا محالة وكانت الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير ابن العوام والمرقال بن هاشم وقد رجعوا سالمين فرحين بما نصرهم الله على الكافرين سجد على قربوس سرجه شكرا لله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه معاشر المسلمين لقد بذلت مهجتى أن أقتل فى سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدى ان شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان فى فرح وسرور وبات الروم فى نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به أن الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه لما نظر الى عساكر الروم مولية على قفاله كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من أبى عبيدة عامر بن الجراح عامله سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين ان كلب الروم هرقل قد استفز علينا كل من يحمل الصليب وقد سار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرماة والحولان والعدو فى ثمانمائة ألف مقاتل غير التبع وفى مقدمتهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فاول من لقينا جملة ابن الايهم فى ستين ألف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلا فهزم الله تعالى المشركين على أيدينا وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقتل من أصحابنا عشرة رجال وهم راعلة وجعفر بن المسيب ونوفل بن ورقة

مات فارجع محمد بن أبى بكر الى ولاية مصر الى ان أرسل له معاوية عمرو ابن العاص فى جيوش كثيرة فقتل بعض جيوش محمد بن أبى بكر واستولى على مصر عمرو ابن العاص الى أن مات بها كما مر وولى معاوية عليها ولده عبد الله فعمل له عليها سنتين ثم عزله وولى عتبة بن عامر الجهنى ثم عزله وولى معاوية بن حديج ثم عزله وولى مسلمة ابن مخلد واستمر على ولاية مصر الى ان مات فى خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولى ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن ابن مخزوم القرشى (ثم ولى الخلافة أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما) وبايعه على الموت أكثر من أربعين ألفا من أهل الكوفة وغيرهم وأطاعه الناس وأحبوه أكثر من حبهم لأبيه فبقى ستة أشهر وخلع نفسه كراهية فى سفك الدماء ثم دس عليه يزيد بن معاوية السم مع بعض أزواجه فمكث مريضا أربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الأول سنة خمس وأربعين من الهجرة ودفن بالبقيع

وقيس بن عامر وسلمة بن سلامة الخزرجي وأسر منهم خمسة رجال وهم رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الأزور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدي وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب قال عبد الله بن قرط فركبت من البرموك يوم الجمعة في الساعة العاشرة بعد العصر وقد مضى من شهر ذي الحجة اثنا عشر يوما والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة في الساعة الخامسة والمسجد مملوء بالناس فأنخت ناقتي على باب جبريل عليه السلام وأتيت الروضة وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وصليت فيها ركعتين ونشرت الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقبلت يديه وسلمت عليه فلما فتح عمر الكتاب انتقع لونه وتزعزع كونه وقال انا لله وانا اليه راجعون فقال عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة يا أمير المؤمنين أطلعنا على ما في هذا الكتاب من أمر اخواننا المسلمين فقام عمر رضي الله تعالى عنه ورقى المنبر خطيبا وقرأ الكتاب على الناس فلما سمعوا ما فيه ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه وقالوا يا أمير المؤمنين ابعث بنا اليهم ولو قدمت أنت الى الشام اشتد بك ظهور المسلمين فوالله ما أملك الا نفسي ومالي وما أبخل بهما على المسلمين قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق المسلمين وجزعهم على اخوانهم أقبل على عبد الله وقال يا ابن قرط من المقدم على عساكر الروم فقلت خمسة بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل وهم قورين والديرجان وقنطاير وجرجير وصلبانهم تحت صليب ماهان الارمني وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الغساني مقدم على ستين ألف فارس من العرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قرأ عمر يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم قال ما تشيرون به علي رحمكم الله تعالى فقال له علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أبشر وا رحمكم الله تعالى فان هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين لينظر أفعالهم وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا أن هذه الوقعة هي التي ذكر هالي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يبقى ذكرها الى الابد هذه الدائرة المهلكة فقال العباس علي من هي يا ابن أخي فقال يا عماه علي من كفر بالله واتخذ معه ولدا فاتقوا بنصر الله عز وجل ثم قال لعمر يا أمير المؤمنين اكتب الى عامل أبي عبيدة كتابا واعلمه فيه أن نصر الله خير له من غوثنا ومجدتنا فبوشك أنه في أمر عظيم فقام عمر ورقى المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته كتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح ومن معه من المهاجرين والانصار سلام عليكم فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان نصر الله خير لكم من معونتنا واعلموا انه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما أنزل الله من النصر وان الله عز وجل يقول وان تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من عند الله وقد قال تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية ياطوبى للشهداء ياطوبى لمن يقتل على الله فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تياسن عن صرع من المسلمين فقد رأيت من صرع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم في مواطن كثيرة حتى قتلوا في سبيل الله ولم يهابوا لقاء الموت في جنب الله تعالى بل جاهدوا في سبيل الله حق جهاده وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاذا رد عليك كتابي هذا فاقرأه على المسلمين وأمرهم أن يقاتلوا العدو في سبيل الله عز وجل واقرأ عليهم يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن

ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين رضي الله عنهما يا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا ولما تولى هذا الامر نوزع حتى جردا السيف فلم يتم له وما صفت له وأنا والله لا أرى ان يجمع الله تعالى لنا أهل البيت بين النبوة والخلافة فايأك أن يستخفك أهل الكوفة (ثم ولي الخلافة بعده أبو عبد الرحمن معاوية ابن أبي سفيان) وكان مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أميرا على الشام

قرط وقال له يا ابن قرط اذا أشرفت على المسلمين وقد استوت الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على اصحاب الرايات منهم وأخبرهم أنك رسولي اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم ويقول لكم يا أهل الايمان أصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث واضربوا هاماتهم بالسيوف وليكونوا عليكم أهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم ان شاء الله تعالى ثم اقرأ عليهم ألا ان حزب الله هم الغالبون قال عبد الله بن قرط فقلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لي بالسلامة والسرعة في السير فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم احمه وسلمه واطوله البعد انك على كل شيء قدير قال عبد الله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الحبشة فقلت في نفسي لقد أخطأت في الرأي اذ لم أسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أدري راه بعد اليوم أم لا قال عبد الله فقصدت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها جالسة عند قبره وعلي ابن أبي طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين في حجر علي والحسن في حجر العباس رضي الله عنهم وهم يتلون سورة الانعام وعلي رضي الله عنه يتلو سورة هود فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه يا ابن قرط عوّلت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أظن أن أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائرة واذا أشرفت عليهم ولا يرون مني مردا ولا نجدة خشيت عليهم أن يهنوا ويجزعوا وكنت أحب أن أصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم حتى أعظهم وأصبرهم فقال علي رضي الله عنه فما منعك ان تسأل عمر بن الخطاب أن يدعوك أما علمت يا ابن قرط ان دعاءه لا يرد ولا يحجب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه لو كان نبي ثان بعدي لكان عمر بن الخطاب ايس هو الذي يوافق حكمه حكم الكتاب حتى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجا منه الا عمر ابن الخطاب أما علمت ان الله تعالى أنزل فيه آيات بينات أما هو الزاهد التقي أما هو العابد أما هو المشبه بنوح النبي فان كان هو قد دعا لك فقد قرن دعاؤه بالاجابة فقال عبد الله بن قرط ما ذكرت شيأ الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكني أردت الزيادة من دعائك ودعاء العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما عند قبر الرسول المعظم المكرم قال فرفع العباس رضي الله عنه يديه وعلي رضي الله عنه كذلك وقالا اللهم انا نتوسل بهذا النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي توسل به آدم فأجبت دعوته وغفرت خطيئته الا سهلت على عبد الله طريقه وطويت له البعيد وأيدت أصحاب نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ثم قال سر يا عبد الله بن قرط فالله تعالى أكرم من أن يرد دعاء عمر وعباس وعلي والحسن والحسين وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توسلوا اليه بأكرم الخلق عليه قال عبد الله بن قرط فخرجت من الحجرة وأنا فرح مستبشر واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا أفرح بدعاء علي والعباس وعمر رضي الله عنهم أجمعين قال عبد الله فخرجت من المدينة بعد العصر من يومي ذلك الذي دخلت فيه المدينة وأنا أرقب الطريق فلما اختلط الظلام وأسدل الليل سجفه أرخيت زمام المطية فحسبت أنها تطير بي ولم أزل سائرا ثلاثة أيام فلما كانت صلاة العصر من اليوم الثالث أشرفت على البرموك وسمعت ضجيج أذان المسلمين قال عبد الله فقصدت خيمة الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وأنخت ناقتي وسلمت عليه وكان لي منذ فارقته عشرة أيام فأخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعباس والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال أبو عبيدة صدقت يا ابن قرط ونعم المكرام على الله عز وجل وان دعاءهم لا يرد ثم قرأ الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك وقالوا أيها الامير ما منا الا من يطلب الشهادة فالله تعالى يبلغنا اياها (قال الواقدي) حدثني عمرو بن العلاء قال حدثنا ماجد عن الثقات قال لما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة لما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن ما تيسر اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن من صدوان وأرض سباء وحضرموت واجمة والجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خيل الربعي فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمرهم بالنزول فلما اقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بازاء أهل اليمن فلما كان يوم الاحد حمل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة وسلمها الى سعيد بن عامر فقال سعيد بن عامر فهممت بالمسير فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ثم

عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفي خلافة علي لما عزله صار متغلبا فمكث أميرا وخليفة أربعين سنة وتوفي سنة ستين في رجب (وولي بعده يزيد) ولده فاقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفي مدة خلافته أرسل الى الحسين بن علي رضي الله عنه ليقتله لكونه امتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه ليخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضي الله أمرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده

أقبل عمر بن الخطاب يمشي راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف فلما قربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد بن عامر يا سعيد اني وليتك على هذا الجيش واست بخير رجل منهم الا أن تتقي الله فاد امرت فارفق بهم ما استطعت ولا تشتم أعراضهم ولا تحقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع سوأتك ولا تسلك بهم المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اسمع وصية امامك أمير المؤمنين الذي ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قطيعوه تهتدوا وترشدوا فسار يا سعيد واذا وصلت الى أبي عبيدة والتقى بكم الجيش الذي لا تلقون مثله وصعد عليكم أمره فاكتبوا الي أميرا المؤمنين عمر حتى يوجهني اليكم حتى أقلب أرض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى قال فسار سعيد بن عامر وهو يقول

نسير بجيش من رجال أعزة * على كل عجماج من الخيل بصبر
الى شبل جراح ومحب نبينا * لننصره والله للدين ينصر
على كل كفار لعين معاند * تراه على الصلبان بالله يكفر

قال وسار يجد السير قال سعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت أسير اليه في السنة مرة أو مرتين عسفا من غير جادة طريق أسير على الكواكب فلما سرت من المدينة وأنا بين يدي المسلمين سلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد عن العمارات وأسلك الفلاة توقيفا من الله واكراما ولطفا بعباده المؤمنين فلما ضللت أشكل علي الطريق كأني ما سلكته يوما قط فوقفت حائرا حتى تلاحق بي المسلمون فلم أعلمهم بأمري ولا أني ضللت عن الطريق وأنا أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فسرت يومين وليلتين وأنا أتيه بالناس والمسلمون يسألوني عن ذلك وأنا أقول لهم اني على طريق فلما كان في اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة لاح لي جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه فقلت غررت والله بالمسلمين وأنا أقول في نفسي أترى هذا جبل يعلك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من أول النهار وما أدركناه الا والليل قد أقبل فلما صرنا بقربه اعترضنا وادعظيم فيه شجرة عظيمة كبيرة قال فلما تأملت الشجرة عرفتها وقلت لاصحابي أبشروا فقد وصلنا الى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادي واذا به وعر ليس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويعتقبون على ظهور الخيل والابل فلما نظرت المسلمون الى وحشة ذلك الوادي ووعورة مسالكه قالوا يا سعيد انا نظن انك قد أخطأت الطريق وسلكت بنا غير طريقنا فارحنا في هذا الوادي قليلا فقد أضر بنا المسير قال فاجبتهم الى ذلك وكان في الوادي عين ماء غزيرة فنزل المسلمون عليها فشربوا وسقوا اخيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلي على محمد قال سعيد بن عامر وكنت جلست في آخر الناس احرسهم وأنا أتلو القرآن العظيم وأدعو الله لنا بالسلامة اذ غلبتني عيناي فنمت فرأيت في منامي كأني في جنة خضراء كثيرة الاشجار والثمار وكأني آكل من ثمرها واشرب من أنهارها واجتني من ثمرها وأنا وأصحابي وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك اذ خرج من بين تلك الشجرة أسد عظيم فزأر في وجهي وهم أن يفترسني وأنا من ذلك فزع مرعوب اذ خرج على الاسد أسدان عظيمان فصرعاه في موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومي وحلاوة ذلك الثمر في فمي والاسود تتمثل بين يدي قال سعيد بن عامر ففسرتها أنها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها مانع ونظفر به فقلت في نفسي الجنة هي الشهادة قال سعيد بن عامر ولم أزل جالسا أتلو القرآن وأنا قائم اذ سمعت هاتفا يهتف بي عن يمين الوادي وهو يقول

يا عصبة الهادي الى الرشاد * لا تفزعوا من وعر هذا الوادي
ما فيه من جن ولا معادي * ستعلمون معشر العباد
لطف الذي يرفق بالاولاد * ويطرح الرحمة في الاكباد
سيصنع الله بكهل شاد * وتغنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر فلما سمعت شعر الهاتف وما يشير به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكرا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة أبيات وأنشدني اياها

سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولي بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان صالحا فاقام اربعين يوما ورأى شدة هذا الامر خلع نفسه وولي بيته ومات بعد اربعين يوما من خلعه (وولي بعده عبد الله بن الزبير بمكة) ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فمات به ثم رجع الى الشام وجددت له البيعة وذلك في سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بقرب بها

وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة واقام المسلمون فى الوادى حتى أصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادى وحققت تلك الارض والجبل واذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتى بالتكبير وقلت الله أكبر وكبرت المسلمون لتكبيرى وقالوا ما الذى رأيت يا ابن عامر فقلت وصلنا الى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم قال سعيد واكثر من معى طما هو العرب قالوا يا سعيد وما الرقيم أما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم قال سعيد فهجموا من ذلك ثم أقبلت بهم الى الغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى أشرفنا على بلاد عمان قال سعيد بن عامر فمدلت الى قرية هناك يقال لها الجنان فنظرت الى دهاقين القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم وأخذوا بعضهم أسارى فرجع القوم الى القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيها منا قال سعيد بن عامر فقربت من الحصن وصحت بهم وقلت يا ويلكم مالكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فاشرف على واحد منهم وقال لى يا معاشر العرب اعلموا أنا كنا خارجين من المدينة ففزعنا منكم وذلك أن صاحب عمان بعث الينا وأمرنا بالمسير الى عمان لنكون من تحت كنفه فى عمان والآن يا معاشر العرب هل لكم أن تكونوا فى ذمامكم وأمانكم قال سعيد نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتب لهم كتاب الصلح فلما هممت بالمسير قالوا يا معاشر العرب قد صالحناكم ونحن خائفون من قومنا واعلموا ان نقيطاس صاحب عمان لا بد ان يلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به لكان خيرا لنا ولكم فقلت فكيف نظفر به فقالوا ان الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث الينا حتى نسير الى الساحل الى قسارية لتكون مع قسطنطين ابن الملك هرقل يدا واحدة ويعث بذلك اليه وان انتم ظفرتم بصاحب عمان ملكتم غنيمة جسيمة فقال سعيد بن عامر رضى الله تعالى عنه وفى كم يكون جيش عمان فقالوا فى خمسة آلاف فارس ولكن قد وقع خوفكم فى قلوبهم فان يفلحوا اذا أبدا فقال سعيد بن عامر يا معاشر المسلمين ماتقولون فى لقاء هذا البطريق صاحب عمان وأخذ غنيمته فقالوا افعل ما تريد فان قتله الله على أيدينا كان ذلك صلاحا للمسلمين وهو هنا على المشركين فقال سعيد بن عامر لاهل القرية على أى طريق يأتى القوم فقالوا على هذا الطريق قال فدلونا على طريق عمورية قسرنا الى واد عظيم وكمنا فيه يوما وليلة فلم يأتنا أحد فلما أصبح الصباح قال سعيد يا معاشر المسلمين ان الذى وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة أبى عبيدة والمسلمين أفضل من مقامنا هنا فاخرجوا رحمكم الله فانا اذا أشرفنا على المسلمين فى سبعة آلاف فارس كان ذلك وهنا على المشركين وذلة للكافرين فقال المسلمون يا ابن عامر ان قلوبنا توقن بالغنيمة فلا تحرمنا ذلك قال فبينما هم فى المحاورة اذ أشرف عليهم جماعة من القسوس والرهبان وعليهم ثياب الشعر وفى أيديهم الصلبان وقد حلقوا أوساط رؤسهم فابتدر المسلمون اليهم وأخذوهم وأوقفوهم بين يدى سعيد بن عامر فقال لهم من أنتم وكان فيهم قس كبير فكلم سعيدا وقال نحن رهبان هذه الديرة والصوامع ونريد أن نصل الى قسطنطين ولد الملك هرقل حتى ندعو له فى معاسكر النصر قال سعيد فادعوا ومادعاء الكافرين الا فى ضلال فما وراءكم من الاخبار قالوا وراءنا صاحب عمان فى خمسة آلاف فارس من فرسان النصرانية وعباد الصليب فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا ثم قال سعيد للقسيس الذى خاطبه اسمع أيها الشيخ ان نبينا أمرنا أن لا نتعرض لراهب حبس نفسه فى صومعة ولولا أنكم تتذرون العدو لخليناسبيلكم ثم أمر المسلمين أن يوثقوهم كتافا فأوثقوهم بزنانيرهم التى فى أوساطهم فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا جيش عمان والرجالة أمامهم يعزلون لهم الحجر من الدروب فلما أشرفوا على المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير أهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان بذلك فلما نظر الى صنع المسلمين أمر أصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا قتالا شديدا فقال سعيد بن عامر ونظرت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا ويضحكون بالتهليل والتكبير فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالبا لعمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الغنيمة والبطريق نقيطاس صاحب عمان فى الهرب وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه قال فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء من ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل بن العباس فحملوا على الروم

سنة ست وثمانين فامر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولى بعده ابنه عبد الله فاقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولى سرى بن شريك وكان ظلوما عسوفا واقام والى البا بعصر الى أن مات سنة ست وتسعين فولى بعده عبد الملك بن رفاعة فاقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولى بعده أيوب الاصبحى فاقام الى سنة احدى ومائة ثم ولى بشر بن صفوان الكلبى فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم تولى أخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى محمد بن عبد الملك أخوه هشام بن عبد الملك الخليفة ثم تولى

فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه فقلبه عن جواده وعجل الله بروحه الى النار وأقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الابطال قال وأشرف سعيد بن عامر على المرضع فرأى الحرب قائمة فظن انه وقع بينهم الخلف فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فافتقم سعيد بن عامر المعركة فسمع الفضل بن العباس وهو ينتمي باسمه ويقول أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد فقلت لله درك يا ابن العباس ومن مثلك من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معي الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد الا بين أسير وقتيل وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض وأقبل الزبير على سعيد بن عامر وقال يا ابن عامر ما الذي حبسك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوي وأخبرنا بمسيرك الينا وقد ساءت بك ظنونا فارسلنا أبو عبيدة لنغير على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ثم أمر الزبير برؤوس القتلى فسلخت وحملتها العرب على أسنة الرماح فكانت الرؤس أربعة آلاف رأس والاسرى ألف أسير قال وأطلق سعيد ابن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى أشرفوا على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فانزعجت قلوب الروم لذلك ونظروا الى ثمانية آلاف فارس والرؤس معهم على الاسنة فبهتوا لذلك وحدث سعيد بن عامر أبا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم فسجد شكرا لله عز وجل وأمر بالالف أسير فضربت أعناقهم والروم ينظرون اليهم قال قطبة بن سويد وأخبرت الروم أنه لم ينج أحد من جيش عمان (قال الواقدي رحمه الله تعالى) لما أسر الخمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتم لفقدهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجراح وأقبل على البكاء والتضرع وهو يدعو ان أسر بالخلاص وأما الخمسة فانهم مثلوا بين يدي ماهان لعنه الله تعالى وغضب عليه فلما نظر اليهم استقر شأنهم وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين وقد كانوا ستين رجلا فقتلت أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقي في عسكرهم من تخاف غائلته الا رجل واحد وهو الذي يثبتهم ويرمحهم بكل المراصد وهو الذي فتح أركه وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وهو الذي كسر عساكر أجنادين وتبع توما وهو يبس وقتلهم في مرج الديباج وأسر ابنة الملك هرقل وهو خالد بن الوليد قال فلما سمع ماهان من ذلك قال لا بد لي أن أحتال على هذا الرجل حتى أحصله عندي وأقتله مع هؤلاء الخمسة الاسرى ثم دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم فصيحا بلسان العرب فقال يا جرجة أريد أن تمضي الى هؤلاء العرب وتقول لهم يبعثوا الينا رسولا وليكن هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى بخالد بن الوليد فقال له ما الذي تريد فقال ان الملك ماهان قد بعثني اليكم حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله أن يحقن دماءنا ودماءكم فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أنا أكون الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه ويدي أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهما وأخبره انه يريد المسير الى ماهان فقال أبو عبيدة امض يا باسليمان سلمك الله تعالى فلعل الله تعالى أن يهديهم أو يدعونا للصلح وأداء الجزية فتحقن الدماء على يدك فحقن دم رجل واحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا فقال له خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أنا أطلب من الله تعالى العون ثم وثب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى خيمته ولبس خفين حجازيين وتعمم بعمامة سوداء وشد وسطه بمنطقة من الاديم وتقلد سيفه الذي سلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وأمر عبده هرماسا أن يأخذ قبته الحمراء وكانت من الاديم الطائفي وفيها شعبات من الذهب الاحمر وحليتها من الفضة البيضاء وكان خالد قد اشتراها من امرأة مسيرة بن مسروق العبسي بثلثمائة دينار فحملها على بغل وركب خالد جواده فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا باسليمان خذ معك رجالا من المسلمين يكونون لك عونا فقال خالد أيها الامير أحب ذلك ولكن لا أكره في الدين وليس لي عليهم طاعة فأمر من شئت فلما سمع المسلمون كلام خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه قال معاذ بن جبل يا باسليمان انك من أهل الفضل ولو أمرتنا بأمر امتثلناه لانك سائر في طاعة الله تعالى ورسوله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فاستركب معه مائة فارس من المهاجرين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن وقاص وشرحبيل بن حسنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن

حفص بن الوليد فاقام الى سنة ثمان عشرة ومائة وولي بعده عبد الرحمن ابن خالد فاقام سبعة أشهر وصرف وأعيد حنظلة بن صفوان في سنة عشرين ثم صرف وولي بعده حسان ابن العتاهية التجيبي سنة سبع وعشرين ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولي حوشرة بن سهل الباهلي ثم ولي المغيرة بن عبيدا فزاري سنة احدى وثلاثين ثم ولي الامير عبيد الله بن مروان سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من بني أمية

نفيل العدوى وميسرة بن مسروق العبسى وقيس بن هبيرة المرادى وسهل بن عمر والعامرى وجرير بن عبد الله البجلى والقعقاع بن عمر والتميمى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبادة بن الصامت الخزرجى والاسود بن سويد المازنى وذو الكلاع الحميرى والمقداد بن الاسود الكندى وعمرو بن معديكرب الزبيدى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولم يزل خالد ينتخب مثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا وحده فأخذوا زينتهم واشتملوا بلباس الحرب وتوشحوا بالابراد وتعمموا بالعمائم وتمنطقوا بالخناجر وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وعن يمينه معاذ بن جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندى والمائة فارس محدقون به قال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير قال نصر بن سالم المازنى فنظرت الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه حين سار خالد بمن معه يقرأ آية من القرآن ودموعه جارية على خديه فقلت أيها الامير ما يبكيك فقال يا ابن سالم هؤلاء والله أنصار الدين فان أصيب رجل منهم فى امارة أبى عبيدة فما يكون عذرى عند رب العالمين وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما أشرف خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ومن معه على عساكر الروم نظر المسلمون الى عساكر الروم وهم خمسة فراسخ فى العرض وعن نزول بن دحية ان خالد بن الوليد لما مر برجل عن جواده وترجل المائة جعلوا يتخترون فى مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم ويختارون صفوف الحجاب والمطارقة ولا يهابون أحدا الى أن وصلوا الى التماثيل والفراش الديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما أظهر من زينته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت لهم الكراسى فلم يجلسوا عليها بل رفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الارض فلما نظر ماهان الى فعالهم تبسم وقال يا معاشر العرب لم تأبون كرامتنا ولم أزالتم ما تحتكم من الكراسى وجلستم على الارض ولم تستعملوا الادب معنا ودستم على فراشنا قال فقال خالد بن الوليد ان الادب مع الله تعالى أفضل من الادب معكم وبساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال حدثنى عاصم بن رواح الزبيدى قال حدثنا ورقة بن عبد الله الشيبانى قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولانى عن عمه جرير وكان محالفا لخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما بل كانا يعتمدان كلامهما فقال خالد يا ماهان انى أكره انى أبدأ بالكلام فتكلم أنت بما تريد فانى لست أبالى بما تتكلم ولكل كلام جواب فان شئت فتكلم وان شئت بدأتك قال ماهان أنا أبدؤكم الحمد لله الذى جعل سيدنا الروح المسيح كلمته ورسله كما أفضل الملوك وأمتنا خير الامم فان فظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فعال الترجمان لا تقطع كلام الملك يا خالد العرب واستعمل حسن الادب فابى خالد ان يسكت بل قال خالد الحمد لله الذى جعلنا مؤمنين بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذى وليناه أمورنا كبيه ضمنا ولو زعم انه يملك علينا لعزلناه فاسمع ما نرى ان له فضلا علينا الا أن يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا آمرة بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لا شريك له قال فاصغر وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذى أبلانا وأحسن البلاء الينا وعافانا من الفقر ونصرنا على الاثم واعزنا ومنعنا من الضيم واسدنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقدم يا معاشر العرب طائفة منكم يغشوننا ويلتمسون نائلنا ورفدنا وجوائزنا ونحن نحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضعيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالوعد وكنا نظن ان العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما أسديناه من عطايانا الجميلة لهم فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا انكم تطلبون منا طلب اخوانكم فاما أنتم على خلاف رأى أولئك جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون ان تخرجونا من أرضنا وتتغلبون على بلادنا وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم ممن هو اكثر منكم عددا واكثر أموالا وأولادا وظهر افردد ناهم خائفين وجللين خائبين بين قتيل وجريح رطريد وطريح فاول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبه بالخيبة والخذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجراهمة وغيرهم وانتم لم تكن فى أمة من الامم أصغر منكم مكانا ولا أحقر شأنا لانكم أهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وانكم مع ذلك

وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكره بعد ولاية عبد الملك بن مروان وذلك انه لما كانت نوبة معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمان حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فأرسل الى ابن الزبير بانه الحجاج ابن يوسف الثقفى فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله فى الحرم وكانت مدة خلافة

تظلمون فى بلادكم و بلادنا وحوالينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبيتنا عظيمة وانما أقمتم علينا لانكم خرجتم من جدوبة الارض وقحط المطر فتجليتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست كمراكبكم وابستم ثيابا ليست كثيابكم وقتعتم بيتات الروم البيض الاوانس فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما ليس كطعامكم ومللتم أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر وانا قد اقتسمنا كم الآن ومعكم أموالنا وما غنمتموه من قومنا واهل ديننا وقد تركناه لكم لانطالبكم به ولا نلتزعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم من فعالكم والآن فاخرجوا من بلادنا فان أبيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فتتركنكم كامس الدابر وان جئتم للصلح نأمر لكل واحد من عسركم بمائة دينار وثوب ولأميركم أبى عبيدة بالف دينار ولخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار على أنكم تحلفون لنا أن لا تعودوا الى حربنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وماهان يرغب تارة ويرهب أخرى وخالد مطرق لا يتكلم حتى فرغ ماهان من كلامه فقال خالد ان الملك قد تكلم فاحسن وسمعنا كلامه ونتكلم و يسمع كلامنا ثم قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الحمد لله الذى لا اله الا هو فلما سمع ماهان ذلك مد يده الى السماء وقال نعم ما قلت يا عربى فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهان ما أدرى أمحمد رسول الله أم لا ولو له كما تقول وتزعم وتذكر فقال خالد رضى الله تعالى عنه حسب الرجل دينه ثم قال أفضل الساعات وخيرها الساعات التى يطلع فيها الله رب العالمين فالتفت ماهان الى قومه وقال بلسانه انه رجل عاقل يتكلم بالحكمة فقال خالد ما الذى قلت لقومك فاخبره عقالته فقال خالد ان كنت أوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك وقد سمعنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى العقل وصوره وقدره قال اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب الى منك بك تنال طاعتى وتدخل جنتى فقال ماهان اذا كنت بهذا العقل والفهم فلم جئت بهؤلاء معك قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه جئت بهم لأشاورهم قال ماهان وأنت مع جودة عقلك وحسن رأيك وبصيرتك تحتاج الى مشورة غيرك قال خالد نعم بهذا أمرالله عز وجل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى فى كتابه العزيز وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله وقال صلى الله عليه وسلم ما ضاع امرؤ عرف قدره ولا ضاع مسلم استشار فأنا وان كنت ذا رأى وعقل كما تزعم وكما بلغك فانى لا أستغنى عن رأى ذى رأى ومشورة أصحابى قال ماهان وهل فى عسركم من له رأى مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم ان فى عسكرنا أكثر من ألف فارس لا يستغنى عن رأيهم ولا عن مشورتهم فقال له ماهان ما كنا نظن ذلك فيكم وانما كان بلغنا عنكم أنكم طماعون جهال لا عقول لكم يغير بعضكم على بعض و ينهب بعضكم أموال بعض فقال له خالد رضى الله تعالى عنه ذلك كان شأن أكثر ناحتى بعث الله عز وجل فينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا الرشد ناوعرفنا سبيل النار فهمنا الخير من الشر والهدى من الضلال فقال ماهان يا خالد انك قد أعجبتنى بما رأيته من رأيك وبصيرتك وقد أحببت أن أؤاخيك فتكون أخى وخليلى فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وافرحاه ان تم الله مقالتك فتكون اذا سعيدا ولا نفترق فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به عيسى بن مريم فاذا فعلت ذلك كنت أخى وكنت أخاك وتكون خليلى وأكون خليلك ولا نفترق لأمر يحدث فقال ماهان أما ما دعوتنى اليه من الترك لدينى والدخول فى دينكم فما لى الى ذلك من سبيل فقال خالد بن الوليد وكذلك أيضا لا سبيل الى مؤاخاتى لك وأنت مقيم على دينك دين الضلال قال ماهان أريد أن ألقى الحشمة بينى و بينك وأكلمك كلام الأخ لأخيه فاجبنى عن كلامى الذى دعوتك اليه حتى أسمع ما تقول قال خالد أما بعد فانك تعلم ان الذى ذكرته مما فيه قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور على الاعداء والتمكن فى البلاد فنحن عارفون به وكل ما ذكرته من انعامكم على جيرانكم من العرب فقد عرفناه ولكن انما فعلتم ذلك ابقاء لنعمتكم ونظرا منكم لانفسكم وذراريكم وزيادة لكم فى مالكم وعزا لكم فتستكثرون جموعكم وتأتون الشوكة على من أرادكم وأما ما ذكرته من فقرنا وعرينا الابل والشاء فانا من لم يرع واكثرنا رعاة ومن رعى منا كان له الفضل على من لم يرع وأما قولك بانا أهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء فنحن لا ننكر ذلك وانما ذلك من أجل أنا معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا القليل وكنا أهل جاهلية جهلاء لا يعلك الرجل منا الا فرسه وسيفه وأباعره وشياهه ويأكل

ابن الزبير تسع سنين وشهرين ولما قتل خلص الامر لعبد الملك بن مروان الى ان مات سنة ست وثمانين بدمشق (وولى بعده ابنه أبو العباس الوليد بن عبد الملك) سنة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق (وولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك) ووقع سنة تسع وتسعين بعدان عهد بالخلافة الى ابن عمه أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان

قويا ضعيفنا ولا يأمن بعضنا بعضا الا في الاربع الاشهر الحرم نعبد من دون الله الأصنام والاوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها مكبون ولها حاملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقي منا كان كافرا برا به قاطعا لرحمه حتى بعث الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا أظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيأ ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا ولا شريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للسلبب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أنزل الله عليه كلامه الذي هدانا به مولانا فاستجبنا له وأطعنا أمره فكان مما أمر به أن نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا من كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تأخذ سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له مالنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أدّاها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبى الاسلام وأن يؤدّي الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضي الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها اما أن تقولوا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أو الجزية في كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته قال ماهان فهل بعد قول لا اله الا الله غير هذا فقال خالد نعم أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجوا البيت الحرام وتجاهدوا من كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا في الله تعالى وتعادوا في الله فان أبيتم ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه من يشاء والعاقبة للمتقين قال ماهان فافعل ما تشاء فانا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدّي الجزية وأما ما ذكرت من أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرز واعلى اسم الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ما أنتم باشهى منا الى الحرب وكأني بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحمل في عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدي عمر بن الخطاب فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهرقلية والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا أنهم صبروا ينظرون أمره فقال ماهان لخالد وقد استشاط غضبا وحق المسيح لأحضرن أصحابك الخمسة الأسارى وأضرب أعناقهم وأنت تنظر اليهم فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك واعلم ان هؤلاء الذين في يدك هم منا ونحن منهم فوحق صاحب الدعوة المستجابة وحق بيعة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وخلافة عمر بن الخطاب لئن قتلتهم لأقتلنك بسيفي هذا ولا يقتل كل رجل منا من قومك بعددهم وزيادة ثم وثب خالد رضي الله تعالى عنه من موضعه وانتضى سيفه من غمده وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضواري واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة في ذلك المكان (قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواقدي) مؤلف هذا الكتاب والله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمد في أخبار هذه الفتوح الا الصدق وما نقلت أحاديثها الا عن ثقات وعن قاعدة الحق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين ولله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا دينه وثبتوا للقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر لاجرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكنا في سرادقه فلما جذبنا السيوف وهممنا بالقوم ومالى أعينهم من جيوش الروم شيء وقد أيقنا بالحشر من ذلك الموضع (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ورمن خالد وتيقن الموت في شفار سيوفنا نادى ماهان مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة تهلك وأنا أعلم انك ما قلت ذلك القول الا أنك رسول والرسول يحمل ولا يقتل وأنا انما تكلمت بما تكلمت لاختبرك وأنظر ما عندكم والآن فما أوأخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال

يقال له أشجع بني مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص ويضرب به المثل (وولي بعده ابن عمه يزيد بن عبد الملك بن مروان) أربعة أعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة (وولي بعده أخوه هشام بن عبد الملك ابن مروان) فبقي متوليا تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام ومات سنة خمس وعشرين ومائة (وولي بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان) سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة (وولي بعده يزيد بن الوليد) وهو

حتى يعطى الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع في هؤلاء الاسرى فقال ماهان أطلقهم كرامة لك واخلى سبيلهم فيكونون عونا لك وان تجهز ونافي الحرب غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فاطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال ماهان يا خالد انى كنت أحب أن يصلح الامر بيني وبينكم وانى أسألك حاجة فقال خالد سل ما تريد فقال ان قتلك هذه الحمراء قد أعجبتني وانى أريد أن تهبها لي وانظر في عسكري ما أعجبك من شئ فأهبه لك فقال خالد والله لقد فرحتني اذ طلبت ما أملكه وهي موهوبة لك وأما ما عرضت علي من عسكرك فلا حاجة لي فيه فقال ماهان لله درك أنت تكرمت وأجملت فقال خالد رضي الله عنه وأنت أيضا قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق أصحابي من الاسر ثم انثنى خارجا من عند ماهان وأصحابه من حوله وقدم له جواده فركبه وركب أصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ماهان أصحابه وجنابه أن يسيروا معهم حتى يبلغوهم قال فعل القوم ذلك ووصل خالد وأصحابه الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنهم أجمعين وسلموا عليه وفرح المسلمون بخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث خالد أبا عبيدة بكل ما جرى لهم ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ما كان ماهان ليدعني لنا أصحابنا الا فزعا من سيوفنا فقال أبو عبيدة حين سمع ما من الخداع والمكر وماهان من الخطاب والجدال هذا رجل حكيم الا أن الشيطان غلب على عقله فعلام افترقتم قال على اننا نلتقي معهم ويعطي الله النصر لمن يشاء فلما سمع أبو عبيدة رضي الله عنه ذلك جمع عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم ان العدو يصبحهم بالقتال في غداة غد وأمرهم بالاهبة وأقبل فرسان المسلمين يحرض بعضهم بعضا وأقبل خالد على أصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا ان هؤلاء الكفرة الذين نصركم الله عليهم في المواطن الكثيرة قد حشدوا والكم بلاد جموعهم وانى دخلت الى عسكرهم ونظرت اليهم فكأنهم النمل والذر فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا لمن يتضرعهم عليكم وهذه الوقعة بيننا وبينهم وقد أيقنا أن القتال في غداة غد وأنتم أهل البأس والشدة فما عندكم رحمكم الله تعالى قال فتكلم أصحاب خالد وقالوا أيها الامير القتال بغيتنا والقتل في سبيل الله تعالى مسرتنا ولا نزال نصبر لهم على الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم الله تعالى وأرشدكم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد منهم تلك الليلة الا وقد أخذ عدته وأهبته واستعد بآلة الحرب والقتال وباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب فلما أصبح الغوم ولاح الفجر أذن المؤذنون في عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد وأسبغوا الوضوء لصلاتهم خلف أبي عبيدة فلما صلوا ركبوا خيولهم الى قتال عدوهم وعبوا صفوفهم للقتال وكانوا ثلاثة صفوف فملاصفة أول الصف لا يرى آخره وأقبل خالد بن الوليد على أبي عبيدة رضي الله عنه وقال أيها الامير من تجعل في الميسرة قال كنانة بن مبارك الكناني أو قال عمرو بن معديكرب الزبيدي والله أعلم أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه في الميسرة فنزل وضم الى كنانة فرسانا فلما رأى أمره أبو عبيدة رضي الله عنه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني فضالة بن عامر قال حدثني موسى بن عوف عن جده يوسف بن معن قال كان هذا الغلام كنانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر انه كان من شجاعته وشدة فراسته يخرج من حي قومه بني كنانة وحده ويسير حتى يأتي أحياء العرب المعادين له فاذا أشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور الرجال على أعناق الخيل فلا يزال يقاتلهم ويقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم علبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين أيديهم فلا يلحقون منه الا الغبار (قال الراوي رحمه الله تعالى) ولما ولاه أبو عبيدة وقف حيث أمره والتفت أبو عبيدة الى خالد وقال يا أبا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من شئت فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه ساولي أمرهم رجلا لا يفر المسلمون من قبله ثم نادى بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وقال له قد ولاك الامير على الرجالة فقال أبو عبيدة رضي الله عنه انزل يا هاشم وكن معهم رحمك الله وأنا أوافقك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورتب أبو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم قال خالد بن الوليد رضي الله عنه ابعث الآن الى أصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا مني فدعا أبو عبيدة رضي الله عنه بالضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس أسرع الى أصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يأمركم أن تسمعوا لخالد وتطيعوا أمره ففعل الضحاك ذلك وجعل

الذي قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث سنة أشهر وكانت سيرته حميدة وأزال منكرات كثيرة ويقال له الناقص لانه انتقص أرزاق الجند وكان عادلا يقارب في سيرته عمر بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاشج أعدلا بني مروان فالناقص يزيد والاشج عمر * ولما مات ولي بعده ابراهيم بن الوليد وأقام ثلاثة أشهر واضطرب الامر وانخلع (وولي بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبوصير

يدور على أصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك فقال معاذ بن جبل سمعا وطاعة ثم أقبل معاذ على الناس وقال أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين قال فقلت لمعاذ بن جبل انك لتقول فى خالد قولا عظيما ما قال ما أقول الا ما قد عرفته الله دره وقال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى به عليه فأثنى عليه وقال هو أخى فى الله تعالى ولقد سبقت له ولاصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن الوليد فمن يناله قال الضحاك فرجعت الى معاذ بن جبل وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى به عليه وما ذكره من أمره وبما أورده من على شأنه فقال معاذ والله انى احبه فى الله تعالى وأرجو من الله أن يكون قد أثابه بحسن نيته ونصيحته للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما وصى الضحاك بن قيس أصحاب الرايات يقول أبى عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد رضى الله عنه جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا أهل الاسلام ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعالى على محبتكم والفشل والجبن سيمان من أسباب الخذلان فمن صبر كان حقا على الله نصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعالى أكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه والله يحب الشاكرين قال ومازال خالد رضى الله عنه يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم ان خالدا جمع اليه خيل المسلمين من أهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم أربعة أرباع فجعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادى وقال له أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما أصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة بن مسروق العبسى وأوصاه بمثل ذلك ودعا عامر بن الطفيل على الربع الثالث وأوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم تطلع الشمس الارقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب وأما ماهان الارمنى فانه أمر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا ان المسلمين كانوا أسرع فى التعبية قال وزحف عسكر الروم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم الى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفهم كالبنيان المرصوص وكأن الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة قال فلما رأى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم ان ماهان عبى عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فى مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم أمامهم صليبا من الفضة زنة خمسة أرطال وهو مطلى بالذهب وفى أربعة أركانه أربع جواهر تضىء كأنها الكواكب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سنان بن أوس الربعى قال حدثنى عدى بن الحرث الهمدانى وكان ممن حضر الفتوح من أولها الى آخرها قال وكانت الصفوف التى صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد أظهر ماهان بين الصفوف القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترنمون وأكثر من الرايات والاعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم واذا بطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفى عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يرطن بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون انه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد وقال أصحاب رسول الله هذا العلج لا غالب يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون فان لم تخرجوا اليه والا خرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم الخلقة يشبه برذون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن فى رجال خالد من يعرف الفارس لذى خرج فقال خالد هذا مولاى اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أى العرب هو ومن قومه فمضى هماس يهتف به وقد هم أن يقرب من البطريق فصاح به من أنت يا ذا الرجل من المسلمين رحمك الله فقال أنا رماس صاحب بصرى فلما أخبر خالدا به قال اللهم بارك فيه وزد فى نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال الرومى وقد عرفه يا رماس كيف تركت دينك وصبأت الى هؤلاء القوم فقال رماس هذا الدين الذى دخلت فيه دين جليل شريف فمن تبعه كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل ثم حمل رماس على العلج وحمل العلج على رماس وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان مما فوجد العلج من رماس غفلة فضربه بضربة صعبة أسال دمه قال فاحس رماس بالضربة وقد وصلت اليه فالتفت راجعا نحو المسلمين فاتبعه العلج طالبا اياه لا يقصر عن طلبه وكاد أن يدركه فصاح به فرسان

بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت عنه دولة بنى أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنان وثمانون عاما وهى تسعمائة وأربعة وثمانون شهرا وانتقل الامر الى بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وينيبون عليهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى

المسلمين من الميسرة والميمنة فقوى قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والهلع وقصر عن طلبه ودخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فأخذه جماعة من المسلمين فشدوا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه بالغفران من الله تعالى وهنؤوه بالسلامة قال ولما رجع روماس منهزما أعجب العلج بنفسه وأظهر عناده وأغلظ فى كلامه وطلب البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسى فقال له خالد يا ميسرة ان وقوفك فى مكانك أحب الىّ من خروجك الى هذا العلج وأنت شيخ كبير وهذا علج عظيم الخلق والشاب شجاع ولا أحب أن تخرج اليه فانه لا يكافأ الشيخ الكبير يقاوم الشاب الحدث ولا سيما ان شهره من مسلم أحب الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن يخرج اليه عامر بن الطفيل وقال أيها الامير انك قد عظمت قدر هذا الروحى الدميم وأدخلت فى قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد ان الفرسان تعرف أكفاءها فى الحرب وما يخفى على ما هو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لا تقاومه لانه ما بين أصحابه وبين شجاعته الا وهو وفارس فى قومه فقف فى مكانك فوقف عامر بن الطفيل فى مكانه ولم يخالف فقال والعلج يدعو الى البراز والحرب فأقبل الى خالد الحرث بن عبد الله الازدى فلما وقف بين يديه قال أيها الامير أخرج اليه قال خالد لعمرى ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمنك الا شهما فان شئت أن تخرج فاخرج على اسم الله واعزم فأخذ الازدى اهبته وهم أن يخرج فقال خالد رضى الله تعالى عنه على رسلك يا عبد الله حتى أسألك فقال اسأل قال خالد هل بارزت أحدا قبله قال لا قال فارجع يا ابن أخى ولا تخرج فانك غير مجرب للحروب وهذا فارس قد جرب الحرب وجربته وعرف مصادرها وما أحب أن يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل خالد يقول ذلك وينظر الى قيس بن هبيرة فقال يا أبا سليمان انى أظنك تعرض بى وايانا تعنى أنا أبرز اليه قال خالد ابرز على اسم الله تعالى فانك كفؤ والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة وأجرى جواده حتى اين عريكته وكسر حدته ثم سرحه نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتحاملا قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فتلقاها العلج فى جفنه فقد سيف ابن هبيرة الجفنة ووصل الى البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد أسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلم انظر قيس الى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمر له مكرا الا ان سيفه قد خرج من يده فثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد أيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج فى أثره وسعى فى طلبه فقصر قيس بن هبيرة فى سيره وقال فى نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع الى العلج فصاح به خالد يا قيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت حدتهما علىّ فقال قيس يا خالد لقد أقسمت علىّ بعظيمين ولكن ان رجعت اليك أتزيد فى أجلى قال لا قال فلم أختار الفرار وأكون من أصحاب النار بل أصبر وأفوز بالغفران من الله تعالى ثم انه عطف على قرنه وليس فى يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة وليس فى يده سيف فقال من يأخذ هذا السيف ويدفعه الى قيس ابتغاء ثواب الله تعالى قال عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنا يا أبا سليمان فقال خالد أنت والله لها يا ابن الصديق ثم أخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد أن يناوله السيف فلما نظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا أنه يريد أن يعاون قيسا على صاحبهم فخرج عليه بطريق آخر وأقبل الى صاحبه ووقف بازائه قال فدفع عبد الرحمن السيف الى ابن هبيرة ووقف معه وجعل البطريق الآخر يتكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن فقال عبد الرحمن يا ويلك ما الذى تقول فما نعرف كلامك فخرج اليه ترجمان وقال له يا معاشر العرب ألستم ذكرتم أنكم أصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلى قال الترجمان فما رأيكم من نصفتكم شيأ يخرج فارسان الى فارس قال عبد الرحمن انما خرجت لأعطى صاحبى هذا السيف وأرجع ولو خرج الينا منكم مائة لواحدا كبر علينا ولا عظم لديناوها أنتم ثلاثة رأنا واحد وأنا لكم كفؤ قال فأخبر الترجمان صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا فقال عبد الرحمن يا قيس قد تعبت فقف وتفرج علىّ وانظر

سنة خمسين وستمائة وكان يظن بقاؤها فيهم الى ان يسلموها للهدى فى آخر الزمان (وأول من ولى منهم عبد الله السفاح) بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأقام أربع سنين وثمانية أشهر (وولى بعده المنصور) أبو جعفر وكان أكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله بن محمد ببغداد وهو الذى بنى بغداد سنة مائة وأربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام وأقام اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين

ما يكون مني ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما على الذي كان يخاطبه فطعنه في نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره فوقع مجندلا ونظر العلجان الى صاحبهما مجندلا فحملا على عبد الرحمن وقصداه فأراد قيس بن هبيرة أن يعاونه عليهما فقال له عبد الرحمن سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق أبي بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلي بهما فان قتلت فأنت شريكي في الثواب وأقرئي عائشة مني السلام وقل لها أخوك قد لحق بربه ملك وأبيك فتأخر قيس عنه وقد عجب من فعاله فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو الاول فطعنه برمحه فاشتبك السنان في درعه فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه وقام في الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث الى عبد الرحمن وجراءته فبقي حائرا متعجبا من حاله ونظر قيس الى البطريق وهو متحير بما فعله فبانت له فيه غرة فقال ما يقف ياقيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها عمامته فسقط الى الارض صريعا فلما نظرت الروم الى أصحابهم قتلى بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأخبر ماهان بفعالهم فقال لقومه ان الملك كان أخبر بهؤلاء القوم وحق المسيح لقد أعلم أن لكم أمرا فان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فاقتلوهم لكم فئة قال فأتاه بطريق من البطارقة وسار ماهان في أدنى طرفه ثم لاث راح عنه وقد راعه فروجه ماهان وسكت كأنه أخرس فاستخبر وا ماهان عما حدثه البطريق فلم يخبرهم قال فحدث من رأى ذلك أنه سأل جبلة بن الايهم فقال لما أخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان انهم منصورون عليكم فقال له البطريق في أذنيه أيها الملك الحق ما قلت اعلم اني رأيت البارحة في منامي كأن رجلا نزل من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل السلاح وأحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج أحد من عسكرنا الا قتلوه حتى أتوا على أكثرنا وأظن انهم هؤلاء الذين نراهم في اليقظة لان واحدا منهم قتل ثلاثة منا وأراهم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر بهذا قلب ماهان فلم يرد جوابا فاجتمع القوم يسألونه عما قاله البطريق فلم يخبرهم فلما أكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا الدين انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل لدينكم ناصرا وظهرا وان الله الحجة عليكم اذ بعث فيكم رسولا وأنزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها وهي كتابه لا تظلموا فانه لا يحب الظلم والظالمين فلما اتبعتم الدنيا وظلمتم وخالفتم نصر أعداؤكم عليكم فما عذركم عند خالقكم فدتركتم أمر نبيكم وما أنزل عليكم في كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم ونسائكم وأنتم على المعاصي والذنوب ولا تخافون من علام الغيوب فان نزع الله سلطانكم من أيديكم بأظهر عدوكم عليكم بذلك يحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذي رآه في المنام أمره أن يكتمه وأما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فأخذا سلاحهم وأسلابهم ورجعا الى المسلمين فدفعا السلب الى أبي عبيدة فقال هو لكما ومن قتل فارسا فله سلبه فهكذا عهدنا عليه عمر ابن الخطاب فأخذ السلب ووقف قيس في موضعه الذي أقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق الى ميدان الحرب فجال بين الصفين وكان قد ركب أشهب البطريق الذي قتله فرآه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب ثم الثنى على الميسرة فرشق بالسهام ورجع حتى وقف في صدر الجيش وجعل يفزع الروم باسمه ويدعو الى البراز فخرج اليه عالج من عولج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج اليه آخر فقتله فقال خالد اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب بنفسه ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة أبيك وبيعته الا رجعت الى مكانك فرجع حين أقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك أكانت النساء معكم مشاهدات القتال قال نعم احداهن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور وزينب بنت كعب وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي جهل وعزة بنت عامر بن عاصم الضمري مع زوجها مسلمة بن عوف الضمري ورملة بنت طليحة الزبيري ورعلة وامامة وزينب وهند ويعمر ولبنى وأمثالهن رضي الله تعالى عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا يرضين به الله ورسوله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك وقال أولها شر ناروآخرها ضرام

متوجها الى الحج ودفن قريبا من مكة (وولي بعده المهدي) محمد بن عبد الله المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفي سنة تسع وستين ومائة (وولي بعده ابنه الهادي) موسى بن محمد المهدي فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفي سنة سبعين ومائة (وولي بعده أخوه هرون الرشيد) فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له نظر في العلم والآداب وكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر

الحرب وان كل يوم يأتى من القتال أصعب من اليوم الآخر قال عمرو بن جرير فشهدنا فى اليوم الاول حربا يسيرا وذلك ان ماهان أمر عشرة من الصفوف أن تحمل على المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال بالرجال فنظر أبو عبيدة وكان واقفا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم ان الامر يصعب فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وجعلوا يتلون قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ولم يزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس فى قبة السماء الى أن همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم فحينئذ افترق الجمعان وهم يايعرفون الا بالشعار وخرج كل قوم من العرب يبحثون بشعارهم وينادون بانسابهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبل المسلمين نساؤهم فصارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له ابشر بالجنة يا ولى الله وبات المسلمون فى خير وسرور وأوقدوا النيران وذلك ان القتل فى أول يوم لم يتبين فى الفريقين بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين عشرة رجلان من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثانى يقال له صارم وثلاثة من عسفان رافع ومجلى وعلى وواحد من الانصار وهو عبد الله بن الاخرم وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو سويد ابن أخى قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس لما فقده فعلم أنه فى القتلى فخرج قيس وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا موضع المعركة وفتشوا عليه فلم يروه فلما هم بالرجوع نظر الى ناس قد اقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة وهم يطلبون بطريقا كان معظما عندهم فقال قيس لجماعته اخذوا ماركم فوالله لآخذن بثار ابن أخى من هؤلاء القوم قال فاخذوا ثارهم ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال واذا بالروم قد أتوا وهم نحو مائة وهم فى زينة عظيمة وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه فقالوا له ان القوم مائة ونحن سبعة وقد منا من التعب فقال قيس ارجعوا أنتم وانى والله أطلب الموت لا أريد غيره وأجاهد فى الله حتى جهاده فجعل يامن قوله ووقوفا معه وقفة الكرام وأقبلت الاعلاج يريدون المعركة يدورون بين القتلى وقد وقفوا بالعاج وهو الذى برز أولا وقتله ابن أبى بكر الصديق فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح فيهم قيس من ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فدهشوا ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذا عن ابن أخى قال فقتل منهم ستة عشر رجلا وقتل أصحابه أكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد يطلب ابن أخيه نحو عسكر الروم وسمع أنينا فاقبل نحوه فاذا هو ابن أخيه سويد بن بهرام المرادى فلما عرفه بكى فقال ما أبكاك يا ابن أخى فقال يا عماه انى تبعت النور فرجع الى واحد منهم ولطعننى فى صدرى وانى لأعالج منها أمرا عظيما وهؤلاء الحور العين فى حدائقى ينتظرن خروج روحى قال فبكى قيس وقال يا ابن أخى لكل أجل كتاب ولعل أن يكون فى أجلك طول فقال هيهات والله يا عم أفتقدر أن تحملنى الى عسكر المسلمين فأموت هناك قال أجل قال ثم احتملته على ظهرى وأقبلت به الى عسكر المسلمين وقصدت به الى رحله وسجيته وسمع أبو عبيدة بمجىء قيس فأتى اليه ورأى الغلام يجود بنفسه فجلس عند رأسه وبكى وبكت المسلمون فقال له أبو عبيدة كيف تجدك يا ابن أخى فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمدا عنا خيرا ولقد صدقنا فى قوله وهذه الحور تنادى وتشخص فمات قال فما برحنا حتى واريناه التراب قال وأخبره قيس بمن قتل فى تلك الليلة من المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم أن ذلك علامة النصر قال وبات الناس فى ليلتهم يقرؤن القرآن ويصلون ويسألون المعونة والنصر قال وأما ماهان فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والرهبان والقسوس فقدموا له طعاما ومد وا له سماطا فلما أكل منه شيأ مما رقم فى نفسه من الرؤيا التى رآها البطريق وكان ماهان يود لو ترك الامر وصالح على أداء الجزية ولكنه كان مغلوبا على أمره وأجملت الملوك والقسوس والبطارقة والرهبان على ماهان وقالوا ما بال الملك امتنع من الطعام فان كان ذلك من غم على من مات وعلى ما جرى عليه من الحرب فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك واعلم أيها الملك أن القوم يناظافرون وما نظلكهم الا ان نحمل عليهم فلا يبقى منهم أحد قال ماهان ما أظنكم غير منصورين الا من تغير أديانكم والجور فى سلطانكم بهذا نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل وقال أيها الملك عشت الدهر وأنا رجل من أهل دينكم وكان لى مائة رأس من الغنم وكان فيها راع لدى يرعاها فضرب فيها عظيم من عظماء أصحاب البطاط القسطاط الى جانبها ثم انه عدا عليها فأخذ منها حاجته وأخذ بقيتها أصحابه فجاءته زوجتى تشكر اليه انتهاب غنمى فلما رآها أمر بها فأدخلت

أهله وكانت أيامه من حسنها كأنها أعراس وله أخبار كثيرة فى اللهو واللذات وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة (وولى بعده ابنه محمد الامين) فاقام أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد (وولى بعده أخوه عبد الله المامون بن هرون الرشيد) فاقام عشرين سنة وخمسة أشهر وفى مدته خرج أهل مصر عن طاعة الخليفة وامتنعوا من وزن الخراج وطردوا العمال من البلاد وصارت فتنة عظيمة

عصر حتى كادت أن تخرب خضرا وأطفأتلك الفتنة وقتل من القبط خلقا كثيرا ورجع الى بغداد وتوفى غازيا فى أرزن الروم فى رجب سنة ثمانية عشر ومائتين ودفن ببطرسوس (وولى بعده المعتصم بالله) محمد ابن هرون الرشيد ورحل عن بغداد واتخذ قاعدة ملكه سر من رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب فاقام ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين (وولى بعده ابنه الواثق بالله) هرون ابن محمد فاقام خمس

اليه فطال مكثها عنده فلما رأى ولده ذلك دنا من الفسطاط فاذا هو بجامع أمه فصاح الغلام فأمر البطريق بقتل الغلام فقتل فأتيت أريد خلاص ولدى وزوجتى فأمر بى فضربت بالسيف فتلقيت الضربة بيدى فقطعها ثم انه أخرج يده فاذا هى مقطوعة قال فغضب ماهان عند ذلك غضبا شديدا وقال للمعاهد أتعرف هذا البطريق الذى فعل بك ذلك قال نعم هو هذا واومأ بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا قال فغضب البطريق وغضب البطارقة لغضبه وماثوا على المعاهد فضربوه بأسيافهم حتى قطعوه وماهان ينظر اليهم فزاد غضبه وقال خذاتم وهلكتم وحق المسيح يا ويلكم ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الفعال اما تخافون القصاص غدا وأن الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما أعطاكم ويعطيه غيركم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فوالله أنتم الآن عندى كالكلاب وسوف ترون عاقبة هذا كله والى أى مصير مصيركم يكون قال ثم انه قام وتركهم فلما انصرف القوم ولم يبق عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القوم لكما تقول وما أظن الا أننا مغلوبون واعلم انى رأيت فى منامى كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب فاحدقوا بهؤلاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن ونوف بازائهم فنظرت اليهم ولا يخرج منا أحد الا قتلوه حتى أتوا على أكثرنا وذكر له كما قال ذلك الاول فأقبل ماهان يفكر طويل ليلته فيما يصنع فى أمر المسلمين فلما أصبح الصباح عبى المسلمون صفوفهم ونظروا الى عسكر الروم واذا فيه ارتعاد وانزعاج فعلموا ان لهم أمرا (قال أبو عبيدة) دعوهم ولا تبعوا عليهم فان الباغى مخذول قال واجتمعت البطارقة والملوك الاربعة الاماهان وهم قناطر وجرجير والدرجان وقورين وهم أصحاب الجيش يستأذنونه فى الحرب فقال ماهان وكيف لى أن أقاتل بقوم يظلمون ان كنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا الآن أحببنا الحرب فوحق المسيح لانفارقهم حتى نقتلهم من الشام الى بلادهم أو يقتلونا أو نقتلهم فثق بقولنا وانهض بنا اليهم فاذا عزمت على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف منا من هو أفرس وأشد و يضجر المسلمون من المطاولة ونجمع عيالنا وأطفالنا وأموالنا فان كانت على العرب رددنا كل شئ الى مكانه وان كانت للعرب علينا الحقوه ببلادهم وقومهم و يكون الامر بيننا و بينهم فى يوم واحد أو يومين فقال له ماهان لعنه الله هذا هو الرأى أمهلونا الى أن أكتب الى الملك بمثل ذلك ثم انه كتب الى هرقل أما بعد فاسأل الله لك أيها الملك ولجيشك النصر ولاهل سلطانك العز والنصر وانك بعثتنى فيما لا يحصى من العدد وانى قدمت على هؤلاء العرب فنزلت بساحتهم وأطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم جعلا على أن ينصرفوا فلم يفعلوا وقد فزع جندالملك منهم فزعا شديدا وانى خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل فى قلوبهم وذلك لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت ذوى الرأى من أصحابى وذوى النصيحة للملك وقد أجمع رأينا على النهوض اليهم جميعا فى يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر الله عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم ان الدنيا زائلة عنك فلا تأسف على مافات منها ولا تغتبط منها بشئ فى يدلك والحق بما قلت لك وبادر ملكك بالقسطنطينية وأحسن الى رعيتك يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد عملت حيلة فى احضار أميرهم خالد ومنيته ورغبته فما أجاب ورأيته على الحق مقيما فاردت أن أقتله به وأمكر فخفت عاقبة المكر والغدر وما نصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام ثم طوى الكتاب وبعث به مع أصحابه من العلوج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) و بقى ماهان سبعة أيام أخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه و بعث أبو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذى أخر الروم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد واخبر أبا عبيدة أن ماهان فد كاتب الملك وهو منتظر الجواب فقال خالد بن الوليد ما تأخر ماهان عن قتالنا الا وقد وقع الفزع فى قلبه فازحف بنا اليهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لا تعجل فان العجلة من الشيطان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان أبو عبيدة رجلا لين العريكة يحب الرفق فلما كان فى اليوم الثامن نظر ماهان الى تلهف أصحابه على الحرب والقتال فعزم ان يلقى بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب فادخل هؤلاء العرب وتجسس لى أخبارهم وانظر ما عندهم قال فمضى اللخمى حتى دخل عسكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام فيهم يوما وليلة يطوف فى عسكرهم وليس أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس لهم همة الا اصلاح شأنهم والصلاة والقرآن والتسبيح وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد وقصد

الموضع الذى فيه أبو عبيدة رضى الله عنه فنظر اليه كأنه أضعف ضعيف فى العرب ساعة يجلس على الارض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام وأسبغ الوضوء وأذن المؤذن وصلى بالناس ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه فقال المتنصران هذه طاعة حسنة ويوشك انهم ينصرون قال فرجع الى ماهان وحدثه بما رأى من القوم وما عاينه وقال أيها الملك انى جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان فى الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه ولو زنى رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق عندهم غالب وأميرهم كأضعف من فيهم الا أنه مطاع عندهم ان قام قاموا وان قعد قعدوا منهاهم القتال وشهوتهم النزال ومرادهم أن يموتوا شهداء فى قتالكم وما ناخروا عن قتالكم الا ليكون البنى منكم اذا بدأتموهم فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير انى قد وجدت حيلة أحملها عليهم فقال المتنصر ما الحيلة أيها الملك فقال ماهان ألست زعمت أنهم لا يبدؤن بالقتال حتى نقاتلهم فنكون نحن الباغين قال نعم قال فانا الاطناب الحرب بل نطول بيننا وبينهم وندعهم على حين غفلة دون عدة منهم ولا أخذ حذرهم فعسى أن نظفر بهم قال ثم ان ماهان جمع الملوك وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وكان أول صليب عقده لقناطر وكان نظيره فى الرتبة وأمره أن يكون فى الميمنة ثم عقد صليبا للدربجان وضم اليه الارمن والنجد والنوبة والروسية والصقالبة ثم عقد لابن أخت الملك صليبا على الافرنج والهرقلية والقياصرة واليرنل والدوقس وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة من لخم وجذام وغسان وضبة وأمره أن يكون على المقدمة وقال أنتم عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الاعلام فى أجناد عسكره فلما انفجر الفجر وبان الصباح وأضاء نوره ولاح حتى فرغ من تعبية جيوشه وترتيب طلائعه وأمر بمضرب له فضرب على كثيب عال على جانب اليرموك يشرف منه على العسكرين وأوقف عن يمينه ألف فارس عتاة حماة الروم شاكين السلاح وعن يساره كذلك وهم الملكية وأصحاب السرير وأمرهم باليقظة وقال أى كرب يكون على العرب أعظم من هذه فانكم على تعبية وهم على غير أهبة فاذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فاهم فى عسكرنا الا كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود هكذا سمعت أبا دبن غالب الحيرى يذكر وكان من المعمرين قال حدثنى جواد بن أسيد السكاسكى عن أبيه أسد بن علقمة قال لما انشق الفجر أذن المؤذن وتقدم أبو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بكيدة ماهان فقرأ فى أول ركعة والفجر وليال عشر حتى قرأ ان ربك لبالمرصاد اذ هتف بهم هاتف وهم فى الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة وما يغنى عنهم كيدهم شيأ وما أجرى الله هذه الآية على لسان أميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون كلام الهاتف تعجبوا مما سمعوا ثم قرأ فى الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بالهاتف يقول تم الفأل وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته قال يا معاشر المسلمين هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا فقال أبو عبيدة والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله ليمنعنكم الله وليرسلن عليهم سوط عذاب كما أنزل على القرون الاول ثم قال أبو عبيدة معاشر القوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من الملأ الاعلى فقالوا أصلح الله شأن الامير فى الذى رأيت قال رأيت كأنى واقف بازاء أعدائنا من الروم اذ خف بنا رجال وعليهم ثياب بيض لم أر كهيئتها حسنا لبياضها اشراق ونور يغشى الابصار وعلى رؤسهم عمائم خضر وبايديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اجتمعوا حولى قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم غالبون فان الله ناصركم ثم دعوا برجال منكم وسقوهم بكاس كان معهم فيه شراب وكأنى أنظر عسكرنا وقد دخل فى عسكر الروم فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين فقال رجل من المسلمين أصلحك الله أيها الامير وأنا رأيت الليلة رؤيا فقال أبو عبيدة خيرا تكون ان شاء الله تعالى ما الذى رأيت يرحمك الله فقال رأيت كأنا حاجنا نحو عدونا فصافقناهم للحرب وقد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لها أجنحة خضر ومخالب كمخالب النسور فملت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا جاءت للرجل ضربته بمنقارها فيقع قطعا قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد أمنكم الله وأيدكم بالنصر وأمدكم بملائكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر قال فسر أبو عبيدة بذلك وقال هذه رؤيا حسنة وهى حق وتأويلها

سنتين وشهرا وتوفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (وولى بعده أخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد) فاقام أربع عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وقتل غرة شوال سنة سبع وأربعين ومائتين (وولى بعده ابنه المستنصر بالله محمد بن جعفر) فاقام ستة أشهر (وولى بعده المستعين بالله أحمد بن المستنصر) فاقام ثلاث سنين وتسعة أشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولى بعده ابن أخيه المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله) فاقام ثلاث سنين وسبعة أشهر وقتل سنة

النصر وانى أرجو من الله تعالى النصر وهو عاقبة المتقين فقال رجل من المسلمين أيها الامير ما وقوفنا عن هؤلاء الكلاب الا لعلاج وما انتظارك للحرب وعدو الله يريد كبدنا بعطاولته وما تأخرعنا الا لبلية يريد أن يوقعنا بها فقال أبو عبيدة ان الأمر أقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة الجبرى فبينا نحن كذلك اذ سمعنا الأصوات قد علت والزعقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحفت الينا فظن أبو عبيدة ان المسلمين قد كبسوا فى وجه السحر فقام ليرى وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد وعمرو بن نفيل العدوى رضى الله تعالى عنهما اذ أقبل سعيد وهو ينادى النفير النفير حتى وقف أمام أبى عبيدة ومعه رجل من المتنصرة فقال أيها الامير ماهان كاد المسلمين بخلفه عن الحرب زهاء وقد عبى عساكره ووصف جيوشه وزحف علينا زحف من يريد الكبسة بنا ونحن على غير أهبة ولا عدة وهذا الرجل قد أقبل الينا راغبا فى الاسلام محذرا لنا من باسه ويزعم ان ماهان قد قدم الينا حماة البطارقة وقد اتفق رأيهم على أن يقاتلنا كل ملك من ملوكهم بمن معه وهذا أصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم والصلبان تدنو فقال أبو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال أين أبو سليمان خالد بن الوليد فأجابه بالتلبية فقال له أنت لى يا أبا سليمان فابرز فى أبطال المسلمين وصد عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفوفها وتستعد بآلات حربها فقال حبا وكرامة فنادى خالد أين الزبير بن العوام أين عبد الرحمن بن أبى بكر أين الفضل بن العباس أين يزيد بن أبى سفيان أين ربيعة بن عامر أين ميسرة بن مسروق العبسى أين ميسرة بن قيس أين عبد الله بن أنيس الجهنى أين صخر ابن حرب الاموى أين عمارة الدوسى أين عبد الله بن سلام أين غانم الغنوى أين المقداد بن الاسود الكندى أين أبو ذر الغفارى أين عمرو بن معديكرب الزبيدى أين عمار بن ياسر العبسى أين ضرار بن الازور أين عامر بن الطفيل أين أبان بن عثمان بن عفان وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل رجل منهم يلقى جيشا فاجتمعوا الى خالد باجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتغل أبو عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية العساكر فاقبل أبو سفيان الى أبى عبيدة وقال له أيها الامير مر نساءنا ان يعلون على هذا التل قال نعم الرأى ما رأيت فامرهن بذلك ففعلن وعلون على التل وحصن أنفسهن وأولادهن ومعهن الاطفال والاولاد فقال لهن أبو عبيدة خذن بايديكن أعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين أيديكن وحرضن المؤمنين على القتال فان كان الامر لنا وانظفر فكن على ما آتين عليه وان رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن واحصبنه بحجارتكن وارفعن اليه أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك وولدك وعن دين الاسلام فقال النساء أيها الامير أبشر بما يسرك (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فلما حصن أبو عبيدة النساء على التل أقبل ببقية جيشه وقد ابتدر الناس القتال بعد ما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها أبيض وأخضر وأسود وسائر القبائل أيضا رايا تهم مختلفة وجعل المهاجرين والانصار فى القلب وأظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف نصف فيه النبالة من أهل اليمن ونصف فيه أصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق فجعلها فى الثلاثة صفوف واستعمل عليهم ثلاثة من المسلمين أحدهم غياث بن حرملة العامرى والثانى مسلمة بن سيف اليربوعى والثالث القعقاع بن عمرو التميمى ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة تحت رايته التى عقدها له أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يوم مسيره الى الشام وهى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التى سار بها يوم خيبر قال ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الايمن يزيد بن أبى سفيان وعلى الأيسر قيس بن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل يحرض المؤمنين على القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نيتكم ولا تخطوا خطوة الا وأنتم تذكرون الله ولا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ بن جبل فطاف على الناس محرضا لهم يقول يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق اعلموا رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمنى بغير عمل مرضى ولا تدخل الجنة الا بالأعمال الصالحة مع

خمس وخمسين ومائتين (وولى بعده ابن عمه المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل على الله) فاقام عشر سنين وتوفى سنة ست وستين ومائتين (وولى بعده أخوه المعتضد بالله أحمد بن المتوكل) فاقام تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع حج الخلفاء بأنفسهم فى خلافته (وولى بعده ابنه المكتفى بالله على بن أحمد) فاقام ستة أعوام ونصفا وعشرين يوما ومات سنة ست وتسعين ومائتين

رحمة الله ولا يؤتى الله الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرين والصادقين ألم تسمعوا قوله جل من قائل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون واستحيوا من الله أن يراكم في فرار من عدوكم وأنتم في قبضته ايس لكم ملجأ من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى أن رجع الى مقامه ثم خرج سهل بن عمرو فمشى بين الصفوف وهو شاكي السلاح وراكب فرسه متقلد سيفه وهو يقول مثله ثم رجع وخرج من بعده أبو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكي السلاح راكب فرسه متقلد سيفه معتقل رمحه وهو يقول معاشر العرب الكرام السادة العظام قد أصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب في أعينهم والضرب المتدارك في هاماتهم وبذلك تبلغون أربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا أن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وأمصارهم واستعبدتم أبناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين أيديكم الا مفاوز لا تنقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تكونن الا وأنتم مسلمون قال ثم خرج من بين الصفوف وأقبل على النساء رهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين ومعهن أولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن على أديانهن وقدمن في ذلك النية وحرضهن أزواجهن على القتال ومن رجع منهم منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد واظهرن أولادكن لأزواجكن حتى يرجعوا قال فوقف النساء وهن مستعدات متمنرات مرتجزات باشعارهن ورجع أبو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجنة أمامكم والشيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيأ ورجعت الروم الى ورائها حين نظروا خالدا زحف اليهم في خمسمائة فارس فخافوا لذلك ورحموا حتى اصطفت الصفوف وعبي المسلمون كتائبهم فقال ماهان ما يوقفكم عن قتالهم فارحفوا اليهم فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عظيم عرمرم قال وكان ماهان قد أفد ثلاثين ألفا من عظمائهم فحفر والهم في الميمنة حفيرا ونزلوا فيها وشدوا أرجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة في سلسلة التماسا لحفظ عسكرهم وحلفوا بعيسى بن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الا يريم أن لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك أن يكون يوما عظيما ثم قال اللهم أيد المسلمين بالنصر ثم أقبل على أبي عبيدة وقال أيها الامير ان القوم قد اقترنوا في السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك أن يكون على الناس يوما عظيما فقال لهم ان العدو عدده كثير وما ينجيكم الا الصبر ثم قال لخالد ما الذي ترى من الرأي يا أبا سليمان (قال الواقدي) وكان ماهان قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالنجدة في بلادهم وهم مائة ألف فلما نظر خالد اليهم شهد لهم بالفروسية وانهم من أهل الشدة وقال لابي عبيدة ان الرأي عندي أن توقف في مكاننا الذي أنت فيه سعيد بن زيد وتقف أنت ومن وراء الناس في مائتين أو في ثلثمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا علم الناس أنك من ورائهم استحيوا من الله ثم منك أن لا يفروا وقال فقبل أبو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة فاردفه أبو عبيدة مكانه ثم انتخب أبو عبيدة مائتي فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد (قال حدثني) ورقة بن مهلهل النفوحي وكان صاحب راية أبي عبيدة يوم اليرموك قال وكان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك في جيش السلاسل غلام من الازد حدثا كيسا فقال لابي عبيدة أيها الامير اني أريد أن أشفي قلبي وأحامد عدوي وعدو الاسلام وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة فهل تأذن لي في ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بها قال فبكى أبو عبيدة وقال أترى رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال ثم دفع الغلام الازدي جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس أشهب فلما رآه الغلام قصد نحوه وقد احتبس نفسه في سبيل الله تعالى فلما قرب منه

(وولي بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد) وله من العمر ثلاث عشرة سنة وله من الخلافة من بني العباس أصغر سنا منه فاقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفي في شوال سنة عشرين وثلثمائة (وولي بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد) فاقام عاما واحدا وستة أشهر وأياما وسملت عيناه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وعاش خاملا مضناعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن أخيه الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر) فاقام ست سنين وعشرة أشهر وأياما ومات سنة

قال لابد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب
عسى أنال الفوز بالمواهب * في جنة الفردوس والمراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدأ الغلام الازدي الرومي بطعنة فخذله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدي ففضبت الازد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فنكلوهم واعلموا أن الله معكم وثبتوا نفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ثم رمق الى السماء بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيأ وان هؤلاء أعداؤك يكفرون بك ويأتك ويتخذون لك ولدا اللهم زلزل أقدامهم وأرجف قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وآمنا عذابك يا من لا تخلف الميعاد اللهم انصرنا عليهم يا من قال في كتابه العزيز واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا صبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فمازالوا المسلمين عن الميمنة فابتدرهم عمرو بن معديكرب الزبيدي وهو المقدم على زبيد والامير عليهم وهم بعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة الا أن همته الشجاعة فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح في قومه يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعداء وتفزعون من شرب كاس الردى أترضون لأنفسكم بالعار والمذلة فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج أما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا القضائه أمدهم بنصره وأيدهم بصبره فأين تهربون من الجنة أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار قال فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معديكرب رجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولاده فاجتمعوا حوله وهم زهاء من خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فمازالوا الروم عن أماكنهم وحملت دوس مع أبي هريرة وهو رايته وهو يحرض قومه على القتال ويقول أيها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين في جوار رب العالمين وما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس كلامه طافوا به وحملوا على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كأنها دولا رحى وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فمادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على أعقابها منكشفة كالكشاف الفهم بين أيدي الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها فنادت النساء يا بنات العرب دونكن والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب قالت سعيدة بنت عاصم الخولانية كنت في جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المتزحلات المبازلات ونادت يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض فأقبلت النسوة يرجزن ويحرضن الخيل بالحجارة وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعل النساء يقلن لأزواجهن استم لنا بعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج قال العباس بن سهل الساعدي كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكبوب ابنة مالك بن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة بن ربيعة ولبنى ابنة جرير الحميرية محرزمات وهن أمام النساء والمزاهر معهن وخولة تقول هذه الابيات

ياهار باعن نسوة ثقات * لهاجمال ولها شات
تسلمهن الى الهنات * تملك نواصد امع البنات * أعلاج سوء فسق عتاة * يأتين منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عندما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد وهو هذا

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا الموافق * قيدي مع المرافق

تسع وعشرين ومائتين وهو آخر خليفة خطب على المنبر في يوم الجمعة وفي زمانه اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجي تغلب عليها أو عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيده الا رضى غير بغداد والسواد (وولي بعده أخوه المتقي لله ابراهيم ابن جعفر المقتدر بالله) فاقام أربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه

ومن أبى نفارق * ان تغلبوا نغالق * أن تدبروا نفارق * فراق غير وائق

هل من كريم عاشق * يحمى عن العواتق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى أين تنهزمون والى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها أبى سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له الى أين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام فلما سمعت كلام هند لابى سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف أبو سفيان عند ما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء وقد حمان معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به ومازالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهى تقول هذا بيان نصر الله المسلمين قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله وقاتلت الازد مع أبى هريرة وفشا فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم تلقوا الصدمة الاولى بأنفسهم واستشهد منهم عالم يستشهد من غيرهم قال سعد بن زيد كان القتال فى الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة نصبر وساعة نتأخر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم فحملوا وكانوا زهاء من ستة آلاف فكبروا وحمل على الروم فنكى بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى أن ردت الى مواضعها ووقف خالد أمامهم بطارد من كان قريبا للمسلمين قال فانكسر الروم أمام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد تبينت فى الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند القوم من الجلد على القتال الا ما أرى وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله فوالذى نفس خالد بيده انى لأرجو أن يحكم الله أكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك قال فانتهى خالد سيفه وحمل وحملت أصحابه معه قال عبد الرحمن بن الحميدى الجحى كنت ممن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولى الغنم بين يدى الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا وانكشافا قبيحا وأما المسلسلة فما برحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام ورهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد أمامنا فى حملته ونحن من ورائه وكان شعارنا يا محمد يا منصور أمتك أمتك فلم يزل خالد فى حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الدربجان وكان قائما فى موضعه الذى أقامه فيه ماهان ومعه صليب من الجوهر ومعه أصحابه ينتظرون حملته فحملوا معه فلما وصلت خيل خالد الى موضعه قال له بطارقة أيها الملك أما آن لك أن تحمل فتحمل معك أو تولى فقد خاطتنا خيل العرب فقال لاصحابه اعلموا أن يوم السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا أحضره وقد أحضرنى الملك الى هذا الموقف وأنا كاره ولكن لفوا رجهى ورأسى فى هذا الثوب حتى لا أرى الحرب قال فلفوا وجهه ورأسه فى ثوب ديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدى المسلمين ووصلوا الى الدربجان وهو واقف الرأس فحمل عليه ضرار بن الازور فقتله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان أحسن صنع الله تعالى بالمسلمين أن جرجير اوقنطار اختلفا وتنازعا وكان جرجير فى الميمنة مع الارمن وقنطار فى الميسرة تحته فقال جرجير لقنطار احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف فقال قنطار تأمرنى أن أحمل وكيف لا تحمل أنت فقال جرجير لقنطار وكيف لا آمرك وأنا أمير عليك فقال قنطار كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك وفوقك وأنت مأمور لى بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قنطار فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كاثة وقيس وخثعم وجذام وتضاعة وعاملة وعمان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا أصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى معسكرهم فاستقبلهم النساء بالسعد يضربن بوجوه الخيل ويرمين وجوهها بالحجارة وينادين بهم الى أين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات والاخوان والبنين والبنات أتريدون أن تسلمونا للاعلاج قال منهال الدوسى فلقد كانت النساء أشد علينا غلظة من الروم فرجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة قال

(عبد الله المستكفى بالله) وسنه احدى وأربعون سنة وهو سن أبى جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فاقام ستة عشر شهرا ثم خلع وسملت عيناه سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فاقام ستا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه الطائع لله أبى بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث وستين

وكان قتامة بن أيشم الكناني امام المسلمين يضرب في عراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاثة رماح وهو يقول

سأحمل في الروم الكلاب النوابح * وأضربهم ضربا بحد الصفايح
وأرضى رسول الله خير مؤمل * نبي الهدى للدين أشرف ناصح

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يعيرني سيفا أو رمحا في سبيل الله وأجره على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فأجابه قومه ونشطوا للقتال قال قتامة بن أيشم الكناني فما رأيت مثل حملة قتادة وقومه ولقد اختلطوا بنا واختلطنا بهم قال ورجع خالد من دهمته ومعه ألفان من أصحابه وقد وضعوا السيوف في الروم وقتلوهم قتلا ذريعا والقتل لا يبين فيهم لكثرتهم وأقبل خالد على الناس من كرته فرأى الناس يقولون جزى الله قتامة بن الايشم خيرا عن الاسلام لشكره وجزاه خيرا قال وأقبلت زرعة ابنة الحرث مخدرة عن التل وهي تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أنت من العرب الكرام وانما الرجال بامراتها فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما كنا الا نقاتل في الاعلاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى أميره ثابتة وهو منهزم عنه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ونظر ماهان لعنه الله الى الميمنة من عسكره وقد عركت عرائك الا ديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فمنعها خرج علج من الروم وعليه درع سابغ والسلاح كأنه قطعة جبل وهو على شهباء عظيمة الخلقة فبرز بين الصفين وجال على شهبائه وسال القتال فخرج اليه غلام من الازد فما جال معه جولة حتى قتله العلج ثم دعا بالبراز فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل فقال أبو عبيدة يا معاذ ما أنت أنا خارج الى هذا العلج فان صبرت فلمنة الله علي وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فأوصني بها فقال له معاذ يا بني أقرئه مني السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيرا ثم قال يا بني اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كأنه شعلة نار وحمل على العلج فضربه بالسيف فمال عنه العلج ومال اليه وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجه شجة واسعة أسالت دمه فلما رأى العلج ذلك الدم ظن انه قتل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ ما بك يا بني قال قتلني العلج قال له ما الذي تريد من الدنيا يا بني ثم انه شد جرحه قال فمندها صال العلج وحمل فردته الازد قال أبو عبيدة فمن لهذا منكم فخرج اليه عامر ابن الطفيل الدوسي وكان من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة في منامه في قتال مسيلمة الكذاب كأن امرأته لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليها بينه فاسرع ليدخل مكانه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم ير أحدا منا تأول له فقال ابن الطفيل أما أنا فاعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطفيل قال تأويلها اني أقتل لان المرأة التي أدخلتني فرجها هي الارض وابني سيصيبه جراح ويوشك أن يلتقي بي قال فقاتل يوم اليمامة وأبلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه أذى فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال العلج وهو كأنه شعلة حريق أو صاعقة وطعن البطريق وكانت قناته قد شهدت معه المشاهد فانقدت بين يدي وانتضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه فخالط أمعاءه فتنكس العلج صريعا عن جواده وأسرع عامر بن الطفيل فرمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب ثم قصد المتنصرة فقتل منهم فارسا ودعا للبراز وخرج اليه جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعليه بيض تلمع كشعاع الشمس وتحته فرس من نسل خيول عاد فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أي الناس أنت قال أنا من دوس قال جنبل انك من القرابة قابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر

وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام في المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع ابنه والياسع عشرة سنة وتسعة أشهر وايامار خلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش محلوعا الى أن مات غرة شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وفي أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبني العباس وأقيمت للحسن العبيدي صاحب مصر والمغرب (وولي بعده أحمد القادر بالله) بن المقتدر فاقام ثلاثا وأربعين سنة ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله في امرة الخلافة مدته ولا

قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتي فأنت من أي العرب قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة بن الأيهم النسائي وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا الطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير في الشجاعة فعلمت انك كفؤ فخرجت لأقتلك وأحظى عند ماهان وهرقل بقتلك فقال عامر بن الطفيل أما ماذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة وهو مهلك الجبابرة وأما قولك انك تحظى بقتلي عند مخلوق مثلي فاني اريد أن أحظى بهادي عند رب العالمين بقتلك وحمل عامر على جبلة بن الأيهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا فحمل جبلة على معسكره ووقف يحجب بنفسه وعاصنع وطلب البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فأقبل الى أبي عبيدة وقال أيها الامير ان أبي قد قتل وأريد أن آخذ بثاره أو أقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها لرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الأيهم وهو ينشد ويقول

سأبذل مهجتي أبدا لاني * أريد العفو من رب كريم * وأضرب في العدا جهدي بسيفي
وأقتل كل جبار لئيم * فان الخلد في الجنات حتى * تباح لكل مقدام سليم

قال ودنا من جبلة وقال له اثبت يا قاتل أبي لأقتلنك به فقال جبلة ومن أنت من المقتول قال ولده قال جبلة ما الذي حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم قال جندب ان قتل النفس في سبيل الله محمود عند الله ونتال به الدرجة العالية فقال له جبلة اني لا أريد قتلك فقال جندب وكيف أرجع وأنا المفجوع بأبي والله لا رجعت والله أو آخذ بثار أبي أو ألحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما أبدى من شجاعته فعلم أنه شديد البأس صعب المراس فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها فرأت الغلام قد بادر وقد ظهر على صاحبهم وقارنه في الحرب فصاح بعضهم على بعض وقالوا ان هذا الغلام الذي برز الى سيدكم غلام نجيب وان تركتموه وظهر عليه فانجدوه ولا تدعوه فتأهبت غسان للحملة واستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه ومن شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير أبو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته في سبيل الله اللهم تقبل له فعله (قال جابر بن عبد الله) شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاما كان أنجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة وبعد ذلك حمل على جبلة وضربه ضربة أوهنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة وتحقق منام أبيه عامر بن الطفيل وجال جبلة على معسكره وطلب البراز فصاح به قومه ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو يحجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب قال فعند ها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وساعدتها الازد وكانوا أحلافهم وحملوا على غسان وظلم وحذام وتناشدوا الاشعار فصاح أبو عبيدة بالمسلمين وقال أيها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ومعانقة الحور العين في جنات النعيم فامن موطن أحب الى الله من هذا الموطن الا ان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهده شهدهم هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع دوس وكان شعارهم يومئذ الجنة الجنة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني موسى بن محمد عن عطاء بن مرداد قال سألت رجالا عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك فأخبرت ان شعار أبي عبيدة أمت أمت وشعار عبس يا لعبس وشعار اليمن من أخلاط الناس يا أنصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح الفتح وشعار دارم والسكاسك الصبر الصبر وشعار بني مراد يا نصر الله نزل فهذه كانت شعارا المسلمين يوم اليرموك قال فلما حملت دوس تبعها الازد وقصدت العرب المتنصرة وطلبت صليبهم وفرقتهم تفريقا قبيحا حتى وصلوا الى الصليب فطلب رجل منهم حامل العلم الذي لغسان فأرداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا أنهم كانوا مثل الشامة البيضاء في جلد البعير الاسود ثم كرت غسان تريد أخذ صليبهم فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني هشام بن عمارة عن أبي الجريري عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبد الله بن عدي قال شهدت اليرموك فكان المسلمون خمسة وعشرين الفا فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث فان المسلمين كانوا يوم اليرموك أحدا وأربعين

طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (وولي بعده ابنه القائم بأمر الله) عبد الله بن أحمد وأقام في الخلافة أربعة وأربعين عاما وتوفي سنة سبع وستين وأربعمائة (وولي بعده ابنه المقتدي بأمر الله محمد بن عبد الله القائم بأمر الله) وأقام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي سنة ست وثمانين وأربعمائة (وولي بعده ابنه المستظهر بالله أحمد) فاقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وتوفي سنة ثنتي عشرة

ألفا وقد أدبت البلما معته ممن أثق به من الرواة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وهذا أثبت الأقاويل لان المسلمين كانوا يوم أجنادين اثنين وثلاثين ألفا وجاءت الامداد بعد ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى ابن أبى عمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس ويوقد خت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة فانكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الاشعرى فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم وأهل الحرب بألويتهم فانبذ لأخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابق اليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدى المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى أن أقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير وفى المسلمين قليل الا أن الجراح فيهم فاشية من النشاب فلما دخل الليل بسواده رجعت كل فرقة الى أماكنها وباتوا تحت السلاح قال وأما المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وعد ذلك شدوا الجراح وصلى أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال أيها الناس اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه يأتى من عند الله فاصبروا نيرانكم وتحارسوا وأظهروا التهليل والتكبير وقام أبو عبيدة يمشى فى الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدان الجرحى ويقولان أيها الناس ان عدوكم ألم كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وباتا طول ليلهم كله وهما طائفان على المسلمين الى أن أصبح الصباح قال وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمنى لجمع بطارقته ويوبخهم ويزجرهم وقال لهم قد علمتم ان هذا يكون منكم وقد رأيت فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نرزم فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا الا لارغد اقصدهم الحرب فتكون لنا العاقبة قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم ان يتأهبوا لذلك وباتت الفريقان يتحارسون وقد رعبت الروم من كثرة القتل فيهم وأما المسلمون فانهم أقوى قلوبا بالشدة بينهم ويقينهم قال فلما أصبح الصباح صلى بهم أبو عبيدة صلاة الخوف واذا بالصليبان قد بدت وبرايات القوم طلعت فى عدد الشرك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا فى صفوفهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذى كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فأمرهم أن يعبوا صفوفهم فلما نظر أمير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل أمير برجاله وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير الى مكانه وهو يعظ أصحابه ويوصيهم ويعدهم من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذرارى والنساء والاموال والاولاد عمر بن سعيد بن عبد الله الانصارى وجعل من الرماة خمسمائة فى الميمنة وخمسمائة فى الميسرة وخمسمائة فى القلب وطاف أبو عبيدة عليهم وقال لهم عشار الرماة الزموا مراكزكم فان رأيتم القوم زحفوا اليكم فارشقوهم بالنبال واذكروهم عند رميكم ولا تتركوها فترشقوهم فرقة وتخرج سهامكم كأنها من كبد قوس واحدة فانهم زحفوا اليكم فاثبتوا مكانكم حتى يأتيكم أمرى ففعلوا ما أمرهم به الامير وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية فى يده وحوله أصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد فقال يا بنى ان أحسنت أحسن الله اليك عليك بتقوى الله والصبر فان تقوى الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم وايالك والجزع فما قضاه ربنا قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبرا أولى العزم وايالك ثم ايالك أن يراك الله منهزما فتبوء بغضب من الله قال يزيد سأصبر جهدى وطاقتى والله أسأله أن يكون معينا لى وناصرا ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية ونديهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا قتالا عظيما ولم يزالوا حتى أنكوا العدو نكاية عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليهم بطريق من البطارقة وبيده رمح عظيم وعليه صليب من الذهب وحوله زهاء من عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان بهم عمرو بن العاص ومن معه فرجعوا على أعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم فى أوائل عسكر المسلمين مما يلى عمرا ومن معه وهم يتراجعون على الرجال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حتى ألصقوهم بالنار الذى عليه النساء وأحاطوا بالقتل فصاحت امرأة أين أنصار الدين أين حماة المسلمين وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق يداوى عينه وكان أرمد فلما سمع صوت المرأة

وخمسمائة (وولى بعده ابنه المستنجد بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولى بعده ولده الراشد بالله منصور) واتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى المرصل ثم قتلوه سنة خمسمائة وثلاثين (وولى بعده محمد المقتفى لامر الله) بن المستظهر بالله فاقام أربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجموه ثم جبوه شهرا من غير شرب فمات بالقاما سنة خمسمائة وخمسة وخمسين (وولى بعده ولده المستنجد بالله يوسف) فاقام أحد عشر

وهى تنادى أين أنصار الدين قال يا أسماء ما لهذه المرأة تصيح أين أنصار الدين فقالت له عفرة ابنة عثمان يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزمت هيمنة المسلمين حتى ألجأهم الروم الينا وأحاط بنا الاعلاج وهذه نساء الانصار مستصرخة بانصار الدين فقال الزبير والله انى أنا من أنصار الدين ولا يرانى الله جالسا فى مثل هذا الوقت قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده فأخذ قناته وتسمى باسمه وقال فى حملته أنا الزبير بن العوام أنا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا منكدارا حتى ردهم على أعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها قال ليث بن جابر فقد رأيت الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب أحد حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادى الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر فتراجعوا بعد ادبارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وحمل جرجير الارمنى فى ثلاثين ألفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم فى عصبة من قومه دون الخمسمائة فحمل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول يا أهل الاسلام لا فرار من الموت الصبر الصبر قال فتراجع أصحابه اليه وحملوا على الارمن فردوهم على أعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى أصابوا من الارمن مالم يصبه الارمن منهم فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به أصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذى أصابكم حتى انهزمتم أمام هؤلاء الكفرة وأنتم الحماة البررة وأهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وانتم تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وهانحن معك فاحمل حتى نحمل معك فخرجوا هم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا اتماما للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور أمت وكان هذا شعارهم يوم بدر وأحد وحمل خالد بن الوليد بمن معه ذات اليمين وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا والله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك نزل عن سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى لا اله الا الله يا منصور أمت أمت فاقبلوا يقتلون فى الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله اقرب أيها الناس الثبات الثبات قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ فاذا هو أبو سفيان وتحت رايته ابنه يزيد قال وشدت الامراء بأجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن فى الروم أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا فى أماكنهم يمنعون من أتاهم وأما الرماة وهم مائة ألف رام فكانوا اذا رشقوا سهامهم نحو العرب يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله لكان المسلمون هلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك أكثرهم وبرز علج من أعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى رأسه بيضة مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح فجال وأشهر نفسه وسأل البراز فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون اليه فقال أبو عبيدة لا يهولنكم ما ترون من خلقته فكم رأيتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له فمن له منكم يخرج اليه واستعينوا بالله عليه قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وحجفته وهو راجل فلما أراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميرى فلما رجع خرج اليه ذو الكلاع وجال عليه وكان ذو الكلاع من أهل الشدة والبأس فتواقعا كل منهما رمح فتقطعا عنا شديدا أشد من الجرحين انهما تجاذبا بسيوفهما والتقيا فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضرب العلج ضربة ركان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه درقة ذى الكلاع وسيفه ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحته جرحا بليغا وثقلت يده فلما نظر ذو الكلاع الى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذى الكلاع قد انعطف راجعا فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس ذى الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فاتى قومه والدم يفور من

عاما وخمسة أيام وتوفى سنة خمسمائة وست وستين (وولى بعده ولده الحسن المستضىء بامر الله) فاقام سبعة أعوام وأربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاثة وسبعين بالطاعون وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس عشرة سنة وانقرضت دولة بنى عبيد بمصر (وولى بعده أحمد الناصر لدين الله) فاقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس (وولى بعده ولده محمد الظاهر) فاقام تسعة

جرحه فاجتمع فرسان قومه فقال لهم يا فرسان حمير اياكم أن تتكلوا في قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا في قتالكم على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك أيها السيد قال لأني رددت عمدي عن القتال شفقة عليه اذ ليس معه لأمة حرب وقلت اني أفرس منه وأجود عدة ولأمة فصنع بي هذا الأغلف ما ترون والله ما لحقني قبلها في حرب مثلها قط فشد وا جرحه ووقف مكانه ثم انه صاح بقومه يا رجال حمير ان كان سيدكم قد رجع كلا لا فامنكم من يأخذ بثاره فانتدب فارس من فرسان حمير وعليه صبائغ اليمن من الابراد والحبر كانه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال جولة عظيمة وطعنه طعنة أثبتها في صدره فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار فهم الحميري أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم ليكشفوه عنه فردهم الحميري صاغرين ثم رجع اليه وأخذ سلبه وأقبل به على أبي عبيدة فاعطاه اياه فدفع السلاب الى قومه ورجع الى مقامه في القتال فخرج اليه آخر فقتله وآخر فقتله فخرج اليه علج رابع فقتل الحميري ونزل ليأخذ سلب الحميري فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها في لبته فخر له صريعا وعجل الله بروحه الى النار فانقلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين وكان ذلك البطريق الذي قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب نابلس فصاح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه مريوس وعليه لامة الملوك وعليه ديباجة وفي وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين وشهر نفسه وقال أنا ملك اللان فلا يبرز لي الا أميركم فخرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده لواؤه وعليه درع من حديد وهو ممنطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده فقال أبو عبيدة من هذا الذي خرج قالوا له شرحبيل بن حسنة فبعث اليه أبو عبيدة يقول له ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها موضعي فان قدر علي فسلم الراية الى الامير أبي عبيدة يدفعها لمن يريد وان رجعت أخذتها فاخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ملك اللان وهو يقول

سأحمل في اللئام بني الاعادي * بكل مثقف لدن حداد

فيا بؤسا لقيصر يوم تأتي * وجمع الروم شرد في البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل ولم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال له يا عربي ما الذي تقول قال أقول كلاما تقوله العرب عند الحرب تشجع به نفوسها وتثق بوعد الله الذي وعد به نبينا فقال ملك اللان وما الذي وعدكم به نبيكم فقال شرحبيل وعدنا الله ان يفتح لنا الارض في الطول والعرض وملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من يبغي وأنتم تبغون علينا وتظلمون ما ليس لكم بحق فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله أن نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واني أراك تعرف كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت في دين الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك اللان ما أترك دين المسيح أبدا فان دينه حق فقال شرحبيل لا تقل انه الله معبود ولا تقل صلب وقتل فان الله سبحانه وتعالى أحياه في الارض ما شاء ثم رفعه الى السماء ثم قال ملك اللان ان أرجع عن قولي ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينه وأقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله فقال له يا ويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم حمل عليه وأخذ في القتال وجالا جولانا عظيما فرمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة الكافر فضرب بين يديه كانه منهزم فتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل أنه قد قاربه ثنى عنان جواده فطعنه بقناته يريد أن يجعلها في نحره فزاغ المشرك عن الطعنة وتحاجزا هنيهة ساعة ثم قال معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر فقال شرحبيل ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها فقال العلج في الذي نفسك من حيلتك قال فتضاربا حتى انقطع السيفان في أيديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام فضغط عليه المشرك ضغطة أوجعته بها وهم أن يقتله في سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار بن الازور فداخلني والله الغيظ فقلت في نفسي ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر

أشهر وتوفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولي بعده ولده المستنصر بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة أربعين وستمائة (وولي بعده ولده المستعصم بالله عبد الله) فاقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة سبعمائة وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمي الذي كان رافضيا وخربت بغداد وزالت دولة بني العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها ان ابن العلقمي استولى على المستعصم وكان

اليه فما يمنعك من نصرته ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الخمصاء حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان فى يده خنجر فضرب به العلج من ورائه فاطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال فلما سقط العلج عن ظهر حواده نزل اليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنأ المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله قال ثم ان شرحبيل أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه فقال السلب لى وأنا قتلته وقال شرحبيل أنا آخذ السلب فأتيا أبا عبيدة نخاف أبو عبيدة أن يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول يا أمير المؤمنين ان رجلا خرج الينا البراز وقاتل علجا من الاعلاج وبلغ معه الجهد الى جهد جهيد فخرج آخر من المسلمين فاعان الرجل وقتل العلج قال ولم يسم أبو عبيدة الرجلين فلما نظر السلب منهما فجاء الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فاخذ السلب أبو عبيدة من شرحبيل وأعطاه ضرارا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولما قتل ضرار ملك الان غضبت الروم فخرج فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله وأخذ سلبه وخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم وأخذ أسلابهم فقال خالد لأبى عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى مقامه قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر ألف الف فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال سيدان مناقد قتلا فى يوم واحد وانى أظن ان المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم وأطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة الف سهم فكان النشاب يقع فى عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح فى الناس واعور من المسلمين سبعمائة عين فسمى ذلك اليوم يوم التعوير وكان ممن أصيب بعينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمى وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل فيقول له ما الذى أصاب عينك فيقول الآخر لقد مصيبة بل هى محنة من الله قال وعظم وقع السهام فى عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وابصراه واحدقتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك قال فخذلت العرب أعنة خيولها راجعة قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت المسلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وقورين وقال ماهان اثبتوا على الحملة وارموا العرب بالنشاب فزادت الرماة فى رميها وزحفت المسلسلة بحد بدها والموارق تلمع من اكف الرجال كمقابيس النيران والحرب قائمة على ساق وأخذ المسلمون على أنفسهم اشفاقا مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق قال فجاء عبادة بن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم أنزل علينا نصرك الذى نصرت نبيه فى المواطن كلها ثم صحت فى رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ما هذا الفرار أما تخافون العار أما أنتم بين يدى الجبار أما هو عالم الاسرار فررتم من الكفار قال فما أجابنى والله أحد كأنهم صم لا يسمعون قال فقلت كان قبيلتك خرست عن الجواب فجعلت أهتف بقبائل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتى فجعلت أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله وذلك أن المسلمين قد انقلبوا راجعين نحو تل النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الأسدى شهدت القتال كله فلم أر قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الأمراء بأنفسها والرايات بايديهم حتى كان أبو عبيدة وزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت فى نفسى وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتى شهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حتى دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قد انضم النساء

رافضيا عدوا الاهل السنة بداريهم فى الظاهر ويتافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهولاكو ويطمعه فى ملك بغداد ويخبره بضعف الخليفة ويعلمه صورة أخذها ويحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع فى مرة عشرين ألف مقاتل ووفر على ولدهم فى الخزينة وأظهر للخليفة انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة فى بيت

المهاجرات لغيرهن وكانت الحرب على ساق وتنادى النساء بأنسابهن وأمهاتهن والقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن بوجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعل النساء بعضهن يقاتلن المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين حتى رجعوا الى قتال المشركين وبعضهن يسقى الماء وبعضهن يشد الجراح قال فبينما هن يقاتلن وقد هجمت الرجال اذا نهزمت نساء ظعن وجذام ونحولان فخرجت خولة بنت الأزور وأم حكيم ابنة حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤى وجعلن يضربن فى وجوههن ورؤسهن بالعمد ويقلن اخرجن من بيننا فانتن توهن جمعنا قال فرجعت نساء ظعن وجذام يقاتلن قتال الموت وقالت أم حكيم بنت الحرث أمام الخيل بالسيف ومانسمع يومئذ صوت واحدة من النساء غير صوت واعظة تعظ وأما أم حكيم فانها جعلت تنادى يامعاشر العرب احصدوا الغلف بالسيوف وأما أسماء بنت أبى بكر فانها قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كان يضرب ضربا الا ضربت مثله قال فتراجع المسلمون الى القتال حين رأوا النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه ان لم نقاتل نحن هؤلاء والا فنحن أحق بالخدود من النساء فثلمت درنساء قريش يوم اليرموك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الرحمن بن الفضل عن يزيد بن أبى سفيان عن مكحول قال كانت وقعة اليرموك فى رجب سنة خمس عشرة من الهجرة قال أبو عامر فجعلت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمل علينا فاستقبلته وجعلت تشهره بالسيف فضربها العلج بسيفه على قصتها فسال دمها وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صارعة ونادت نخع والله ضرارق أخته فاخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت أنا بخير ان شاء الله تعالى ولكنى هالكة لامحالة فهل لك علم بأخى ضرار فقالت عفيرة يا ابنة الأزور مارأيته فقالت خولة اللهم اجعلنى فداء لأخى ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت أن تقوم معى فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها وهى تدور تسقى الرجال وكان ليس بها ألم قط ونظرا اليها أخوها والضربة فى رأسها فقال لها مابك فقالت ضربنى علج قتلته عفيرة فقال لها يا أختاه أبشرى بالجنة فقد أخذت لك بثار الضربة مرارا وقتلت منهم أعدادا قال ولم يزل الحرب من أول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامها وأبو عبيدة يقاتل برايته والأمراء يفعلون كفعله الى أن فصل بينهم الظلام وقد قتل من الروم يوم التعوير أربعون ألفا أو يزيدون ونقل عن خالد انه انقطع فى يده ذلك اليوم تسعة أسياف ولقد أخبرنا عن خالد بن الوليد ممن حضر قتال اليرموك وشاهده قال كان بعد قتال خالد بمائة رجل من شجعان الرجال قال حازم بن معن وبرز من المشركين فى قلب الوقعة أصحاب الديباج والحرير والتجفيف على الخيول الشهب والبلق كانها من الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا فى القلب وكروا كرة واحدة ورفعوا فى وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم على ميمنتنا وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعلن يصحن بهم الله الله لاتغموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم قال فكان بين يدى أبى عبيدة رجل من محرز اسمه نجم بن مفرج وكان من خطباء العصر وأفصح العرب لسانا وأجرئهم جنانا وكان رفيع الصوت حسنه جدا فخطب فقصده العرب والفصحاء يسمعون مايتطق به من نظمه ونثره (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عوف عن موسى بن عمران اليشكرى قال رأيت نصر بن مازن زهو يجامع النيل يحدث عن وقعة اليرموك قال ماردالناس عن الهزيمة بعد قضاء الله الى نصرة الاسلام الا علم رجل من بنى محارب يقال له نجم بن مفرح وكان لا يتكلم الا بالسجع يؤلفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم اليرموك مانحن نذكره عنه ولقد بلغنى أن البلغاء الفصحاء المتأخرين مثل الأصمعى وأبى عبيدة اللغوى ينسجان على منواله فى حسن كلامه فكان من جملة ماوعظ به المسلمين يوم اليرموك وقت هزيمتهم أيها الناس هذا يوم له مابعده وقد عاينتم قربه من بعده وان تنال الجنة الا بالصبر على المكاره وتالله لا ينالها من هو للجهاد كاره وينشد

ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا بعالم الغيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه وكد النفاق فى أسواقه وأخفى نفاقه فى نفاقه وأنتم أصحاب نبى العصر فايستم من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم

المال فالمجمه رأيه لكونه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستأصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير فى نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الخزائن والأموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى أن استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل أولاده واتباعه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس

وقوموا العزم بصفاء نياتكم وايا كم ان تولوا الأدبار فتستوجبوا عذاب النار وغضب الجبار فوالذى قدر الاقدار وأدار الفلك الدوار وكل شئ عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور العين بأيديهم أباريق وكأس من معين فمن طلب دار البقا هان عليه ما يلقى ومن خفقت راحلتكم تنالوا بغيتكم واطمئنوا الصدور تنالوا الحور وشمروا الأسنة تنالوا الجنة واغتنموا الصبر يكتب لكم الأجر بشروا المؤمنين بحسن عملكم وايا كم ان تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار فى جهنم واعدلوا عن طريق قومهم ووافقوا من سلف من أسلافكم فى جهادهم واسمعوا ما نزل فى القرآن من أجلهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المغردون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يفزع الروم باسمه ويقول أنا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فأقبل يدعو خالدا ويهدهم وخالد فى القتال لا يشعر به ولا يدرى ما يقول فعند ما سمعه يرطن عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما فى أشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخالد يقول حى حى فعلا البطريق على ظهر خالد فى عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتى رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بنى مخزوم وناوله اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت فى مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتى فقال خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فى حجة الوداع أخذت من شعره شعرات فقال لى ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت أتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على القتال فقال أعدائى فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك شعراته فى مقدمة قلنسوتى فلم ألق جماعة الا انهزموا بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شد ها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه أحرج السيف من علائقه وانكسر من بقى من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم الى البراز فلا يخرج اليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحرث بن هشام المخزومى فقال لابى عبيدة أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وأدى السيف حقه فلو أمرته أن يريح نفسه قال فشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يريح نفسه فقال خالد أيها الامير أما والله لأطلبن الشهادة بكل وجه فان أخطأتنى فالله يعلم نيتى وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك أن كل المسلمين استعفوه فى حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء أمام الرجال ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد قتل منهم ألوف عديدة وأما أصحاب السلاسل فانحطام أكثرهم ووطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس للغروب وانفصل الجمعان وقد جرت الدماء بينهم وفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية فى الجمعين لكن فى الروم أكثر ورجع كل قوم الى اصلاح شأنهم ومداواة جرحاهم وأما النساء فاصلحن الطعام وشددن الجروح وداوين السقام ولم يقل أبو عبيدة لأحد من المسلمين من يكون الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل انه تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين قال فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب أبو عبيدة منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى أخرجكما قال الزبير نحرس المسلمين وذلك أن أسماء قالت لى يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين مشتغلون بانفسهم فى هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب فى الجهاد طول يومهم فهل لك أن تساعدنى على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك فشكرها أبو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا فلم يفعلا ولم يزالا كذلك الى الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى أبو عبيدة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير ان أبا الجعيد كان رئيسا من رؤساء أهل حمص فلما اجتمعت الروم على المسلمين فى اليرموك دخلوا على حمص ونزلوا فى بلدة تسمى الزراعة وكان أبو الجعيد هذا قد جعلها مسكنه لطيب هوائها ومائها وانتقل من حمص اليها فنزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لأبى الجعيد وزوجته ترف اليه فى تلك الليلة قال فتكلف أبو الجعيد بضيافة

بالأرجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهوان وصار معهم من جملة الغلمان ومات كمدا وهذه الحادثة قد استطار شررها وعم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى المدد بأنهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها تأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولما حصل فى بغداد

الروم واكرمهم واطعمهم وسقاهم الخمر فلما فرغوا من أمورهم قالوا هات امرأتك الينا فأبى ذلك وسبهم فأبوا الا اخذ العروس فلما شنع عليهم بذلك عمدوا الى العروس وأخذوها كرهاً منه وعبثوا بها بقية ليلتهم فبكى أبو الجعيد من حزنه ودعا عليهم فقتلوا أولاده وكان له ولد من زوجة غيرها قال فأقبلت أم الفتى فأخذت رأس ولدها فى خمارها وأقبلت به الى مقدم ذلك الجيش ورمت الرأس اليه وشكت حالها وقالت له انظر ما صنع أصحابك بولدى فخذ بحقى فلم يعبأ بكلامها فقالت له أم الفتى والله لتنصرن العرب عليكم ورجعت وهى تدعو عليه فما كان الا يسيراً حتى ملكوا فى أيدى المسلمين قال فلما كان يوم اليرموك بعد ما قتل النسطورا رأى أبو الجعيد الى عساكر المسلمين وقال لخالد اعلم أن هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا أنفسهم اليكم للقتل لما فرغتم من قتلهم الا فى المدة الطويلة فان كدتهم لكم فى هذه الليلة بكيدة تظفرون بها عليهم ماذا تعطونى قالوا نعطيك كذا وكذا ولا تؤدى جزية أنت وولدك وأهل بيتك ونكتب لك بذلك عهداً الى آخر عقبك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما استوثق منهم لنفسه مضى الى الروم وهم لا يعلمون وأتى الى وادٍ عظيم مملوءاً فنزل الروم الى جانبه وقال لهم ان هذا المنزل به العرب وانا سأكيدكم العرب بكيدة يهلكون بها قال وجعل القاقوصة فيما بين الروم والعرب ولم يعلم أحد من الروم ما عمقها قال فلما كان يوم التعرير وعلم أبو الجعيد ان النصر للعرب وان العرب هم المنصورون جاء أبو الجعيد الى أبى عبيدة فوجده يطوف ذلك الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين فقال لهم ما جاء بكم قالوا ومانصنع قال اذا كان ليلة غد فاكثروا من النيران ثم رجع الى الروم ليضع عليهم حيلته فلما كانت الليلة الثانية أوقد المسلمون أكثر من عشرة آلاف نار فلما اشتعلت النيران أقبل اليهم أبو الجعيد فقالوا قد أشعلنا النيران كما أردت فما بعد ذلك قال أريد منكم خمسمائة رجل من أبطالكم حتى أشير عليهم بما يصنعون (قال الواقدى) فاختار من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار بن الازور وعياض ورافع وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس وعبد الله بن عمرو عبد الرحمن بن أبى بكر وغانم بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات فلما اجتمعوا سار بهم أبو الجعيد على غير المخاضة وقصد بهم عسكر الروم فلما كادوا يخالطونهم أخذ أبو الجعيد منهم رجالا ورد لهم على المخاضة ولم يكن يعلم بها أحد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعونى واياهم فنفعل ذلك وصاحوا فيهم وحملوا ثم انهزموا قدامهم نحو المخاضة فعند ذلك صاح أبو الجعيد برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد أوقدوا نيرانهم وعوّلوا على الحرب قال فأقبلت الروم على حال عجيلة يظنون ان ذلك حق فبعضهم ركب جواده عرياناً وبعضهم راجل وسار وا فى طلب المنهزمين وأبو الجعيد بعد وبين أيديهم الى أن أوقفهم على القاقوصة وقال لهم هذه المخاضة دونكم واياهم فانبلوا يتساقطون فى الماء كتساقط الجراد حتى هلك فى الماء مالا يعد ولا يحصى عدداً ولا يدرك جنان فسميت العرب القاقوصة لنقص الروم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول بما جرى للآخر حتى أصبحوا فنظر والمسلمين فى أماكنهم فعلموا انهم قد ذهبوا فى الليل وقل عددهم وتبدد شملهم فقال بعضهم لبعض من كان الصباح فى ليلتنا قال الرجل الذى عيثم برزجته وقتلتم ولده وقد أخذ بثاره منكم قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم ما نزل باصحابه علم أنه هالك لا محالة وان العرب ظافرون عليه فبعث الى قورين فقال ما ترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وان جملوا علينا حملة لم ينفلت منا أحد فهل لك أن تسألهم أن يؤخروا القتال حتى نفعل الحيلة فى خلاص أنفسنا قال قورين أفعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من نخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم اعلموا ان الحرب سجال والدنيا زوال وقد مكرتم بنا فلا تبغوا فالبغى له مصرع وأخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان غداً يكون الانفصال بيننا وبينكم قال فأقبل اللخمى الى أبى عبيدة وبلغه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فنهاه خالد من ذلك وقال له لا تفعل أيها الامير فما عند القوم خير بعد ذلك فقال أبو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له ما نؤخر عنك القتال وانا على عجل من أمرنا فرجع الرسول الى ماهان فاعلمه بجواب أبى عبيدة فعظم عليه وكبر لديه وكفر وتجبر وقال لقد كنت أتربص بنفسى عن العرب أرجو بذلك الصلح فوحق الصليب لا يبرز لهم غيرى ثم صرخ بالروم وأصحاب سرير الملك ممن كان يتكل عليه فى الشدائد وأمرهم أن يأخذوا الاهبة فاستعدوا وخرج ماهان فى مقدمة الجيش والصليب أمامه واذا بالمسلمين أخذوا مصافهم للقتال وذلك أن أبا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم

ما حصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر فى زمن السلطان بيبرس لانها كانت بأيدى أسلافهم ويقيمون فيها نوابا وجملة نوابهم سبع وخمسون لم نتعرض لهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم أحمد بن طولون فانه كان نائبا على مصر فى زمن خلافة المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحول من

بالسرعة للقتال وأخذوا مواضعهم للحرب ففعلوا وقد أيقنوا أنهم منصورون على عدوهم ووصف أبو عبيدة أصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المعروفة بخيل الزحف وطلعت الشمس وخرج جرجير هو وبعض ملوك الروم ودعا بالبراز وقال لا يبرز لي الا أمير العرب فسمعه أبو عبيدة فسلم الراية الى خالد وقال أنت للراية يا أبا سليمان فان عدت من قتالك فالراية لي وان هو قتلني فامسك رايتك حتى يرى عمر رأيه فقال خالد أنا لقتاله دونك فقال أبو عبيدة لا هو طلبني ولا بد لي من الخروج اليه وأنت شريكي في الاجر فخرج أبو عبيدة وما أحد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فاقبلوا يسألونه فلج في الخروج فتركوه ورأيه فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت أميرهذا الجيش فقال أبو عبيدة أنا ذلك وقد أجبتك الى ما طلبت من أمر البراز فدونك وعرض الميدان فاما هزمتكم أو قتلتك وأقتل ماهان بعدك فقال جرجير أمة الصليب تغلبكم وحمل جرجير على أبي عبيدة وحمل أبو عبيدة على جرجير وطال بينهما القتال وبقي خالد ينظر الى أبي عبيدة ويدعو له بالسلامة والنصر وجميع المسلمون يدعون له قال وفر جرجير أمام أبي عبيدة وأخذ في عرض الجيش وطلب فرار جيش المشركين في الميمنة وتبعه أبو عبيدة على أثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كأنه البرق والتقيا بضربتين فكان أبو عبيدة أسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير فخرج من علائقه فكبر عند ذلك أبو عبيدة وكبر المسلمون ووقف أبو عبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيأ فنادى به خالد لله درك أيها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع أبو عبيدة فاقسم عليه المسلمون أن يرجع فرجع وأخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبر لديه لانه كان ركنا من أركانهم فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه ماذا يكون عذري عنده هرقل ولا بد أن أبرز الى الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت كان لي عند الملك عذر أحسن من أن أولي الادبار ثم انه أعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه وأخذ عدته ولبس زينته وخرج كأنه جبل ذهب يلمع ثم انه جمع اليه البطارقة والقسوس والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان أعلم منكم بهذا الامر وانه أراد الصلح فخالفتموه فها أنا أبرز اليهم بنفسي فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع ما فرض عليه في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لأبرزن الى المسلمين وآخذ ثاري فان أنا أحق به واما أن أقتل قاتله ثم قال لماهان قد تعين على الجهاد وأنا أؤدي فرض المسيح ولا بد لي من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد ومتقلد بسيفه ومعه قنطاريته وعوذته القسوس وبخروه بخور الكنائس وأقبل اليه راهب عمورية وأعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة نار فلما قارب منه ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التي أثقلته فقال في نفسه وما عسى يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع مولياً فظن الناس انه ولى فزعا فقال قائل منهم ان ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط انه انهزم وهو لا يكلم أحدا حتى صار الى خيمته ونزع ثيابه وبقي بالسراويل وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وحجفته وعاد الى الميدان كأنه الظبية الحصاء فوجد مالكا النخعي قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الخطاط اذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الارض فنظر ضرارا فاذا مالك ينادي العلج تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج لما دخله من الخوف منه قال فخال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه في خاصرته فأطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك في ضلوع الجواد وهو على ظهره فلم يقدر أن يتحرك لانه مزرر في ظهر الجواد بزنانير الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد أسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه فأتاه مالك وقال ماهذا يا ضرار تشاركني في صيدي فقال ما أنا بشريكك وانما أنا صاحب السلب وهو لي فقال مالك أنا قتلت جواده فقال ضرار رب ساع لقاعد وآكل غير حامل فتبسم مالك وقال خذ صيدك هنأك الله به قال ضرار انما أنا مازح في كلامي خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيأ وهو لك وأنت أحق به مني ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن

دار النيابة بقصر الشمع وبني بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفي ليلة الاحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وكان مدة سلطنته عشرين ساعة وشهرين (وتولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد

يمشي به وهو يتصبب عرقا فقال زهير بن عابد والقدر أبته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه في رحل مالك فقال أبو عبيدة بأبي وأمي والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق قص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا ما أصحاب الملك وبلغوه عني اني ما تركت جهدي في نصرة هذا الدين وحميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر ان أغالب رب السماء لانه قد نصر العرب علينا وملكهم بلادنا والآن مالي وجه أرجع به الى الملك حتى أخرج الى الحرب وأبرز الى مقام الطعن والضرب وعزمت أن أسلم الصليب الى أحدكم وأبرز الى قتال المسلمين فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي وان رزقت النصر واثرت في المسلمين أثرا ورجعت سالما عاد الملك الي لم أقصر عن نصرته فقالوا أيها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فاذا قتلنا فافعل بعدنا ما شئت قال فخلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز أحد قبله قال فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته ثم انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال قف مكاني وقدم لماهان عدة فافرغت عليه (قال الواقدي) وبلغنا أن عدته التي خرج بها الى الحرب تقوم ستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعا بالجوهر فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال أيها الملك ما أراي لك الى البراز سبيلا ولا أحبه لك قال ولم ذلك قال لاني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست أفعل والقتل أحب الي من العار قال فحذره وودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق واقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج ورأيت ما عنده هم شيء من الخبر قال وماهان برعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله أنا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فنظرت الى الغلام عند ما سقط وهو يشير بأصبعه نحو السماء ولم يهله ما لحقه فعلمت أن ذلك لفرحه بما عاين من الحور العين قال فخال ماهان على مصرعه وقوى قلبه ودعا الى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدي وكان أول من برز مالك الضحي الاشتر رضي الله عنه وساواه في الميدان فابتدر مالك ماهان بالكلام وقال له أيها العلج الاغلف لا تغتر بمن قتلته وانما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه وما منا الا من هو مشتاق الى الجنة فان أردت مجاورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية والا فأنت هالك لا محالة فقال له ماهان أنت صاحبي خالد بن الوليد كلا لا أنا مالك الضحي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد لي من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة فاجتهدا في القتال فاخرج ماهان عمودا وضرب به مالكا على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينيه فمن ذلك اليوم سمي بالاشتر قال فلما رأى مالك ما نزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم ان الله ناصره قال والدم ثائر من جبهته وعدو الله يظن أنه قتل مالكا وهو ينظر متى يقع عن ظهر فرسه واذا بمالك قد حمل وأخذته أصوات المسلمين يا مالك استعن بالله يعنك على قرينك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن فعلمت ان الاجل حصين فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل في عسكره (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولما ولى ماهان بين يدي مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين يا أهل النصر والبأس احملوا على القوم ما داموا في دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه وحمل كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس وأظلم الافق انكشف الروم منهزمين بين أيديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاؤا فقتلوا منهم زهاء من مائة ألف وأسروا مثلها وغرق في الناقوصة منهم مثلها وأم لا تحصى وتفرق منهم في الجبال والاودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون ويأتون من الجبال بالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى أن راق الليل فنادا أبو عبيدة اترككم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم واسراد قات وآنية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس (قال الواقدي) ووكل أبو عبيدة رجالا من المسلمين يجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى أصبحوا فاذا البيس للروم خبر ووقع أكثرهم في الناقوصة في الليل (قال عامر بن ياسر) حدثني نوفل بن عدي عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد قال أراد أبو عبيدة أن يحصي عدد المشركين فلم يقدر أن يحصي ذلك

لعشر بن خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان بقي منه والده من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل في صندوق الى مصر فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما (وتولى بعده ولده أبو العساكر) في عاشر ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثني عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين (وتولى بعده أخوه أبو موسى هرون

فأمر بقطع القصب من الوادى وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فاذا قتلى مائة الف وخمسة آلاف والأسارى أربعون ألفا غير من غرق فى الناقوصة وقتل من المسلمين أربعة آلاف ووجد أبو عبيدة ترسا فى اليرموك فلم يعلم أهو من العرب أم من الروم قال ثم انه صلى على قتلى المسلمين وسار فى طلبهم الى الجبال والاودية واذا هم براع قد استقبلهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم قال نعم مر بى بطريق ومعه زهاء من أربعين ألفا (قال الواقدى) وكان ذلك ماهان لعنه الله تعالى فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو أثرهم ومعه عسكر الزحف فأدركهم على دمشق ولما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتل مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقيل انه ترجل ينكر نفسه ويسلم من القتل فأتاه رجل من المسلمين خفى عن نفسه فقتله الرجل وكان قاتله النعمان بن حهلة الازدى وعاصم بن خوال البربوعى وقد اختلفوا فى أيهما قتل ماهان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخرج أهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذى كان بيننا وبينكم قال خالد أنتم على عهدكم ومضى فى طلب الروم بقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب واقام تحتها يوما ثم مضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أبا عبيدة فسار حتى لحق به فيمن معه قال والامراء فى طلب الروم من كل جهة من الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع أبو عبيدة الغنائم وأخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتاب البشارة والفتح * بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من أبى عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فانا أحمد الله الذى لا اله الا هو واشكره على ما أولانا من الفتح وخصنا به من كرمه ببركات نبى الرحمة وشفيع الأمة صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انى نزلت اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون أكثر جمعا منه فأقضى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء من مائة ألف وخمسة آلاف وأسرنا منهم أربعين ألفا واستشهد من المسلمين أربعة آلاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت فى المعركة رؤساء مقطوعة فلم أعرفها فصليت عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن خوال وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجل منهم يقال له أبو الجعيد من أهل حمص حيلة فألقاهم فى موضع يقال له الناقوصة فغرق منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى وأما من قتل من المشركين فى الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم وأخذت عدتهم فتسعون ألفا وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا فى دمشق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه ودعا حذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا بكتاب الفتح والبشرى الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله فأخذ حذيفة الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال عبد الله ابن عوف المالكى عن أبيه قال لما هزم الله الروم فى اليرموك وكان من أمرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى الروضة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكأن عمر بسام عليهما ويقول يا رسول الله ان قابى مشغول على المسلمين وما يصنع الله بهم وقد بلغنى أن الروم فى ألف ألف وستين ألفا فقال يا عمر أبشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقتل كذا وكذا منهم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا الآية قال فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وأعلم الناس بما رأى فى منامه قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بالنبى صلى الله عليه وسلم وأرخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فسجد عمر لله شكرا وصلاه الكتاب فقرأه عمر على الناس فارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم قال يا حذيفة فهل قسم أبو عبيدة الغنائم فقال يا أمير المؤمنين هو منتظر كتابك وأمرك فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام سلام عليك أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل أهل السبق واعط كل ذى حق حقه واحفظ المسلمين وا كلأهم

ابن خاروبه) فأقام ثمانى سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين (وتولى بعده شيبان بن أحمد ابن طولون) فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فاقام اثنى عشر يوما فأنكر عليه قواده هرون بن خمارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفساطيط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت الديار

واشكرهم على صبرهم وفعالهم وأقم عوضعك حتى يأتيك أمري والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لحذيفة بن اليمان فأخذه حذيفة وسار حتى ورد على أبي عبيدة فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب فلما قرأه على المسلمين قسم الغنائم فأصاب الفارس أربعة وعشرون ألف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة وأعطى الفرس الهجين سهما والفرس العتيق سهمين وألحق القادمين ٢ بالعراب فلما فعل أبو عبيدة ذلك قال أصحاب الحجر ألحقنا بالعراب فقال أبو عبيدة إني قسمت عليكم بما قسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنيمة بين أصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس في الخيل والهجين والعراب فكتب اليه عمر يقول أما بعد فقد عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد حكمه فاعط الفرس العربي سهمين والهجين سهما واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربي وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربي سهمين فلما ورد الكتاب على أبي عبيدة وقرأه على المسلمين قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ولكن تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما قسم أبو عبيدة الغنائم على المسلمين قال له خالد بن الوليد ان رجلا من المسلمين تشفع بي اليك أن تلحق فرسه الهجين بفرسه العتيق العربي وتعطيه سهمين فأبى أبو عبيدة وقال والله ان سيف التراب أحب الي من ذلك (وروى) عثمان أن ابن الزبير قال شهدت جدي الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه فرسان يتعقب عليهما القتال ركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت قسم الغنائم أعطاه أبو عبيدة ثلاثة أسهم له سهم ولفرسه سهمان فقال الزبير أما تصنع بي كما صنع بي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معي فرسان فأسهم لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر خمسة أسهم لفرسي أربعة وأعطاني سهما وقال المقداد بن عمرو كنت أنا وأنت يوم بدر ومعنا فرسان لا غير هما فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهمين للفرسين قال أبو عبيدة انك أصدق يا مقداد أنا أتبع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الزبير وأقبل جابر بن عبد الله الانصاري فشهد عند أبي عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر خمسة أسهم فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة أفراس وخمسة أفراس فقالوا ألحقنا بالزبير قال فاستأذن عمر في ذلك فقال صدق الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم خيبر خمسة أسهم فلا تعط غيره مثله (وروى عروة عن أبي الزبير قال لقي الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الغنائم عرفه فقبض عليه وأخذ بيده فقال له الموكل على حفظ الغنيمة لست أدعك فبينما هما في المحاورة اذ أقبل أبو عبيدة فقال ما بالكما فقال الزبير أيها الامير هذا غلامي وصل الي من غنيمة عمان وهرب مني وقد رأيته الآن فلا بد لي منه فقال أبو عبيدة صدق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو له وأنا سامته له من غنيمة عمان فسلمه اليه فأخذه الزبير قال زيد المرادي هربت هنا جارية الى العدو وظفرنا بها يوم اليرموك في قسم الغنائم فكلمنا أبا عبيدة فيها فكتب الى عمر فرد اليه الجواب ان كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وان كانت لم تحرف فيها السهام فردوها فكان القوم لا يرضون بهذا من أبي عبيدة فقال أبو عبيدة والله الذي لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يحكم بما أمرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى القسم (قال الواقدي) حدثني أوزى بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة بن اليمان عن القاسط بن سلمة عن عدي بن عاصم عمن حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرجير وغيرهما قال علمت أن الامر يصل الى هنا ثم أقام ينتظر ما يجري من المسلمين

﴿ذكر فتح مدينة بيت المقدس﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأما ما كان من المسلمين فانهم أقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم أشيروا علي بما أصنع وأين أتوجه فاتفق رأي المسلمين اما الى قيسارية واما الى بيت المقدس فقال فما الذي ترون منهما فقالوا أنت الرجل الامين وما تسير الى موضع الا ونحن معك فقال معاذ بن جبل اكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث أمرك فسر واستعن بالله فقال أصبت الرأي يا معاذ فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه انه قد عزم على قيسارية أو الى بيت المقدس وأنه منتظر ما يأمره به والسلام

منهم وكانت مدة ولايتهم سبعا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر في خلافة المكتفي فارسلوا انوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد ابن طغج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فاقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وماتت سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة (وولي بعده ابنه أبو القاسم) فاقيم كافور الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فاقام اربع عشرة سنة وعشرة

وأرسل الكتاب مع عربجة بن ناصح النخعي وأمره بالمسير فسار حتى وصل المدينة فأرسل الكتاب لعمر رضي الله تعالى عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم في الأمر فقال علي رضي الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك أن يسير إلى بيت المقدس فيحدق بها ويقاتلوا أهلها فهو خير الرأي وأكبره وإذا افتتح بيت المقدس انصرف جيشه إلى قيسارية فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى كذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت يا أبا الحسن فكتب إليه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عامله بالشام أبي عبيدة أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه وقد ورد علي كتابك وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجه إليها وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير إلى بيت المقدس فإن الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك ثم طوى الكتاب ودفعه إلى عربجة وأمره أن يعجل بالسير فسار على قدم أبي عبيدة فوجده على الجابية فدفع الكتاب إليه فقرأه على المسلمين ففرحوا بمسيرهم إلى بيت المقدس فعقد له داعي أبو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم إليه خمسة آلاف فارس من خيل الزحف وسرحه إلى بيت المقدس ثم دعا يزيد بن أبي سفيان وعقد له راية على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد إلى بيت المقدس وقال له يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلا ناصحا فإذا أشرفت على بلد إيليا فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه نبيه ومن سكنها من الأنبياء والصالحين أن يسهل فتحها على أيدي المسلمين فأخذ يزيد الراية وسار يريد بيت المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحي النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له راية وضم إليه خمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له سر بمن معك حتى تقدم بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تقدم قبلك ثم دعا يالمرقال بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وضم إليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل بن حسنة وقال له انزل على حصنها وأنت منعزل عن أصحابك ثم عقد راية خامسة فسلمها للمسيب بن نجبية الفزاري وأمره أن يلحق بأصحابه وضم إليه خمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وعقد راية سادسة وسلمها إلى قيس بن هبيرة المرادي وضم إليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم ثم عقد راية سابعة وسلمها إلى عمرو بن مهلهل بن زيد الخيل وضم إليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم فكان جملة من سرحه أبو عبيدة إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفا وسارت السبعة أمراء في سبعة أيام في كل يوم أمير وذلك كله برمحه أعداء الله فبقي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما شرف عليهم كبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم ارتجوا وارتزعت قلوبهم وصعدوا على أسوار بلدهم فلما نظروا إلى قلة المسلمين استحقروهم ورظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه مما يلي باب أريحا وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان وفي اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة وأقبل في اليوم الرابع المرقال وأقبل في اليوم الخامس المسيب بن نجبية وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبيرة فنزل وأقبل في اليوم السابع عمرو بن مهلهل بن زيد الخيل فنزل مما يلي طريق الرملة قال عبد الله بن عامر بن ربيعة العطفاني ما نزل أحد من المسلمين على بيت المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله عليه ودعا بالنصر والظفر على الأعداء ويقال إن خالدا كان هو وأبو عبيدة قال فلما مضى العسكر أقام أبو عبيدة وخالد وبقية المسلمين والذراري والسواد والغنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشي والأموال فلم يبرحوا من مكانهم قال وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا ينظرون رسولا إليهم يأتي ولا يكلمهم أحد من أهلها إذ أنهم قد حصنوا أسوارهم بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخر قال المسيب بن نجبية الفزاري ما نزلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس وما نزلنا بقوم الا ونقضوه علينا ودخلوا الحلع وأخذتهم الهيبة الا أهل بيت المقدس نزلنا بأزائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا منهم أحد ولا ينظرون غير أن حارسهم شديد وعدتهم كاملة فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البلد لشرحبيل بن حسنة أيها الأمير كان هؤلاء القوم صم فلا يسمعون أو بكم فلا ينطقون أو عمي فلا يبصرون ارفعوا بنا اليهم فلما كان في اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب من المسلمين من الأمراء السؤال أهل بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان فشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون فوقف بأزاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون فقال لترجمانه قل لهم أمير العرب يقول لكم

أشهر وتوفي سنة تسع وأربعين وثلثمائة (وتولى بعده أبو الحسن علي ولد الاخشيد) فأقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدي ثم استقرت المملكة باسم كافور فكان يدعى له على المنابر في الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فأقام سنتين وأربعة أشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلثمائة (وولي أحمد بن علي الاخشيد) فأقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم أربعا

ماذا تقولون فى اجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنوا بها دماءكم وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحونا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عددا وأشد منكم وان أبيتم هاتين الخلتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم فكلمه قس من القسس عليه مدارع الشعر وقال أنا المخاطب عنهم ماذا تريد فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هذه الخصال الثلاث اما الدخول فى الاسلام أو اداء الجزية واما السيف قال فبلغ القس من وراءه ما قال الترجمان قال فضجوا بكلمة كفر هم وقالوا لا نرجع عن دين العز والقبول وان قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك لزيد قال فمشى الى الامراء واخبرهم بجواب القوم وقال لهم ما انتظاركم بهم فقالوا ان الامير أبا عبيدة ما أمرنا بالقتال ولا بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب الى أمير الامة فان أمرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن أبى سفيان الى أبى عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذى تأمر فكتب اليهم أبو عبيدة يأمر بالزحف وانه واصل فى أثر الكتاب فاما وقف المسلمون على كتاب أبى عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى ان المسلمين باتوا تلك الليلة كأنهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس وكل أمير يريد أن يفتتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء قال فلما أضاء الفجر أذن وصلت الناس صلاة الفجر قال فقرأ يزيد بأصحابه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا الآية فيقال ان الامراء أجرى الله على ألسنتهم فى تلك الصلاة أن قرؤا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة نادوا التكبير التكبير يا خيل الله اركبى قال فأول من برز للقتال جبير ورجال اليمن وبرز المسلمون للحرب كأنهم أسود ضارية ونظر اليهم أهل بيت المقدس وقد انتشروا للقتال فنشطوهم ورشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فحمل المسلمون يتلقونهم بالسيوف فلم تزل الحرب بينهم من الغداة الى الغروب بقاتلون قتالا شديدا ولم يظهر واحد منهم انزعاجا ولا رعبا ولم يطمعوهم فى بلدهم فلما غربت الشمس رجع الناس وصلى المسلمون ما فرض الله عليهم وأخذوا فى اصلاح شأنهم وعشائرهم فلما فرغوا من ذلك أوقدوا النيران واستكثروا منها الان الحطب عندهم كثير فبقى قوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم يتضرعون وقوم يأتمون بما لحقهم من التعب والقتل فلما كان الغد بادر المسلمون اليهم وذكروا الله كثيرا وأثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل وأفظعوا يرمون ويذكرون الله وهم يضجون الى الله بالدعاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل المسلمون على القتال عدة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح وانه ليس على قلوبهم من هم ولا جزع فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين وقد أحدقوا بأبى عبيدة وخالد عن يمينه ومحمد الرحمن بن أبى بكر عن يساره وجاءت النسوان والاموال ووضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس فانقلب كبارهم وعظماؤهم وبطارقتهم الى البيعة العظمى عندهم وهى القمامة ووقفوا بين يدى جاثليقهم وكانوا يعظمونه ويبجلونه فلما سمعوا تلك الضجة دخلوا عليه ووقفوا بين يديه وخضعوا له وقالوا أيانا قد قدم أمير القوم الينا ومعه بقية المسلمين وهذه الضجة بسببه فلما سمع بتركهم وجاثليقهم تغير لونه وتغير وجهه وقال هى هى قالوا ما ذاك أيها البترك والآب الكبير قال وحق الانجيل ان كان قدم أميرهم فقد دنا هلاكم والسلام قالوا وكيف ذلك قال لانا نجد فى العلم الذى ورثناه عن المتقدمين ان الذى يفتح الارض فى الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله ولا بد لى أن أشرف عليه وأنظر اليه والى صورته فان كان اياه عدت الى مصالحته وأجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا تسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الا على يدى من ذكرته لكم والسلام ثم انه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة من حوله وصعد على السور من الجهة التى فيها أبو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يسلون عليه ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كأنهم الاسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشى بين يدى البترك فقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نستخبركم ونسألكم قال فأمسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربى فصيح

وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

﴿الباب الثانى فى دولة الفواطم والدولة الأيوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة﴾

أما دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون فسبب دخولهم مصر انه لما مات الامير كافور اضطربت أحوال الديار المصرية وطمعت أهل القرى فى الجند فكتب أعيان مصر الى الملك المعز الفاطمى فأرسل اليهم جوهرا الصقلى القائد فى مائة ألف مقاتل فدخلوا مصر فى يوم الثلاثاء سابع عشر

اعلموا أن صفة الرجل الذى يفتح بلدنا هذا وجميع الارض عندنا فان كان هو أميركم فلا تقاتلوه بل نسلم اليكم وان لم يكن اياه فلا نسلم اليكم أبدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم الى أبى عبيدة وحدثه بما سمعوه قال فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البترك اليه وقال ايس هذا هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بكلمة واحدة بل أمر قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة الى أصحابه فقال خالد ما كان منك أيها الامير فقال لا علم لى غير انى خرجت اليهم كما رأيت وأشرف على شيطان من شياطينهم الذى بضاهم فما هو غير ان نظر لى وتأملنى حتى ضجوا ضجة واحدة وولى عنى لم يكلمنى فقال خالد يوشك أن يكون لهم فى ذلك تأويل ورأى فنقف عليه ونعلم نبأه ثم قال شدوا عليهم الحرب والقتال فشد عليهم المسلمون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى أيام الشتاء والبرد وظنت الروم ان المسلمين لا يقدرون عليهم فى ذلك الوقت قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من أهل الحين وصمم أصحاب القسى ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم به حتى رأوا النبل ينكسهم على رؤسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون قال مهلهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل الروم فيها قتون من سورهم كالغنم فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالحجف والجلود وبما يرد النبل قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد أقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى رأسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبأيديهم القسى الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال قال عوف بن مهلهل فنظرت الى ضرار وقد قصد نحوه يختفى ويستتر الى أن قرب من البرج الذى عليه البطريق ثم أطاق اليه نبلة قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع فقلت وما تكون هذه النبلة مع علو هذا الجدار وما الذى تصنع فى هذا العلج وعليه هذه اللامعة الملمعة فاقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة فى فيه فتردى الى أسفل برجه فسمعت للقوم ضجة عظيمة وحولة هائلة فعلمت أنه قتل قال ولم يزل أبو عبيدة بمنازل بيت المقدس أربعة أشهر كاملة وما من يوم الا ويقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار ومانزل بهم من المسلمين قصدوا الفخامة ووقفوا بين يدى بتركهم ومجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له يا أباقدار علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا أن يأتينا مدد من قبل الملك ولا شك أنه اشتغل عنا بنفسه من أجل هزيمة جيشه وانهم أشهى منا للقتال وانهم من يوم نزلوا علينا لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا لهم والآن قد عظم علينا الامر وانا نريد منك أن تشرف على هؤلاء العرب وتنظر ما الذى يريدون منا فان كان أمرهم قريبا أجبنا الى ما يريدون وبطلبون وان كان صعبا فحصنا الابواب وخرجنا اليهم فاما أن نقتل عن آخرنا واما نهزمهم عنا فأجابهم البترك الى ذلك واشتمل بلباسه وصعد معهم على السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسوس والرهبان حوله وبأيديهم الاناجيل مفتحة والمباخر حتى أشرف على المكان الذى فيه أبو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح العربية يا معاشر العرب ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فاخبروا أبا عبيدة بمقالهم فقال والله انى لأجيبه حيث دعانى ثم قام أبو عبيدة وجماعة من الامراء والصحابة ومعه ترجمان فلما وقف بازائه وقال لهم الترجمان ما الذى تريدون منا فى هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم انها بلدة شريفة ومنها أسرى بنبينا الى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى وانها معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله ياها كما ملكنا غيرها قال البترك فما الذى تريدون منا قال أبو عبيدة خصلة من ثلاث أولها أن تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فان أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم مالنا وعليكم ما علينا قال البترك انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها الا ان نبيكم محمدا ما نقول انه رسول قال أبو عبيدة كذبت يا عدو الله انك لم توجد قط وقد أخبرنا الله فى كتابه انكم تقولون المسيح ابن الله لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال البترك هذه خصلة لا نجيبكم اليها فما الخصلة الثانية فقال أبو عبيدة تصالحوننا عن بلدكم أو تؤدون الجزية الينا عن يد وأنتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام

شعبان سنة ثمانين وخمسين وثلثمائة فهرب أصحاب كافور وأخذوا جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن فخطب للعزيز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا بحى على خير العمل التى هى من شعائر الخوارج فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وأرسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يحبه مدينة

قال البترك هذه الخصلة أعظم علينا من الاولى وما كنا بالذى يدخل تحت الذل والصغار أبدا فقال أبو عبيدة ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ونستبعد أولادكم ونساءكم ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد ونعكف على كلمة الكفر فقال البترك فانا لا نسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا وكيف نسلمها وقد استعددنا بآلة الحرب والحصار وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من أهل المدن الذين أذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فادخلهم تحت طاعتكم ونحن فى بلدنا من اذا سأل المسيح ودعاه أجاب دعوته فقال أبو عبيدة كذبت والله ياعدو الله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام فقال أنا أقسم بالمسيح أنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتموها أبدا وانما تفتح لرجل صفته ونعته فى كتبنا ولسنا نجد صفته ونعته معك أبدا فقال أبو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم قال البترك لا نخبركم الصفته لكن نجدها فى كتبنا وما قرأنا من علمنا انه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو جل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك من كلام البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلدة ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له اذا رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندى وعند دسنينه وأيامه قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا فقال البترك ان كان الامر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأت فاذا رأيناه وتيقناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غير هم ولا نكدوا عطينا الجزية فقال أبو عبيدة فانى أبعث اليه بأن يقدم علينا أفتحمون القتال أم نكف عنكم فقال البترك معاشر العرب الا تدعون بنبيكم أخبركم بأننا قد صدقنا كم فى الكلام طالبا لحقن الدماء وأنتم تأبون الا القتال قال أبو عبيدة نعم لان ذلك أشهى الينا من الحياة ونرجو به العفو والغفران من ربنا قال فأمر أبو عبيدة بانكف عنهم وانصرف البترك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فجمع أبو عبيدة الامراء والسادة من اليه وأخبرهم بما قال البترك فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا افعل أيها الامير واكتب الى أمير المؤمنين بذلك فلعله يسير الينا ويفتح هذا البلد علينا فقال شرحبيل بن حسنة اصبر حتى نقول لهم ان الخليفة معنا ويتقدم خالد اليهم فاذا نظروا اليه فتحوا الباب وكفينا التعب وكان خالد أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما أصبح الصباح قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان ندقال أبو عبيدة لخالد فركبوا جميعا وقالوا قد جاء الرجل الذى تطلبونه فعرفوا البترك فأقبل الى أن وقف على السور وقال له قل له يتقدم بحيث نراه عيانا فتقدم خالد فتبينه وقال وحق المسيح كأنه هو ولكن باقى العلامات ماهى فيه فبحق دينك من أنت فقال أنا من بعض أصحابه فقال البترك يا نبيان العرب كم يكون هذا الخداع فيكم وحق المسيح لئن لم نر لرجل الموصوف ما نفتح لكم ولا يرجع أحد منا بكلامكم ولو أقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم فقال المسلمون عند ذلك اكتبوا الى أمير المؤمنين وعرفوه بذلك لعسى أن يأتى ويتشرف بهذه البقعة فكتب أبو عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله أبى عبيدة عامر بن الجراح أما بعد السلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انا منازلون لاهل مدينة بليباء نقاتلهم أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا ولقد لقى المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار الا انهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم فلما كان اليوم الذى كتبت اليك الكتاب فيه أشرف علينا بترك الذى يعظمونه وقال انهم يجدون فى كتبهم انه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا واسمه عمر وانه يعرف صفته ونعته وهو عندهم فى كتبهم وقد سألنا حقن الدماء فسرنا اليهم بنفسك وأنجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة لنا على يديك ثم انه طوى الكتاب وختمه وقال يا معاشر المسلمين من ينطلق بكتابى هذا وأجره على الله فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسى وقال أنا أكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة خذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقته كوماء ولم يزل سائرا الى أن دخل المدينة فدخلها ليلا وقال والله لا نزلت عند أحد من الناس فأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم أتى مكانا فى المسجد فنام وكان له ليال عدة لم ينم فأخذته عيناه فلما استيقظ الا على أذان عمر وكان عمر يتفلس فى الاذان فلما أذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله

الغسطاط فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة بقية المفاخرة لبنى العباس بينهم وبغداد فحفر أساس المدينة وجمع أرباب الفلك فأمرهم أن يختاروا له طالعا سعيدا يضع أساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين حبلا فيه أجراس من نحاس ثم وقف الفلكية ينتظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيه الاساس فقد رالله أن طائرا حرك تلك الاجراس فالقوا ما فى أيديهم من الحجارة فى أساس السور

قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الفجر فلما انحرف عن محرابه قمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الى صاحبي واستبشر وقال ميسرة ورب الكعبة ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة يا امير المؤمنين ثم ناولته الكتاب فقرأه على المسلمين فاستبشر وابه فقال ماترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينة بلياء وضيقوا عليهم وهم في كل يوم يزدادون ذلا وضعفا وعما فان أنت أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك أمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر فلا يلبثون الا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطون الجزية فلما سمع عمر ذلك من مقال عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه لك رحمك الله فقال عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين وقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام وانى أرى أنك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان في مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم فاذا أنت قدمت عليهم كان ذلك للمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن أن يبيتوا معك ومن الصلح ويمكروا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلك الهم والبلاء لاسيما بيت المقدس عندهم وهو معظم واليه يحجون فلا يخالفون عنه والصواب أن تسير اليهم ان شاء الله تعالى قال ففرح عمر بن الخطاب بمشورة علي رضي الله تعالى عنه وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وأحسن على المشورة للمسلمين فجزاهما الله خيرا واستأخذ الايشورة على فاعرفناه الامحمود المشورة ميمون الغرة ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه أمر الناس باخذ الاهبة للسير معه والاستعداد فاسرع المسلمون الى ذلك واستعدوا وتأهبوا وأمر عمر ان يكونوا خارج المدينة فعلوا ذلك وأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وأهلها يشيعونه ويودعونه (قال الواقدي) رضي الله تعالى عنه وخرج عمر من المدينة وهو على بعيره له أحمر وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج ومعه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير وعبادة بن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي الصبح فاذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة فيملؤها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون معه ثم يرحل فلم يزل كذلك في مسيره قال عمرو بن مالك المبسي كنت مع عمر ابن الخطاب حين سار الى الشام فرعلى ماء لجذام وعليه طائفة منهم نزول والماء بدحى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله اذ أقبل اليه قوم من جذام فقالوا يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا له امرأتان وهما أختان لأب وأم قال فغضب عمر وقال على به فأتى بالرجل اليه فقال له عمر ما هاتان المرأتان قال الرجل زوجتاي قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما أختان قال عمر فما دينك أ لست مسلما قال بلى قال عمر وما علمت ان هذا حرام عليك والله يقول في كتابه وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فقال الرجل ما علمت وما هما علي حرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك واتخذ ان سبيل احداهما والا ضربت عنقك قال الرجل أفحكم علي قال أي والله الذي لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا دين ما أصبنا فيه خيرا وقد كنت خفيا عن أن أدخل فيه قال عمر أدن مني فدنا منه فخفق رأسه بالدرة خفقتين وقال له أتتشاءم بالاسلام يا عدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله لملائكته ورسله وخيرته من خلقه خل يا ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلدة المفترى فقال الرجل كيف أصنع بهما وانى أحبهما ولكن أقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهي لي وان كنت لهما جميعا صحبتهما فأمر عمر فاقترع فوقعت القرعة على

فصاحت عليهم الفلكية القاهر في الطالع يعنون المريخ فانه يسمى عندهم القاهر فقال اعلموا أن هذه المدينة أكثر من علكها الا تراك وكان الامر كذلك وبنى الجامع الازهر ثم لما دخل المعز مصر لم يجبه ما بناه جوهر القائد وعابه وقال لاى شئ لم تجعلها على البحر وكان قد سماها المنصورية أولا ثم لما بلغه ما وقع للفلكية غير الاسم وسماها القاهرة المعزية ولما استقر للمعز ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية وقال أنا أفضل منهم لاني من ولد فاطمة

احداهما فامسكها واطلق سبيل الثانية ثم اقبل عليه عمر وقال له اسمع ياذا الرجل ودع ما أقول لك انه من دخل فى ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك أن تفارق الاسلام واياك يبلغنى انك قد أصبت أخت امرأتك التى فارقتها فانك ان فعلت ذلك رجمتك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار عمر حتى مر على حى من بنى مرة فاذا بقوم منهم قد أقاموا فى الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقيل عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون قال يقولون ما نجد ما نؤدى فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس فى الدنيا يعذبكم الله يوم القيامة ثم خلى سبيلهم ثم سار حتى اذا كان بوادى القرى أخبروه أن شيخا على الماء وله صديق يورده فقال له صديقه هل لك أن نجعل لى فى رزحتك نصيبا وأكفيك رعيك ابلك والقيام عليها ولى فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت ذلك ورضى فلما أخبر عمر بذلك أمر بهما فأحضرا فقال ويلكما مادينكما قالا الاسلام قال عمر فما الذى بلغنى عنكما قالا وما هو فأخبرهما عمر بما سمعه من العرب فقال عمر الشيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فقال عمر أما علمتما أن ذلك حرام فى دين الاسلام قالا لا والله ما علمنا ذلك فقال للشيخ ومادعاك أن صنعت هذا القبيح قال أنا شيخ كبير ولم يكن لى أحد أثق به ولا أتكل عليه فقلت ياهذا أتكفينى الرحى والسقى وتعينى على دوابى وأنا أجعل لك نصيبا فى امرأتى والآن علمت انه حرام فلا أفعله فقال عمر خذ بيد امرأتك فلا سبيل لى عليها ثم قال للشاب اياك أن تقرب منها فانه ان بلغنى ذلك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر بريد بيت المقدس حتى دنا من أول الشام وأشرف عليه قال أسلم ابن برقان مولى عمر فلما أشرفنا على الشام وأشرف عليه المسلمون نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير أسرع وانظر ما هذه الخيل فاسرع الزبير اليها فلما قرب منها واذا هى خيل من اليمن قد بعث بهم أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضى الله تعالى عنه قال الزبير يسلموا علىّ وقالوا بافتى من أين أقبلت فقلت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف خلفت أهلها قلت بخير قالوا فما فعل عمر هل قدم علينا أم لا قال الزبير من أنتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا أبو عبيدة لنأخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه قال أصبت يا أبا عبد الله فاقبل علينا تبع آخرفسلموا علينا وسألونا عن عمر فقال لهم ما أنا عمر فما تريدون قالوا يا أمير المؤمنين قد نفرت العيون وطالت الاعناق بطول قدومك فاعجل الله أن يفتح بيت المقدس على يدك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم رجعوا على أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين وأبى عبيدة وناداوا بأصواتهم أبشروا يا مسلمين بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا أن يركبوا للاستقبال باجمعهم فنال لهم أبو عبيدة عزيمة على كل رجل أن لا يخرج من مركزه ثم سار أبو عبيدة فى اناس من المهاجرين والانصار حتى أشرف بن سمه على عمر قال ونظر عمر الى أبى عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصه معطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر فلما نظر أبو عبيدة الى عمر رضى الله عنهما أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره ونزل كلاهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببيت المقدس فلما نزلا صلى عمر رضى الله تعالى عنه بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة فقال فى خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوى الشديد الفعال لما يريد ثم قال ان الله تعالى قد أكرمنا بالاسلام وهدانا به وحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ثم قرأ من يهد الله فهو المهتدو من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قال فلما تلا عمر ذلك قام قس من النصارى كان حاضرا بين يديه فقال ان الله لا يضل أحدا فلما كرها قال عمر انظروا ان عاد الى قوله فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فأمسك رمضى عمر فى خطبته فقال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذى يبقى ويفنى كل شئ سواه الذى بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يفنى أعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكورا افهموا ما توعظون به فان الكيس من أجر دينه وان السعيد من اتعظ بغيره الا ان شر الامور مبتدعاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة والزموا القرآن فان فيه الشفاء

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر المؤرخين يكذبونهم فى ذلك ويقولون انهم أولاد الحسين بن محمد ابن أحمد القداح وكان مجوسيا وقيل يهوديا وأمهم فاطمة بنت عبيد اليهود وخلاصتهم باطلة لانهم قاموا والخلافة العباسية قائمة ببغداد ولا تصح البيعة بالخلافة لامامين فى وقت واحد وعبيد الله هو رهم بالمغرب المهدى بالله عبيد الله فى المهدية تولى بالمغرب خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ثم القائم بامر الله محمد تولى بالمغرب أيضا اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر

والثواب أيها الناس انه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم وقال ألزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون أحدكم بامرأة فانهن من حبائل الشيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والصلاة الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس فجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر باهت فقارة يبكي وتارة يهدأ فلم يزل كذلك الى أن حضرت صلاة الظهر فقال الناس يا أمير المؤمنين اسأل بلالا أن يؤذن لنا وكان بلال مقيما ببلد فلما بلغه أن الناس قد نزلوا على بيت المقدس أتى اليهم وشاهد فقالهم وجعل يقاتل معهم فلما بلغه أن عمر قد وصل سار مع أبي عبيدة حتى سلم على عمر فعظم قدره فلما حضرت صلاة الظهر وسأل المسلمون عمر أن يسأل بلالا فقال له يا بلال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون أن تؤذن لهم وتذكرهم أوقات نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال بلال نعم فلما قال الله أكبر خشعت جلود هم واقشعرت أبدانهم قال فلما قال أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا حتى كادت فلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله فلما فرغ بلال من أذانه وجلس قال بلال يا أمير المؤمنين ان أمراء المسلمين وأجناد الشام يأكلون لحوم الطيور والخبز النقي ومالا يلحق ضعفاء الناس ومالا تنالهم أيديهم وأن الكل يفنى وما آله الى التراب ومصيرنا اليه فقال له يزيد بن أبي سفيان ان سعر بلادنا هذه رخيص وانا لا نصيب ما قاله بلال ههنا مثل ما كنا نقوت به أنفسنا مدة من الزمان في الحجاز فقال عمر ان الامر كما ذكرت فكلوا هنيئا مريئا ولست أبرح من مكاني حتى تجمعوا الي من في المنازل وان تكتبوا الى فقراء المسلمين ممن في المدن والقرى فافرض لكل أهل بيت ما يحز بهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون اليه وما لا بد لهم منه ثم قال عمر هذا لكم من أمر انكم غير ما يأتيكم مني من بيت مال المسلمين فان قطعت عنكم أمر ؤكم فأمرونني حتى أعزلهم عنكم ثم أمرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) بلغني ممن أثق به انها كانت مرقعة من صوف فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضا قال ففعل قال الزبير أحسب أنها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه مندیلا من كان ليس جديدا ولا باخلق دفعه اليه أبو عبيدة وقدم اليه برذون أشهب من براذين الروم فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى البرذون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال اقلبوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر ولقد كاد أن يهلكني تو بكم الابيض وبرذونكم المهملج ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس مرقعته (قال الواقدي) كنا يوما نقرأ فتوح الشام وفتوح بيت المقدس عند قبر أبي حنيفة وكان الفتوح يقرأ على عبادة بن عوف الديلمي وكان من أهل الفضل وكان يسجع كلامه فلما وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر لمرقعته قال قد سمح خاطري بما أنا قائله (قال الواقدي) قلت قل ولا تخف الصدق فتهوي في النار وان الصدق أمانة والكذب خيانة قال لما لبس عمر مرقعته وجعل يتمرغ في شمائل فقره والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندها تزينت له الدنيا بلابسها وتراءت له في حلل أمنيتها بواسطة حدثان مشيتها وقد جعلت أشباح شهواتها على قمة راس مرآتها وأقبلت رافلة في حلة مراودته معلقة عند الطمع في طلب زوال مجاهدته معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته في سناء قبلة مرآة تبهرجها في عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته جاعلة وداده اذريعة الى وصلته وعمر قد أمسك عرى طاعته بيد عصمته فلما نصبت له حبائل بلاها ولم تره وقع في اشراك هواها أسمعت في معناها قد شغفها حبا انا نراها وقالت يا عمر قد وليت أرضى فلا بد من القيام بفرضي فالولاية لا تقوم الا بالملابس الحسية والمآكل الشهية والظلم في الرعية فقال عمر اذهبي فلست من رجالك ولا ممن يقع في حبالك ولا في أوحالك أما علمت أني قد تجردت لمعاندتك ولا حاجة لي في مشاهدتك وها أنا على قدم تجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتى أفتح بلاد الروم والعجم ثم أظهر في وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله وجاهدوا في الله حق جهاده (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) فاستحسنت هذا الكلام وألحقت ما قاله في هذا الموضع

ثم المنصور اسمعيل صاحب افريقية تولى بالمغرب فاقام اثنتين وثلاثين سنة وأقام بمصر المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بامر الله بن المهدي صاحب المغرب يوسع له بالمغرب بعد موت أبيه المنصور وكان رافضيا يبغض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنبر الا انه كان عاقلا فاضلا أديبا حاذقا وفيه عدل للرعية وكانت مدته ولايته بمصر أربع سنين وشهرا ويومين (وتولى من بعده ولده العزيز بالله نزار) بويع له بالخلافة بعد موت أبيه المعز سنة خمس وستين

بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبة ليصعد منها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من البرموك فامر عمر أن يحثوا التراب في وجوههم وان تمزق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس فلما نظر اليها قال الله أكبر اللهم افتح لنا فافتحها يسرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذي كان فيه أبو عبيدة وضربت له خيمة من شعر وجلس فيها هناك على التراب ثم قام فصلى أربع ركعات (قال الواقدي) وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم البترك يا ويلكم ماشأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير شئ فاشرفوا عليهم وانظروا ماشأنهم (قال الواقدي) فاشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية فقال يامعاشر العرب أخبرونا ماقصتكم قالوا ان أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا وهذه الضجة من فرح المسلمين به قال فرجع وأعلم البترك فاطرق الى الارض ولم يتكلم فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لأبي عبيدة ياعامر تقدم الى القوم واعلمهم أني قد أتيت قال فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ياأهل هذه البلدة ان صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد وقد تصنعون فيما قلتم قال فاعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسوس والاساقفة معه وقد حمل بين يديه صليب لايخرجونه الا في عيدهم وسار معه البطاليق الوالي عليهم وهو يقول للبترك ياأباناان كنت تعرفه معرفة حقيقة والافلا تفتح له ودعنا وهؤلاء العرب فاما أن نبيدهم واما أن يبيدونا قال البترك أنا أفعل ذلك ثم صعد على السور ووقف البطاليق الى جانبه والصليب أمامهم وأشرف على أبي عبيدة وقال ماتشاء أيها الشيخ الماهي قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى فاخرجوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة وأداء الجزية فقال البترك ياذا الرجل ان كان صاحبك الذي ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدين منا فانا نعرفه بنعته وصفته وأفردوه من بينكم وليقف بازائنا حتى نراه فان كان صاحبنا الذي نعته في الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان وأقررناله بالجزية وان كان غير الذي نجد نعته في الانجيل وصفته فما لكم عندنا غير القتال قال فرجع أبو عبيدة الى عمر وأخبره بما قاله البترك فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين أتخرج اليهم منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة وانا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فينالون منك فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم أمر ببغلته فقدم اليه فاستوى في ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهما وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والبطاليق عليه فتكلم أبو عبيدة وقال ياهؤلاء هذا أمير المؤمنين قد أتى فمسح البترك عينه ونظر اليه وزعق بأعلى صوته هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه لامحالة ثم انه قال لأهل بيت المقدس ياويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله (قال الواقدي) فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر وهم على تلك الحالة تواضع لله وخر ساجدا على بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذ سألتمونا وأقررتم بالجزية قال فرجع القوم الى بلدهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فبات فيه ليلة فلما كان الغد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان أبو الجعيد الذي احتال على الروم بالبرموك ببيت المقدس هو وأهله وماله فقالوا ماترى في غدر هؤلاء العرب اذا هم اشتغلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا ما يحترزون به من الضرب والقتل فقال لهم أبو الجعيد يا قوم لاتفعلوا ولا تغدروا بهم فان فعلتم ذلك أخبرتهم بما تريدون أن تفعلوا بهم فقالوا وما الذي تصنع فقال أبو الجعيد اظهر والله العرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا وما فيها يصبر صاحبها عنها فاطلبوها بغدر فشأنكم وما تريدون قال فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال والمتاع الحسن فاظهروه وصفوه في طريق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك في دخولهم وخروجهم وهم

وثلثمائة وكان جوهر القائد يدير له المالكة كما كان في زمن والده فاقام احدى وعشرين سنة وتوفي في حمام بليبس سنة ست وثمانين وثلثمائة (وتولى بعده الحاكم بامر الله) أبو علي منصور بن العزيز وكان شر الخليقة لم يل مصر بعد فرعون أشر منه رام أن يدعي الالوهية كما ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن يقوموا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا

يحبون منهم ولم يعل أحد منهم اليه ولم يلبسه وهم يقولون الحمد لله الذى أورثنا ديارقوم لم نكن مثل هذا ولو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء قال عوف بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شئ من متاعهم ولا لبسه فقال لهم أبو الجعد هؤلاء القوم الذين وصفهم الله فى التوراة والانجيل وانهم لا يزالون على الحق ولا يقربهم أحد مادام أمرهم على ما هم عليه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام عمر فى بيت المقدس عشرة أيام قال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما صالح أهل بيت المقدس ودخلها أقام فيها عشرة أيام فاقبلت اليه وكنت فى قرية من فلسطين وتقدمت اليه لأسلم عليه وأسلم على يديه وذلك أن أبى كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لى محبا وعلى مشفقا ولم يكتم على شيأ الا أعلمنى اياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعانى اليه وقال لى يا بنى انك تعلم أنى ما ادخرت عنك شيأ مما كنت أعلمه لانى خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين الورقتين فى هذه السكرة التى ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما الى أن تسمع بمخبر نبى يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد فان برد الله بك خيرا فانت تتبعه ثم مات بعد وصيته اياى قال كعب فقدفتنه فما كان شئ أحب الى بعد انقضاء العزاء من النظر فى الورقتين وقراءة ما فيهما ففتحتهما فاذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة ودار هجرته طيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال أنستهم رطبة بالتهليل والتكبير وهم منصورون على كل من عاداهم من أعدائهم أجمعين يغسلون وجوههم ويستررون أوساطهم أناجيلهم فى صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم قال كعب الاحبار فما قرأت ذلك قلت فى نفسى وهل علمنى أبى شيأ أعظم من هذا ثم مكثت بعد وفاة والدى ما شاء الله الى أن بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد أخرى فقلت هو والله لا محالة ولم أزل أبحث عن أمره حتى قيل انه خرج ونزل بيثرب فجعلت أترقب أمره حتى غزا غزوات ونصر على أعدائه فتجهزت أريد المسير اليه فبلغنى انه قبض صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى فقلت فى نفسى لعله ليس الذى كنت أنتظره حتى رأيت فى منامى كان أبواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل يقول قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى عن أهل الارض فرجعت الى دارقومى وحدثنا الخبر انه قد أم أمته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقدم عليه فلم ألبث حتى جاءتنا جنوده الى الشام ثم جاءتنا وفاته ثم قيل انه استخلف عليهم رجل أسمر اسمه عمر فقلت لا أدخل هذا الدين حتى أحققه ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وما صنع الله باعدائهم وقلت انهم أمة النبى الامى فحدثت نفسى بالدخول فى هذا الدين فوالله انى كنت ذات ليلة على سطحى واذا أنا برجل من المسلمين يقول يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله أن لا أصبح حتى يحول وجهى فما كان شئ أحب الى من الصباح أن يرد فلما أصبحت غدوت من منزلى وسألت عن عمر فقيل لى انه بيت المقدس فقصدت اليه واذا به قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فاقبلت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى من أنت فقلت له أنا كعب الاحبار وانى جئت أريد الاسلام والدخول فيه فانى وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فى الكتب المنزلة وان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام انى ما خلقت خلقا أكرم على من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا سماء ولا أرضا وأمته خير الامم ودينه خير الاديان بعثته آخر الزمان أمته مرحومة وهو نبى الرحمة وهو النبى الامى التهامى القرشى الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافرين سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء أصحابه متراحمون متواصلون فقال عمر أحقا ما تقول يا كعب قال أى والله والله يسمع ما أقول ويعلم ما تخفى الصدور فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا واكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التى وسعت كل شئ وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك يا كعب فى الدخول فى ديننا فقال كعب يا أمير المؤمنين فى كتابكم الذى أنزل اليكم فى أمر دينكم ذكر ابراهيم فقال عمر نعم وقرأ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من

كثير التلون فى أقواله وأفعاله وله أحكام مشهورة يعجب اصحاب العقل السليم والطبع المستقيم وقبائح ينكرها العرف والشرع القويم حتى انه تعدى قبحه الى أخته وأراد أن يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر فى النجوم فاتاه عبدان وقتلاه وحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة احدى وأربعمائة فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين باب النصر والفتوح ولما بناه

بعدى كالوانعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم قرأ أفغير دين الله يبغون وله أسلم الآية ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فان يقبل منه الآية ثم قرقل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما الآية ثم قرأ وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل الآية قال كعب فلما سمعت هذه الآيات قلت يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك أن تسير معي الى المدينة فتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك قال وارتحل عمر بعد أن كتب لأهل بيت المقدس كتابا أي عهدا وأقرهم في بلدهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فاقام بها وودون الدواوين وأخذ الخمس الذي لله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فاعطى أبا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وأمره بالمسير الى حلب وأن يقاتلوا أهلها الى أن يفتحها الله على يديه وأعطى أرض فلسطين وأرض المقدس والساحل ليزيد بن أبي سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه وأمر يزيد أن يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه وكان قد أعطى أكثر الأجناد لأبي عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمير بن سعيد الانصاري ثم سار عمر رضي الله عنه يريد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون ان عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص أسعارها ولما يخبرون عنها انها بلاد الانبياء وهي الارض المقدسة وفيها المحشر فبقي الناس ينتظارون نحوه ويخرجون في كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر رضي الله عنه فارتحت المدينة يوم قدومه واستبشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤيته وسلموا عليه ورحبوا به وهنؤه بما فتح الله على يديه فاول ما بدأ المسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم صلى ركعتين وعاد بكعب الاحبار وقال حدث المسلمين بما رأيت في الورقتين فازداد الناس ايمانا

(قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي) حدثنا أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بابي سفيان النحوي قال حدثنا أبو جعفر بن أحمد بن عبيد الناسخ قال حدثني عبد الله بن أسلم الزهري وعبد الله بن يحيى الزرقي عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيدنا من الزيادة والنقصان لان الصدق أمانة والكذب خيانة والله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في خبر هذه الفتوح الا على الصدق وما حدثت حديثه الا على قاعدة الحق لا ثبت فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن أهل السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده لاجرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدي) وذلك انه لما بعث عمر بن الخطاب أبا عبيدة وجعله أمير الشام وأمره بالمسير الى حلب وانطاكية والمفرق وما يليهم من الحصون بعث عمرو بن العاص الى مصر ويزيد بن أبي سفيان الى ساحل الشام فنازلوا قيسارية وهي آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين الى أن نزل يزيد وقسطنطين هذا ابن الملك هرقل وكان معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية فلما نظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبي سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية وأنفذ له المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد ابن أبي سفيان العامل على بعض الشام الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انى نازلت أهل قيسارية وهي مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس اليها سبيل وان قسطنطين قد استنجد بابيه وقد أنجده بصاحب مرعش وعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد وأريد أنجده والسلام وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النخعي فلما ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر بن الخطاب قال عمر من أين هذا الكتاب قال من عامل يزيد بن أبي سفيان فقرأه فلما أتى على آخره تفكر في أمر يزيد وما وقع له حتى دخل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاراه كتاب يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة فقال علي لا تغتم على المسلمين فان الله يفتحها على يديك رغما فانجد يزيد وأنفذ اليه الكتاب

قصد قطع الخطبة بالجامع الأزهر فقد ذر الله انه ماخطب به الا ولده من بعده ﴿وتولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله أبو الحسن علي بن الحاكم﴾ وهو الرابع من الخلفاء العبيدية الفاطمية وكان عمره ست عشرة سنة فاقام مثلها وسبعة أشهر وفعل أفعالا تقرب من أفعال والده ومات يوم الاحد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ﴿وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر﴾ فاقام ستين سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا

﴿ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان مع أبى عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف (قال الواقدى) فلما وصل كتاب عمر الى أبى عبيدة أنفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حرب بن عدى وبقى أبو عبيدة فى سبعة عشر ألفا وأكثرهم من اليمن وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم على خمسة عشر ألف مثقال من الذهب ومثلها من فضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق من التين والزيت فلما تم الصلح وجاؤا بما ضمنوه من مدينتهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشروط ودخل أبو عبيدة وخالد فى رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فخطوا بها مسجدا فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لأب وأم وكانا يسكنان فى القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطريقان يقال لأحدهما يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الى حدود الضرب والى حدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغيته الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه بل كل ذلك لبقاء ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد لئلا يجيش عليه أحد جيشا ولا ينازعه فى ملكه لكثرة شره وتدبيره وشدة بنى عمه فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها ومكن فى البلاد فلما هلك آل الامر بعده لولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للاموال مقداما للحروب لا يصطلى له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا قد نزع يده من الرياسة وترهب وكان أعلم الناس فى أهل زمانه وانه لما بلغهم الخبر ان أبا عبيدة قد قصد اليهم قال لأخيه يوقنا على ماذا عوّلت قال على قتال العرب ولا أدعهم يقربون من أرضنا وبلادنا حتى يرى العرب انى لست كمن لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرهما وكان يوحنا قد درس الانجيل وقرأ المزامير وليس له همة الا عمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشماسة والقسوس والرهبان والقيام بأمورهم فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها وان خيلهم تضرب الى الفرات والعواصم والبقاع فاقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا وقال يا أخى أريد أن أختلى بك الليلة وأشاورك وأطلعك على سرى ورأيى وأشرف على سرك ورأيك قال نعم فلما اجتمعا فى الليل فى دار كانت لا يبيت ما فى القلعة وجلس للمشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخى ألا ترى ما نزل بنا من العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل بأهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال وانهم لا يزالون مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوا أهلها فما ترى ان نصنع فى أمر هؤلاء فكأنى بهم وقد أشرفوا علينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فقال يوحنا يا أخى اذ قد استشرتنى فى أمرك فانى أنصحك ولا أغشك اذا قبلت النصيحة وان كنت أصغر منك سنا فانى أعلم منك بصيرة فوحق المسيح والقربان الذى قبلت مشورتى لتعلون أمرك ويسلم لك مالك ونفسك فقال يوقنا يا أخى ما عملتك الا ناصحا فما عندك من الرأى فقال الرأى عندى ان ترسل رسولا الى العرب وتبذل لهم ما شاؤا وتسألهم الصلح وتتفق معهم على معلوم يدفع لهم فى كل عام ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد استوثق منه الغضب وقال قبحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أو قسيسا ولم أقلدك ملكا ولا محاربا ولا مقاتلا والرهبان ليس لهم قلوب لا كلهم العدس والزيت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بلقاء الرجال خبرة واما أنا فلك ابن ملك وليس بينى وبينهم الا الحرب ولا ترى الملوك العجز وبلك كيف نسلم ملكنا العرب ونعطيهم القياد من أنفسنا من غير حرب ولا قتال قال فلما سمع يوحنا ذلك من أخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال له يا أخى وحق المسيح ان أجلك قد اقترب لانك صاحب بنى تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جمعك أكثر من جموع الملك هرقل التى جمعها بالبرموك مع ماهان ويوم أجنادين وهؤلاء القوم قد أبادهم الله علينا فاتق الله ولا تسع فى قتل نفسك فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت وأطلت فى مدح العرب وانى لست كمن لاقوه من هذه الجموع التى ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك اعلم أن كل من ذكرت من أهل المدن وغيرها أسلم بلده عنوة أو صلحا قبل أن يقاتل بلا عذر فى القتال ويبذل الجهود عن نفسه وانما جمعت الاموال من قبل الى الآن لأدفع بها الأذى عن نفسى وانى مجمع على قتال العرب ومحاربتهم

ملك فى الاسلام قبله وحصل فى مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان فى زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعد جواهر وطلبت عوضه مدبرة فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفى المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعده مولته صارة التصرف فى الامور لوزرائهم ولم يبق للفواطم من الخلافة سوى الاسم (وتولى من بعده المستعلى بالله أبو القاسم ولد المستنصر

فان أظفر فى الصليب بهم وأعانى المسيح عليهم طلبت العرب الى أن أدخل خلفهم الحجاز وأسود على سائر الملوك وأرجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل أن ينازعنى وان هزمتنى العرب طلعت الى قلعتى هذه ولزمتها فانى قد عبيت فيها من الزاد والاطعمة ما يكفينى طول دهرى وأكون فيها عزيزا الى أن أموت ولا ألقى يدى الى العرب ولا أبذل أموالى من غير طلب فلا تعارضنى فى شئ من أمر العرب ولا تدعنى الى الصلح والابشت بك قبلهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واحتوى الشيطان على قلب بوقنا وقد سولت له نفسه العمل فلما سمع بوحنا من أخيه بوقنا هذا المقال قال له كلامك على حرام أبدا حتى ترجع الى رأيى وتعود الى قولى ثم قام عنه مغضبا فلما كان من الغد جمع بوقنا اليه جميع من التجأ اليه من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم على نفسه فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون العرب عليهم ويقول انما هم قليل ونحن أكثر منهم لان جموعهم قد تفرقت منها جماعة على قيسارية ومنهم من توجه الى مصر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعزم على قتال أبى عبيدة قبل أن يصل اليه والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس وكله بحفظ بلده وسار بوقنا بمن معه يريد أن يلقى جيش أبى عبيدة والمسلمين هو وقومه فى اثنى عشر ألف مدرع غير من كان معه بغير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيها صليب من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب قال ابن ثعلبة الكندى فاقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد ان فتحها بالصلح وبعد أن أتاه يزيد بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره أن يبعث الى يزيد بن أبى سفيان طائفة من جيشه فبعث له بثلاثة آلاف فارس لابسى السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بنى ضمرة وكان بطلا مجربا بشدة البأس وكان اذا ثبت على وجه الارض للقتال لا يهاب الجحافل قلت أو كثرت فضم اليه ألف فارس وسيره على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيش الانطيقة واختبر أمر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان بوقنا قدم أمامه عيونا يأتونه بالاخبار فاتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب قد أتت تريد بلده وقتاله فقال لهم فى كم أتت العرب قالوا فى ألف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول قال فكمن بوقنا كمينا هناك سارا اليهم بجيوشه وبطارقته فلما أشرف عليهم وهم نزول على نهر يسقون خيلهم ويتوضؤن فيه نماهم كذلك اذ أشرف عليهم بوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب امامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا على متون خيولهم وورد كعب بن ضمرة على فرسه وسبق فى أول الخيل وأشرف على جيش بوقنا فحزره فاذا هو خمسة آلاف فارس وكان بوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين فلما نظر كعب الى بوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا أنصار دين الله انى نظرت عسكر عدوكم وحزرته فهو فوق خمسة آلاف وهم لكم مغنم وينالنا الواحد منكم خمسة قالوا بلى والله أقبل أصحابه يشجع بعضهم بعضا فقربت الفئة من الفئة وصاح بوقنا باصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وأمرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم حملة صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة فطلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا قال مسعود بن علوان العجمى شهدت الخيل التى بعثها أبو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن فى القتال ونحن لا نظن أن لهم كمينا يطلع من ورائنا واذا بأصوات حوافر الخيل أكبت علينا وأيقنا بالهلكة بعد ما كنا موقنين بالغلبة وصرنا فى وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال بوقنا ومن معه قال مسعود بن علوان فلله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا وهبوا أنفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل فى مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا عظيما وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادى يا محمد يا محمد يا نصر الله أنزل معاشر المسلمين اثبتوا فما هى ساعة ويأتى النصر وأنتم الاعلون فاجتمع المسلمون عليه والجراح فيهم فاشية وقتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا من الاعيان منهم عباد بن عاصم النخعى وزفر بن أم راضى وحازم بن شهاب المقرى وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن وغانم بن برد وسهيل بن مفلج وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد

المذكور) فاقام سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة (وتولى من بعده الآمر باحكام الله) أبو على منصور بن المستعلى تولى وعمره خمس سنين فاقام تسعا وعشرين سنة وجمعة أشهر الى أن قتل فى الرضة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان رافضيا خبيثا فاسقا ظالما جبارا منظاهرا بالمنكرات فكانت مدة ولايته تسعا وعشرين سنة وشهرين (وتولى من بعده الحافظ لدين الله عبد المجيد) فاقام تسع عشرة سنة وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فقال اليمامة مع خالد بن الوليد قال مسعود بن عون والله لقد تأسفنا على قتله ووجدنا فيه أربعين ضربة كلها في مقدمه رضي الله عنه ولم نجد واحدة في ظهره وكان الاعيان أربعين رجلا لان الرجل منا ما قتل حتى قتل عددا من المشركين فلما نظروا الى ثبات المسلمين مع قلتهم وما هالهم ممن قتل منهم هم المشركون ان ينهزموا فثبتهم يوقنا وقال ويلكم يا العرب الامثل الذئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ولما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه وشد وسطه بمنطقة ومسح وجه فرسه ومغفره وقبله بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد معه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يوم لك المجد وعاقبته فاثبت للقتال في طاعة الله ولما استوى على متنه وقف أمام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى وهو متفكر في أمره والراية بيده وهو ينتظر من أبي عبيدة جيشا يقبل عليه أو طليعة تجده فلم ير لذلك أثرا وذلك ان أبا عبيدة ما قطعه من المسير اليه الا قدوم أهل حلب عليه وذلك أنه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب والرسمية بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم تعلمون أن هؤلاء العرب قد اطاعهم أهل دين النصرانية والصليب ودخلوا في دينهم ومنهم من رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم فأما الذي قاتلهم فخسر فهل لكم أن تسيروا الى أمير المؤمنين ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما أحب من أموالنا فان ظفر المسلمون بالطريق يوقنا نكن نحن آمنين غير وجلين منهم ونقر عيننا من بأسهم وان صالح يوقنا القوم نكن نحن قد سبقناه الى الصلح وان غلب ورجع سالما لم نبلغه ولم نعلمه واستوى رأيهم على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وساداتهم واطريقا غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا الغوث الغوث وكان العرب قد علمت ان الغوث بالرمية هو الامان وقال لهم الامير فمن سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل لئلا يطالبكم الله يوم القيامة وعمر يرى عمنه فكان العرب يعرفونها فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدي أبي عبيدة فقال خالد يوشك ان هؤلاء يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحونى صالحتهم وهو لا يعلم ما أصابه من الحرب الشديد والقتل العنيد وكان قد وهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان في العسكر رجال قيام في صلاتهم يتلون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الفعال ينصرون علينا فلما سمع الترجمان مقالهم أخبر أبا عبيدة بما قد تناجوا بينهم فقال أبو عبيدة انا قوم قد سبقت لنا العناية من ربنا وانا رجال لا نريد من الله ورسوله بدلا ولان نجزع من قتال الاعداء أحب هم الترجمان بذلك ثم قال لهم من أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح فقال أبو عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته سنين واتخذ الجند واكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقالوا أيها الامير انا صاحبنا قد خرج من عندنا برأي رأيكم وقتالكم قال أبو عبيدة ومتى خرج قالوا خرج سحرا ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه وأنا نرجو أنه هالك لا محالة لانه ركب الدبى ولم يرض بالصلح وقد أطاع هواه فوقع في شرك الردى فلما سمع أبو عبيدة بخروج الطريق خاف على طليعته منه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هلك والله كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم أطرق الى الارض فقالوا لبعض مشايخ أهل حلب كلم لنا الامير في الصلح قال فكلمه فقال أبو عبيدة يخفر لكم عندنا قال نخاف الشيوخ على أنفسهم وقالوا انا قد اجتمع عندنا من القرى والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا في ظلكم أيام عدلكم وان أنتم أبيتم ذلك فر الناس عنكم وطلبوا أقصى البلاد وشاع الخبر عنكم أنكم لا تصالحون فلا يبقى حولكم أحد قال فأعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم واذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيحا باسان عربي فقال أيها الامير اسمع ما ألقيه اليك من العلم الذي أنزل الله في الصحف على الانبياء قال أبو عبيدة قل لنسمع فان كان حقا علمناه وان كان غير حق لا نسمعه ولا نعمل به وكان اسمه دحداح فقال أيها الامير ان الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه يقول أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها في قلوب المؤمنين وانى لا أرحم من لا يرحم من أحسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبني وجدني ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له في رزقه وباركت له في عمره واكثرت له أهله ونصرته على عدوه

(وتولى من بعده ولده الظافر بإعداء الله اسمعيل) فاقام أربع سنين وسبعة أشهر الى أن قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذي عمر جامع الفكهانيين بالشوائين (وتولى من بعده الفائز عيسى بن الظاهر) وعمره خمس سنين فاقام ست سنين ونصفا ومات سنة خمس وخمسين وخمسمائة (وتولى من بعده العاضد عبد الله ابن يوسف الحافظ) فاقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة

ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرني وانا قد اتينا لك ملهوفين خائفين فأقل عثراتنا وآمن روعاتنا واحسن الينا قال فبكى أبو عبيدة من قوله وقرأ أن الله يحب المحسنين ثم قال اللهم صل على محمد وعلى جميع الانبياء فبهذا والله أرسل نبينا أرسله الله الى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ثم أقبل على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم الحمد لله على هدايته ثم قال ان هؤلاء أهل مجر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا أن نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم ومتى كانت المدينة في أيدينا والسوقة معنا فانهم يميرونا بالعلوفة ويعلمونا بما يعزم عليه عدونا ويكونون عونا لنا على عدونا فقال رجل من المسلمين أصلح الله الامير ان مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن أن القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا وما أتى القوم الا ليخدعونا الا ترى الى بطريقهم وقد خرج يبغي قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح منا ولا شك أنهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين فقال أبو عبيدة أحسن ظنك بالله وثق بالله فان الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا فرحم الله من قال خيرا أو صمت واذا أشرط عليهم النصيحة في صلحهم للمسلمين ثم أقبل على القوم وقال انى أريد أن تبذلوا في صلحكم ما بذله أهل قنسرين فقالوا أيها الامير ان قنسرين أقدم من مدينتنا وأكثر جمعا ومدينتنا حالية من السكان لحور صاحبنا لانه قد أخذ أموالنا وغلاتنا وأصعد الكل الى قلعته وما بقي عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا فقال أبو عبيدة فما الذي تريدون أن تبذلوا في صلحكم قالوا نعطي نصف ما أعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على أننا اذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالمير والعلوفة وتبيعون وتشترون في عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونوا تعلمونه من أعدائنا ولا تتركوا جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم منهزما تمنعوه أن يصل الى القلعة فقالوا أيها الامير أما قولك هذا أن نمنع البطريق أن لا يصعد الى القلعة فما نحمد الى ذلك من سبيل ولا نقول لك ما لا نفعله ما لنا به طاقة ولا عن معه من أعوانه وجنوده قال أبو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والأيمان المؤكدة الغليظة أن لا تقولوا هذا القول وان توفوا لنا كل شرط تم عليكم تم حلفهم بالأيمان التي يعرفونها فحلف القوم عن آخرهم وصالحوا عن رجالهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر أهاليهم وانتهوا على ذلك فقال أبو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وأيمانكم فان أصبنا أحدا قد أخلف أو علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل وأخذ ماله وولده حلالا لنا لا بطلبنا الله بذمته ومتى نقضتم ما شرطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا ذمة لكم علينا ولنا عليكم الجزية في العام المقبل قال سعيد بن عامر التنوخي فرضي أهل حلب بما شرطه عليهم أبو عبيدة وأخذوا عهودهم وكتب أسماءهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم فقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى أن تعودوا سالمين الى بلدكم فقال له الدحداح أيها الامير انا نرجع من الطريق الذي جئنا منه ولا نريد أحدا يسير معنا فتركهم أبو عبيدة وبات بقية ليلته وقد أغار على كعب بن ضمرة ومن معه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا فلما أشرفوا على حلب نظر اليهم بعض أعلاج البطريق وهم راجعون فأقبل اليهم وسألهم من أين أقبلتم وما صنعتم فظنوا انه من أهل حلب فأخبروه بصلحهم مع أبي عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم أهل حلب فسألوهم فأخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك وأقبل العلج حتى أشرف على عسكر يوقنا وهو نازل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط بهم وهو يظن انه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح اذ أتى عليه العلج فقال له أيها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك قال له وماذاك يا ويلك قال له ان أهل بلدك قد صالحوا العرب وكأنك بهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الاموال والنسوان فلما سمع يوقنا ما أخبره به العلج خشي على قلعته أن يملكوها في غيبته فانعكس عليه ما كان يؤمل أن يفوز به من الظفر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل من المسلمين نيف عن المائتين وكعب قد أجهد نفسه في الحرب وأيقنوا انهم هالكون لا محالة قال كعب بن ضمرة وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وأنا أثبتهم في الحرب والى الحرب أنهضهم بهمتي وأدفع عنهم بهمتي حتى فاذا اشتد القتال وركبني الحرب التجأت الى أصحابي وأنا مع ذلك أوقع فرجا من الله تعالى وأترقب راية أبي عبيدة أن تطلع فبعد علينا ذلك ولم تزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثاني فاقسم بالله ان كان أحدنا يصلي ولا يحصل

الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة قرنان وخمسة أشهر وقد طهرها الله منهم البلاد وأراح منهم العباد ثم جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسيين وهم أكراد وكان في خدمة زنكي ثم في خدمة نور الدين الشهيد وهو الذي أرسلهم الى مصر فاولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور الدين الشهيد لما أرسله له العاضد الفاطمي يستغيث به على الافرنج الذين حضروا الى مصر وأخذوا مدينة

له زاديا كله ولا ماء يشربه وأنا بين اليأس والرجاء أترقب طريق قنسرين ان تطلع منه علينا راية الاسلام فما أرى لها أثرا فرأيت عند الصباح جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ماهذا الا مدد لحقهم من البلد أو من الملك فالتجأت الى كلمة اشد ائدوهي لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم قال كعب بن ضمرة فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقلت الكلمة حتى رأيت جيش العدو وقد انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين وانى أظن أن صائحا صاح بهم من السماء فبددهم أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا قال كعب فهممت أن أتبعهم فصاح المسلمون الى أين يا كعب أما كفاك ماتحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما فيه من التعب والنصب ونؤدى فرضنا ونريح خيولنا فما رد الله هؤلاء القوم الا بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب ومن معه فشربوا الماء وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا زادهم واستقبلوا الراحة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر كعب على أبى عبيدة فلما صلى الصبح انفتل من صلاته وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا أبا سليمان ان أخاك أبا عبيدة مارقد الليلة غما وانه كان يحب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان نفسى تحدثنى بأن الذين مع كعب بن ضمرة قد قتلوا لما أخبرنى هؤلاء الذين يسألون الصلح ان صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم أر اثرا وأظن انه صادف أصحابنا وقتلهم وأفناهم عن آخرهم فقال خالد والله انى ماغمت مثلك من النهم عليهم فما الذى عزمت ان تصنع قال الرحيل ثم أمر الناس بالرحيل وارتحلوا وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير بعيد حتى أشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام وقد أقاموا لهم من الديدبان من بحر سهم فلما أشرف عليهم خالد والراية فى يده رفعها فوق رأسه فلما رآه الديدبان صاح النفير يا أنصار الدين فثار واعن مضاجعهم كأنهم أسد ثائرة واستووا فى متون خيولهم واستقبلوا صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض هذه والله راية الاسلام والمسلمين فنزل خالد وسلم عليهم واتصلت بهم الساقة وأقبل أبو عبيدة فلما نظر كعب بن ضمرة حمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع القتلى مطروحين وما كان من المسلمين ورأوهم فلما نظروا الى ذلك عادفرحهم ترحا واستر جعوا وقالوا لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وسأل كعبا كيف قتل أصحابك هؤلاء ومن قتلهم فأخبره كعب بقتال يوقنا وانه أشرف هو وقومه ومن كان معه على الهلاك حتى لم يبق فيهم حركة وغنما لليلتنا هذه فلما أصبحنا وأذاهم قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال فقال أبو عبيدة فسبحان مسبب الاسباب ليت أبا عبيدة قتل أمامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم أمر بدفن المسلمين بعد ماجمعهم زمرا زمرا وصلى عليهم ودفنوهم بأسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور يتلألأ عليهم ولهم الجنة فلما واروهم فى حفرهم قال خالد ان كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم وعلم بصلحهم لنا فيلقون منه نعما عظيما فالحق بهم فقد وجب علينا أن نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا وارتحل أبو عبيدة يريد حلب فلما وصل النهار أى البطريق وجنوده قد أحدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتلهم ويقال لهم يا ويلكم صالحتم العرب عن أنفسكم وصرتم عونا لهم علينا قالوا قد فعلنا ذلك وانهم قوم منصورون فقال ويلكم المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح لاقتلنكم عن آخركم أو تخرجون معى الى قتالهم وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق فأخبرونى بمن بدأ بهذا الامر حتى أبدأ به قال فلم يطيعوه على ذلك فقال لعبيده ادخلوا عليهم وائتونى بهم لأقتلهم فقد أخبرنى فلان انه لقيهم وعرفنى بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وأبواب منازلهم فسمع أخوه يوحنا الضجة فى البلد وهم فى القلعة فنظر الى أخيه وهو يقتل فى الناس وقد قتل من أهل البلد ثلثمائة فصاح بهم وبأخيه على رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا أن نقتل عدونا فكيف بمن هو على ديننا فقال يوقنا لأخيه انهم صالحوا العرب عن البلد وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا وحق المسيح لا أبقت عليك العرب أبدا وان لهم من يقتص منك قال ومن يقتص منى قال المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب فقال يوقنا أنت حملتهم على ذلك وأنت أول من أبطش به ثم حمد الى أخيه وقبض عليه وجر دسيفه ليعلوبه فلما نظر يوحنا الى أخيه وقد جرد سيفه وعلم انه هالك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اشهد على أنى مسلم وانى مخالف لدين هؤلاء القوم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال لاخيه اصنع ما أنت صانع فان كنت قاتلى فانى صابر

بلبيس وقتلوا وأسروا ثم راموا أخذ القاهرة فأمر شاور الوزير بحرق مصر والمقابلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام مرب الافرنج لما سمعوا بوصوله وقتل الوزير شاور لانه كان الذى أطمع الافرنج فى المسلمين وأقام العاضد مقامه وزيرا ومات فأقام مقامه فى الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام وأجلى الافرنج من أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى أن مات فتولى صلاح

الى جنات النعيم فورد على بوقنا من اسلام أخيه مورد عظيم ومن أهل بلده ومن نزعه من المسلمين فحمله الغيظ على أن يرمي برأس أخيه عن جسده والتفت الى أهل البلد فوجدهم يستغيثون فلا يغاثون ويسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعمت الجلبة وقد أخذ واعليهم البلد من سائر جوانبها وقد أيس أهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج وقد أتى والمعونة وقد أدركتهم وأشرفت عليهم رايات المسلمين وأبطال الموحدين وهم ينادون بكلمة التوحيد ويقدمهم خالد بن الوليد فلما نظر خالد الى أهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لأبي عبيدة أيها الامير هلك والله أهل حلب وذمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحمل الراية وزعق في القوم وقال افرجوا عما شر الاعلاج عن أهل صلحنا ثم أجاد فيهم الطعن وحمل المسلمون معه وبذلوا السيف في الاعلاج فلما نظر بوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته قال محصن بن عنزة ٢ فرج الله عن أهل البلد بقتل الاعلاج يوم حلب في البلد فمن لجأ الى القلعة سلم ومن طلب الهرب قتلناه قال محصن فكان جملة من قتل بوقنا من أهل صلحنا ثلثمائة وقتلنا نحن من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها فلما قتل من قتل وفرج الله عن أهل حلب ما يجدون أخبروا أبا عبيدة كيف قتل بوقنا أخاه يوحنا وبالقصة جميعها (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما سمع بوقنا سيوف المسلمين صعد القلعة هو ومن معه من جنده واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الأسوار وكثر آلة الحصار وأما أهل حلب فانهم أخرجوا العساكر المسلمين أربعين أسيرا من البطارقة فقال لهم أبو عبيدة لا أي سبب أسرتم هؤلاء قالوا لانهم من أصحاب بوقنا هربوا الينا فلم نر أن نخفيهم منك لانهم ايسوا منا ولا معنا في الصلح قال فعرض عليهم الاسلام فاسلم منهم سبعة وأما الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد نصحتم في صلحكم وسترون منا ما يسركم وصار لكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصن في هذه القلعة فهل تعرفون لها عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلناها لكم غنيمة مع ما غنمتم من قومكم حتى نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا أيها الامير والله ما نعرف لها عورة وان بوقنا قد شحن طرقاتها وقطع مسالكها وعرجفاجها وهذا ما نعلمه ولولا أنه قتل يوحنا لكان أخذها سهلا علكم فقال أبو عبيدة وما جرى له فاخبره بخبره وحديثه مع أخيه وانه أسلم بعد ما رفع يديه الى السماء وما ندري ما قال غير أنا سمعنا طرف كلامه وهو يقول اللهم اني أشهد أن لا اله الا أنت وان عيسى عبدك ورسولك ومحمدا عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجملته سيد المرسلين ولادين أعلى من دينه فاصنع ما أنت صانع فلما أسلم قتله قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال في أي موضع قتله ثم وثب وأخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين وأتوا الى موضع قتله وهو رأس سوق الساعة فوجده ماقي على ظهره وهو كما أنه البدر ليلة تمامه فاشيرا باصبعه الى السماء وقد مات وأصبعه قائمة فاخذه أبو عبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه في مقام ابراهيم فلما رأوه أتى الى أبي عبيدة رجل من المسلمين فقال أصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من خزينا نحصواد لونا على عورات قومهم فقال لا والله ما يفعلون ذلك أبدا فعندها أقبل أبو عبيدة على المسلمين وقال أشيروا علي رحمكم الله فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمرو الغساني وكان رجلا بصيرا بالشام وجباله ومدنه وجميع أرضه وعمارها بطريق الشام أصلح الله الامير انظر الى ما أعرفه من البلد وما عندي من الرأي قال أبو عبيدة تكلم يا ابن عمرو فانت عندنا ناصح للمسلمين فقال ان الله قد فتح على يديك الشام سهله وجبله وحزنه ووعره وقتل طاغية الكفر وحاميته وأما بقايا عساكرهم فهي من وراء الدروب وهي جبال وعرة ومضايق والقوم قد رعبت قلوبهم مما أباد الله منهم وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه القلعة وبث الخيل وشن الغارات في بقايا البلاد وشاطئ الفرات فانهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الغساني وقال هذا هو الرأي وأنا أشير عليكم بمشورة أخرى أن نزحف نحو القلعة فلعل الله أن يفتحها في وقتنا هذا فاني أخشى ان طال بنا المقام أن تعطف علينا جيوش الروم من جهة أخرى فيحول بينها وبيننا قال أبو عبيدة يا أبا سليمان لقد أشرت فاحسنت وقلت فسددت ثم أمر أبو عبيدة بالزحف الى القلعة فترحلت الغرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابهم واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وانبثت العشائر وتجاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب قال مسروق بن مالك فوالله ما رأيت في قتال حصون الشام يوما كان أعظم من ذلك اليوم لاننا كنا نشبه دوران الحرب دوران الرحى تهشم ما دارت عليه وقد برزنا اليهم في أول حربهم وتبادرت أبطال اليمن

الدين السلطانية واستولى على قصر الفواطم بخزائنه فوجد فيه من الاموال مالا يحصى وشرع في نصرة أهل السنة وتوهين أهل البدعة والانتقام من الروافض وكانوا أكثر من في أرض مصر يومئذ وعزل قضاة مصر كلهم لانهم كانوا شيعة وقطع الأذان بحي على خير العمل أول جمعة في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ثم تحركت همته لغزو الافرنج فكنه الله تعالى منهم ويسر له فتح بلاد الشام كلها وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه

وسادات ربيعة ومضر يقلو بعضهم بعضا وجعلوا يطلمون القلعة من حيث لا طريق عليها فاذا ثوا منها أخذتهم الحجارة من كل جانب و رموهم بالمجانيق والعرادات وكنت أنا وأصحابي أقرب الناس الى الارض ففزعنا راجعين على أعقابنا يدفع بعضنا بعضا لا نظن أن ينجو منا أحد فوقعت الخذلة في المسلمين وقد شدخت منا الحجارة خلقا كثيرا فقتلت بعضنا و بعضنا رمته فكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب بالحجارة عامر بن الاصلع الربعي ومالك بن خزعل الربعي وحسان بن حنظلة ومروان بن عبد الله وسليمان بن فارغ العامري وعطاف بن سالم الكلابي وسراقة بن مسلم بن عوف العدوي ورجال من أهل اليمن من آل عامر ومن بني كلاب وغيرهم وسمعته من بني عبد الله قال مرزوق بن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرا عرجا من يوم حصار قلعة حلب فعند ها نصب أبو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادي بالمسلمين فاجتمعوا اليه فقال أيها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فاد فنوا الشهداء وشدوا كل من أصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم بوقنا ان العرب لا تدفنون القلعة بعد هذا اليوم أبدا وان حاصرونا فلا كيدتهم ولا هبطن الى عسكرهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) واقد حدثني عبد الله بن سليمان الدينوري وكان ممن نقل أخبار الشام وفتوحه عن ثقات المسلمين قال حدثني عمر وان بوقنا انتخب ألفين من خيار بطارقته وأبطاله وقال لهم انزلوا مسرعين وليحذر بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وأمر عليهم وزيره فنزلوا اليلا من القلعة وجعلوا يدورون حول العسكر الى أن أتوا الى مكان وقد خمدت نيرانهم وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبني كلاب وعبيدهم قال عبد الله ابن صفوان الكلبي كنا تلك الليلة غادين من عدونا آمنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا وجماعة الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد أعلموا التبهرج بزيهم فلا نعلم ما يقولون و وضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهو لا يعلم من هي ولا كيف يتخلص وقد وقعت الخذلة في أبطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون النفير النفير هيناورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة أبي عبيدة وينادون أيها الأمير كبسنا بوقنا فعند ها ركب الامير في بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته فصاح بأصحابه من كان أخذ شيأ فليتركه و يطلب نجاة نفسه وضرب فرسه قال عبد الله ابن صفوان أخذ وا من رجالنا نحو خمسين رجلا من أخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر ومضوا يجمع بعضهم بعضا و يطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل في أصحابه واقتطع من الروم زهاء من مائة رجل و وضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل أصحاب بوقنا الى القلعة فتح لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس دعا بوقنا بالمسلمين الخمسين رجلا وهم موثقون بالحبال فقربهم الى موضع ينظرهم المسلمون و يسمعون أصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادي في عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن الامير أبي عبيدة على كل رجل لا يكل حرسه الى غيره ولكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكلم بعضكم مع بعض قال فأخذ القوم حذرهم وأعدوا حرسهم وأقبل بوقنا يدبر أمره في مكيدة أخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك حواسيسه تأتيه بالاخبار في الليل والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان الرومية قال فبينما بوقنا ذات يوم جالس في قلعته والبطارقة من حوله وقد أضر بهم الحصار وأشدما كان عليهم من أهل المدينة لانهم لا ينظرون الى رجل من أصحابه يعرفونه الا أخذوه وساموه العسف واذا بجاسوس قد أقبل وهو من عيونه فقال له أيها السيد ان أردت أن تكيد العرب فهذا وقتك فقال له بوقنا وكيف ذلك وما الذي عندك من الخبر قال ان العلاقة منهم قد خرجوا الى وادي بطنان وقد صاحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رأيت منهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم القمصان الحلقة وبايديهم الرماح المسمعة وهم يقصدون القرى في طلب الميرة وهم قليلون وليس هم في كثرة فلما سمع بوقنا ذلك من جاسوسه اختار ألفا من أصحابه وقال لهم اصلحوا شأنكم وحق المسيح لا ضيقن على العرب مسالكهم ولا قطعن عليهم طرقاتهم فلما أقبل الليل فتح لهم الباب وسار الجاسوس أمامهم حتى استقاموا على الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع ومعه سرح من البقر يريد بها بلدا وقد خرج بها من بلد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه أسرعوا نحوه وقالوا أحسست بأحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند الغروب قد اصفرت وهم نحو

وعلى الخليل احدى وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان يقدمهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم افتتح الحجاز واليمن وتسلم دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب و برقة وتونس وخطب بها لبني العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن

مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال وحمير يريدون الميرة من هذا الوادى من الذين هم فى صلحهم واسنا فخاف منهم فقال له المقدم عليهم الآن قد أقبلت علينا من صلح أهل هذا الوادى ما لم يكن عندنا منه خبر فجئ المسيح أخبرنا بأى طريق ذهبت العرب فقال من ههنا وأومأ بيده الى الشرق فسار البطريق بمن معه ولم يعرفوا ان صاحب البقر منهم حتى اذا قرب الصبح أشرفوا على خيل المسلمين وكان الامير عليها يقال له مناوش فلما نظر مناوش الى خيل الروم قد أقبلت أقبل على أصحابه وقال يا بنى العرب هذا بطريق من بطارقة الروم قد أقبل الينا فاقدموا نكم اياه والجهاد والصبر على الشدة تنالوا الجنة ثم حمل وحمل معه أصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقتل مناوش بن الضحاك والعطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرة فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من طئ وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الابل والبغال وعادا لمسلمون منهزمين فعند ذلك أقبل البطريق على أصحابه وقال ارموا الاحمال عن هذه الدواب واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها الثامنة واطلبوا الجبل واختفوا عن أعين العرب والا فى هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب كالرياح تهزمكم فاكمنوا حتى اذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال وساقوا الدواب والتجؤا فى الجبل الى قرية فاقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة وأقاموا لهم ديدبانا قال عوف بن صباح الطائى كنت فى الخيل لما قتل عمى مناوش ونحن فى قلة وقد دهمتنا الخيل فلما نظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا أخذنا على أنفسنا وأتينا المسلمين فبادر الينا أبو عبيدة وقال لنا ماوراءكم قلنا الحرب والطعان قتل منا مناوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا وأخذ ما كان معنا من الزاد والدواب فقال أبو عبيدة وما الذى دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا لا علم لنا غير أنا رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو فى عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا من أين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فأصيب أميرنا وقتل رجالنا وأخذ ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد بن الوليد اليه وقال يا أبا سليمان أنت لها والمعد لمثلها وأنا واثق بالله ثم بك مع انى أستخير الله فى جميع أمورى سر على بركة الله تعالى وخذ معك من المسلمين من أردت لعلك أن تقف على القوم وتعاين موضع أثر الوقعة وتتبع آثارهم عسى الله أن يوقعنا بهم واطلبهم أينما كانوا وحيث سارو العلك تأخذ بثار المسلمين واعلم اننا صالحنا أهل الوادى وانا لا ننقض عهدنا ولا نحول عن قولنا الا أن يكون القوم قد مكروا بنا فجد الى قتالهم سبيلا فاتقى الله فيهم سر يرحمك الله قال فاسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة الى أين يا أبا سليمان قال له أسارع الى ما أمرتنى به فقال له خذ معك من أردت معك من المسلمين فقال خالد أنا أمضى وحدى وما أريد أحدا فقال له أبو عبيدة كيف تمضى وحدك وعدوك فى عدد كثير قال خالد لو كانوا فى ألف أو ألفين أقاهم بعونه الله تعالى فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فاخذ ضرارا وأومأ اليه وسار حتى أتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم أهل الوادى وهم يبكون خوفا من المسلمين على أنفسهم وذراريهم وان العرب تطالبهم بهم فلما طلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار تصارخ القوم فى وجهه والقوا أنفسهم بين يديه فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا أصحابنا فقالوا انا نحن بريئون من دماء أصحابكم ونحن فى صلحكم فاستحلفهم خالد انهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذى أوقع بأصحابى فقال بطريق بعثه يوقنا من القلعة ومعه ألف فارس من أشد قومه وان له فى عسكركم عيونا يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة فقال لهم وفى أى طريق قصدوا قالوا فى هذا الطريق فقال خالد أو ما حلفتم أن ما عندكم علم بهم قالوا هذا الذى يخبرك من أهل حلب قد أتى يشترى طعاما ولولا أنك أقبلت فى هذه الساعة ما كنا عرفنا من قتلهم فقال له خالد أعلى هذا الطريق أخذوا فقال له الرجل نعم ورأيتهم يطلبون الجبل فقال خالد لاصحابه ان القوم علموا انهم لا بد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد عدلوا عن طريقنا حتى اذا هجم عليهم الليل رجعوا الى قلعتهم فعولوا على المسير فى طلبهم ثم انهم ارخوا الاعنة وخالد بقدمهم وقد أخذ معه رجالا من المعاهدين يقفون بهم أثر الطريق والقوم فلما حصلوا على الطريق قال خالد لواحد من المعاهدين أهم طريق الى قلعتهم غير هذا قال نعم ولكن كن معنا فانك تفوز بهم ان شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه فى الوادى وهم يرقبون الطريق فلما مضى من الليل الاقليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والطريق أمامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير فلما توسطوهم

والمغرب ولم يل مصر بعد الصحابة مثله وكانت محاسنه منزهة عن اللغو والهزل كثير الذكر محافظا على الصلوات فى الجماعة وما وجبت عليه زكاة لان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفى بالاسكندرية وهذا لم يعهد لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطا من مالك

صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو واصحابه فما كان قصد خالد غير البطريق وظن انه بوقنا فضربه بضربة رماه نصفين وقد وضعوا السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم فى الحرب فلم ينج منهم الا من أطال الله أجله وحازوا جميع ما معهم واتوا برأس البطريق الى أبى عبيدة على رأس رمح فوجدوه متلهفا على قومهم فلما أشرف خالد بن معه من الاسارى والاسلاب والدواب هللوا وكبروا فأجابهم العسكر بالتهليل والتكبير قال وأتى خالد ومن معه بالرأس والاسلاب والاسارى فكانوا زيدون ثلثمائة أسير ورؤس القتلى سبعمائة فعرضوا عليهم الاسلام فابوا وقالوا نحن نعطيك الفداء فقال خالد نضرب رقابهم قبال القلعة لنوهن بذلك عدو الله قال فضربت رقابهم قبال القلعة فقال خالد انا كنا نظن انا محاصرون القوم واذا نحن بخلاف ذلك وهم يرقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا وقد قتلوا جماعتنا والدواب والاصواب ان نجعل عليهم حرسا فى كل طريق منا ولا نمكنهم أن يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا قال أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان ما أبصرك بالامور فلما كان من الغد وصلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر جرد عابد بعد الرحمن بن أبى بكر وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق فى نفر فهم حول القلعة ومعهم من اختاروا وأمرهم أن يمسكوا الطريق والمسالك على بوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام القوم على ذلك مدة فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فامر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد عنهم أى عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فينتهزها قال فبعد عن المدينة نزل بقريبة بقرب منها يقال لها النبرب وهو بريد حيلة يصل بها الى بوقنا قال وبوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها فكر أبو عبيدة غاية الفكرة وقال لخالد يا أبا سليمان ان جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا وتوصلها اليه وتخوفه فالى أقسم عليك يا أبا سليمان الا ما جئت فى عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه قال فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا فى عسكرهم وأن يقبضوا على كل من أنكروه قال فبينما خالد فى طوافه اذ نظر الى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عمامة يقلبها فجعل خالد يرقبه فاستراب الرجل منه فناداه وقال من أى الناس أنت يا أخا العرب قال انا رجل من اليمن قال من أيها قال فاراد أن يقول وينتمى الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه فقال أنا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال له يا عدو الله أنت عين علينا لعدونا قال ما أنا متنصر وأنا مسلم فاتى به الى أبى عبيدة وقال أيها الامير قد رابنى أمر هذا الذى مارأيته قط الا وجدت كرانه من غسان ولا شك انه من عماد الصليب فقال أبو عبيدة اختبره يا أبا سليمان قال وكيف اختبره قال اختبره بالقرآن والصلاة فان أجابك والا فهو كافر فقال له خالد فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول فقال له خالد أنت يا عدو الله عين علينا ثم استخبره عن شأنه فاخبره واقر انه عين عليهم فقال له خالد أنت وحدك قال لا ولكنا ثلاثة أنا أحدهم والاثنان قد ذهبا الى القلعة ليخبروا بوقنا بخبركم وأنا قد تخلفت لأنظر ما يكون من أمركم فقال أبو عبيدة أخبرنى أيما أحب اليك القتل أو الاسلام فليس بعد هما شئ فقال الغسانى أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم رجع أبو عبيدة الى حلب ومازالت القلعة محاصرة أربعة أشهر وقيل خمسة أشهر وأبطأ خبر أبى عبيدة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى أبى عبيدة يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله أبى عبيدة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أبا عبيدة أن بانقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقى ويضنى جسدى على اخوانى المسلمين ومالى ليل ولا نهار الا وقلبى عندكم ومعكم فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلى طائر وفكرى حائر وكأنك لا تكتب الى الا بالفتح أو الغنيمة واعلم يا أبا عبيدة انى وان كنت نائيا عنكم فان همتى عندكم وانى داع لكم وقلبى عليكم كقلق الوالدة الشفوقة على ولدها فاذا قرأت كتابى هذا فكن للاسلام والمسلمين عضدا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته و بعث الكتاب الى أبى عبيدة فلما ورد عليه وقرأه عليهم قال معاشر المسلمين اذا كان أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم فى فعلكم فان الله ينصركم على عدوكم ثم كتب جواب الكتاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أبى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله بالشام أبى عبيدة سلام عليك وانى أحمد الله تعالى وأصلى على نبيه و بعد يا أمير المؤمنين فان الله تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد شدنا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا مدينة حلب صلحا وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها بوقنا وقد كادنا مرارا وذكر له ما جرى له مع أخيه يوحنا وأنه قتل منا

بالمدينه وفى زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتى مركب مملوءة بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا الى بلادهم وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهرين وتوفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة بحوران وسنه دمشق وعمره سبع وخمسون سنة وقبره بها ظاهر يزار (ثم تولى من بعده ولده عثمان) واعطيت دمشق لاخيه

رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم انه ذكر له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته الى البلاد التي بين حلب وانطاكية وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وبعث الكتاب مع عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فسارا الى أن أخذا في طريق هيشة العتيقة وجدا في السير حتى قطعا أرض الجفار الى صكاصكة وهي حصن العرب قريبة من تيما فلما وصلا اليها عارضهما فارس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة تلمع وهو معتقل برمح كأنه قد برز الى عدوه أو قاصد الى قتال فلما نظر اليهما قصدهما فقال عبد الله بن قرط لجعدة بن جبير يا ويلك أما ترى هذا الفارس وقد عارضنا في مثل هذا المكان على مثل هذه الحالة فقال له جعدة وما عسى أن تخوّف من فرسان العرب ورجالها وليس في هذا الموضع من رفع عمودا أو ضرب رتدا الا وأصبح معنا ودخل تحت طاعتنا وفي شريعتنا فلما قرب الفارس منا سلم علينا وقال من أين أقبلتما والى أين قاصدان فقالا له نحن رسولان من الأمير أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فمن أنت أيها الرجل قال أنا هلال بن بدر الطائي فقالا له ما الذي عليك آلة الحرب قال اني خرجت في طوائف من قومي وجماعة من أصحابي نريد الشام للجهاد فكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما رأيتكما في بطن الوادي قصدتكما لأنظر ما قصتكما ولي أصحاب من ورائي مقبلون ثم سلم عليهما وولى فركضا طليحتهما وسارا واذا بالخيل قد أشرفت والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر ارسالا يتبع بعضها بعضا الى ان لحقوه فأخبرهم بقصة صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وسار وا يريدون الشام وأما عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا المسجد وسلما على عمر ابن الخطاب وعلى المسلمين ودفعا له الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع كفيه الى السماء وقال اللهم اكفف الناس شر كل ذي شر ثم أمر مناديا فنادى في الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبي عبيدة فلما قرأه قدم عليه ركب من حضرموت وأقاصي اليمن من همدان ومدان وسبا ومأرب يسألونه ان ينفذهم الى الشام فقال لهم عمر في كم أنتم يارك الله فيكم قالوا نحن زهاء من أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين ومعنا أناس يمشون على أقدامهم لا ركاب لهم فان كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى نسير الى العدو فقال لهم عمر وكم يبلغ الرجال الذين معكم قالوا أربعين ومائة رجل فقال لهم عرب أو موال قالوا عرب وموال أذن لهم سادا تهم في الجهاد والمسير الى الاعداء فعند هذا دعا عمر بعبد الله ابنه رضي الله تعالى عنهما وقال امض الى مال الصدقات فائت القوم بسبعين راحلة ليعتقبوا عليها و يحملوا زادهم وميرتهم على ظهورها فأسرع عبد الله بن عمر وأتى بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا الى حرب عدوكم ثم كتب الى أبي عبيدة أما بعد فقد وردني كتابك مع رسلك فسرني ما سمعت من الفتح والنصر على أعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ما ذكرته من انصرافك الى البلاد التي بين حلب وانطاكية وتترك القلعة ومن فيها فهذا رأي غير صواب تترك رجلا قد دنوت من ديارهم وملكت مدينتهم ترحل فيبلغ الى جميع النواحي أنك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك ويطمع فيك ويطمع من بطمع و يجترئ عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه الجواسيس وتكاتب ملوكها في أمرك فاياك ان تبرح عن مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم اليك ان شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين و يث الخيل في السهل والوعر والضيق والسعة وأكناف الجبال والأودية وشن الغارات في حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالمك فسالمه والله خليفتي عليك وعلى المسلمين وقد أنفذت كتابي اليك ومعه عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى و رغب في الجهاد في سبيل الله تعالى وهم عرب وموال فرسان و رجال والمدد يأتيك متواترا ان شاء الله تعالى والسلام وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجعدة وجعل القوم يحدون في سيرهم ومع ذلك يسألون عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد وقتل الروم الى ان سألوهما عن مستقر العسكر فقال لهم عبد الله ان جميع المسلمين وأميرهم محاصرون بقلعة حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه أعلاج من أصحابه وقد تحصنوا في رأس قلعته فقالوا له يا ابن قرط ما هؤلاء لا بد خلون في جملة من صالح من أصحابهم فقال لهم يا معاشر العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك رجالا أشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل أبطالا وانه ليغير على أطراف العسكر في وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب أموالهم و يرجع

الى

الملك الافضل على وحلب لأخيه غياث الدين غازي فاقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر ومات سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بداره في القاهرة ثم نقل لتربة الامام الشافعي قبل بناء القبة (ثم تولى من بعده الملك المنصور محمد ابن عثمان) وهو الثالث من ملوك بني أيوب فاقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره فامه ولي وعمره تسع سنين ثم وضع في السجن بقلعة الجبل حتى مات (وتولى من

الى قلعته وربما أنه يستعرق سواد الليل فى طلب العلاقة فيقع بهم فيأمر بهم ويأخذ دوابهم وجميع زادهم وميرتهم ثم يعود الى قلعته ونحن لا نعلم به وان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون قال وكان فيمن سمع كلامه وفهمه مولى من موالى بنى طريف من ملوك كندة يقال له دامس ويكنى بأبى الاهوال مشهور باسمه وكنيته وكان أسود كثير السواد بهاصا كأنه النخلة السحوق اذا ركب الفرس العالى من الخيل تخط رجلاه بالأرض وان ركب البعير العالى تقارب ركبتاه رجلى البعير وكان فارسا شجاعا قويا بأفا شاع ذكره ونما أمره وعلا قدره فى بلاد كندة وأردية حضرموت وحمال مهرة وأرض الشحر وقد أخاف البادية ونهب أموال الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاق وكان اذا أدركته العرب فى باديتها تعجبت من صولته وشجاعته وبراعته فلما سمع دامس أبو الهول يذكر يوقنا وما فعل بالمسلمين كاد أن يتزق غيظا وحنقا وقال لعبد الله بن قرط ابشر يا أخا العرب فوالله لأجتهدن فى أن يخذله الله على يدى فلما سمع عبد الله كلامه جعل ينظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك آمالا لا تبلغها وأشياء لا تدركها يا ويلك ألم تعلم أن فرسان المسلمين وأبطال الموحدين بأجمعهم له محاصرون ولأصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر أحد له على شر وقد كادملوكا وقهرها فلما سمع دامس كلام عبد الله بن قرط غضب وقال والله يا عبد الله لولا ما يلزمنى لك من أخوة الاسلام لبدأت بك قبله فاحذران تزدرى بالرجال وان أحببت أن تعرفنى فسل عنى من حضر من أهلى وما قد تقدم من فعلى الذى من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور كم من عساكر قتلتها وجموع فرقتها ومحافل بددتها وغارات شنيتها ولا يضام لى جار ولا يلحقنى عار و بحمد الله أنا فارس كرار غير فرار ثم تركه مغضبا وسار أمام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله بن قرط يا أخا العرب ارفق بنفسك فانك والله لتخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الأبطال ان كان فى حرب كان فى أولها لا بد ركه من طلب ولا يفوته من هرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم وأطنبتم فى ذكركم وأرجو أن يجعل الله فيه خيرا وفرجا للمسلمين قال ثم أخذ القوم فى جد المسير حتى قدموا حلب الى أبى عبيدة وهو منازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد أحاط المسلمون بالقلعة من كل جانب فلما أشرف القوم عليهم أخذوا فى زينتهم وجردوا سيوفهم وأشهروا سلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا بأجمعهم وصلوا على نبيهم فأجابهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا عليه ونزل كل قوم عند بنى عمهم وعشيرتهم ويوقنا مازال فى كل ليلة ينشط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك أنه كان لا يفاتلهم الا قليلا ولا يظهر من القلعة نهارا أبدا وكان أكثر خروجه فى وقت خروج الناس فلما بايت المسلمون القادمون فى تلك الليلة ونظرت طيئ وسنبس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس وعظم حرسهم وحذرهم أقبل دامس أبو الهول على أهله الذين نزل عليهم من طريف وكندة فقال لهم دامس والله ما أنتم محاصرون لا محالة فقالوا له وكيف ذلك قال لان العدو فى رأس قلعة وأنتم قدام العدو من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا الخوف قالوا يا أبا الهول ان صاحب هذه القلعة علج ميشوم يرتقب غفلتنا ويغير على أطرافنا ويأتينا من مأمننا فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالصيحة قد وقعت فى طرف عسكر المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس منتضيا حسامه متنكبا جعفته وطلب الناحية التى سمع منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا فى خمسمائة رجل أبطال أنجاد ليوث شداد وقد وجد غرة من القوم فلما نظر دامس الى الروم وقع فى وسطهم وجعل يقول

أنا أبو الهول واسمى دامس * أكر فى جمعهم مداعس ليث هزبر بطل ممارس * مدمر كل عدو ناكس

قال وجعل يضرب فى أعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بنى طريف من شجعانهم وفرسانهم فلما نظر يوقنا ما نزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى رأس درب القلعة وكندة من ورائه فنادا هم أبو عبيدة عزمة منى عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد فى ظلمة هذا الليل فقال الناس يا أبا الهول ان الامير يعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله وتراجع القوم الى رحالهم وقد أبلت كندة بلاء حسنا والناس قد حرجوا فلما أصبح الناس اجتمعوا للصلاة مع أبى عبيدة فلما قضيت الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من أمراء المسلمين فجعلوا يذكرون لبعضهم فقال خالد أصلح الله الامير لقد رأيت كندة وقد أبلت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها ومازالت تضرب حتى أزالت عنا حامية

بعده عم أبيه أبو بكر بن أيوب) سنة ست وتسعين وخمسمائة وهى السنة التى ولد فيها سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه ولقب بالملك العادل ودعى له ولولده الكامل فى الخطبة وفى زمنه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه ثم توفى العادل سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة

الكفر والعدوّ فقال أبو عبيدة صدقت والله يا أبا سليمان والله لقد أسعدت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون أحسن دامس وأجاد أبو الهول فقام الى أبي عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرداس بن يكرب فقال أصلح الله الامير دامس هو أبو الهول وهو مولى ظريف قدم مع هذا الوفد الذي ورد بالأمس وهو رجل يفجر ويهول على الأبطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة فقال أبو عبيدة فلعلك أما تسمع كلام سراقة في عبدهم دامس فقال خالد يوشك أن يكون صادقا في قوله ولقد سمعت بذكره وحدثه وشجاعته وبراعته ولقد أخبرني رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهري ان دامسا هذا أغار وحده وهم على ساحل البحر في سبعين رجلا من أهل مهرة وكان دامس هذا يطأبهم لأجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون منه ومن شره وبأسه فكانوا مع ذلك يفتدون بأموالهم ودوابهم ويهربون الى أطراف الجبال وسواحل البحر حذرا منه وكان مع ذلك يسأل عن أخبارهم ويطلع على آثارهم فلما أصبح عند نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للغزو فتشاغلوا ولم ينفر منهم أحد معه وكان خبيرا بالبلاد سهلها ووعرها وبحرها فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتقه فأتاه أناس من قومه وقالوا له الى أين تريد وما هذا الذي معك فقال يا قوم أنا أريد الغارة على بني الشمر وآخذ الثار وأكشف العار فقال له مشايخ الحي ما رأينا أعجب من أمرك وأنت تعلم أن بني الشمر سبعون فمن يريد أن يغير عليهم وحده ويأخذ منهم بالثار وما سمعنا بهذا أبدا وانا نرى أن تقصد جوادا وكانت جواده هذه أمة لبني حباس من الحضارمة وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها أسفل وكان دامس هذا يهواها وكل ما يأخذ من الاموال والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرتها وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع منها بالكثير فظن القوم أنه مضى اليها وقصد نحوها بحملته التي معه من رزمته فقال لهم وايم الله اني لأظن بطل ما تظنون وسوف تعلمون أن ما أنا عليه الحق واليقين قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرسى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وحقيبته وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته حتى اذا كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الأودية فاربكها وحل رحلها وعقلها ودورها ترعى معه قوله ثم كمن بين حجرين وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدوروا به فلما مضى عليه نهاره وأقبل ليله أتى الى راحلته وأبركها ورحلها واستوى في كورها وسار حتى أشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى أشرف على الحي وكان في ذلك الشرف شجر من الطلح فاربك ناقته وزم شدقها لئلا ترغو فيسمع القوم رغاءها ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب وأتى الى تلك الشجرة فجعل على عوده منها مثل عمامة الرجل ويأتي بالعود ينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ولم يزل حتى أقام أربعين عودا على هذه الصفة وجعل عليه حلة حمراء أرجوانية وهبط من ذلك الشرف الذي عليه الثياب وقصد الحي ودار حول بيوتهم وتفكر في أمره وكيف يحتال وقد مضى أكثر الليل ثم صبر الى أن طلع الفجر وسار نحو الساحل فلما قرب منهم صاح فيهم وقال يا آل ظريف أنا أبو الهول ولقد أصبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر وجعل ينادي يا ثار ظريف يا آل ظريف يا آل كندة فلما وقع صوته في أسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين الى الساحل نحو الجبل طالعين وهو من خلفهم فلما رأوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه لما رأوه وحده ولم يروا أحدا من ورائه وأخذوا في طلبه فجعل يكر عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظر الى شدة بأسه وعظم مراسه وهول صولته وشدة حملته أرادوا أن يسوقوه الى الشرق ليأتوا اليه من ورائه فلما علم انهم قد قاربوا الاعواد التي عليها الثياب خاف ان ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر فسبقهم الى الشرق وسار أمامهم وأقبل على الاعواد يخاطبها كأنه يخاطب الرجال وهو يقول يا أهل كندة يا أهل ظريف اياكم والقوم قد أتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا أفديكم بنفسي فان رأيتم عليّ الحيف فحملوا على القوم فداء القوم أبصارهم اليه فوجدوا عنده الثياب على الاعواد في انشقاق الفجر فلم يشكوا انهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادي الا يا قوم أقسمت عليكم أن لا تبرحوا من أماكنكم وأنا كفيلكم مؤنة القوم وحدي فرجعت بنو مهرة كما كانوا على أعقابهم هذا قد أردف زوجته وهذا أولاده وهذا أمته وهذا أخذ ما قدر عليه من أثاثه ورجع أبو الهول الى الحي فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز فأمر العبيد أن يوقروا الجمال ففعلوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعاد وأخذ الثياب من على الاعواد ولحقهم

وأربعين يوما (وتولى من بعده ولده الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الامام الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية وأقام عشرين سنة وشهرين وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق (وتولى من بعده ولده العادل أبو بكر) وعمره ثمان عشرة سنة فاقام سنة وشهرين وأياما وقيل أكثر ثم خلع وسجن سنة تسع وثلاثين وستمائة وقتل بعد ذلك ودفن عند الامام

وأتى بهم ديار قومه فجمعوا منه ومن قبائله فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد أقبل على سراقة وقال له ادع لى عبدكم حتى أنظر اليه وأسمع كلامه فأتى به سراقة فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال نعم أصلح الله الامير فقال له لقيتنى عندك عجائب وأنت والله أهلها لانك جزل من الرجال واعلم أنك وقومك تقاتلون فى بلاد سهلة لا تأتون الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة أثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يومنا فقال له دامس أصلح الله الامير لقد غزوت مهره وأخذت أموالها وان جبالها لمنيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر وما هذه بما منع من تلك الجبال فقال أبو عبيدة أنا أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك عن أمر هذه القلعة شئ فقال دامس أصلح الله الامير انى لما قدمت عليك فى هذا الوقت كنت رأيت فى نومى رؤيا فقال أبو عبيدة وما الذى رأيت أراك الله الخير قال رأيت كانى سائر فى وطأة من الارض وانى مجد أطلب قومى فبينما أنا فى مسيرى اذ أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فنادينهم ياقوم ما شأنكم وأى شئ عرض لكم فى طريقكم فقال لى القوم ما ترى هذا الجبل كيف قد عرض لنا فى آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع فقلت على رسلكم ألا ترون هذه الفجوة فى هذا الجبل فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفذ ولا مطلع فقلت ولم ذلك قالوا لان فيه ثعبانا عظيما لا يمر به أحد الا وأهلكه وقد قتل رجالا وجندل أبطالا فقلت ياقوم ما شأنكم أراكم الا تهجمون عليه باجمعكم قالوا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من أنفاسه وليس لنا عليه من سبيل فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا من وراء ظهره فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم والتمست لى طريقا فلم أجد الا طريقا صعبا حرجا فاقتحمته فاذا الكتبة الا بعد المشقة وأتيت الى الثعبان من ورائه فقتلته ثم أشرفت على قومى فاتبعونى فما وصلوا الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا رأيت وخيرا يكون يا دامس أما رؤياك هذه فانها للمسلمين بشارة وأعدنا خسارة ثم قال له اجلس مكانك وأمر أبو عبيدة أن ينادى المسلمين فحضر رؤساء المسلمين وأعيانهم فلما حضروا قال أبو عبيدة الله أكبر فتح الله ونصر وحمانا بالظفر وخذل من كفر ثم قال يا معاشر المسلمين اسمعوا رؤيا أخيكم دامس فانها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر قال فاقبلوا يسمعون له فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال الحمد لله وصلى الله على رسوله وسلم ثم يا معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا فى كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الغلبة على أعدائنا والظفر بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده وانى نذرت ان فتح الله هذه القلعة على يدى أصنع من البر ما استطعت والآن قد هجس فى نفسى ووقع فى قلبى اناظا فرون بهذه القلعة ومن فيها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لانه قد دانى على ذلك رؤيا هذا الغلام ثم قبض بكفه على زند أبى الهول وقال له رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت فى منامك فقام دامس قائما وقال اعلموا انى رأيت فى منامى كذا وكذا وجعل يقص على الناس رؤياه من أولها الى آخرها فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبى عبيدة وقالوا له أيها الامير قد سمعنا قوله وحفظنا شرحه فما تأويل رؤياه قال أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أما الجبل الذى رآه عاليا شامخا شديد الامتناع بين الشعاب والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وأما الثعبان الذى رآه وقد منع الناس وقد هجم عليه بسيفه فامر حسن هو أن يفرج الله على يديه عن المسلمين ففرح الناس بتأويل أبى عبيدة وقالوا أيها الامير فما الذى تأمرنا به فقال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة على الاعداء طوعا وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله وأصلح شأنكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فانى أقدمكم غدا قبل غد الى أعاديكم الى أن يحدث لى رأى غير هذا فانى لست أدع الاجتهاد فى الرأى والمشاورة لمن أثق به وبرأيه من المسلمين فقالوا بأجمعهم وفق الله رأيك أيها الامير وظفرك بأعدائك انه سميع عليم فعال لما يريد ومضوا الى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح آلة حربه وفرسه وهذا يتفقد درعه وهذا قوسه ونشابه وما زالوا كذلك بقية يومهم فلما أصبحوا دعا أبو عبيدة بدامس فقال له أيها الولد المبارك ماذا ترى فى أمر هذه القلعة وما عندك من الحيلة فقال دامس اعلم أيها الامير انها قلعة منيعة شامخة حصينة تعجز الوافد وتمنع القاصد فى أهلها محاصرة ولا تضييق صدورهم من قتال غيرانى أفكر فى حيلة أحتالها أو بلية أعملها وارجو من الله أن يتم ذلك عليهم فيكون ما فيه تبديدهم وغلبك بمشيئة الله ديارهم ونقلع آثارهم فقال أبو عبيدة يا دامس وما هى فقال أصلح الله الامير انت تعلم ما فى اذاعة الاسرار من الشر والاضرار ومن كتم سره كانت الخيرة فيما

الشافعى (وتولى من بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل) فاقام عشر سنين الا أربعة أشهر وبنى المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة الروضة واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وهو الذى أكثر من شراء الترك وعبقهم وتأميرهم وفى أيامه فى سنة سبع وأربعين هجمت الافرنج على دمياط فهرب من كان فيها وملكوها والملك الصالح مقيم بالمنصورة

لديه ويقال ان دامس هذا اول من تكلم بهذه الكلمة فصارت مثلا فقال أبو عبيدة فما الذى تشير اليه وما الذى تعتمد عليه قال نزحف بعسكرك وحملة من معك من أصحابك حتى تنزلوا بأزاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعلم ان فى ذلك من الحيل ما أرجو من الله أن يقيه ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فامر أبو عبيدة عسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا وأظهروا سلاحهم وأرهبوا أعداء الله تعالى قال فاشرف عليهم الروم ونظروا الى جمعهم فملأ بوهم والقى الله الرعب فى قلوبهم حتى انهم اضطربوا فى قلعتهم وماجوا وجعل كبراؤهم يتشيرون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل نقعد فى قلعتنا فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الأبراج والبنيان وجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا وداموا مع ذلك يعمل حيلة يصل بها اليهم بسوء قال فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما أقبل دامس على أبى عبيدة وقال له أيها الامير قد عجزت وأنا أعمل حيلا فما صدر من يدى فى حقهم شئ وقد فكرت فى شئ وأرجو من الله أن يكون به الظفر والظهور على أعداء الله فقال أبو عبيدة وما الذى دبرت قال تضيف الىّ من صناديد الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة والاعتراض على فيما آمرهم به وافعله وأراه فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ثم ضم اليه ثلاثين رجلا من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال لهم أبو عبيدة معاشر المسلمين انى قد أمرت دامسا عليكم وأمرتكم بالطاعة والقبول لأمره واعلموا رحمكم الله انى ما أمرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا ونسبا ولا أعظم موكا ولا أشد باسا ولا أكثر مراسا فلا يقل أحدكم انى قد أمرت علينا عبدا احتقارا بكم وبالله أحلف مجتهدا لولا ما يلزمنى من تدبير هذا العسكر لكنت أول من ينطاق معه فى جمعكم وأنا أرجو من الله أن يفتح على يديكم فاقبلوا عليه بجمعهم وقالوا أصلح الله الامير ما نشك فى اعظامك لنا ومعرفتك بسياقتنا ولقد كان كلامك الاول أشرف لنفوسنا وهاهنا ان لك وبين يديك ولو أمرت علينا علجا أغلف لم نخرج لك عن أمر ولا رأى اذ علمنا أنك لا تريد الا نجاح الدين وحياطة قاسمع والطاعة فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لمن وليته علينا من قبلك كائنا من الناس أجمعين قال ففرح أبو عبيدة بما كالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله تعالى أن نفسى تحدثنى ان الله تعالى يفتح هذه القلعة على يدى هذا العبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن المصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى فؤادا على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم أقبل على دامس فقال له يا دامس ما الذى تحب بعد هذا قال ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وأن يختفوا ما استطاعوا ويكون لك رجال تثق بشدتهم ونصحهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن يعلم بنا وبهم أحد ويكونون بغير سلاح سوى الخناجر فاذا عاينوا منا الظهور على أعدائنا والظفر بهم لحقوك وبشروك بذلك فتلحق بنا ان شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين فى موضع واحد فان ذلك أسلم لهم وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان فى جميع الامور والاحوال فعلم أبو عبيدة انه نصيح من الرجال صاحب رأى وبصيرة ثم ان دامسا أقبل على رفاقه الذين ولى عليهم وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن فى بعض هذا الوادى مادام الناس عازمين على الرحيل لئلا تشرف الروم فينظروا الى رحيلنا فلا يتفق لنا أن نطلب لنا مكنا اذا أشرفوا من أعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وحجفته وخنجره لا غير ففعلوا ذلك فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت أثوابه وأخذ جماعته وخرج بهم حتى اذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم وأشخاصهم وهو وسائر بهم حتى أتى بهم كهفا فى الجبل فامرهم بالدخول اليه وجلس على بابه قال وأما أبو عبيدة فانه أمر الناس بالرحيل بعد مارتب الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم أهل القلعة فرأوهم يرحلون ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وصاروا يصيحون على المسلمين من أعلى القلعة وقالوا لبطريقهم أيها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل أن نقتل منهم أحدا أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى العشاء فقال دامس لاصحابه من فيكم ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبر منها أو يقدر على رجل يأسره فيأتينا به فنأخذ منه خبرا لم يجبه أحد فقال أنا أعلم ان ما فى هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وأنا لكم الفداء فانظروا كيف تكمنون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعة واذا به قد أتى ومعه علج وقال لهم

فقاتلهم فادركه أجله ومات فأخفت جاريته شجرة الدر موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل من المنصورة الى القاهرة ودفن بقبة بنيت له بجوار مدرسته وساست شجرة الدر الناس أحسن سياسة وأعملت أعيان الامراء فارسلوا الى ابنه توران شاه وأحضروه وكان بديار بكر فلكوه فركب فى عساكر الملك وقاتل الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين ألفا وأسر الفرنسيس ملك الافرنج

باقتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله فقال على رسلكم فقاب غير بعيد وأتى بثلاثة أحرف لم يكن فيهم من يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هؤلاء ما أفظع لغتهم وأكثر طمطمتهم ثم أوثقهم كتافا وغاب الى أن مضى من الليل نصفه ولم يأت فقلق عليه أصحابه قلقا شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض أنا أقول ان دامسا قد فطن به فقتل أو أسر وما جوابنا في ذكره وهم أن يرجعوا الى العسكر فبينما هم في ذلك اذ دخل عليهم دامس وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوه بين عينيه وسألوه عن ابطائه وقالوا له يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا فقال اعلموا رحمكم الله تعالى انى لما فارقتكم سرت الى قريب من سور القلعة وكنت لهم وهم يمرون على وهم يرطنون بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك وأنا أطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها فلم أر أحدا حتى أيست وهممت بالرجوع خائبا اذ سمعت هدة شديدة قد وقعت من أعلى السور فأسرعت اليها الا نظر اليها ما هي فاذا أنا بهذا الرجل وقد ألقى نفسه من القلعة الى أسفل السور فبادرت اليه وأخذته وأتيت به اليكم فانظروا ما هو وقد نوا اليه وخاطبوه فلم يكلمهم الا بلغته واذا به قد انفضت جبهته فقال لهم دامس اعلموا أن له شانا وأى شان وانى أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فانا آتيكم بمن يتكلم بلسانه وبالعربية ثم أسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليل واذا به قد عاد ومعه رجل قد نزلت عمامته في رقبته وهو يقوده حتى مثله عندنا فقالوا له من المدينة أنت أم من القلعة فقال له دامس ممن أنت تكون أمن الروم أم من العرب المتنصرة قال ولكني من العرب المتنصرة فقالوا يا هذا هل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ونحن نطلق سبيلك ولا يتعرض لك أحد بسوء فقال يا هؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طاروقا ولو عرفت لما وسعني في ديني ولا رأيت أن أدلكم عليها وحق المسيح قال فالتفت منه دامس وقال له اسأل هؤلاء الاسارى هل فيهم أحد من أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم فلم يجد فيهم أحدا من أهل الربض بل كلهم من أهل القلعة وأنا أعرفهم فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور ومادعاه الى ذلك فسأله فقال له انه يقول ان الملك يوقنا غضب على أهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يتهددهم فلما انصرفت العرب نزل يوقنا فجمع رؤسهم وأصعدهم الى القلعة وأنا في جملتهم وطلب منا من الاموال ما لا طاقة لنا به ولا نقدر عليه فلما رأيت ما قد نزل بنا هربت وألقيت نفسي من القلعة أطلب الفرج وأنجو من العقوبة فلم أشعر الا وأنت قد قبضت علي وأنا من أهل الربض فان كنتم من العرب فاني في ذمتكم وأمانكم فلا تنكثوا ولا تغدروا وان كنتم من غيرهم فاطلبوا مني ما أردتم من الفداء فاني قد هربت من العقوبة فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا بأس عليك ولا تخف ولا ينالك مناسوء وأراد دامس أن يرى الربض ما يفعل بأعدائه فأخرج الروم والمتنصرة وضرب رقابهم ولم يدع غير الربض ثم أطلقه واستمر الى الليل وعمد دامس الى مزوده فاستخرج منه جلدا ماعز وألقاه على ظهره وأخرج كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا نفوسكم وقدموا الحزم في أموركم فاني معوّل على فتح هذه القلعة ان شاء الله تعالى فقالوا سر على بركة الله تعالى فقاموا مسرعين وتقدم دامس وبعث رجلين من أصحابه يعلمان أباعبيدة بشأنهم ويقولان له ابعث الخيل عند طلوع الفجر فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشي على أربعة والجلد على ظهره وكلما أحس بشئ فرض في الكعك كأنه كلب يقرض عظاما وهم من ورائه يقفون أثره وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا أصوات الحرس وزعقات الرجال من أعلى القلعة والحرس شديد فلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى أن أتى الى مكان لم يجد به حسا واذا بحرسه قد ناموا وراء المكان ولم ير وافي السور أقرب منه فقال دامس لاصحابه انتم ترون هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة القوم فما الذي ترون من الرأى أن نصنع بها وكيف الحيلة في الصعود اليها الى أن نحصل في وسطها فقالوا يا دامس ان الامير أمرك علينا وأنت أدرى منا وأجرأ حنانا ونحن لك وبين يديك فهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا تتأخر عنه والله ان قتل نفوسنا وذهاب أرواحنا أسهل علينا من الرجوع بغير فائدة فقال الامر منا السمع والطاعة فليس منا من يتأخر عنك ولا تموت الا تحت ظلال السيوف وفي طاعة الله ونصرة دين الاسلام فقال دامس شكر الله فضلكم ورزقكم النصر على أعدائكم فان كانت هذه نيتكم فالتصقوا بنا الى هذا المكان قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واثنان كانوا أرسلوهما الى الامير يعلمانه بان

وحبس مقيدا وكل بحفظه طواشي فقال له صبيح وبقي أسيرا الى ولاية شجرة الدر الدر فانفقت مع الامراء على اطلاقه بشرط أن يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية آلاف دينار عوضا عما نهب من دمياط ويطلقوا أسرى المسلمين التي بايديهم ففعلوا وأقام تورانشاه في المملكة شهرين ثم قتل وتوفيت من بعده شجرة الدر أم خليل الملك الصالح حسن سيرتها وجودة تدبيرها ودعي لها على المنبر بعد الدعاء للخليفة العباسي ونقش اسمها على الدراهم والدنانير ولم يل مصر في الاسلام امرأة قبلها

يأتي اليهم في الصبح فقال لهم دامس أفيكم من يقدر على الصعود على هذه القلعة فقلنا له يا أبا الهول وكيف لنا أن نرقى اليها وعلى أي شئ نصل الى أعلاها بغير سلم فقال على رسلكم ثم انه اختار مناسبعة رجال كالاسد الضواري لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم جلس على قرافيصه وقال لاحد السبعة اجلس على منكبي وارم بحبلك الى الجدار واجلس كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمر به وأمر آخر أن يفعل ويصعد على منكبي الآخر وأن يرمي بقوته على الجدار قال ففعل ثم انه لم يزل يصعد واحد بعد واحد الى أن صعد الثامن بقوته على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك أمر الاعلى أن يقوم قائما وأن يطرح حبله على الجدار فقام الاول وقام الثاني ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق بها فاستوى على السور ونظر الى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو مثل من الخمر فاخذ بيده ورجله ورماه فلما وصل الى الارض قطعوه وأخفوا جسده ووجدوا من أصحابه اثنين سكارى وهم رقود فذبحهم بخنجره ورمى بهم ثم أرخى عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور وكان دامس قد أعطاه حبلا فربطوا ينشلون به بعضهم الى أن تكاملوا على السور وأصعدوا من بقي معهم على الارض وكان آخرمن صعد أبو الهول فقال لهم مكانكم حتى أقف واخبر وأكشف لكم الاثر ثم انه أتى الى دار البطريق وهو في وسط القلعة واذا عنده سادات البطارقة وأكابرهم وهم جالسون وبين أيديهم بواطي الخمر ويوقد أجاس في وسطهم على بساط من الديباج منسوج بالذهب وعليه بدلة من اللؤلؤ ومعصب بعصابة من الجوهر والقوم يشربون والمسك والبخور يفوح عند هم فعاد دامس الى أصحابه وقال اعلموا أن القوم خلق كثير وان هجمنا عليهم فلا نأمن الغلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما هم فيه فاذا كان وقت السحر هجمنا على بوقتا ومن معه من الملوك ونقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم وأذلهم الله لنا وعلى أيدينا فهو الذي نريد وان كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ولاشك ان الرجلين من أصحابنا قد أعلما خالد بن الوليد فيأتينا فقالوا ما نخاف الا ذلك أمرا ونحن قد صرنا في قلعة هؤلاء الاعداء وليس يجيئنا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا فقال لهم مكانكم فلعل أن يفتح الباب قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابون داخلها وما والرجال تنام عندهم بالنوبة فلما وصل دامس الى الباب وجده مغلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين وتركهما مردودين ورجع الى أصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم أبشروا فاني قد فتحت البابين وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاسبقوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقي القوم حصيدا لا سياف المسلمين ان شاء الله تعالى قال وأرسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ثم أرسل خمسة من أصحابه يمسكون الباب وأخذ الباقين ومشى نحو دار بوقتا فصاحوا عليه ووقع الصياح في القلعة فرجعوا باجمعهم الى الباب وأخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها جاءتهم الابطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ بوقتا بأصحابه فاتوا من كل جانب فعندها كبر المسلمون ونادوا بلسان واحد الله أكبر فخيل للروم ان القلعة ملآنة منهم قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضارية فما رأيت أقوى باسا ولا أشد مراسا من دامس أبي الهول في ذلك اليوم فلقد عددت في بدنه بعد ما انقضى القتال ثلاثة وسبعين جرحا كلها في مقدم بدنه قال وبينما نحن في أشد القتال ونحن يحمي بعضنا بعضا وقد بقي منا ثلاثة وعشرون وقتل منا اربعة وهم أوس بن عامر الحزمي من بني حزم وأبو حامد بن سراقة الحميري والفارع بن مسيب التميمي وفزارة بن مراد العوف (قال الواقدي رحمه الله تعالى) لقد حدثني نوفل بن سالم عن جده غويلم بن حازم وكان ممن صحب دامسا في قلعة حلب قال لما قتل منا وقتل أيضا ملاعين مقدام بن عروة الحضرمي وكان ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وتبوك ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية وهو ابن أخي كعب الذي تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك وأنزل الله فيه ما أنزل قال وبقينا عشرين رجلا وتكاثرت الروم علينا في أزيد من خمسة آلاف وهم سدد من حديد قال ونحن قد أيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف فوجدونا ونحن في أشد ما يكون من القتال فلما دخلوا علينا صاح فيهم خالد فجفلت الروم عنا قال أوس فلما رأيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت المسلمون ودخل ضرار وأمثاله يضربون رقابهم فلما رأى الروم ذلك وعلموا انهم لا طاقة لهم بما وقع بهم ألقوا السلاح ونادوا الغوث الغوث

فاقامت في المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى بن الملك الكامل وكان يخطب له وللعز أيبك التركماني معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لا بد من سلطان غير هذا يكون من بني أيوب فارسلوا الى الاشرف وأحضروه وسلطنوه ولم يعزلوا أيبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية وجملة ولا يتهم احدى وثمانون سنة ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد في حدود خمسين وستمائة ﴿ فاولهم الملك المعز عز الدين أيبك

وكفوا أنفسهم عن القتال فكفت المسلمون أيديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ أقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فاخبروه أن الروم يطلبون الأمان وان المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى أن تأتي وترى فيهم رأيك فقال أبو عبيدة قد وفقوا وسددوا فامر باحضار رجالهم ونسائهم فعرض عليهم الاسلام فكان أوّل من أسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم قال فرد عليهم أموالهم وأهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والاسر وأخذ عليهم العهود أن لا يكونوا الا مثل أهل الصلح والجزية وأخرجهم من القلعة قال ثم أخرج المسلمون من الذهب والاوانى مالا يقع عليه عدد فاخرج منه الخمس وقسم الباقى على المسلمين وأخذ الناس فى حديث دامس وحيله ومحجانيه وعالجوا جراحته حتى برأت قال وأعطاه أبو عبيدة سهمين ثم ان أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين وأكابرهم وشاورهم فى أمره وقال ان الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدى المسلمين وما بقى لنا موضع نخافه فهل نقصد انطاكية وهى دار الملك وكرسى عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل فنازلهم من الرأى قال فعندها قام البطريق يوقنا وتكلم باسان عربى فصيح وقال أيها الأمير ان الله تبارك وتعالى قد أيدكم وأظفركم بعدوكم ونصركم وماذاك الا لأن دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور فى الانجيل وهو لا محالة الذى بشر به المسيح ولا شك فيه ولا مراء وهو الفارق الذى تفرق بين الحق والباطل وهو النبى الكريم اليتيم الذى يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا أيها الامير فقال أبو عبيدة نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم وانى يا يوقنا قد حررت فى أمرك وأنت بالأمس تقاتلنا ومرادك أن تكسر عسكرنا وتقطع الطريق على علوفتنا واليوم تقول مثل هذا القول وقد بلغنى انك لا تفهم بالعربية شيأ فمن أين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله وانك تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها الامير انى كنت البارحة مفكرا فى أمركم وقد وصاتم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة أضعف منكم وتوسوست فى ذلك فلما غمت رأيت شخصا أبهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الاذفر ومعه جماعة فسألت عنه فقيل لى هذا محمد رسول الله فكانى أقول ان كان نبيا حقا فليسأل ربه أن يعلمنى العربية وكان يشير الىّ وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذى بشر بى المسيح وأنا لا نبى بعدى وان أردت فقل لا اله الا الله وانى محمد رسول الله فأخذت بده فقبلتها وأسلمت على يديه واستيقظت وفى من تلك الليلة كالمسك الاذفر وأنا أتكلم بالعربية ثم انى قمت الى منزل أخى يوحنا وفتحت خزانة كتب فوجدت فى بعض الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره ووجدت كل الصفات صحيحة وان أبغض الخلق اليه اليهود فكان ذلك أيها الامير أم لا فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبنا أشد الطلب حتى نصرنا الله عليهم وأخذنا حصونهم وقتلنا أبطالهم قال يوقنا وجدت هذا فى سيرته وجملة أخباره وان الله تعالى كان يوصيه باصحابه وبالمسلمين وباليتام والمساكين أكان ذلك أم لا قال أبو عبيدة نعم أما وصيته من الله على أصحابه فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال فى حق اليتيم والمسكين فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال وهو عند الله كريم فقال له معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه ووجدك ضالا فى تيه محبتنا فهدينك الى مشاهدتنا وأيضا سهل لك الوصول الى سهل المكاشفة ووفقك للوقوف الى مقام المشاهدة ووجدك ضالا فى بحار الطلب على مركب العطب فهدك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقائق الصدق لتكون بقليلك مائلا عن الاغيار أو تهيم فى قيعان الاخبار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك منا خبر ولا معك منا أثر الحمد لك لوائح الرضا وكشفنا لك عن واضح القضا أما علمت يا يوقنا انه لا شئ عند المؤمن أوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا حسب أوضح من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من الجهل ولا شئ أعز من التقوى ولا شئ أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء أبين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أحسن من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه وقال هكذا قرأته فى كتب أخى يوحنا وهو مذكور فى الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا وقال الحمد لله الذى هدانى الى هذا الدين والله لقد رسخ هذا الدين فى قلبى وعلمت أنه الحق وسأقاتل فى الله كما كنت أقاتل فى طاعة الشيطان ووالله

التركمانى الصالحى) فاقام ست سنين وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم أحدثت أمورا أدت الى قتلها فافتقلت بأيدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء وفى أيامه ظهرت النار بالمدينة المنورة وسارت هكذا وهكذا كأنها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوى وكان صلى الله عليه وسلم أخبر عن ظهورها ولما صافا الوقت لا يسعك ذكره تبض على شريكه فى السلطنة وسجنه بالقلعة وتفرد

لأنصرن هذا الدين حتى ألحق بأخي يوحنا ثم انه بكى بكاء شديدا على ما فرط في أمر أخيه فقال له أبو عبيدة قال الله في حق اخوة يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقال له ان أخاك في عليين مع الحور العين وأما أنت فساعة أسلمت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك فبكى لذلك وقال أشهد على المسلمين أني كلما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه في صحيفة أخي يوحنا ولا بد أن أقاتل في سبيل الله وأمحو ما سلف من الفعال فقال أبو عبيدة يا عبد الله دلنا أين نسير فقال يوقنا اعلم أيها الامير أن حصن عزاز حصن منيع وهو قوي بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لي اسمه دراس بن جوفناس وهو ذو شدة وباس وقوة ومراس جلد في الحرب قوي عند الطعن والضرب وان أنتم تركتموه ومضيتم الى نحو انطاكية أغار على حلب وقنسرين وأذاقهم شرا فقال أبو عبيدة يا عبد الله قد أنطق الله لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة فقال يوقنا عندي من الرأي أن أركب جوادي وتضم الى مائة فارس من المسلمين ولتكن على زي الروم ولباسهم وأتقدم بهم ثم يتقدم أمير من العرب ومعه ألف فارس على خفاف الخيل وأنا في المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كأنا هاربون منكم وأوائل الخيل الالاف في طلبنا فاذا أشرفنا على عزاز نلقي الصوت فاذا نظر الينا صاحبها دراس لابد أن ينزل الينا ويلقانا فاذا سألني أخبرته أني أسلمت زوراتم هربت فخرجت العرب في طلبي فاذا سمع مني ذلك يصعد بنا الى حصنه وليكن مقدم الالاف بالقرب منا في قرية هناك فاذا كان نصف الليل سرنا في وسط الحصن ونضع السيف في أعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يأتينا أمير العرب بالالف الذي معه فلما سمع أبو عبيدة ذلك استنار وجهه واستشار خالد ومعاذا في ذلك فقالا يا أمين الأمة رأي سديد ان لم يغدر هذا الرجل ويرجع الى دينه فقال أبو عبيدة ان ربك لبالمرصاد فقال يوقنا أنا والله رجعت عن ديني الى دينكم بعد ما كنت أعظم من تلك الصور والصلبان ومابق في قلبي سوى محمة الرحمن ومحمد سيد ولد عدنان والجهاد عن أفضل الأديان والله على ما أقول وكيل وحق الله الذي لا اله الا هو وحق محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي رأيته وعاينته في المنام ان كنتم تظنون في غير ذلك فلا تتركوني أفعل شيأ مما ذكرته لكم فقال أبو عبيدة يا عبد الله ان أنت نصحت للمسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا في كل ما تحاوله فاتبع الصدق تج به فان ديننا مبني على الصدق واتبع سنن اخوانك المؤمنين واعلم ان المؤمن الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه ما وجد فلا يحزنك ما تركت من ملكك وحشمك واما رتبتك فان الذي تركته فان والذي تطلبه باق لان نعمة الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى واعلم أنك في يومك هذا عار من الشرك واعلم ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والمؤمن يتيقن أن القبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكره والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا أن المسيح قال عجبت لمن ليله غافل وليس يغفل عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وبان قصورا والقبر مسكنه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم من أعطي أربعا أعطي أربعا وتفسير ذلك في كتاب الله تعالى من أعطي الذكر ذكره الله عز وجل لان الله تعالى يقول اذكروني أذكركم ومن أعطي الدعاء أعطي الاجابة لان الله تعالى يقول ادعوني أستجب لكم ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة لان الله تعالى يقول لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطي الاستغفار أعطي المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عامر بن قبيصة البشكري قال حدثني يونس بن عبد الأعلى قراءة عليه قال شهر بن حوشب عن جده عامر بن يزيد قال كنت ممن شهد فتوح الشام وكنت في فتوح قنسرين وحلب مع أبي عبيدة وكنت كثيرا ما أصحب الروم الذين دخلوا في ديننا فلم أر منهم أشد اجتهادا ولا أخلص اعتقادا ولا أعظم نية ولا أحسن في الجهاد حمية ولا أبلغ في قتال الروم من يوقنا ولقد نصح والله للمسلمين وجاهد في الكافرين وأرضى رب العالمين ولقد فعل في الروم ما لم يقدر عليه أحد من أبناء جنسه من بعد ما قاسى المسلمون منه على قلعة حلب ومأتركهم بناءون ولا يقرون ليلا ولا نهارا وما قتل من المسلمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

﴿ذكر فتح عزاز﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) لما وعظ أبو عبيدة يوقنا وفرغ وعظه ضم اليه مائة فارس وألبسهم

وحده وكانت مدة ملكه سبع سنين ومدة شريكه سنة وشهرا (ثم تولى من بعده ولده الملك المنصور نور الدين علي الثاني) من ملوك الترك وكان عمره نحو خمس عشرة سنة فاقام سنتين وثمانية أشهر ثم حبس بأمر قطز المعزي لصغره وعدم صلاحيته لقتال التتار وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر قطز المعزي فلم تلبث أن جاء رجل وبيده كتاب فيه من ملك الملوك شرقا وغربا الخاقان العظيم هلاكو خان ووصف نفسه بأوصاف عظيمة وسطوة شديدة وفيها لأهل مصر لا تقابلوني فانه ليس لكم قدرة على

زى الروم قال وكان كل عشرة من قبيلة قال وهم من طيئ وفهر وخزاعة وسنبس وغير والحضارمة وحمير وباهلة وتميم ومرادو جعل على كل عشرة نقيبا فأما نقيب طيئ فخزعل بن عاصم وعلى فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم ابن عدى وعلى سنبس مسروق بن سنان وعلى تميم أسد بن حازم وعلى الحضارمة ماجد بن عمير وعلى حمير ملكهم ذوا لكلاع الحميرى وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن وعلى مراد مالك بن فياض فلما كملوا قال لهم أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أنى مرسلكم مع هذا الرجل الذى وهب نفسه لله ورسوله وكل طائفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له وأطيعوا مادام فى مرضاة الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا معه فلما بعد وا بفرسخ أرسل وراءهم ألف فارس وأمر عليهم مالكا الاشترالنخعى وقال له سر فى أثر القوم وانظر ما يكون من أمر هذا العبد الصالح فاذا قربت من هذا الحصن فاكمن الى وقت السحر ثم ظاهر لاخوانك سر وفقك الله وأرشدك فسار مالك بمقدم قومه فسار وباقية قومهم فلما جن عليهم الليل كمنوا فى قرية بالقرب من الحصن وهى خالية من السكان وأما ما كان من يوقنا فانه أخذ على غير طريق وسار طالباعزاز (قال الواقدى) حدثنى سليمان بن عبد الله العسكرى حدثنى الشديد بن مازن عن جده على بن عاصم قال كنت فى خيل يوقنا لما وجهنا أبو عبيدة معه قال لما شارفنا عزاز قال لنا يوقنا اعلموا يا فتيان العرب انا قد شارفنا هذا العدو فايا كم أن يتكلم أحد منكم فان لغتكم لاتخفى على الروم وأنا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا رأيتمونى وقد بطشت بصاحب الحصن فشدوا على اسم الله تعالى ثم سار واوليس عنده خبر من تواتر القدر (قال الواقدى) حدثنى سليمان بن عبد الله العسكرى قال حدثنى عبد الرحمن المازنى وكان ممن يكتب فتوح الشام قال حدثنى الاكوع بن عماد المازنى قال كنت مع مالك الاشتر من جملة الالف حين سرنا فى أثر يوقنا صاحب حلب حتى اذا كنا فى تلك القرية ونحن ننتظر الصباح واذا نحن بجيش من ورائنا من غربى القرية فسار مالك الاشتر وقصد الحصن فغاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد أقبل به فلما صار بيننا قال يا فتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقلنا وما الذى يقوله قال اسألوه فانه يخبركم فسألناه وقلنا من أى الناس أنت قال من غسان من بنى عم جبلة بن الأيهم فقال له مالك ما اسمك قال اسمى طارق بن شيبان فقال له يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من أعدائنا قال والله لا أكتم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدوكم قال مالك وكيف ذلك قال لانا الساعة ورد علينا جاسوس من عندكم ومعه منا اسمه عصمة بن عرجفة وكان يسمع ما تتناجيتم به من الحيلة التى أرادها يوقنا على صاحبكم فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه وأطلقه الى صاحب عزاز فلما قرأها أرسلنى الى صاحب الراوندات ليقاتل شاس يستجده عليكم فضيت اليه بالرسالة وهو قادم فى خمسمائة فارس وكأنكم بهم وقد هجموا فخذوا حذركم (قال الواقدى) وأما ما كان من أمر يوقنا فانه سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه أصحابه وهو خارج الحصن وكان اللعين يركب فى ثلاثة آلاف فارس من الروم وألف من العرب المتنصرة غير من التحأ اليه من السواد فلما قدم عليه يوقنا لم يهمه فى شئ من أمره بل استقبله وترجل اليه وأقبل كأنه يقبل ركابه وكان فى يد مسكين أمضى من القضاء فقطع بها حزام فرس يوقنا وجذبه اليه واذا به قد وقع على أم رأسه فاطبق الاربعة آلاف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى أخذوهم قبضا بالكف وشدوهم كافا وبصق دراس فى وجه يوقنا وقال لقد غضب عليك المسيح والصليب اذ فارقت دينك ودخلت فى دين أعدائك وحق المسيح لابد لى أن أبعثك الى الملك الرحيم هرقل يصلبك على باب انطاكية بعد ما أضرب رقاب هؤلاء العرب ثم انه أصعدهم الى الحصن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن خبرة الله للمسلمين ان الجاسوس لم يكتب لصاحب عزاز فى مكاتبته بسير مالك الاشتر قال وان مالكا الاشتر لما سمع كلام المتنصر أيقظ أصحابه وربط المتنصر عنده وأقاموا ينتظرون صاحب الراوندات فلما راق الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا المكمن وأطبقوا عليهم فكبل اثنين ربطوا واحدا من الروم وأخذوهم بالكف ولم يفلت منهم أحد ولبسوا ثيابهم ورفعوا رايتهم وصليبهم كما كانت ثم ان مالكا الاشتر قال للمتنصر هل لك أن ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيمحو عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتبقى لنا من جملة الاخوان فقال ان قلبى ولبى عندكم فلا جزى الله من أخذنا الى الدخول فى هذا الدين خيرا وأنا والله من الطائفة التى هى أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم

ملاقاتى فصونوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم وقد كان قتل من تلك البلاد خلائق لا تحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما مر فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الالفاظ عسر عليه ذلك ثم جاء الخبر بان التتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطز أن يأخذ من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا أموالكم من المواشى

أنه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك لقد صدقت فى قولك ولكن نسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله فقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشى قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات فلما سمع الغسانى ذلك فرح وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن والله يا مالك قد طاب قلبى وانجبر كسرى أخذ الله بيدك وأنقذك الله يوم القيامة قال ففرح مالك باسلامه وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ثم قال له يا عبد الله انى أريد أن تمحو ما سلف منك بما تفعله فقال وما تريد أيها الامير قال تمضى الى صاحب عزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندات الى نصرته فقال افعل ذلك ان شاء الله تعالى وان كنت فى شك من أمرى فارسل معى من تثق به حتى يسمع ما أقول فان الليل قد تنصف والحرس شديد وباب الحصن مقفول وأنا أخاطبهم من شفير الخندق قال فارسل معه مالك بن عم له يقال له راشد بن مقبس وأوصاه أن يكون مستيقظا فسارا جميعا الى ان وصلا الى الحصن فوجدا الحرس شديدا والروم تضرب بوقاتها والصوت عال فى وسط الحصن فقال طارق لابن عم مالك ماهذا وحق أبى الاقتال وضرب وحرب فأنصتا فاذا هو كما قال طارق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان السبب فى ذلك أن ابن صاحب عزاز شاب شجاع يقال له لاوان كان أبوه دراس فى كل وقت يرسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لما بينهم من القرابة وكان يقيم عنده أشهرا فى أعز مكان وانه حضر عنده فى بعض المرات فى عيد الصليب فى البيعة التى هى اليوم الجامع وكان يدخل فى كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهى بين جوار يها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم أمرها وعاد الى عزاز وشكا حاله الى أمه وما كان لأبيه ولد غيره وهى تحدله محبة عظيمة فقالت له أنا أخاطب أباك فى ذلك والزمه أن يرسل ليخطبها من أبيها ويزوجك بها وتبذل له من المال ما أراده وطلبه واشتغل قلب الشاب بحب الجارية وفى أثناء ذلك جاءت العرب الى بلادهم واشتغلت خواطرهم فلما وقع يوقنا فى يد أبيه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة من المسلمين وحبسهم جميعا فى دار ولده لاوان ووصاه بحفظهم فقال لاوان فى نفسه وحق دينى ان ابن عمنا يوقنا أعلم من أبى بالاديان ولولا أنه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم بعد ما قاتلهم أشد القتال وأيضا ان جيوش الملك ماساوتهم وان الله قد نصرهم على ضعفهم وأنا قلبى متعلق بابنته والى أرى من الرأى السديد أن أحل هؤلاء القوم من الوثاق وأرجع الى دينهم بعد أن أتق من ابن عمى أن يزوجنى ابنته فانه على الحق وأنال ما أطلب بعدها وأتزوج ابنته فلما حدثته نفسه بذلك أقبل الى يوقنا وجلس بين يديه وقال له يا عم انى عولت على ان أحل وثاقك أنت وأصحابك وقد اخترت تلك على أهلى وأبى وملكى وأنت تعلم ان فراق الاهل صعب واخترت الايمان على الكفر وقد علمت ان دين هؤلاء صحيح ولكن لى عليك شرط أن تزوجنى ابنتك ومهرها عتقك أنت وهؤلاء الناس الذين معك فقال يوقنا يا بنى مالك الى زواجها من سبيل اذا كنت تدخل فيه لاجل عرض الدنيا ولكن دخولك فيه خالصا من قلبك حتى ان الله يأجرك على ما تفعله وأنا ان شاء الله تعالى أبلغك ما ترومه وتنال عز الدنيا والآخرة فقال لاوان أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم حل وثاق يوقنا وأعطاه سلاحه وحل المائة وأعطاهم سلاحهم وقال لهم كونوا على أهبة وأنا أمضى الى أبى وهو ثمل بالخمر فاقتله وثوروا على بركة الله تعالى فى رضا الله فعندها قال يوقنا للمائة اشهدوا على أنى زوجته ابنتى وجعلت صداقها عتقنا فقبل منه ومضى الى دار أبيه فوجد أباه مقطوع الرأس واخوته عنده فقال لهم من فعل هذا بأبى فقالوا نحن قال ولم ذلك قالوا أردنا بذلك وجه الله وقد سمعنا لك وما تحدثت به مع يوقنا وأصحابه خفنا عليك أن لا يتم لك هذا الامر ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ أباك خبرك فيقتلك فبطشنا به قبلك قال ففرح لاوان بذلك ورجع الى يوقنا وأصحابه وأعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاوان وتوسطوا الحصن ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف فى الروم قال ووقع الصياح فى الحصن كما وصفنا وتبادرت الروم لقتال المسلمين وفى تلك الساعة قدم طارق ورفيقه قال فسمعنا الاصوات قال فرجعنا الى مالك وأعلمناه بما سمعناه فقال مالك لاصحابه اركضوا لاصحابكم فركضوا خيولهم وخلف منهم مائة يحافظون الاسرى فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد قال للاوان ان نجد من المسلمين تائبا فانى لاوان فرأى المسلمين قد أتوا ففتح لهم باب الحصن من باب السر وأدخلهم فلما حصل مالك الاشتر فى حصن عزاز نادى هو ومن معه الله أكبر فتح الله ونصر

والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق انه أخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك أجرة شهرين ومن الغطان كذلك فكان جملة ما جمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لا تعد ولا تحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج فى آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد فى السير الى أن وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير وانكسر هلاكو ومن معه من التتار وهزيمة ثم رجعوا واقتتلوا

وخذل من كفر فلما رأى أهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السلاح وأخذوهم أساري وشكروا لله ورقنا ومن معه قال فحدث بورقنا مالكا لما اشترى بحديث الغلام لاوان فقال مالك اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني قيس عن عقبة عن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير عن أبيه قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام كيف كانت فتوح عزاز وقتل دراس فان نفسي تنكر هذا وأرد صحبته فقال لما وضعت الحرب أوزارها وجمع مالك الاسترا الاساري والمال والثياب والذهب والفضة والآنية وأمر باخراج ذلك من الحصن ووكل به قيس بن سعد وكان ممن حضر وأصابه سهم فعوره وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد في عزاز ثم قام مالك فمشى في الحصن وتفقد دراسا فوجده مقتولا فقال من قتل هذا اللعين فقال لا وان قتله أخي لوقا وهو أكبر مني سنا فأمر مالك باحضاره وقال لم قتلته وهو أبوك وما سمعنا ولدا قتل أباه من الروم سوالك فقال حملني على ذلك لانه ليس في الامم أضعف منهم وان الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك في كتب الروم أو ملاحمهم أو ملاحم اليونانيين فقال يا بني نعم اني قرأت ذلك ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة وغيرهم وأخبرهم أن العرب لابد أن يملكوا ما تحت سرير هذا واعتد بلغنا عن نبي القوم انه قال زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها فقلت له يا أبانا فما تقول في نبي القوم قال له يا بني ان في كتبنا ان الله تعالى يبعث نبيا بالحجاز وقد بشر به عيسى المسيح ابن مريم ولا ندري أهو هذا أم لا فعلمت انه كتم عني أمره مخافة أن أذيع سره فكتمت ما قال لي البارحة فلما رأيت بورقنا وأصحابه أسرى قلت هذا بورقنا قد قتل أخاه بوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم انه رجع الى دينهم وما ذاك الا أنه قد علم الحق معهم فقلت أنا لنفسي قم أنت واقتل أباك وخلص بورقنا وأصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لا شك فيه فلما نام أبي بعد ما شرب الخمر وسكر قتلته وسرت الى خلاص بورقنا ومن معه فوجدت أخي لوان قد سبقني الى ذلك فقال له مالك يا غلام لم فعلت ذلك قال محبة في دينكم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال له مالك قبل الله وفقك ثم خرج مالك من الحصن وولاه سعيد بن عمر والغنوي وترك معه المائة الذين كانوا مع بورقنا وقدموا اليه صاحب الرواندات ومن معه فعرض عليهم الاسلام فأبوا فضرب رقابهم (قال الواقدي) حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عبد الله بن قرط الازدي أن فتح عزاز كان هكذا والذي ذكر ان بنات دراس وزوجته قتلنه لم يصح والله أعلم ثم ان مالكا لما اشتر أراد أن يرحل فعرض عليه سبي عزاز فكان ألف رجل من الشباب ومائتين وخمسة وأربعين رجلا من الشيوخ والرهبان وألفي امرأة من النساء والبنات ومائة وثمانين عجوزا ونظر الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقت الفراسة فهذا القس الذي أخبرني به لوقا وأخوه لاوان فدعا بهما وقال هذا هو القس الذي أخبرني به لوقا فقال نعم فقال له يا شيخ اذا كنت من علماء أهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ولكن خفت من الروم ان يقتلوني لان الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف أنا فقال له مالك أفتدخل في ديننا فقال لست أدخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها في الانجيل فقال له مالك هات ما عندك فلما أراد القس أن يتكلم رفع الصياح في الحصن فارتاع الناس ووثب مالك لينظر ما خبر الناس وظن أن الروم قد غدرت بهم واذا بأناس من المسلمين الذين بالحصن يقولون أيها الامير خذ واحذر كم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولا ندري ما هي فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ماذا ذاك واذا قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشدودون في الحبال ووراءهم ألف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنه وكان قد أرسله أبو عبيدة حتى غازى منبج وباب وبزاعة فوقع التكبير في الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالكا عن قصته فحدث أن الله قد فتح عزاز وأذل من فيها وحدثه بما كان من حديث بورقنا وانى ما منعني من الرحيل الا هذا القس وسؤاله فقال له الفضل أيها القس

حتى قتل منهم النصف ورجعوا هاربين وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة وكان بيبرس عين أعيان دولة الملك فطز وقد ساق وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع في ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما فاضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء وقتلوا المظفر في الطريق بين الغزالي والصالحية فعظم على الناس قتله لحصول النصرة على يده وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة (ثم تولى من بعده الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس العلائي

قل ما انت قائل فقال القس اخبرني عن اي شئ خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض فقال الفضل اول ما خلق اللوح والقلم و يقال العرش والكرسي و يقال الوقت والزمان و يقال العدد والحساب و يقال اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها فصارت ماء ثم خلق العرش من ياقوتة وكان عرشه على الماء وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء ثم خلق الارض وقيل خلق اولا العقل لانه اراد ان ينتفع به الخلق وقيل اول ما خلق الله نور وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار فانكرت الظلمة واقر النور فخلق منه الجنة لرضاه عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها وخلق ارواح السعداء من النور وارواح الاشقياء من الظلمة فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره و يقال اول ما خلق الله نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت الفا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من الف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم عيتهم بقبضة و يحييهم بنفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل بن العباس قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هذا هو العلم الذي استأثر به أنبياء الله تعالى فلما نظر أهل عزاز الى قسمهم وقد أسلم اسلموا عن آخرهم الا قليلا منهم والله أعلم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش عن جده قال لما أسلم أهل عزاز باسلام قسيهم الذي كان معتقدهم عوّل الفضل ومالك على المسير الى حلب فقال بوقنا أنا والله مالي وجه أقابل به المسلمين لاني كنت قلت قولا ودبرت أمرا فلم يتم لي وافى سائر الى انطاكية فلعل الله أن يظفرني بالاعداء و ينصرني عليهم فقال له الفضل ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ فلا تحمل قلبك هما فقال ودين الاسلام لا أرجع الا بأمر يبيض الله به وجهي عند اخواني المسلمين فنظر وقد صحبه مائتان من بني عمه ممن قد رسخ في قلوبهم الايمان ولهم عيال وأولاد في حلب فأخذهم بوقنا وسار يريد انطاكية فلما قرب من أرضها أخذ منهم أربعة وأمر الباقي أن يتعوقوا خلفه أربعة أيام ثم يأتوا كأنهم هاربون من العرب ليتم مادبره في خاطره وسار هو والاربعة على طريق حارم والباقي على طريق ارتاح وقال لهم الميعاد بيننا انطاكية ففعلوا ذلك وسار وأسار هو الى أن أشرف على دير سمعان المشرف على البحر فوجد هناك خيلا ورجالا يحفظون الطرقات فلما رأوا بوقنا والاربعة معه بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال لهم بوقنا أنا صاحب حلب وقد هربت من العرب فوكل بهم صاحب الدرك جماعة وأمرهم أن يسيروا بهم الى الملك فأخذتهم الخيل وأتوا بهم اليه فوجدوه في كنيسة الفتيان يصلي فوقفوا حتى فرغ من صلاته فاوقفوا بوقنا بين يديه وقالوا أيها الملك ان بطرس صاحب الحرس الذي عند دير سمعان قد وجه بهذا ومن معه اليك ويزعم أنه صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك قال له يا بوقنا ما الذي أتى بك وقد بلغني أنك دخلت في دين العرب فقال أيها الملك لقد بلغك الحق وذلك اني ما أسلمت الا لمكيدة القوم حتى أتخلص من شرهم ومن كراهة منظرهم ونتن رائحتهم واني قلت لهم أسلم اليكم حصن عزاز وأقتل صاحبها وأخذت منهم مائة سيد من ساداتهم وسرت بهم وأمرت أن ينفذوا رائي ألف حتى اذا صار واداخل الحصن أقبض عليهم وأرسلهم اليك فعجل دراس علي ولم يفهم ما أضمرته ووثق بكلام جاسوسه ولم يشك بكلامي فقبض علينا فأتت العرب ووضعت السيف في أهلها وذلك أن لو قاتل أباه رجل من العرب وأنا من جملتهم فلما اشتغلوا بالقتال والنهب هربت أنا وهؤلاء الاربعة وجئنا اليك ولولا محبتي في ديني ما كنت قتلت أخي ولحنا وصبرت على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة (قال الواقدي) فاعانته البطارقة والملوك الذين كانوا حاضرين وقالوا صدق بوقنا أيها الملك وسيظهر لك فعله وعمله وجهاده فانبش وجه الملك لذلك وخلع عليه من لباسه الذي هو عليه وسوّره ومنطقه وتوجه وقال له ان كانت حلب أخذت منك فاني وليتك على انطاكية وأعطاه وظيفة مستقرة وأسكنه دارا بمدينة انطاكية (قال الواقدي) فسمع بوقنا قوله ودعا له فبينما هو كذلك اذ أتى اليه الموكل بحسر الحديد وأخبر الملك انه قد قدم عليهم مائتا بطريق من فرسان حلب وهم يزعمون أنهم من بيت واحد من الرومية من بني عم بوقنا وأنهم قد هربوا من العرب فلما سمع ذلك قال ليوقنا أيها الدمستق والسكندرقم واركب واشرف على هؤلاء القوم فان كانوا من بني عمك فأهل بهم وضمهم اليك ليكونوا عسكرك وان كانوا غير ذلك فائت بهم لاري فيهم ما أرى واياك ان يكونوا من قبل العرب ممن رجع الى دينهم من أهل سيجر وحماة والرستن وجوسية و بعلبك ودمشق وحوران فقال نعم أيها الملك فركب وركبت معه الفرسان من الملكية والسريرية وأتوا الى جسر الحديد وأمر وا أصحاب الدرك بأن يأتوا بالمائتين فلما رآهم بوقنا رحب بهم ونظر والديه وهو في ذلك الزي والحشمة وخلعة الملك عليه فترجلوا وقبلوا ركابه فقال لهم

البندقداري الصالحي) صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك أصله تركي اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ماوصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذي بنى المدرسة بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم في سنة سبع وهو الآن أعني سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة للافرنج اختاروه اصلابته واتقان بنائه وقطعوا منحوله من الاشجار

كيف خلصتم من أيدى العرب فقالوا أيها السيد انا خرجنا مع أميرنا من أمرائهم وأغرنا على منبج وبزاعة فلما رجعنا نريد حلب أخذنا على عزاز فوجدناهم قد لمكوها فلما كان الليل تركناهم وأتينا (قال الواقدى) وهذا كله وحجاب الملك يسمعون فلما حضروا أخبروا الملك بذلك ودخل يوقنا بهم على الملك فخلع عليهم وأنزلهم وأمرهم أن يكونوا فى خدمة يوقنا وأعطاه دارا بازاء قصره فقال يوقنا أيها الملك أنت تعلم ان هذه الدار لا يدوم نعيمها وان السيد المسيح شبهها بالجيفة وطلابها بالكلاب يتجاذبونها كما روى عن المسيح أنه رأى طائرا حسنا مزينا بكل زينة فنزع جلده فرآه أقبح ما يكون منظرا فقال له من أنت قال أنا الدنيا ظاهرى مليح وباطنى قبيح وانا ضربت لك هذا المثل أيها الملك لتعلم أنه ما خلا جسد من حسد واذا أقبلت الدنيا على أحد كثرت حساده وأنا أخاف من الحساد أن يتكلموا فى عند الملك ويرمونى بالبهتان وبما لا أفعله فان كان الملك ينفرنى فليول هذه الوظائف غيرى وأنا ما أبرح على ركابك ثم انه بكى فقال له الملك أيها الدمستق ما واليتك هذا الامر الا وقلبى وخاطرى واثق بك ومن تكلم فيك بشئ سلمته اليك تفعل به ما تريد فشكره يوقنا وأراد الخروج الى وظيفته التى ولاه اياها واذا بخيل البريد قد أقبلت من مرعش وهم رسل ابنته زيتونة وانها خائفة من العرب وهى تريد القدوم عليك حتى ترى ما يؤول من الامر وانها تسألك أن ترسل لها جيشا يوصلها اليك فلما سمع الملك ذلك قال ليس لهذا الامر الا الدمستق يوقنا فقبل الارض وقال السمع والطاعة لأمرك نضم اليه ألف فارس ومائتين من أصحابه من المدججة والقياصرة (قال الواقدى) فسار بالالفين والمائتى فارس وقد رفع الصليب فوق رأسه وجنبت الجنائب وعليها الرخوة المذهبة وسار يجد السير الى أن وصل الى مرعش وأخذ زيتونة بنت هرقل وهى الصغرى وكان الملك قد ولاها على تلك البلاد وزوجها بنوسطير بن حارس وكانوا يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد قتل على البريموك من جراحات أصابته (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) فلما أخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها انطاكية أخذ على الجادة العظمى لعله يلقى أحدا من جواسيس المسلمين أو يرى معاهدا فيرسله ليعلم أبا عبيدة انه قد تمكن من الملك ومن البلد فلما وصل مرج الديباج وكان ليلا واذا بخيله التى على مقدمته قد أتته وهم مذعورون فقال لهم ما بالكم فقالوا له أيها السيد الدمستق ان هناك عسكرا نازلا لا نقدر بيننا منهم فاذا هم عرب وهم نيام ولا شك أنهم مسلمون فقال لهم خذوا أهبتكم وأيقظوا خواطركم وانصحوا دينكم وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن ابنة الملك ولا تسلموها الى أعدائها وكونوا خير جند قاتل عن نعمة صاحبه واذا تمكن الحرب بيننا وبينهم فاعتمدوا على الاسر واياكم والقتل واعلموا أن العرب وأميرهم لا بد لهم أن يقصدوا الملك ومن معه فان أسر واحدا يكن من عندنا لفداء فقد وجدت فى كتاب حرفناس الحكيم أن من نظر فى عواقب زمانه توشح بوشاح أمانه ومن أهمل أمره خاف حذره ومن أكثر الغدر حل به الاسر سيروا على بركة الله (قال الواقدى) فشمروا الاعنة وقوموا الاسنة وقصدوا ذلك العسكر فلما أحسوا بهم بادروا اليهم واستقبلوهم وهم ينادون يا عيسى بن مريم والصليب المفخم من أنتم فقال لهم يوقنا ومن أنتم فقالوا نحن أصحاب جبلة بن الايهم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل عن دابته وسلم عليه وسلمت العرب المتنصرة على الروم فقال جبلة من أين جئتم فقال له من مرعش وهى ابنة الملك وأنتم من اين جئتم فقال جبلة من العمق وقد أتينا بغيرة أهلها فلما رجعت ووصلت الى مرج دابق لقيت كتيبة من فرسان المسلمين وهم زيادة عن مائتى فارس وهم لابسون زيناتها فلما وصلنا اليهم بادرونا بعزم شديد وحرب عتيد واذا مقدمهم لا يصطلى له بنار فلقد أبادوا منا رجالا وجندلوا منا أبطالا ونحن فى الفى فارس وهم مائتان وكان فينا كالنار المحرقة فازلنا نقاتلهم حتى أسرنا هم بعد ما قتل الفارس منهم الفارس والاثنين والثلاثة منا وبقى أميرهم الى آخر الناس فقصدنا جواده بالسهام حتى قتلناه ووقع فهجمنا عليه وأخذناه أسيرا فاذا هو من أصحاب محمد وهو ضرار بن الازور ونحن قاصدون بهم الى الملك هرقل ليرى فيهم رأيه فأظهر لهم يوقنا الفرح وقال وحق دينى لقد فزت بافخر بأسرك لهؤلاء وهذا الغلام فلقد بقى عنده ما فعل بابطال الشام وفرسان الروم ثم سار القوم جميعا يطلبون انطاكية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى الشريد بن عاصم عن شروان بن مجزل عن قادم بن بشر عن زائدة بن معمر قال حدثنا بشار عن عوف عن صالح بن عبد الله عن جده مسروق قال المؤلف وحدثنى هذا الحديث عباد بن عاصم عن عمران بن حصين قال فلما افتتح المسلمون حصن عزاز وترك مالك الاشتر عليها

هدموا البنيان الذى حول الاشجار فلا حول ولا قوة الا بالله وبنى أيضا قناطر أبى المنجى بالقليوبية وقناطر السباع بطريق مصر وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات بالشام وغيرها وأكمل

سعيد بن عمرو القنوى والتقى بالفضل بن العباس ورجعا بالغنائم الى حلب استشعر أبو عبيدة بسلامة الناس وبفتوح عزاز فسأل ما الكاعن يوقنا لحدثه فيما بينه وبينه سرا وأنه قصد انطاكية ليدخل على كلب الروم بحيلة ولم يكن له وجه يعود اليك به فقال أبو عبيدة الله ينصره ويظفره ويغفر له فلقد ظهر لنا منه مالم يكن لنا في حساب ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامر ابن الجراح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فاني أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الله سبحانه له المنة علينا التي يستوجب بها الحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا مستصعب قلاع الكفر وحصونه وأذل لنا ملوكهم وأورثنا أرضهم وديارهم وان الله سبحانه قد فتح علينا قلعة حلب وأردفها بحصن عزاز وان البطريق يوقنا صاحب حلب قد أسلم وحسن اسلامه وقد صار عونا للمسلمين على الكافرين من بعد ما قاسينا منه ما الله عالم به فالله يجازيه فلقد نصر الله به الدين ونصح للمسلمين وأبادا المشركين وقد دخل انطاكية بتدبير حيلة على كلب الروم وقد ألقى بنفسه الى الهلاك في طاعة الله ورسوله ولقد كنت هذا الكتاب ونحن معتوبون على المسير الى انطاكية نقصد طاغية الروم فابقى حصن سواه لاعدائنا قريبا منا ونحن طامعون في أخذه وأخذ سريره وكنوزه كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزودنا بالدعاء منك فانه سلاح المؤمنين ودمار الكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم انه أخرج الخمس وسلمه الى رباح بن غانم البشكري وضم اليه مائتي فارس من المسلمين فيهم قتادة وسلمة بن الاكوع وعبد الله بن بشار وجابر بن عبد الله ومثل هؤلاء رضى الله تعالى عنهم فاخذوا الخمس وسار واثم ان أبا عبيدة دعا بضرار بن الازور وضم اليه مائتي فارس وأمره أن يشن الغارة فركب ضرار وكان معهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار سائرا هو ومن معه معهم رجال من المعاهدين يدلونهم على الطرق حتى وصلوا الى مرج دابق وكان وقت السحر فقال لهم المعاهدار فقوا على خيولكم فنزلوا وأراحوها بقية يومهم وليلتهم حتى اذا كان وقت السحر فاشعروا الاوجلبة كبسهم فلما وقع الصياح ركب ضرار وركب معه نحو مائة فارس وأما المائة الاخرى فقد دهيتهم خيول المتنصرة فلم يتمكنوا من الركوب فقاتلوا رجالا فنفرت خيولهم ووصل اليهم عدوهم حتى انه قتل كل واحد خصمه وتكاثرت عليهم الخيل فاسروا المائة وأما ضرار فانه صاح بالمائة الثانية وقال يا فتيان العرب ان أعداءكم قد هاجموكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه أفضل الساعات عند الله فقوا وا عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال ميسرة بن عامر وكان من جملة من حضر معنا في مرج دابق ربيعة بن معمر بن أبي عوف وهو ابن عمر بن ربيعة الشاعر وكان ربيعة من فصحاء العرب لا يتكلم الا بالسجع كلامه ينظم بحسن مقاله وكنا نصغي اليه اذا سجع ونحفظ منه فلما سمع ضرارا وهو يحرضنا قال يا فتيان العرب ان تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره ووالله ان يدخلها من هو للجهاد كاره ولله في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة فهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق في أسواقه واختفى بنفاقه في انفاقه أما أنتم أصحاب نبي العصر ولم يشتم من الثبات والنصر بشر وا روح المصطفى بثباتكم وقوموا والعزم بصفاء نياتكم وايا كم أن تولوا الادبار فتستوجبوا غضب الجبار واعلموا ان النصر والثبات جندان منصوران فمن طلب دار البقاء هان عليه الملتقى فصحوا طلبتكم تنالوا رحمة ربكم وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم وأطعنوا النحور تنالوا الخور وتسكنوا القصور وقوموا الاسنة تنالوا الجنة واعتموا على الصبر تنالوا النصر وايا كم أن توافقوا الكفار في حالهم واعدلوا عن طريق قولهم قال العالم بحالهم وفعلهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم قال سمرة بن غانم والله لقد دهشت أنفسنا بقوله وحملنا على المتنصرة وضرار ينشد

ألا فاحملوا نحو اللئام الكواذب * لتروا سيوفا من دماء الكتائب * وردوا عن الدين المعظم في الورى
وارضوا اله العرش رب المواهب * فمن كان منكم يبتغي عتق ربه * من النار في يوم الجزا والمعاقب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم * ويرضى رسولا في الورى غير كاذب

عمارة المسجد النبوى من الحريق وحج سنة سبع وستين وستمائة فغسل الكعبة بيده عماء الورد وله فتوحات كثيرة فتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم

(قال

(قال الواقدى) ثم حمل ضرار ونحن من ورائه وبذلنا انفسنا وتياسرنا ويامنا وفنا ورماحنا من المتنصرة وجرى الحرب بما لا يوصف وضرار فيهم كأنه النار فى الحطب اليابس وجبلة بن الأيهم يتعجب من حملاته وضرباته فامر قومه أن يقصدوا جواده بسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار فتكاثر واعليه وأخذوه أسيرا وأخذوا بقية أصحابه وصاروا يريدون انطاكية فالتقوا بيوقنا وابنة الملك كما ذكرنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واقد حدثنى معمر بن راشد عن القاسم عن خزامة بن عمرو عن أبى المنذر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى حرب ضرار بن الازور أسيرا فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى أبى عبيدة فاذا هو بأسد قد عارضه فقال سفينة يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أمرى كيت وكيت فاقرب منه وهو يبصبص بذنبه حتى وقف الى جانبه وأشار اليه برأسه أن سر فسرت وهو الى جانبى حتى أتى بى الى بلد من صلحنا تركنى ومضى (قال الواقدى) فلما وصل سفينة الجيش حدث الناس بأسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على المسلمين وبكى أبو عبيدة وخالد بن الوليد على أسرهم وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبلغ ذلك أخته خولة فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا ابن أمى ليت شعرى فى السلاسل أو تقول أم بالحديد قيدوك أم فى البيداء طرحوك أم بدمائك خضبوك وأنشدت تقول

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا * فمن ذا الذى ياقوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدرى انه آخر اللقا * لكاروقفنا للوداع ودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبرى * فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم * وكنا بهم نزهو اذا كانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره * وأفجعها ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالى الجمع كنا سوية * ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم * لثمنا خفافا للطايا وقبلنا
وان أنس اذ قالوا ضرار مقيد * تركناه فى دار الهوان رهينا
فيا هذه الايام الا معارة * وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
أرى القلب لا يختار فى الناس غيرهم * اذا ما ذكرهم ذا كر قلبى المعنى
سلام على الاحباب فى كل ساعة * وان بعدوا عنا وان منعوا منا

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى عن واصل بن عوف انه قال اجتمعت النساء من العربيات ممن كان لهم أسير مع ضرار عند خولة ومن جملتهم مزروعة بنت عملوق الحميرية وكانت من فصحاء زمانها وكان ولدها صابر ابن أوس فمن أسر مع ضرار فجعلت تندب ولدها وتقول

أيا ولدى قد زاد قلبى تلهبا * وقد أحرقت منى الخدود المدامع
وقد ضرمت نار المصيبة شعلة * وقد حميت منى الحشا والاضالع
وأسأل عنك الركب كى يخبرونى * بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق * ولا منهم من قال انك راجع
فيا ولدى مذ غبت كدرت عيشتى * ففلبى مصدوع وطرفى دامع
وفكرى مقسوم وعقلى مولة * وهمى مسفوح وداى بلاقع
فان تك حيا صمت لله حجة * وان تكن الاخرى فيا العبد صانع

فقالت لهن سليمى بنت سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات أيهذا أمركن الله انما أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فاصبرن تؤجرن فسكتن عن البكاء (قال الواقدى) ولما ورد الخبر على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكتاب أبى عبيدة مع رباح بن غانم البشكرى وقع الصائح فى المدينة بقدومه فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا ما يحدد من أمر المسلمين فلما دخل رباح المسجد بدأ بالسلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبى بكر وصلى ركعتين وأتى الى عمر وقبل يده وعرض عليه الكتاب فقرأه على المسلمين فضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على البشير النذير وأخذ الخمس وكتب الى أبى عبيدة يأمره بالمسير الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شئ ورد الجواب مع رباح البشكرى (قال الواقدى) أخبرنى مازن بن عبد ربه عن مالك بن أسيد عن جده مروان بن الحر بر أن الجواب لما ورد على أبى عبيدة سار من يومه يطلب انطاكية قال وأما ما كان من أمر بوقنا رحمه الله تعالى وجبلة بن الايهم لعنه الله فانهم ساروا الى انطاكية وسبق البشير الى الملك هرقل بقدوم ابنته مع بوقنا

وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد أن خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فاعادها كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام

وقدوم بوقنا ومعه المائتا أسير من المسلمين فأمر بتزيين البلد والبيع فأظهرت الروم زينتها ودفعت الصدقات الى الفقراء وأخرج موكب الروم الى لقائهم مع ابن أخيه فى زينة عظيمة ودخل القوم وهم فى زيهم وحشمهم وكان يوما مشهودا وقد ترجلت الملكية والسرية بين يدى ابنة الملك وخرج كل من بانطاكية وقدموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامهم وهم مشدودون والروم تشتمهم وتبصق عليهم وقد دارت بهم الرجال والبطارقة ودخلت ابنة الملك الى قصرأبيها (قال الواقدى) ودخل جبلة بن الايهم ويوقنا على الملك فخلع عليهما وعلى كبار أصحابهما ثم انهم أحضروا الصحابة وأوقفوهم بين يديه وهم فى الحبال فلما وقفوا صاحت بهم الحجاب اسجدوا والى الارض تعظيما للملك فلم يلتفتوا الى قولهم ولا اعتنوا به فقال لهم الحاجب الكبير مامنعكم أن تعظموا الملك بالسجود بين يديه فقال لهم ضرار لا يحل لنا أن نسجد لمخلوق وقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم عن ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سهل بن برقان رضى الله عنه عن السائب بن حازم عن الحكم ابن مازن قال لما وقف ضرار والصحابة بين يدى هرقل خاطبهم من غير ترجمان وأراد الملك أن يسمع بطارقته وحجابه بما كان يحدثهم به حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أنه جمعهم اليه لما بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم قد ظهر وقال هذا هو النبى المبعوث الذى بشر به عيسى ابن مريم وهو صاحب الوقت ولابد لدينه أن يظهر حتى يملأ المشرق والمغرب ثم ان هرقل دعاهم لأداء الجزية فأرادوا قتاله فأراد ذلك ليوم أن يبين لهم حقيقة قوله وانه أراد بذلك الاصلاح لهم ولحالهم فقال لضرار ومن معه من مخاطبى منكم عما أسأله من العلم فأشاروا الى قيس بن عاصم الانصارى رضى الله عنه وكان شيخا معمرا وقد شاهد جميع أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزته وغزواته فلما أشاروا اليه قال للملك قل ما أنت قائل أيها الملك قال هرقل كيف نزل على نبيكم الوحى أول مبتدأ أمره فقال قيس بن عاصم سأل هذا السؤال لنبينا صلى الله عليه وسلم رجل من مكة يقال له الحرث بن هشام فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى أحيانا مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قال قيس ولقد كان ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا فأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه أى يتعبد الليالى ذوات العدد فلم يزل كذلك حتى جاءه الملك وقال له اقرأ فقال لست بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال لى اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال لى اقرأ فقلت له لست بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف بها فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فأخبر خديجة وقال لها قد خشيت على نفسى فقالت له خديجة كلا لا يخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر أو الحق وذكر الحديث بطوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا أنا بالملك الذى جاءنى بحراء وهو جالس على كرسى بين السماء والارض فخشيت منه وعدت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الآية ثم حمى الوحى وتتابع ولقد كنت معه يوما فى المسجد اذ دخل رجل ومعه بعيره فأناخه بالباب وعقله ودخل وقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام فقال أيكم محمد فقلنا له هذا الابيض الوجه فقال له الرجل يا ابن عبد المطلب قد أتيت أسألك مشددا عليك فلا تجد على فى نفسك فقال له سل عما بدا لك فقال بربك ورب من قبلك آلله أرسلك الى الناس كلهم كافة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة فقال اللهم نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال اللهم نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى أنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر فقال هرقل بحق دينك ما الذى رأيت من معجزته قال كنت معه فى سفر فاقبل اليه اعرابى فدنا منه فقال له النبى

استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فأفتوه الا النووى فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا ففضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم برجوعه فامتنع وقال لا أدخلها والظاهر

صلى الله عليه وسلم أتشهد أن لا اله الا الله وانى محمد رسول الله قال الاعرابى ومن يشهد بما تقول فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الشجرة وهى بشاطئ الوادى فاقبلت اليه وهى تخط الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات فقالت أنت محمد رسول الله ثم أمرها فرجعت الى منبتها فقال هرقل انا نجد فى كتابنا ان الرجل من أمته اذا عمل السيئة كتبت عليه واحدة وان عمل الحسنة كتبت له عشرا قال قيس بن عامر هذا فى كتابنا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال هرقل أعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم الذى بشر به عيسى المسيح هو الشاهد على الناس يوم القيامة فقال قيس هو نبينا قال الله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الآية وأما شهادته فى العقبى فهو قول ربنا فى كلامه القديم وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال هرقل ان الذى وصفته لك هو الذى يأمر العباد أن يمضوا اليه فى حياته ويصلوا عليه فى حياته وبعد وفاته قال قيس هو نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال هرقل ان الذى وصفه المسيح يعرج به الى السماء ويخاطبه العلى الاعلى فقال قيس هو والله نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى حقه سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان فى ذلك الوقت بترك الروم وهو رأس دينهم جالسا يستمع هذا الكلام فالتفت هذا البترك الى الملك وقال له أيها الملك ان الذى ذكره عيسى لم يبعث بعده ولا قبله بل هى تأويل كاذبة فقال ضرار بن الازور كذبت فى وجهك وكذبت هذه اللحية الملعونة المخزية يا كلب الروم أنت من أهل الملك من يكذب عيسى عليه السلام وينكر بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أما تعلم أن عيسى قرأه فى الانجيل وموسى قرأه فى التوراة وقرأه داود فى الزبور وان نبينا المبعوث بخير الاديان المشهود له بالنبوة والرسالة فى كتاب الله العزيز وجميع الكتب المنزلة على الانبياء من قبله وهو نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المكى ولكن حجاب الكفر منعكم عن معرفته فلما ان سمع هرقل من ضرار هذا الكلام قال له لقد أسأت الادب فى المجلس اذ خرقت بعمدتين النصرانية فمن أنت فقال له قيس بن عامر هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ضرار بن الازور لا تتكلم فى حقه بكلام قبيح فقال الملك هذا الذى بلغنى عنه انه يقاتل مرة راجلا ومرة فارسا ومرة عاريا ومرة لابسا قال نعم فعند ها سكت ولم يتكلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولقد بلغنى أن البترك لما سمع خرف ضرار به أبدى الغضب بعد الابتسام ولطمه غيظا شديدا مما عليه من مزيد وقام من حضرة الملك قال وغضب البطارقة والحجاب لغضب البترك فلما رأى الملك غضبهم خاف على نفسه منهم فقال قطعوه بسيوفكم واحموا أثره قال فنزلوا عليه بالسيوف وضربوه ضربات شديدة وكانت عدة تلك الضربات مائة وأربع عشرة ضربة الا أنها غير قاتلة لما يريده الله من لطفه الخفى فى حياته ونجاته فلما رأى البترك هذا الفعل سكن غضبه وقال اقطعوا لسانه فلما رأى بوقنا ذلك الامر وتحقق هذا الكلام منهم قال فى نفسه والله لا اترك هذا اللعين يتمكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الى الملك وقبل الارض ودعا بدوام الملك والنعم وقال أيها الملك ان هذا ليس بصواب وان من الرأى السديد عندى أن تترك هذا الغلام حتى يصح فاذا عاد الى صحته أحرجناه الى باب المدينة وصلبناه لتشفى صدور الروم لانه قد أثر فيهم كلامه الذى تكلم به وقد قتل من آبائهم وأبنائهم وأخوانهم وأيضا يبلغ الخبر الى المسلمين باهانته وضربه فيهنؤا بذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى الله عنه) انما أراد بوقنا بذلك أن يخلص ضرارا منه وقال فى نفسه اذا بات تلك الليلة انكسرت حدة الغيظ من الملك فيطلقه فقال الملك ليوقنا خذه واحفظه الى غد فأخذه بوقنا الى داره وافتقد جراحاته فاذا بها كلها سليمة ما قطع له عصب ولا عرق وذلك من لطف الله الخفى ولما ان رأى بوقنا جراحاته خاط ها وداواها واطعمه وأسقاه ففتح عينيه فرأى بوقنا وولده ولم يكن عنده علم بأن بوقنا قد أتى الى هذا المحل ليحتال على الملك فلما أن رآهما قال لهما ان كنتما كافرين فقد سحركما الله لى حتى داويتمانى وان كنتما مؤمنين فرحبا بكما وهنيأ لكما ولعل الله يركتكما يجمع شملى بعوز فى الحجاز قد أضر بها البكاء والعويل ليلا ونهارا من اجلى واجل اختى خولة وهى فى العسكر ولقد كانت تحسب هذا الحساب لانى بقية من مضى لها من الاحباب ولقد خفى عليها خبرى وأمرى فان قدرتما أن تبلغاها سلامتى وتعلماها مقامى وكيف كان للكافرين

بها فى ذات الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفى أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك

كلامي فهي ترسل وتعلم أمي وتكاتبها بأمري فلما استراح في الليل قال بالله عليكما اكتبا عني ما أقول لكما فكتب عنه ابن يوقنا وهو يملي له ويكتب حرفا بحرف شعرا

الا أيها الشخصان بالله بلغا * سلامي الى أهلي بمكة والحجر * تلقيتما ما عشتما ألف نعمة
بعز وإقبال يدوم مع النصر * ولاضاع عند الله ما تصنعانه * فقد خف عني ما وجدت من الضر
بصنعتكما لي نلت خيرا وراحة * كذلك فعل الخير بين الورى يجري * ومابي وأيم الله موتي وانما
تركت عجوزا في المهامه والقفر * ضعيفة حال ما لها من جلادة * على نائبات الحادثات التي تجري
تعودها حب القفار مقيمة * على الشيح والقيصوم والنبت والزهر * وكنت لها ركنا تعد رحاله
واكرمها جهدي وان مسني فقري * وأطعمها من صيد كفي أرانبا * ومن الوحش واليربوع والظبي والصقر
من الضب والغزلان والبهث بعده * مع البقر الوحش المقيمات في البر * وأحمي حماها أن تضام ولم أزل
لها ناصرا في موقف الخير والشر * وأني أردت الله لا شئ غيره * وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر
وأرضيت خير الخلق أعني محمدا * لعلي أنال الفوز في موقف الحشر * فمن خاف يوم الحشر أرضى الهه
وقاتل عباد الصليب بني الكفر * كذا جلت يوم الحرب في كل كافر * وجندلته بالطعن في الكر والفر
تقول وقد حان الفراق لحينه * ألا يا أخي هذا الفراق فمن لنا * بحسن رجوع قادم منك يا ابشر
اذا سافر الانسان عن أرض أهله * فما مر جوع أو هلاك مدى الدهر * ألا بلغاها عن أخيها تحيية
وقولا غريب مات في قبضة الكفر * جريح طريح بالسيوف مشرح
على نصرة الاسلام والطاهر الطهر * ألا يا حمامات الاراك تحملي * رسالة صب لا يفيق من السكر
حمائم نجد بلغي قول شائق * الى عسكر الاسلام والسادة الغر * وقولي ضرار في القيود مكبل
بعيد عن الأوطان في بلد وعر * حمائم نجد اسمعي قول مفرد * غريب كئيب وهو في ذلة الاسر
وان سألت عني الاحبة خبري * بأن دموعي كالسحاب وكالقطر * حمائم نجد خبري الاخت انني
قتلت محمد المرهفات من البتر * حمائم نجد عددي عنده موطني * وقولي ضرار قد يحن الى الوكر
وقولي لهم اني أسير مقيد * له علة بين الجوانح والصدر * له من عداد العمر عشر وسبعة
وواحدة عند الحساب بلا نكر * وفي خده خال محته مدامع * على فقد أوطان وكسر بلا جبر
مضى سائرا يبغي الجهاد تطوعا * فوافاه أبناء اللئام على غدر * الا فادفنا في بارك الله فيكما
ألا واكتبا هذا الغريب على قبري * ألا يا حمامات الحطيم وزمزم * الا خبرا أمي ودلا على أمري

عسى تسمع الأيام منا بزورة * لقلب عريب لا برام من الفكر

(قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) لما كتب ابن يوقنا هذه الأبيات كتب أبو يوقنا الى أبي عبيدة يعلمه بما يريد أن يدبره وسلمه الى رجل يثق به وبعثه الى المسلمين * قال المؤلف حدثني جابر بن عمران الدوسي ونحن في أرض يقال لها البلاط اذ جاءنا معن بن أوس من آل مخزوم ولقد تركه أبو عبيدة في المقدمة فجاء برجل من الروم فقال لابي عبيدة خذ هذا اليك فهو يزعم انه رسول فاستخبره أبو عبيدة في السر فقال أنا رسول اليك بكتاب فقال ممن قال من يوقنا ومن أسير لكم بانطاكية يقال له ضرار بن الأزور فأخذ أبو عبيدة الكتاب وقرأه على من يعز عليه فبكوا لما من أبيات ضرار وبلغ الخبر أخته فأتت الى أبي عبيدة وقالت يا أمين الامة اسمعني أبيات أخي فقرأ البعض عليها ولم يتمها فاسترجعت وقالت انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوالله لآخذن بثاره ان شاء الله تعالى وحفظ الناس أبيات ضرار وتداولوها بينهم فكان أشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) حدثنا عبد الملك بن محمد عن أبيه حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عوف عن موسى بن عمران الشكري عن عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش ان أهل حازم فتحوا قلاعا كثيرة وحصونا منها الراوندات وماسواها من قورص وباسوطا ولم يزل أبو عبيدة سائرا بالمسلمين الى أن نزل على جسر الحديد وبلغ الخبر هرقل فتمكن الخوف من قلبه وأمر بطارقته بالتأهب للقتال ونصب سرادقاته مما يلي جسر الحديد ضربت الملوك خيامها وفتح الملك هرقل خزائن السلاح وفرقها على رجاله وأبطاله وخلع على يوقنا وقال له أيها الدمستق قد وليتك على جيشي هذا كله فكن أنت

الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان الذي يريدون

مدبره وسلم اليه صليبا كان في بيعة القسان لا يخرجونه الا في الايام العظام عندهم وقال له أيها الدمستق قدم هذا الصليب بين يديك واعتمد على نصرته فهو ينصرك فاخذه وسلمه الى ولده وأمره أن يحمله بين يديه فعندها ركب الملك هرقل الى كنيسة القسان ومعه الملوك والحجاب حتى يصلي صلاة النصر فاما وصلوا وصلى الملك جلس وأمر باحضار المائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقربهم قربانا فقبل يوقنابذه وقال له ياعظيم الروم ما ولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم أن عقلك يسع ذلك وقد قال دياسقوريدس الحكيم ان العقل مرقى جليل وصاحبه نبيل لانه عز الانسان ومصباح الانام واعلم أيها الملك أن العرب قد قصدتنا بعددها وعديدها وقد نزلوا على جسر الحديد ولا بد لنا من القتال والمصاف معهم ولا ندري على من تكون الدائرة فان قتلت هؤلاء الاسرى ووقع أحد منا بأيديهم فانهم لا يبقون عليه والصواب تركهم الى أن نرى ما تؤل من أمرنا فان أسر وامن أصحابنا أحدا أو من أعيانا نفاديه به فقالت أرباب الدولة صدق الدمستق في قوله قال البترك أيها الملك أحضرهم الى هذه الكنيسة فانها أحسن كنائس بلدنا وأمر النساء والبنات يتزين و يحضرن هنا فاذا هم نظروا الى نسائنا وحسنهن وجمالهن وطيب رائحتهن مالت أنفسهم اليهن فيرجعون الى دينهنا فيكون ذلك وهنا على المسلمين قال فأمر بذلك فلما حضروا رفعت القسوس أصواتهم بقراءة الانجيل فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب الجاحدون وضل الضالون لا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وكان في الاسرى رجل من اليمن من فضلائهم وعلمائهم ممن علم علم الحبريين وقرأ الكتب السالفة وكان اسمه رفاعة بن زهير يقول الشعر وينظم الكلام وانه لما نظر الى الكنيسة ملأته بأهل الكفر ورآهم يعظمون الصلبان و يسجدون للصور قال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله كذب العادلون عن الله أصحاب الشيطان ولا اله الا الله الواحد الرحمن الذي ليس له أب محسوب وانه فرد صمد لا الى شئ منسوب ليس له ضد ولا ند ولا حد أوجد الموجودات وصور المخلوقات وخلق الكائنات ودبر الارض والسموات أول لا افتتاح لوجوده وآخر لا عدم لشهوده لا يموت ولا يفنى ولا يزول ولا يبلى لا شريك له ولا وزير له ولا صاحب له ولا مشير له ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت القسوس بعكازها اليه فاشارت الحجاب اليهم أن لا يكلموه ويتركوه فتفرقوا عنه فقال له الملك هرقل ما اسمك يا أخا العرب قال أيها الملك وما تريد من اسمي ولست من جنسكم فتستخبرني فقال البترك صدق أيها الملك ليس هو من جنسنا ولا له علم ولا خبرة فعلام تسأله انما هو بدوي يعلم بسكنى القفار وصحبة الاشرار والحكمة من بلادنا ظهرت وفي حكمائنا اشتهرت لانها نبعت من اليونانيين ونوعا ما جدودنا السريانيون من أين للعرب حكمة يتوارثونها وعلوم يتدارسونها والفضائل كلها من علمائنا والعدل في ملوكنا الاسكندر و بطليموس رمورياق و يوسطنيوس وأرمويل وانطاميس وأرخاس وجرجس واسطوس واسطانيس وسارغورس النوصيدي وهو الذي بنى انطاكية وسقليوس وارياوس كان نبيا ما لكا و بلينوس وهو الذي بنى الرها ومنبج واسطيس وكان كاهنا وهو الذي أخبر ملك زمانه انه قد ولد مولود يخاطب الرب و يكون له شأن ونبأ عظيم يهلك على يديه أفلاطون وهو فرعون ومنا فلسطين الحكيم ومنا فخر العلوم ومناه منهو وهو الذي بنى رومية الكبرى و باسمه ومناسطاليوس وهو الذي وضع الكتاب الاول الذي فيه حورة الارض بحيالها و بحارها و بنائها وصورانها ووصف أمة كل اقليم بألوانها وخواصها ووصف ما في كل اقليم من معدن ذهب أو فضة أو جوهر وأحصى عيون الارض جميعها بأسمائها وجبالها وأوديتها وشعابها وغدرانها وعجائبها ومنا ابدروس القلنسب الرومي وهو الذي يقول لا حشر في الله مع الذين يقال لهم في المعاد أدبروا مع ابليس وجنوده الى النار ألم تظهر نفسك أيها المسكين الناظر في كتابي القارئ الآبي من ادناس الدنيا وشهواتها المظلمة للنفوس المعوقة للحس الروحاني النوراني أن ترقى الى عالم علليين فانظر في الحكمة فانها سلم العالم الروحاني فمن عدمها فقد عدم القرب الى بارئه ومصوره ومنشئه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وانما تكلم البترك بهذا الكلام بين يدي الملك هرقل وهو يظن انه يطعن في العرب ليسمع جبلة بن الايهم حكمته وكان جبلة وولده حاضرين وكان بين البترك وبينه عداوة وسببها أن البترك كان بنى له ديرا عظيما وجعل له عيدا في السنة تقصده الروم من كل مكان بالنذور والاموال والستور والشموع وكان ذلك كله برسم البترك قال فاعطى الملك لجبلة تلك الارض التي فيها الدير

تولية ه و يقولون ولينا ك السلطنة هكذا كانوا يألقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم و يرسلون اليهم أحيانا يطلبون السلطنة بالاسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء

فتغلب جبلة على الدير وبنى حوله مدينة وسماها باسمه وهى جبلة هذه * حدثنا سليمان بن عامر عن منصور الجونى قال حجاج بن جريج أخبرنى يحيى بن عمارة بن أبى الحسن قال لما سمع رفاعة بن زهير كلام البترك تبسم من قوله وقال أيها البترك لقد مدحت أقواما ليس لهم الى الفضل سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل ولا من وحد الملك الجليل الذى ليس له مثيل ولا عديل وما الفضل الا لولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل الذين لهم البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ومنهم التتابعة والاقيال والحماة والاشبال الذين ملكوا الارض فى الطول والعرض ومنهم الملك الصعب الاسكندر الذى ملك قرنى الارض ودخل الظلمات ودخل فى طاعته أهل الارض وبلغ مطالع الشمس ومغاربها وأذل ملوكها وجعل لهم منهم جندا وأعوانا وسماه الله ذا القرنين ومنهم سبأ بن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد وشديد بن عاد وعمر وذو الأذقان وهو وابن سكسك والهدهد بن عاد ولقمان بن عاد وشيبان بن اكسير بن تنوخ وعباد بن رقيم وهابيل بن عنبان وكان يتكلم بالحكمة ومناجاة موسى بن جلهمة بن سياسة بن عجلان بن ياقد بن رخ وثمود بن كنعان ومناسيا بن يشجب وهو أول متوج منهم ولى بعده حمير ثم منا تبع وهو متوج ومنا وائل بن حمير متوج ومنا عاد بن حمير متوج ومنا بنى الله حنظلة بن صفوان من أهل الرس ومنا نفيل بن عبد المدان بن خشدم بن عبد اليل بن جرهم بن قحطان ابن هود عليه السلام عاش خمسمائة سنة وهو الذى بنى المصانع واستخرج الكنوز وقاد الجيوش وورثه الله علم نبيه حنظلة بن صفوان وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا واجزل محمد صلى الله عليه وسلم منا فنحن السادة وأنتم العبيد * حدثنا سفيان عن عبد ربه قال أخبرنا رجيم قال حدثنا الوليد بن زيادة عن حزام بن حكيم قال بلغنى أن هذا الرجل يعنى رفاعة بن زهير بن زياد بن عبيد بن سرية الجرهمى كان عالما بأنساب العرب واخبارهم وملوكهم وكان طائع كتب هود وصالح وحنظلة عليهم السلام فلما تكلم بحضرة الملك هرقل بهذا الكلام أراد البترك أن يعجزه بسؤال يلقيه عليه فقال ياذا العلم العلية والقرايح الذكية بم تصل القلوب الى نسيم العقل الروحانى وترقى الى ملكوت الاهوت والطبور الخفية الغائبة عن الابصار المحيطة بالاقطار وترقى فى رياضات الألباب المصفاة من الأدناس والافكار النورانية بصفو أكدار الاخلاق المحيطة بالافكار من الهياكل الجسمانية فعند الصفو من مفارقة الكدر تعيش الأرواح عيشة الأبد الذى لا يصل اليها انحلال ولا اضمحلال فحينئذ يختلط العنصر بالعنصر ويطفو الصفو بالصفو ويرسب الكدر الى الكدر فقال رفاعة بن زهير ما أصبت أيها البترك فى مقالتك قال ولم قال رفاعة كيف تدل القلوب الى علام الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب أم كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الكفر وكيف تجلى الافكار من غوامض الاسرار وهى فى حجب الاغترار اذا تناهت الأهوال الى مفازاتها وقربت الهمم من مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها وعادت متحركات الفكر الى مساكنها وغالبات الأذهان الى أماكنها فانحازت الاشكال عن الاشكال بلطف تأثير الهوى فيها وانكبت مشرفة على هياكلها من أقطار عناصرها قال أيها البترك هذا كلام العرب الذى زعمت أن الحكمة ليست من أخلاقهم ولا تباع فى أسواقهم واقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه سيف بن ذى يزن الذى بشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتكلم بغوامض العلوم الحكمية ووشح بوشاح شكر النعمة ومن جملة ما قال فصيح من فصحائنا اسمه قس بن ساعدة هذه الأبيات

الا انشأ من معشر سبقت لهم * أيادٍ من الحسنى فعوفوا من الجهل * ولم ينظروا يوما الى ذات محرم
ولا عرفوا الا التقية فى الفعل * وفينا من التوحيد والفعل شاهد * عرفنا به والتوحيد يعرف بالعقل
نعاين ما فوق السماء جميعها * معاينة الاشخاص بالجوهر الجلى * ونعلم ما كنا ومن أين بدؤنا
وما نحن بالتصوير فى عالم الشكل * وانا وان كنا على مركز الثرى * فأرواحنا فى عالم النور تسجلى
وما صعدت كى تستريح وانما * حقيقة ممثول وجلت عن المثل

(قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه قال أبو سعيد حدثنا شيبة بن أبى عبد الله بن عيسى عن لقيمة بن هند عن عبد الله بن ربيعة قال قلت لرفاعة بن زهير لما خلص من قبضة الروم يا عم كيف كان البترك يفهم ما تقول وتفهم ما يقول فقال يا بنى ما رأيت أفصح من اللذين بلسان العربية ولقد سألت عن ذلك من عبد الله برقنا فقال أما علمت أن ملوك الروم والبطارقة لا يستقيم ملكهم الا أن يتعلموا لسان العربية قال ولما حدث

عصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر أخذ المرحوم سلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور متبركا به فلما توفى السلطان سليم عاد الى مصر واستمر بها الى أن توفى بها سنة

رفاعة المسلمين بمناظرة البترك كتبها كثير من الناس (قال الواقدى رحمه الله) وكان لرفاعة بن زهير الجرهمى ولد جاهل قال وكان أسر معه قال وكان قلبه يميل الى الكفر وكان رفاعة يدعوه عليه فلما حضر الأسارى فى كنيسة القسيان واشتغل رفاعة مع البترك بالمناظرة أقبل ولده عامر يحدق بنظره الى البيعة وزينتها وصورها وصلبانها ويتأمل نساء الروم وزينتهن فبادر الى تقبيل الصلبان والاشراك بالرحمن فلما رآه أبوه رفاعة بكى وقال يا ويلك أكفرت بعد الايمان يا ويلك طردت عن باب الرحمن يا ويلك كفرت بالملك الديان يا طريد القدرة يا من بعد عن الحضرة فيا ولدى ما بكائى على فراقك وانما بكائى اذا سلكت أنا فى طريق وأنت فى طريق اذا مضيت أنت الى دار الابالسة وحشرت مع الرهبان والشمامسة وتكون فى طبقة النار السادسة وأنا أمضى مع محمد الى دار فيها الأرواح مستأنسة يا بنى لا تطالب حياة الدنيا يا بنى لا تختر شهوتها على الآخرة واخشاى من فعالك اذا وقفت بين يدى العزيز الجبار يا بنى لقد فضحت شيبة أبيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى يا بنى لقد خاب أملى فيك والرجاء يا بنى كيف طاب قلبك أن تتبرأ من محمد المصطفى يا بنى ممن تطلب الشفاعة غدا يا بنى غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم يا بنى صرت الى الشقاء من بعد كونك فى النعيم يا بنى أما تخشى العذاب فى الجحيم أما تستحى من أحمد يوم القيامة أما تعلم ان أباك قد غدا من أجل كفرك فى هموم أين المفر اذا دعاك الله فى اليوم العظيم ويقول يا عبدى كفرت بواحد فرد يا بنى أنت فى عيش ذميم أما أبوك فانه يبقى بعزه مقيم أسألك يا ولدى بما قد كان فى الزمن القديم من حنوى وتعطفى حال الرضاعة والفطام الا رجعت الى الذى غطاك بالستر العميم قال فقيل له ان ولدك قد أغلق الباب عليه وأرخى الحجاب فامر به البترك فحمل من الوثاق وأمر به الى جرن ماء المعمودية فجسوه فيه ودارت به القسوس والشمامسة وبخروه ووقعت عليه الخلع من البطارقة والملوك ووهب له البترك مركبا وجارية ومنزلا وضمه الى عسكر جبلة بن الايهم ثم قال البترك يا هؤلاء ما منعكم أن تدخلوا فى ديننا كما فعل صاحبكم قالوا منعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وما نحن من الذين يبدلون اديانهم بالكفر ولو قتلنا فقال لهم البترك طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه فقال له رفاعة الله يعلم أننا المطرود ومن هو عن رحمة ربه مبعود فقال هرقل يا معاشر العرب قد وصل الينا ان خليفتكم وأميركم بلبس مرقعة وقد وصل اليه من أموالنا وذخائرنا ما يكل عنه الوصف فما منعه أن يتزيا بزى الملوك فقال رفاعة منعه من ذلك طلب الآخرة والفزع من جبار الجبابرة فقال هرقل ما صفة داره ما رته فقال رفاعة مبنية بالطين خالية من الحجاب آنسة بالفقراء والمساكين قال فما بساطه قال العدل والتمكين قال فما سريره قال العقل واليقين قال فما بابه لملكه قال الزهد والدين قال فما خزائنه قال الثقة برب العالمين قال فمن جنده قال أبطال الموحدين أما علمت أيها الملك ان جماعته قالوا له يا عمر قد ملكت كنوز القياصرة وذللت البطارقة والاكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة قال أنتم تريدون زينة الحياة الظاهرة وأنا أريد رب الدنيا والآخرة فلما أبدى هذا القول وأضمر أشار اليه منادى القدرة وبشر الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال ثم ان الملك هرقل أمر بهم الى السجن الذى هو فى كنيسة القسيان وخرج الى عسكره ليشرف على الخيام فرأى السرادقات قد ضربت لان البطارقة ضربت سرادقاتها عند خيامه ونونيا الملوك قد نصبت بازاء كل نونية كنيسة من الخشب المدهون بسائر الاصانيع والنواقيس على أبوابها وكان زى الروم ذلك وهذه البيع الخشب كانوا يتخذونها فى وقت صفعتها وتكون معهم فى أسفارهم وعساكرهم وطاف هرقل على عسكره جميعه وأراد الدخول الى انطاكية واذا بفوارس تركض اليه فقالت لهم الحجاب وأصحاب السرير ما وراءكم قالوا ملك جسر الحديد منا وقد حصلت العرب منا على داخل الجسر قال فابن الملك نزوال ملكة قال وكيف ملكت العرب الجسر والبرجين وفيها ثلثمائة من البطارقة الشداد فالوا أيها الملك ان المقدم الذى على الابراج هو الذى سلمهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن حسن لطف الله بالمسلمين ان صاحب الملك كان فى كل يوم يمضى الى الجسر ويوصى من فى البرجين باليقظة والحرس الشديد وانه مضى فى بعض الايام على عادته فوجدهم يشربون الخمر وليس عندهم حفظ ولا حرس فاخذهم وضرب كبراءهم وهم بقتل مقدمهم ثم انه أمسك عنه خوف الملك فعمل الحقد فى قلوبهم فجاءهم يوقنا فى بعض الايام يتحسس ليدبر فيه حيلة فرآهم حنقين من صاحب الملك فسألهم فانكروا منه فقال لهم اطلعونى على خبركم فقالوا له أنعطيناك أمانا فاعطاهم فقالوا نحن نسلم هذا الجسر للعرب فلما

خمسين وتسعمائة فى زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد أن توفى السلطان بيبرس المذكور

صح عنده ذلك قال لهم ما مرادكم قالوا نأخذ أمانا من المسلمين فقال يوقنا أنا أكتب لكم كتابا الى أمرهم بان يعطيكم أمانا وان دخلتم في دينهم فهو خير لكم فقالوا له وكيف أنت دخلت في دينهم ثم رجعت فقال حاش لله وانما أتيت أدبرهم على تسليم انطاكية لهم فلما صح عندهم ذلك قالوا ونحن نسلم اليهم الجسر فلما وافقهم على ذلك كتبوا أمرهم فلما قدم المسلمون مضى اليهم صاحب الجسر من غير أن يعلم به أحد وأخذه وان معه أمانا وناوله كتاب يوقنا ففرح المسلمون بذلك بان يأخذوا جسر الحديد من غير قتال فاعطوا للمقدم أمانا فلما وصل عسكر المسلمين الى الباب الذي على الجسر فتح لهم فدخلوا فلما سمع هرقل بذلك أمر الناس أن يتأهبوا للحرب قال ففعلوا ذلك (قال الواقدي رحمه الله) حدثنا ياسر بن عبد الرحمن عن منازل بن نزاف الصيدلاني وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال بلغني انه لما صار المسلمون بارض انطاكية قال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان قد صرنا بارض انطاكية بلاد الروم والساعة يأتينا عسكره فما ترى من الرأي قال خالد ان الله قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية فامر أصحابك أن يتأهبوا ويظهروا زينة الاسلام وقوة الايمان وسير كل أمير بجيشه ولتكن الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قال ففعل أبو عبيدة ذلك وأول من سير سعيد بن زيد أحد العشرة ومعه ثلاثة آلاف فارس فيهم المهاجرون والانصار وجعله على مقدمة الجيش وسير وراءه رافع بن عميرة الطائي ومعه ألف فارس وسير وراءه ميسرة بن مسروق العبسي في ثلاثة آلاف فارس وسار وراءه خالد في جيش الزحف وسار وراءهم أبو عبيدة في بقية العسكر وكان معه عمرو بن معديكرب الزبيدي وذو الكلاع الحميري وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وأبان بن عثمان بن عفان والفضل بن العباس وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن ضمرة وسعيد بن رافع وزيد بن عمرو ومثل هؤلاء السادات وسار وراءهم النساء اللاتي لهن الاسرى وفيهن خولة بنت الازور وعفيرة ابنة عفان ومزروعة ابنة عملوق وأم أبان بنت عتبة وليس فيهن أشد حزنا من خولة بنت الازور (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ومما بلغني انها قالت في أمر أخيها من المراثي المبكيات

أبعد أخي يلذ الغمض عيني * فكيف بنام مقروح الجفون * سأبكي ما حييت على شقيق
أعز علي من عيني اليمين * فلو اني لحقت به قتيلا * لهان علي آذهو غير هون
وكنت الى السلو أرى طريقا * وأعلق منه بالحبل المتين * وانا معشر من مات منا
فليس يموت موت المستكين * واني أن يقال مضى ضرار * لباكية بمنسجم هتون
وقالوا لم تكاؤك قلت مهلا * أما أبكي وقد قطعوا وتيني

قال فسار أبو عبيدة في مواكبه كما ذكرنا فبينما الروم في خيامها وعسكرها اذ وقع فيهم الصياح بقدوم العرب فركز واخيولهم وصفوا صفوفهم فاول من أشرف عليهم براية سعيد بن زيد وبعده المسيب بن نجية الفزاري وبعده ميسرة بن مسروق العبسي وبعده أتى خالد بن الوليد وبعدهم أبو عبيدة في مواكبه فنزل كل أمير بقومه فلما نظر هرقل اليهم وانهم قد نزلوا بفنائه وبنائه تزك على حفظ جيشه صاحبه الاكبر نسطار وس بن رومبل وكان من شجعان الروم ودخل الى كنيسة القيسان وجمع الملوك والبطارقة والسريرية والحجاب وقام هرقل فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية ويا بني ماء المعمودية قد قرب ما حذرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من أرض سورية وقد كنت حذرتكم من زوال ملككم ومن هذا المقام فلم تقبلوا مني وأردتم قتلي وهؤلاء القوم قد خلوا بدار ملككم وزياح عزكم فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم وأنفسكم واياكم والفشل لئلا يلحقكم في الجهاد فقد جاهدت عنكم جهدي وأتلفت أموالي وخزائني ورجالي عن دينكم وملككم فلم تصادفني مساعدة ولا أدركت من القوم فائدة فان أنتم فشلتم وتقاعدتم ولم تجردوا لهؤلاء العرب سيوف العزم والا كان العار عليكم والذلة تصل اليكم أين أبناؤكم ومن سلف من آبائكم ماتوا كراما غير لئام وسكنت ديارهم العرب اللئام وكنائسهم صيروها جوامع وأخربوا البيع والصوامع وأذلوا ملوككم واستعبدوا أبناءكم ونساءكم وملكوا قلاعكم واستولوا على حصونكم ومدائنكم وقد مضى ما مضى فاستنفوا الامر وقاتلوا فكم هلك من الامم قبلكم على مما لكهم وعلى الغيرة على حريمهم ولقد كانت حكمتي أنجعت لكم أن تتسجروا على منوال المصالحة بينكم وبين هؤلاء العرب فابيتم ذلك لان ظلمة جهلكم قد أطفأت نور الحكمة أما علمتم انه قد وجد لوح من الحجر على قبر طيماون تلميذ أفيانوس وفيه مكتوب الحكمة سلم العالم

سنة سبعمائة وست وسبعين تولى من بعده ولده (محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له في حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة

الاعلى من عدمها فقد عدم القرب الى بارئه الحكمة حياة القلوب وبغية الأذهان ونزهة النفوس ونور العقول من لم يكن حكيما لم يزل سقيما من تدبر نظر ومن نظر عرف ومن عرف عمل ومن عمل انفتح ذهنه وعقله ومن انفتح عقله صفت نفسه فقام اليه جبلة بن الايهم وقال يا عظيم الروم اغاثك قتال هؤلاء العرب بقتل خليفتهم عمر بالمدينة فلو أنت أرسلت اليه رجلا من آل غسان يقتله فيكون سبب فشلهم وانتزاع الشام من أيديهم فقال هرقل هذا شئ لا يصح أمله ولا ينقضي أجله لان الآجال مقدرة والأنفاس مقررة ولكن هو شئ تطيب النفس عند سماعه فافعل ما أردت قال فأرسل جبلة من قومه رجلا يقال له واثق بن مسافر الغساني وكان جريئا مقداما في الحروب فقال له انطلق الى يثرب فلعلك تقتل عمر فان أنت فعلت ذلك فانا أعطيك ما أردته من الأموال قال فانطلق واثق بن مسافر حتى دخل المدينة ليلا فلما كان الغد صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح ودعا وخرج الى ظاهر المدينة ينتسم أخبار المجاهدين بالشام قال فسبقه المتنصر وجلس له بأعلى شجرة من حديقة ابن الدحداح الانصاري واستتر بأغصانها ثم ان عمر قام عن ظاهر المدينة حين حميت الرمضاء وعاد وهو وحده فقرب من الحديقة ودخلها ونام في ظلها فلما نام هم المتنصر بالنزول من الشجرة وجرد خنجره واذا هو بأسد أقبل وهو قدر البقرة الكبيرة وطاف حول عمر وجلس عند قدميه يلحسهما وأقام حتى استيقظ فعند ها نزل المتنصر وقبل يد عمر وقال له يا عمر قد عدلت فأمنت بابي والله من الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم حدثه بأمره وأسلم على يديه (قال الواقدي رحمه الله) وكانت هذه الفعلة قبل نزول المسلمين على انطاكية (حدثنا) أبو محمد قال أخبرني أبي عن حسان عن السدي عن يحيى الواقدي عن شهر بن عباس المبروتي ان عمر حدثه عن نزول أبي عبيدة بالمسلمين على انطاكية قال وعظ هرقل قومه بكنيسة القيسان واستحثهم انهم لا ينهزمون أو يموتوا عن دم واحد فخلفوا وخرجوا مع الملك الى عسكره وقد رفعت الصلبان وقرأت القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان واصطفوا للقتال وكان المسلمون قد رتبوا صفوفهم وأوقفوا كل أمير في مكانه ونشرت الرايات والاعلام وأشار أبو عبيدة الى ربيعة بن معمر الشاعر وكان لسنا فصيحا لا يتكلم الا بالكلام المنظم فقال له يا ربيعة فوق سهام لفظك وعظك الى المجاهدين وحرض المسلمين على قتال المشركين قال فتقدم ربيعة أمام الصفوف وكان جهوري الصوت يسمعه القريب والبعيد فقال أيها الناس الى متى هذه المهلة فيأهبوا للحملة فهذه طيور الأرواح قد عوّلت على فراق أقفاص الاشباح وقد ارتاحت الى باريها وأجابت صوت منادي هواها فلا تخاطبنا بلسان اشارتها عن نطق عبارتها هذا الوقوف عن بذل أنفسكم وقد اشتراها مؤيدكم أفركنتم الى حب الحياة الفانية والانفس الدانية وهذه أوقاتكم بالنصر مؤيدة وهممكم عن طلب زينة الدنيا مصيدة والمواعظ الصادقة بكلام الحق مقيدة أيمانكم توايدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وهذه طوالع سعود نابالاقبال طالعة وشجرة آمالنا بالتأييد يانعة فلئن درهم فلقد ظهرت زهرة نجوم المحبة في أفلاك راياتهم وتبلج فجر الشق في سماء سماتهم وأشرقت شموس المعرفة في مشارق عشقهم فلما هو وا بالحملة بأجمعهم واصطفوا وقدموا هم النفوس في رضا الملك القدوس واستبقوا وزاحم بعضهم بعضا ولم يرفقوا ولم يتوددوا من صفاء أسرارهم من المؤمنين رجال صدقوا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني زيد بن اسمعيل الصائغ عن جعفر بن عون عن عياش بن أبان عن جابر بن أوس قال كنت حاضرا في مصاف أبي عبيدة على انطاكية حين وعظنا بسجعه ربيعة بن معمر فكان أول من خرج من الروم للبراز شجاع من الروم نسطار وس بن زوبيل وهو كأنه برج من الحديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج اليه دامس أبو الهول مولى بني طريف فاتخ تلمة حلب وهو يومئذ فارس غطريف فحملا على بعضهما فلما اشتعلت نار الحرب بينهما عثر جواد دامس فسقط من على ظهره فانقض عليه نسطار وس وأخذه أسيرا وقاده ذليلا ورجع الى الميدان فخرج عليه الضحاك بن حسان الطائي وكان يشبه خالدا في حملاته وخفته فلما برز قال قائل من الروم ممن شاهد قتال خالد في المواطن وعرفه هذا فارس الشام والمسلمين الذي فتح بلادنا فصار كل من في انطاكية ينظر اليه وهم يظنون انه خالد فازدحمت خيل المشركين من كثرة النظر اليه فقطعت حبال السرادقات التي لنسطار وس وغير واسريره فخاف الغلمان على أنفسهم وسرادقاته على ذلك واذا رآها على

ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة وأشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته

تلك الحالة فلم يجسروا أحدا يعينهم على رفع السراديق لان كل من فى العسكر مشغول بالفرجة على نسطاروس مع خصمه فاتفق اثنان من الفراشين وكانوا ثلاثة على حمل دامس أبى الهول وقالوا له نحن نحملك من وثاقك ونعيننا على حمل عمود هذا السراديق ونعيدك الى الوثاق فاذا جاء الطريق نشفع فيك فانه يخلى سبيلك فقال نعم فحلوه من وثاقه فعند ما قبض على الاثنين كل واحد بيد وضرب واحدا بواحد فصرعهما فاتا فهجم على الثالث فقتله وفتح صندوقا من الصناديق فوجد فيه ثياب نسطاروس فلبسها وركب من الطوالة جوادا من خيارها وأخذ بيده قنطاريه وسيفا واثم وجهه وقصد عسكر المتنصرة ووقف الى جانب حازم بن عبد يغوث وهو ابن عم جبلة وكان قدمه على عسكر المتنصرة وجبلة وولده وبنو عمه فى موكب الملك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل القتال بين نسطاروس والضحاك بن حسان الى أن كل الجوادان ولم يقدر أحدهما على صاحبه فافترقا وعاد نسطاروس الى سراديقاته ليستريح فوجد السراديق على الارض والفراشين قتلى ولم يرد ما سألعم أن المصيبة من قبله فمضى الى الملك وأعلمه بذلك فقال وحق المسيح ما هؤلاء العرب الا شياطين قال وهرج العسكر بصنع أبى الهول فقال الملك هو والآن فى عسكرنا وما رأينا خرج وماهو الا مختف فى عسكر المتنصرة لانه من جنسهم فلما رأى دامس هرج عسكر الروم وأن ذلك بسببه انتضى سيفه على حين غفلة وضرب به حازم بن عبد يغوث فرمى رأسه عن بدنه فبهتت المتنصرة من فعله وأمسك الله عنه أيديهم ودهشوا لذلك وأطلق جواده وطلب عسكر المسلمين فلما رأوه صاحوا بالتهليل والتكبير فأتى الى أبى عبيدة وأخبره بما وقع له مع القوم فقال لا شلت يداك وبلغ الخبر جبلة من قتل ابن عمه حازم فغضب وأتى الى هرقل وصقع له وقال ياعظيم الروم أنا لا أقدر على الصبر ولابد لنا من الحملة على هؤلاء الذين قد تعدوا طورهم وجهلوا قدرهم فأراد الملك أن يأمرهم بالحملة واذا قد أقبلت عليه خيل تركض فقال لهم ما وراءكم قالوا أيها الملك انه قد قدم الى نصرتك فلنطانوس بن سطانيوس بن أرمونيا صاحب المدائن وروميه الكبرى وباسم جده سميت وكان قد وضع فيها هيكلا عظيما يسمى أباسرفيا وكان به صورة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر ولذلك الهيكل سبعة أبواب من الذهب على كل باب هيكل مدور على رأسه شخص آدمى وبيده عدة ألواح من الذهب وفى كل عام يعلق منها لوح على الهيكل تلقاء الشمس ثم ينظر كاهن ذلك الهيكل فى ذلك اللوح فيعلم ما يجرى فى الاقليم المختص بذلك اللوح وكان كل لوح مختصا باقليم من الاقاليم السبعة وكذلك لكل هيكل من تلك السبعة هياكل فيعلم أهل روميه الكبرى ما يجرى فى العالم بما وضعه حكماؤهم الاقدمون وفى وسط تلك السبعة هياكل قبة مثمنة على ثمانية عمد من نحاس أصفر مطلية بالذهب محوط به سور مرقط ببياض وفيه بابها الاعظم وعلى رأسها صورة من حجر لا يعلم ما هو بل الحجر اسود فاذا كان استواء الزيتون فى مشارق الارض ومغاربها يسمعون من تلك الصور رصوتا هائلا تكاد القلوب تنفطر منه فاذا كان الغد تأتى من آفاق الارض زرازيرها وكل زرزور حامل ثلاث زيتونات واحدة فى منقاره واثنتان فى رجليه فيلقونها على رأس تلك الصورة فلا تزال كذلك حتى يمتلئ ذلك المكان العظيم قال فيعصرون منه زيتهم وما يأكلون من العام الى العام وكان فى داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت روميه ولما أراد فلنطانوس الملك النهوض الى نصرة هرقل احتاج الى مال يصرفه على عسكره فأتى الى ذلك البيت المقفل وهم بفتحه فقال له عظماؤه وعطماوس وهو القيم على أمر الهيا كل كلها أيها الملك ان هذا البيت منذ أقفل تاريخه سبعمائة سنة وذلك من قبل ظهور المسيح بمائة سنة وسبعين وما أحد من أجدادك تعرض اليه ولا أحد ممن ولى أمر هذه الكنيسة الا وأوصى على هذا البيت أن لا يفتح فلا تزل حكمة أسسها من كان قبلك من الحكماء والملوك وقد بنى هذه المدينة وأسس هذا الهيكل وهذا البيت وهو بيت جدك رسيوى بن قطاوس وبقى فى ملكه على ما بلغنا ثلثمائة وسبعين سنة ووصى كوصية أبيه وتولى عليه أحد أجدادك حتى وصل اليك هذا الملك ولك فيه مائة سنة فلا تزل حكمة أجدادك الذين أسسوها وطلاسم وضعوها قال فاخذه اللجاج فى فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيأ الا أنه رأى فى البيت صورة القدس ومدن الشام وصفة ملوكهم وعددهم وفى آخرهم صورة ليطن وهو هرقل كأنه ينظر فى اللوح مكتوب باليونانية ياطالب العلم عليك بكثرة القراءة فانه كلما تكرر مرورك على مسامع من يتعلمها كان ذلك أشد لشبونه وأحكم لتصريفه اذ العلوم كلها انما تستخرج بالعقل والقياس وانما يكون بكثرة الرياضة والعلم مطية

سنتين وثمانية أشهر وتولى من بعده أخوه (بدر الدين الملك العادل سلامش) وكان يسمى ابن البدوية فاقام خمسة أشهر ثم جاءت الدولة القلاونية الصالحية

التدبير والتدبير موضع العلم والعلم موضع العقل هذا هو المتهم لاشكال العلوم وقد رأيتاني الحكم والأسرار الخفية أن صاحب الغمامة اذا خيمت على صفحة الارض وحلت الضلالة خرج مصباح الهداية من أرض تهامة فيذهب بظلام الجهل المظلم للحس ويدعو الناس بدينه الى توحيد الصانع وهو صاحب الجمل الاورق فيذهب بالأديان أو الملك يضيق لدعوته السهل والجبل فاذا غلب نوره على كل كثيف انتقل الى العالم الروحاني وولى بعده رجل نحيف الصورة قلبه منور بنور الصدق يشيد ملته ويصدق شريعته وويل للشام مما يحل بها من الرجل الأحور والذاهب بملك قيصر وهو والرجل النحيف صولته الربعة صورته العدل صفته والحق منقبته جبته مرقعة وسيفه مدرته في أيامه تذهل الدول وتتحول وتضمحل وتزول وأوانه اذا فتح هذا البيت المصور بالحكمة المحفوظ بحفظ النعمة فطوبى لمن رسخت الحكمة في قلبه وأشرقت مصابيحها في لبه واتبع الحق وعرفه وجانب الباطل وخالفه قال فلما قرأ فلنطانوس ما في اللوح أخذه العجب وقال لعطاماوس قيم الهيا كل أيها الأب الشفيق ما تقول في هذه الحكمة قال أيها الملك وما عسى أن أقول في حكمة وضعتها العظماء وعلمت بها الحكماء وانما العلوم غامضة يصل اليها الخبر الجوهري بنور العقل وانما أرى أن دولة هرقل وهي عزيزة وايتها انهدت أركان ملكه من أرض سوريا وانتقل ملك الروم الى أرض اسطور يعني قسطنطينية وبذلك أخبره هرايس الحكيم في كتابه العزيز الذي وضعه وسماه اسلاس يعني جواهر الحكمة ومن جملته اذا ظهر نور النبيئة المصفاة من الأدناس من جبال فاران نسفت الاذهان بنور حكمته وانصرفت الظلمة المتكاثفة في سماء الجهل بقوة عزيمته ودعا الناس الى لطيف دعوته وقادهم بازمة لطافته فيعلو على الافلاك فويل لارض ابليا من صولة صاحبه المتوشح برشاح الهيبة المتوج بتاج العقل صاحب فتوح الارض ومذل ملوكها العدل قسطاطه والمرقعة لباسه وفي زمانه ينكسر الصليب وتخرج اليها الهيا كل وتندرج المذابح ويذوب ماء المعمودية فلانجاه من صولته الا باتباع شريعته وصاحبه قال فلما سمع ذلك فلنطانوس من القيم على الهيا كل كتم الأمر في نفسه وقال لابد لي من النظر الى العرب والمسير اليهم والى نصرة الملك هرقل وقد وصل الى كتاب البترك وندبني الى نصرة دين المسيح فان تأخرت حرمني ثم انه اختار من جيشه في رومية ثلاثين ألفا وهم الكرجية وولى في موضعه ولده استفليوس وهو مثلث النعمة واستخرج من بيت الحكمة رايات الاسكندر اليونانية وكانت منسوجة بالذهب واللؤلؤ التي نشرها يوم فتحت الواحات من أرض باليوس وكانت لاتنشر الا في يوم واحد في السنة بيعة اياسوفيا وهو يوم عيد الصليب والشعانين قال فلما رفعت على رأس فلنطانوس سار حتى ورد انطاكية ونزل على باب هاوس ومعناه باب فارس قال وركب الملك هرقل في موكبه الى لقائه وضربت سرادقاته بازاء سرادقات هرقل وفرحت الروم وتفاءلت بالنصر وضربت النواقيس ووقعت ضجة عظيمة في جيوشهم وارتفعت أصواتهم وجاءت عيون المسلمين فاخبروهم بقدوم صاحب رومية فرفع أبو عبيدة كفه الى السماء وقال اللهم ان أعداءك يستنصرون علينا بكثرة عددهم وتزيد مددهم فشتت كلمتهم ودمر جيوشهم وزلزل أقدامهم وعسر أيامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم السفلى وانصرنا كنصرنبيك في يوم الاحزاب اللهم رد كيدهم في نحرهم وانصرنا عليهم قال وأمنت المسلمون على دعائه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثنا ابراهيم بن العلاء عن أبي يوسف الكندي عن أبي جعفر الداري عن الربيع بن أنس عن جعفر بن ميسرة قال قال لي عمي لما قدم صاحب رومية بجنوده خاف المسلمون ولكن ثبتهم الله وبعث أبو عبيدة معاذ بن جبل ومعه ثلاثة آلاف وقال له يا صاحب رسول الله ان الروم قد تجمعت من سواحل البحر لنصرة دينها فانهض وشن الغارات على بلاد السواحل واحتفظ أن تؤتى المسلمون من قبلك قال ففعل ذلك معاذ وسار الى جبلة والاذقية فاحتوش أموالها وأخذ غنائمها ووجد على باب جبلة عنان بن جرهم الغساني بن عم جبلة بن الأيهم ومعه ألف دابة محملة براوشعير العسكر الكفر وقد جمعها من طرابلس وصور وعكا وصيدا وقيسارية وقد بعث بها قسطنطين بن هرقل الى أبيه فلما وصلت مدينة جبلة سلمها العرب المتنصرة لابن عم جبلة وعادوا فوقع بهما معاذ رضي الله تعالى عنه فأخذها ورجع قافلا الى عسكر المسلمين فلما رأوها رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فسأل هرقل عن ذلك فأخبر وبما وقع فغضب على أخذ الميرة التي يتقوت بها عسكر أعدائه فقال لبطارقته ما بقي بيننا وبين هؤلاء الا المصاف ويعطي الله النصر

وهي من الدولة التركية المتقدمة فأولهم (الملك المنصور أبو المعالي قلاون الصالحي النجمي) وقيل له الالفي لانه اشتري بألف دينار فاقام احدى عشرة

لمن يشاء ثم انه أمر عساكر بالاهبة للقتال ثم انه ركب والى جانبه فلنطانوس صاحب رومية وصاحب مرعش وصاحب قلعة اسكاندنيس وهى قلعة الروم وصاحب طرسوس وصاحب مصيصة وصاحب قونية وصاحب ماصر وصاحب اقصرا وصاحب قيسارية الروم الأقصى وصاحب قوماط وصاحب انطرانه وصاحب طبرزند وجبلة بن الايهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقبل يرتب الصفوف فى الحرب فلما وقف كل ملك بجيشه وكل بطريق بأصحابه أراد فلنطانوس ملك رومية أن يتقرب الى هرقل بمبارزة العرب فصعق له على قربوس سرجه وقال أيها الملك ماتركت ملكى وأتيت الى خدمتك من مائتى فرسخ الا حتى أرضى المسيح وأخدمه بين يديك وان كل عسكرك قد قاتلوا وجاهدوا وأريد أن أبرز فى هذا اليوم الى هؤلاء المجدبين وأشفى فؤادك وفؤادى منهم فاراد الملك أن يطيب قلبه فقال له الزم مكانك ولا تخرق بحرمتك وحشمتك حشمة الملوك فانت أقدم منى فى المملكة فدع غيرك يكون لهذا الامر فما بلغ من شأن العرب أن تخرج أنت اليهم بنفسك فقال فلنطانوس أيها الملك وأى حشمة بقيت لنا مع هؤلاء وقد أهملوا عزنا وأذلوا أعز ديننا والجهاد مفروض على كبيرنا وصغيرنا أما علمت أيها الملك انه من نظر الى الدنيا وبين المحبة جذبته الشهوات الى الغلو فى محبتها والتعلق بزخارفها فاذا أقبل ذلك ركب غيم كثافة الجهل على صفحة صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده ومن سارع الى طاعة خالقه بترك شهواته ارتقى الى دار دائرة القدس فى محل الانس والعلم القديم الأزلى بركون أنفسكم المحجوبة بحجاب الغفلة الى طلب ما فى سلط عليكم أضعف أمة قد أخرجتكم من دياركم وأبعدتكم عن أوطانكم وماذاك الا لخلودكم الى الاهواء الجاذبة الى مهاويكم والى ادراك درك المهالك لانكم حكمتم بغير الحق واجتراتم على الرعية بطلبكم منهم ما ليس لكم بحق والجور فى أخذ أموالهم وفساد أحوالهم وكثرة الزنا واتباع الخنا فلاجل ذلك لم تنصروا ودارت دائرة السوء عليكم قال ثم تكلم صاحب الملك هرقل الكبير واسمه سروند وصاح عليه وقال له أيها السيد لا تحمل على قلب الملك من كلامك ما لا يطيق فى مثل هذه الساعة فقد وعظه من هو أكبر منك فلم يسمع قوله قال فغضب فلنطانوس من صياح الحاجب عليه وكتم أمره الى الليل فلما مضى من الليل ربعه طلب حجابه وخواصه وقال لهم أرضيتم أن يزعق على حاجب هرقل ويوبخنى بين الملوك وأنتم تعلمون أن بيتى أعظم من بيته ونسبه أدنى من نسبى وملكى أقدم من ملكه ولقد قال قسيس حكيم بلاد الذكر المشهور بحكمته وهو الذى وضع المنار الاعظم فى يوم كبير كان بين بلاد الجرامقة وبلاد الانجار وهى مسيرة اثنى عشر يوما ولا يصل الى أرضها الا بعد عناء كبير فاحتفر لها بئرا ووضع فى وسطها عمودا على رأس حجر يدور من صنعة حكمة ايسمع له من حدة النداء من حوله ويرشح له بقدر ما علا ذلك الجرن العظيم فانه قال لاتسع بقدملك الى من برأك دونه فتصغر عنده واجعل عز نفسك فى مقابلة كبريائه تجبه فان عزة النفوس تقابل جاه الملوك ولا تصنع صنيعك لغير مستحقه لانها تجلب عليك السوء من قبل ذلك فان ذلك الاحسان لا يزكو الا عند ذوى الأصول فانه يندم عند السفهاء والأراذل لا تصنع اليهم النصيحة فانك أنت تطلب منفعته وهو يريد هوى نفسه بأذيتك وقد جئناه من مائة فرسخ وأكثر الى خدمة رجل يرى اننا قد قصدناه اداره وتاج عزه وانا نحن من جملة خدمه وان نور العقل المجوهر للحس يمنعنى من اتباع الجهل المظلم للحواس وان نفسى تأبى ذلك والعز محل جليل ومقام نبيل والذل وبيل وصاحبه قليل وقد عودت أن أسير الى هؤلاء العرب وأختبر ما بهم فانها هى الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق ومن كان عليها أمن فى معاده من الهول الاكبر فما أنتم قائلون قالوا أيها الملك وكيف تطيب نفسك بترك دينك وملكك وعزك وتتبع هؤلاء وهم لا فضل لهم ولا عندهم حكمة فقال فلنطانوس أما الحكمة البالغة فعندهم مقرها وفى نفوسهم موطنها لان نور توحيدهم صفى أذهانهم ونور اعمالهم ببركة صاحبهم المسمى فى علوم الغيوب لان مغناطيس حكمته الربانية جذب جوهر عقولهم الى متابعته والاقتداء بشريعته ومن أراد أن يلقى عالم علويين فلا يقعد على صحفة أهل الجهل أما علمتم أن النور انور من الظلمة والموت نهار الحياة قال فلما سمعوا قوله قالوا أيها الملك نحن ما نخالفك من عزد ائم يخرجنا من الذل ومهاوة الغلبة فاذا كنت تطلب بناطر يقا يؤدى الى البقاء ويذهب بالشقاء فالحق اتباع الحق ونفى الباطل فنحن لك وبين يديك قال فخذوا على أنفسكم فاذا كانت ليلة غدر كبنا كأنا نطوف حول البيت نحرسه ونطلب جيش العرب قال ففعلوا ذلك وأخذ فلنطانوس فى أمره

سنة وعشرة أشهر وتوفى بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذى بنى البيمارستان وجعله مباحا للفقير والامير والمدرسة المنصورية التى

قال ابن وهب وابن صالح عن أبي موسى الاشعري قال لما عزم أن يسير الى جيش المسلمين أتى اليه بوقنا برسالة الملك هرقل فلما أدى الرسالة وهم بالقيام قال له فلنطانوس من أنت من الحجاب قال أنا بوقنا صاحب حلب قال وكيف تركت بلدك قال استولت عليها العرب وحدثه بحديثه فقال فلنطانوس وما الذي ظهر لك من هؤلاء العرب قال أيها الملك اني دخلت في دينهم واطلعت على أمرهم وكشفت سرهم فرأيت القوم لا يستعبون الى الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل من كثرة اجتهادهم ولا يتكلمون بغير ذكر ربهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسي غنيهم فقيرهم الامراء منهم في زي المساكين والعزيز والذليل عندهم سواء فقال له فلنطانوس فاذا وقفت على سرهم ورأيت فضلهم فما منعك أن تقيم عندهم وبينهم فقال بوقنا منعني من ذلك صحة ديني ومحبة قومي لاني لم أر فراقهم قال فلنطانوس ان النفوس الزكية الباقية اذا رأت الحق جذبها اجاذب اليقين الى حضرة طلب الاخلاص من المعيشة الدنيمة الى أن ترقى الى أعلى عليين قال فخرج بوقنا وقد رسخ كلام فلنطانوس في قلبه فقال والله ما تكلم بشيء الا وهو منقوش على صفحة صدري وكلامه يشهد بقبول عقله لصحة دين الاسلام وأقام بوقنا على قلق من ذلك حتى أقبل الليل فأتى الى فلنطانوس فرآه وهو على نية الركوب الى ما ذكرناه فلما وقف بين يديه صقع له فقال له فلنطانوس بأي حجاب حجب الله الظالمين عن اتباع سبيل المتقين فالحق واضح لمن طلبه . والباطل خفي عمن اتبعه فقال بوقنا أيها الملك ما معنى هذا الكلام الذي أشرت اليه فقال لوانك نظرت بعين البصيرة لما رجعت عن ملتهم ولا أردت بدلا غيرهم وانما أنت طلبت نعيما يزول الى الزوال ويفضي بصاحبه الى النكال قال فسكت بوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ومضى ووقف على الطريق الذي يمضي الى المسلمين فركب فلنطانوس وخرج من مرادقه فوجد ابني عمه قد أخذوا أهبتهم وهم أربعة آلاف فارس وقد مواعزمهم وسار وا يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد تركوا عزمهم وفارقوا دينهم فلما قربوا من جيش المسلمين ظهر لهم بوقنا وبنو عمه المائتان فقال بوقنا للفلنطانوس أيها الملك عوّلت على أن تكبس المسلمين فقال لا والقديم الازلي وانما أنا قاصد اليهم وداخل في دينهم وملتهم وأكون من جملتهم فمن نظر الى الدنيا بعين الفناء عمل للآخرة فما الذي يمنعك يا بوقنا مما نحن عوّلنا عليه فقال بوقنا أيها الملك لقد جذبك جاذب الحق عن طريق الضلال ثم انه حدثه بحديثه وانه عازم على أن يغدر بالروم فقبله فلنطانوس وفرح بمقالته وقال له كيف تقدر على ذلك وما أرى معك الا نفرا يسيرا فقال أيها الملك ان في داخل بيتي مائتين من المسلمين من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام عشرين ألفا من الروم ولقد رأيت أن تعود أنت وقومك ولا تستعجل وتبعث رجلا الى أمير المسلمين يخبره بما نحن معوّلين عليه فاذا كان غدا تقف أنت وجيشك حول الملك هرقل وأدخل أنا البلد وأطلق المائتي أسير وأعطيهم سلاحا ويحمل جيش العرب وتحمل أنت وعسكرك على مركب هرقل وتقصده أنت بنفسك فتقبض عليه وتكون قد جاهدت وأصبرا ونا ومن معي في داخل البلد فنملكها ان شاء الله تعالى وان أردت أن ترجع الى دار ملكك ويكون أمرك مكتوما علينا نخوّل أمر جيشك لمن تثق به من بني عمك قال فلنطانوس ما فعلت هذا ولي نية في ملكي ولا في ملك الدنيا بل اذا قضى هذا الامر ونصر الاسلام قصدت مكة فاحج واز ور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أرجع الى بيت المقدس فأقيم فيه الى أن أموت فمن يذهب الى أمير العرب برسالتي ويخبرهم بما قد عوّلنا عليه فقال له بوقنا اعلم ان لهم عندنا عيونا وجواسيس مما هو تحت ذمتهم وأنا أعلمهم بما قد وقع قال فبينما هم في الكلام تحت ستر الليل واذا بشيخ قد أقبل اليهما فتأمله بوقنا فاذا هو عمرو بن أمية الضمري ساعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على بوقنا وعلى من معه وقال ليوقنا ان الامير أبا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن الاسلام وأنه رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمر صاحب رومية وما تحدثتما به وما وقع له مع قومه وما عزمتم عليه وبشره بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد تفتح انطاكية ويزول عز الروم عنها وينتزع ملك صاحبها (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فتهلل وجه فلنطانوس فرحا وازداد ايمانا وقال الحمد لله الذي هدانا للاسلام والايمان (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وذلك أن أبا عبيدة رضي الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول يا أبا عبيدة ابشر وابرضوان الله ورحمته وغدا تفتح انطاكية صلحا وان صاحب رومية المدائن الكبرى قد جرى من أمره كيت وكيت هو و بوقنا صاحب

دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومي منها طرابلس وكانت بايدي الافرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وعكا وبيروت وصيدا وغير ذلك وبلغت

حلب وهما بالقرب منك فانفذ اليهما بانجاز الامر قال فاستيقظ أبو عبيدة وقص رؤياه على خالد وانفذ عمرو بن أمية كما ذكرنا قال فلما سمع فلنطانوس ذلك اقشعر جلده وارتعدت فرائصه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد ان هذا الدين هو الحق اليقين ثم انهم عادوا وطافوا بالجيش الملك كأنهم يحرسون فبينما هو قائم قد ذهب بأصحابه من عند صاحب رومية وقد قوى عزمهم على ما ذكرنا من أمر كبسهم الملك واذا بالحاجب قد لقيه والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكية ومعه ضرار بن الازور ورفاعة بن زهير والمائتا أسير وقد عوّل على قتلهم وان يرمي غدا برؤوسهم الى المسلمين فلما سمع بوقنا ذلك ضاقت الدنيا عليه وقال له أيها الحاجب الكبير أنت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا وبينهم فان أنتم قتلتم هؤلاء ورميتم برؤوسهم الى المسلمين فانهم لا يقعون بأحد منا فيقعون عليه فاتق الله ولا تعجل بذلك ودعهم عندي وراجع الملك في أمرهم الى أن نرى ما يؤول أمرهم اليه قال فتركهم الحاجب عند بوقنا ومضى الى الملك وأخبره بما قال بوقنا فقال له دعهم عند الدهستق فرجع اليه وقال له الملك يقول لك احتفظ عليهم فأمرهم لك فأخذهم بوقنا وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكية لانه كان قد عوّل على ان يملك بهم البلد فلما حلوا في خيمته حلهم من الوثاق وسلم اليهم العدد وأخبرهم بما قد عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل فقال ضرار والله لا رضين الرب غدا بجهادنا وكانت قد خمتت جراحاته لانه كان في الاسر ثمانية أشهر وفرقهم مع بني عمه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثنا أبو محمد عن سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن مسعود أن الذي أمر باخراج الاسرى لم يكن هرقل وانما كان مملوكه الخاص واسمه تاليس بن ينوس وكان قد أسلمه تاجه ومنطقته وكان أشبه الخلق به وقال له كن غدا مكاني فاني أريد أن أكيد العرب وأكمن خلفهم وماذاك الا انه رأى في نومه كأن شخصا قد نزل من السماء وقلبه عن سريره وكأن تاجه قد طار من على رأسه وكأن شخصا يقول له قد قرب ما بعد وقد زال ملكك من سورية وقد ذهبت دولة الشقاق والنفاق وجاءت دولة الوفاق وكان ذلك الشخص قد نفخ في عسكر فأوقد نارا فاستيقظ مرعوبا وقسم منامه على نفسه بزوال ملكه وكان قبل نزول العرب قد عبى خزائنه وجمع ما يخاف عليه من التحف ووضعها في المراكب من حيث لا يعلم بذلك أحد من دولته وعبى الزاد والماء ثم انه أرسل أهل بيته في تلك الليلة بعد ما رأى في المنام ولم يدع من حريمه وأولاده وعياله أحدا وبعده أمر مملوكه تاليس بن ينوس بما أمره أن يفعله قال فلما ركب تاليس ما كان من أمره الا أن قال للحاجب أخرج الاسارى واضرب رقابهم فاخرجهم وأخذهم بوقنا كما وصفنا قال حدثنا ياسر عن سليمان بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عروة بن مذعور عن محمد بن علي عن عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن ابن سعد قال ما خرج هرقل من انطاكية الا وهو مسلم وذلك انه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السر من قومه انه بي صداعا لا يسكن فانفذ الي بدواء أتداوى به فأرسل اليه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عاد اليه فتعجب من ذلك وأمر بفتحها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقال هرقل ما أكرم هذا الاسم وأعزه حيث شفاني الله به وكانوا قد توارثوا هذه القلنسوة الى أن وصلت الى صاحب عمورية فلما كان يوم المعتصم ونزل عليها عرض للمعتصم صداع فأرسل اليه صاحب عمورية بالقلنسوة فلما وضعها على رأسه سكن ما به فأمر المعتصم بفتحها فاذا فيها الرقعة ومكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأما ما كان من أمر تاليس فانه لما أصبح ركب ورتب عساكر الروم عن آخرها ودارت المواكب حول تاليس بن ينوس وكان كل من رآه يظن انه هرقل ولا يشك فيه ودار بمواكبه عسكر فلنطانوس صاحب رومية وركب بوقنا ومن معه وهم متسكرون تحت السلاح فكان أول من حمل خالد بن الوليد بجيش الزحف قال وتبعه سعيد بن زيد وتبعه قيس بن هبيرة وتبعه ميسرة وبعده عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وذو الكلاع الحميري وأمثالهم وأطبق الناس بعضهم على بعض فلما اشتبكت الحرب هجم بوقنا ومن معه وحمل ضرار فقد دره لقد أعطى السيف حقه وأخذ بثاره من الروم وكلما قتل واحدا صاح واثارات أسر ضرار بن الازور وكان قد قصد عسكر المتنصرة هو وأصحابه ورفاعة بن زهير يشجعهم ويوبخهم ويقول خذوا بثاركم ممن أسركم واحملوا وايا كم ان تفشلوا واعلموا أن الجنة قد فتحت أبوابها وزينت حورها وقصورها وأشرف بنيانها ومرح ولدانها وتجلى ديانها ثم صاح بالفتيان العرب أيكم يرغب في زواج الحور فان بذل

عما ليكه اثني عشر الفا وفي أيامه وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجف والخوف فالتقاهم بعساكره وهزمهم شر هزيمة وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع

النفوس هي المهور ومن يريد عرسا في الجنان ويقوم في خدمة الولدان من يرغب فيما قال الملك الديان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان أين من شهد بدرا وحنين مع سيد الكونين أين من يزيل عن قلبه حجاب الغفلة والرين واقتفوا مآثار همهم الى دار الازل فاما خواب من لم يزل محبوبهم فأراد الحق أن يوقفهم على منازلهم ليزيد وافي حسن أفعالهم فكشف عن سرائرهم فرأوا دارا بناؤها النور وقواعدها من الرحمة حيطانها من الذهب ملاطها المسك ماؤها من الحيوان حصباؤها الدر والجوهر ترابها الكافور والعنبر سورها المجد اللطيف ستورها الكرم أشجارها الا اله الا الله أغصانها محمد رسول الله ثمارها سبحان الله والحمد لله عرضها السموات والارض سقفها عرش الرحمن فلما كشف لهم عن هذه الاسرار اشتاقوا الى سكنى الدار قيل لهم ان تصلوا اليها الا ببذل النفوس في رضا الملك القدوس ثم خلع عليهم خلع الاحسان وتوجهم بتيجان الرضوان ونشر على رؤسهم رايات الغفران مرسوم على طرزها بقلم السر المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون لقد بذلوا النفوس في رضا القدوس (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فبينما ضرار يحمل في الاعداء ويذيقهم شراب الردى واذا هو بفارس يلطخ الكتائب ويفرق المواكب ويصيح واثارات ضرار بن الازور فتأمله فاذا هو أخته خولة فنادها ادرك يا بنت الازور انا والله أخوك فأقبلت تسلم عليه فقال لها ايلك عني ما هذا وقت سلام وان قتال الكفر أفضل من كلامك يا بنت الازور فاجعلي عنانك مع عناني وسنانك مع سناني وجاهدي في سبيل الله فان قتل أحدنا فالملتقى في الحشر عند حوض سيد البشر فبينما هم في ذلك اذ نظر الى جيوش الروم وقد تفهقرت وفرسانهم قد انهزمت وكان السبب في ذلك أن صاحب رومية رحمه الله لما رأى الحرب قد أضرمت نيرانها وعلا دخانها حمل بأصحابه وقصد تاليس بن بنوس فقبض عليه وهو يظن أنه هرقل فصاح الصايح ان الملك هرقل قد قبض عليه فلنطانوس ملك رومية وغدر به فولت الروم الادبار وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها الا بأجنادين واليرموك وقتل من العرب المتنصرة زهاء من اثني عشر ألفا وطلب جبلة ولده فلم يرهم خبرا فقيل انهم واكابر قومهم ركبوا مع الملك هرقل في المراكب وكان جبلة من هرب من سادات المتنصرة مع جبلة وابنه خمسمائة من جملتهم ابن عمه قرظة وعروة بن واثق ومرهف بن واثق وهجام بن سالم وشيبان بن مرة قال فسكنوا جزائر البحر فمن نسلهم هذه الافرنج قال وأخذ المسلمون ما كان من السرادقات والخيام والديباج والمتاع والخزائن وأسروا ثلاثين ألفا وقتلوا من الروم سبعين ألفا وولت العرب المتنصرة منهزمين فمنهم من أخذ نحو الدروب ومنهم من طلب قيسارية الى قسطنطين بن هرقل فلما وضعت الحرب أوزارها وخمدت نارها جمعوا الاموال والاثقال والاسرى بين يدي أبي عبيدة فلما نظر الى ذلك سجد لله شكرا وسلم المسلمون بعضهم على بعض وجاء ضرار وأصحابه ويوقنا وفلنطانوس وأصحابه وسلموا على المسلمين وفرحوا بهم فلما وصل فلنطانوس قام اليه المسلمون وقال كبارا أصحابة سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه قال فنظر فلنطانوس الى تواضعهم وحسن سيرتهم وكثرة عبادتهم فقال هؤلاء والله القوم الذين بشر بهم عيسى عليه السلام قال فاسلم بنوعمه عن آخرهم وجاهدوا في الكفار الى أن فتحوا جميع الامصار وبعدها مضى فلنطانوس الى مكة فحج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم المختار وسلم على عمر رضي الله عنه فلما رآه وثب اليه قائما وصافحه هو وجميع المسلمين وعاد الى بيت المقدس فجلس بعبد الله فيه حتى أتاه اليقين (قال الواقدي رحمه الله) ونظر أبو عبيدة الى جيش انطاكية وقد تحصنوا فيها وهم لا يحصون فقال اللهم اجعل لنا الى فتحها من سبيل وافتح لنا فتحا مبينا قال وكان على انطاكية بطريق اسمه صليب بن مرقس وكان جاهلا في رأيه وعزم على القتال من داخل السور فاجتمع أكابر البلد الى البترك في الليل وقالوا له اخرج الى هؤلاء العرب وصالح بيننا وبينهم على ما تقدر عليه قال فخرج البترك الى أبي عبيدة وحدثه في الصلح فاجابه الى ذلك فكان جملة ما صالح عليه أهل انطاكية ثلثمائة الف مثقال من الذهب فلما تقرر الصلح قال له أبو عبيدة احلف لنا أنكم لا تغدرون بنا فان مدينتكم مانعة كثيرة الجبال والوعر فقال خالد ومن يحلفه فقال أبو عبيدة بوقنا قال فوضع بوقنا يده على رأس البترك فوق يده وقال قل والله والله والله أربعين مرة والا قطعت زناري وكسرت صليبي وامتنعت الشماسة والديرانيون وخلعت دين النصرانية وذبحت الجمل في جرن ماء المعمودية ونجستها

الصلح مع التتار بعد أمور طويلة (وتولى من بعده ابنه الاشرف خليل) فاقام ثلاث سنين وشهرين ومات سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن بمدرسته التي أنشأها بجوار مشهد السيدة نفيسة وقد خربها

ببول مولود من أولاد اليهود وقتلت كل الشهود والاحرقت شدائد مريم وعصبت رأسي والاذبحت القسوس
رصبغت بدمائهم ثوب عروس والاجعلت مريم زانية به والاجعلت في المذبح حيضة يهودية والاأطفأت
قنا ديل بيعة جرجيس وجعلت عزيرا في مقام كالوس والاتزوجت يهودية طامثة لاتنقي أبدا والاغسلت
اثوابي صبيحة يوم الجمعة وأهدمت الكنائس والبيع وأحللت الاعياد والجمع والاعبدت اللاهوت
وجحدت الناسوت والاأكلت لحم الجمل يوم عيد الشعانين والاصمت رمضان عاطشا وكنت لاكل الرهبان
ناهشا والاصليت في ثياب اليهود وقلت ان عيسى دباغ الجلود انا لانغدر بكم ولا كنا لامعكم (قال الواقدي
رحمه الله) فمنذ هاقام أبو عبيدة ودخل انطاكية وكان دخوله لخمسة أيام مضين من شعبان سنة سبع عشرة من
الهجرة فدخلها وبين يديه اللواء الذي عقده له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يمينه خالد بن الوليد وعن
يساره ميسرة بن مسروق ودخلها والقراء بين يديه يقرؤن سورة الفتح فلم يزل سائرا حتى وصل الى باب الجنان
فنزل هناك وخط هناك مسجدا وأمر بنيانه وبه يعرف الى يومنا هذا قال ميسرة بن مسروق فنظرنا الى بلد
رطب طيب الهواء كثير الماء والخيرات فاستطابته المسلمون وودوا أن لو أقمنا فيه شهر النسريح فما تركنا أبو
عبيدة فيه غير ثلاثة أيام ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلام عليك وانى أحمد الله الذي لا اله الا
هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكره على ما فتح علينا ورزقنا من الغنيمة والنصر واعلمك
يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قد فتح على المسلمين كرسي النصرانية مدينة انطاكية وكسر الله عسكرها
ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل في البحر وانى لم أقم بها الطيب هواءها وانى خشيت على المسلمين أن يغلب حب
الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن طاعة ربهم وانى معول على المسير الى حلب وانى منتظر أمرك فان أمرتني أن
أسير الى داخل الدروب فعلت وان أمرتني بالمقام أقمت واعلم يا أمير المؤمنين أن العرب قد نظرت الى بنات
الروم قد عتهم أنفسهم الى التزوج فمنعتهم من ذلك وانى أخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله فعجل الي بأمرك
والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين من يسير بكتابي هذا الى أمير
المؤمنين فأسرع بالاجابة زيد بن وهب ومولى عمير بن سعيد مولى عمير بن عوف فقال أنا أيها الامير أوصله ان
شاء الله تعالى فقال أبو عبيدة بارك الله فيك أنت لست مالك نفسك وانما أنت مملوك فان أردت المسير فسل مولاك أن
يأذن لك في ذلك فأسرع زيد الى مولاه عمير فانكب على يديه يقبلهما فمنعه من ذلك وذلك أن عميرا كان رجلا
زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ما يملك من الدنيا سوى سيفه ورمحه وفرسه وبعيره ومزادته وقصعته ومصحفه
وكان الذي يصيبه من الغنائم لا يدخر منه ولا يأخذ الا ما يقوته وكان يفرق الباقي على قرابته وقومه فان فاض
شيء بعثه الى عمر رضي الله عنه يفرقه على فقراء المسلمين والمهاجرين والانصار قال فلما أراد زيد ان يقبل يد
سيده منعه وقال له ما الذي تريد فقال يا مولاي تأذن لي أن أكون رسولا للمسلمين بشيرا الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال عمر بن سعيد تريد أن تكون بشير المسلمين وأمنعك من ذلك انى اذا لآثم امض فأنت حر
لوجه الله تعالى وأرجو بعتقك أن يجيرني الله من النار قال ففرح زيد بذلك وعاد الى أبي عبيدة فأخبره أن
بركة كتابه صار حرا فسر أبو عبيدة وسار زيد على نجيب من نجب اليمن دفعه اليه وكان سابقا قال فجعل زيد
يطلب أقرب الطرق حتى قدم المدينة ودخلها واذا بها ضجة عظيمة ولاهلها ضجيج وهم يهرعون نحو البقيع
وقباء فقلت لنفسي ان لهم أمرا فتبعتهم لأرى ما شأنهم وأنا أحسب انهم يريدون حربا فرأيت رجلا فعرفته فسلمت
عليه فعرفني وقال أنت زيد قلت نعم قال الله أكبر ما وراءك يا زيد قلت البشارة والغنيمة والفتح قلت ما فعل
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال انه خارج يريد الحج ومعه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يحجبون والناس
يشيعونه قال زيد بن وهب فانخت بعيري وعقلته وأسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدي عمر رضي الله عنه وهو
يمشي راجلا ورواحله مولاه يقود بعيرا وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده وجفنته عليه والهوادج بين يديه سائرة
وعن يمينه علي بن أبي طالب وعن يساره العباس بن عبد المطلب ومن ورائه المهاجرون والانصار وهو يوصيهم
بالمدينة قال زيد بن وهب فلما وقفت بين يديه ناديت السلام عليك يا أمير المؤمنين أنا زيد بن وهب مولى عمير بن
سعيد أتيتك بشيرا قال عمر بشرك الله بخير فما بشارتك قلت هذا كتاب من عاملك أبي عبيدة يخبرك أن الله قد
فتح على يديه انطاكية قال فلما سمع عمر بذكر انطاكية وان الله فتحها خر لله ساجدا وعفر خديه على التراب

الافرنج سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وفي أيامه توجه محاصر عكا وفتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلعة الروم بهيسنا ومرعش وفتح حصن صور المسمى الآن بحصن منصور وكان من أحصن

ثم انه رفع رأسه من سجوده وقد تترب وجهه وشيبته من التراب وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر على نعمتك السابغة ثم قال هات الكتاب رحمك الله فناولته اياه فلما قرأه بكى فقال له علي كرم الله وجهه م يكاؤك قال مما صنع أبو عبيدة بالمسلمين وبما استعقب رأيه في الموحدين ثم قال ان النفس لأمارة بالسوء ودفع الكتاب الى علي فقرأه على المسلمين الى آخره قال زيد بن وهب ثم رأيت عمر قد هدأ من بكائه وقد زاد فرحه وأقبل علي وقال يا زيد اذا عدت فلا تنظر في تنهاوعنها واحمد الله كثيرا فقلت يا أمير المؤمنين ليس هذا أوانه قال ثم جلس عمر على الارض ودعا بدواة وقرطاس وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك وانى أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه وأشكره على ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل بنا الطيف امعينا وأما قولك لم نقم بانطاكية لطيبها فان الله عز وجل لم يحرم الطيبات على المؤمنين الذين يعملون الصالحات فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله الآية فكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرتدون في مطعمهم ويريحون أبدانهم من نصب القتال مع من كفر بالله وأما قولك انك منتظر أمري فالذي آمرك به أن تدخل وراء العدو وتفتح الدروب فانك الشاهد وأنا الغائب وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب وأنت بحضرة عدوك وعيونك تأتيك بالاخبار فان رأيت أن دخولك الى الدروب بالمسلمين صواب فابعث اليهم بالسرايا وادخل معهم الى بلادهم وضيق عليهم المسالك ومن طلب منك الصلح فصالحه ووف لهم بما تقدر وأما قولك ان العرب أبصرت نساء الروم فرغبت في التزوج فمن أحب ذلك فدعه ان لم يكن له أهل بالحجاز ومن أراد أن يشتري الاماء فدعه فان ذلك أصون لامر وجهم وأعف لنفوسهم ومما تحتاج ان أوصيك في أمر فلنطانوس صاحب رومية فأوسع عليه في النفقة وعلى من معه فانه قد فارق أهله وملكه وأمره ونهيه والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب ودفعه لزيد بن وهب وقال له انطلق رحمك الله وأشرك عمر في ثوابك فأخذ زيد الكتاب وهم أن يسير فأمره أن يقف وقال له على رسلك حتى يزودك عمر من قوته ثم ان عمر اناخ راحلته وأخرج له تمرا وأعطاه صاع تمر وصاع سويق وقال يا زيد اعذر عمر فهذا ما أمكنه ثم ان عمر قبل رأس زيد بن وهب فبكى زيد وقال يا أمير المؤمنين أرى بلغ من قدري أن تقبل رأسي وأنت أمير المؤمنين وصاحب سيد المرسلين وقد ختم الله بك الاربعين فبكى عمر وقال أرجو أن يغفر الله لعمر بشهادتك قال زيد بن وهب فاستويت على كور ناقتي وهممت بالمسير فسمعته يقول اللهم احمله عليها بالسلامة واطوله البعيد وسهل له القريب انك على كل شئ قدير قال زيد ابن وهب ففرحت بدعوة عمر رضي الله تعالى عنه وعلمت ان الله لا يرد دعوته اذ كان لربه طائعا ولنبيه تابعا فجعلت أسير والارض تطوى لي تحت أخفاف مطيتي فكنت والله في اليوم الثالث عند أبي عبيدة وقد رحل عن انطاكية وقد نزلت على حازم قال زيد فلما وصلت الى عساكر المسلمين سمعت ضجة وجلبة وقد ارتفعت الاصوات فسألت رجلا من أهل اليمن ما سبب ذلك قال فرحا بما فتح الله على المسلمين وهذا خالد قد أتى وكان قد ضرب على شاطئ الفرات وأغار بخيله وقد صالحه أهل منبج وبزاعة وباس وأتى برجالهم وأموالهم وافتتحها صلحا وقد فتح منبج وبزاعة وباس وقلعة نجم في العشر الاوسط من المحرم سنة ثماني عشرة من الهجرة وصالحهم بعد رد أموالهم على مائة ألف وخمسين ألف دينار وأخذها بعد أن نزل صاحبهم جرفناس وسار بأمواله وأثقاله وعبيده وخيوله الى بلاد الروم وولى على منبج عباد بن رافع التميمي وعلى الجسر نجم بن مفرح وولى على بزاعة أوس بن خالد الربعي وعلى باس بادر بن عوف الحميري وبنى له بها قلعة الى جانب باس من الشرق وسماها باسمه وعاد خالد بالاموال والاثقال يوم قدوم زيد بن وهب قال فأتيت أبا عبيدة وهو جالس وخالد الى جانبه وقد قدم مال الصلح فانخت ناقتي وسلمت عليهم ودفعت الكتاب الى أبي عبيدة فقضه وقرأه على المسلمين فلما سمعت المسلمون ما فيه قال أبو عبيدة معاشر المسلمين ان أمير المؤمنين قد جعل أمر الدخول الى الدروب الي وقال أنت الشاهد وأنا الغائب وأنا لا أفعل شيأ الا برأيكم فأشيروا علي أن أفعل رحمكم الله فلم يجبه أحد وأعاد القول ثانيا فلم يجبه أحد والله أعلم

﴿تم الجزء الاول من فتوح الشام ويليه الجزء الثاني أوله ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب﴾

الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار امرهم في ادبار ما لله تعالى يرحمه رحمة واسعة

صحيفة

٢ مكاتبة أبى بكر الصديق الى ملوك اليمن وغيرهم بطلبهم للتوجه الى الشام للجهاد فى سبيل الله تعالى
٣ تولية أبى بكر الامراء واعطاؤهم الرايات ووصيته لهم
٤ اجتماع المسلمين مع الروم فى تبوك
٩ ذكر قتل سعيد بن خالد فى وقعة عظيمة بفلسطين
١٢ عزل أبى عبيدة وتولية خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه
١٣ ذكر صلح أركة والسخنة
١٦ ذكر دخول المسلمين بصرى وحوران وما حصل فيهما
١٧ ذكر دخول خالد بن الوليد دمشق
٢٢ ذكر مسير وردان فى جيوش الروم الى المسلمين وما حصل بينهما
٢٢ ذكر أسر ضرار بن الازور رضى الله عنه
٣٥ ذكر مسير عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن معه الى معاونة المسلمين بالشام فى الجهاد فى سبيل الله تعالى
٤١ ذكر دخول المسلمين دمشق ومشاجرة خالد بن الوليد مع أبى عبيدة فى كون فتحها بالسيف أو الصلح
٤٣ ذكر وصول الصحابة الى تومار وهربيس ومن معهما بالمرج وما حصل
٤٦ ذكر أسر ابنة الملك هرقل
٤٩ ذكر تولية أبى عبيدة وعزل خالد بن الوليد فى أول خلافة عمر رضى الله عنه
٥١ ذكر وقعة حصن أبى القدس
٥٧ ذكر فتح حمص
٥٨ ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضى الله عنه
٥٩ ذكر فتح قنسرين
٦٢ ذكر صلح الرشين وحماة وشيزر وما تابعها
٧٦ ذكر حديث نزول المسلمين على حمص
٨٠ ذكر فتح الرستن
٨٦ ذكر وقعة اليرموك
٩٨ ذكر مسير جابر بن خول الربعى فى ستة آلاف من طوائف المسلمين لنصرة دين الله
١٠٢ ذكر محاورة خالد بن الوليد مع ماهان وفلك ضرار بن الازور ومن أمره ومن معه
١١٧ ذكر قتل عامر بن الطفيل وولده رضى الله عنهما
١٢٤ ذكر الحيلة التى عملها أبو الجعيد الذمى فى هلاك أكثر الروم
١٢٥ ذكر قتل ماهان سلك الارمن ومن معه بعد انهزامهم
١٢٨ ذكر فتح مدينة بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد اخبار أهلها أنها لا تفتح الا على يده
١٣٨ ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها
١٥٦ ذكر فتح مدينة عزاز
١٦٧ ذكر مسير بوتة الى انطاكية وما تابعها واشتغاله فى فتحها بالحيل الغريبة التى يعجز غيره عنها

UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 00259435 6